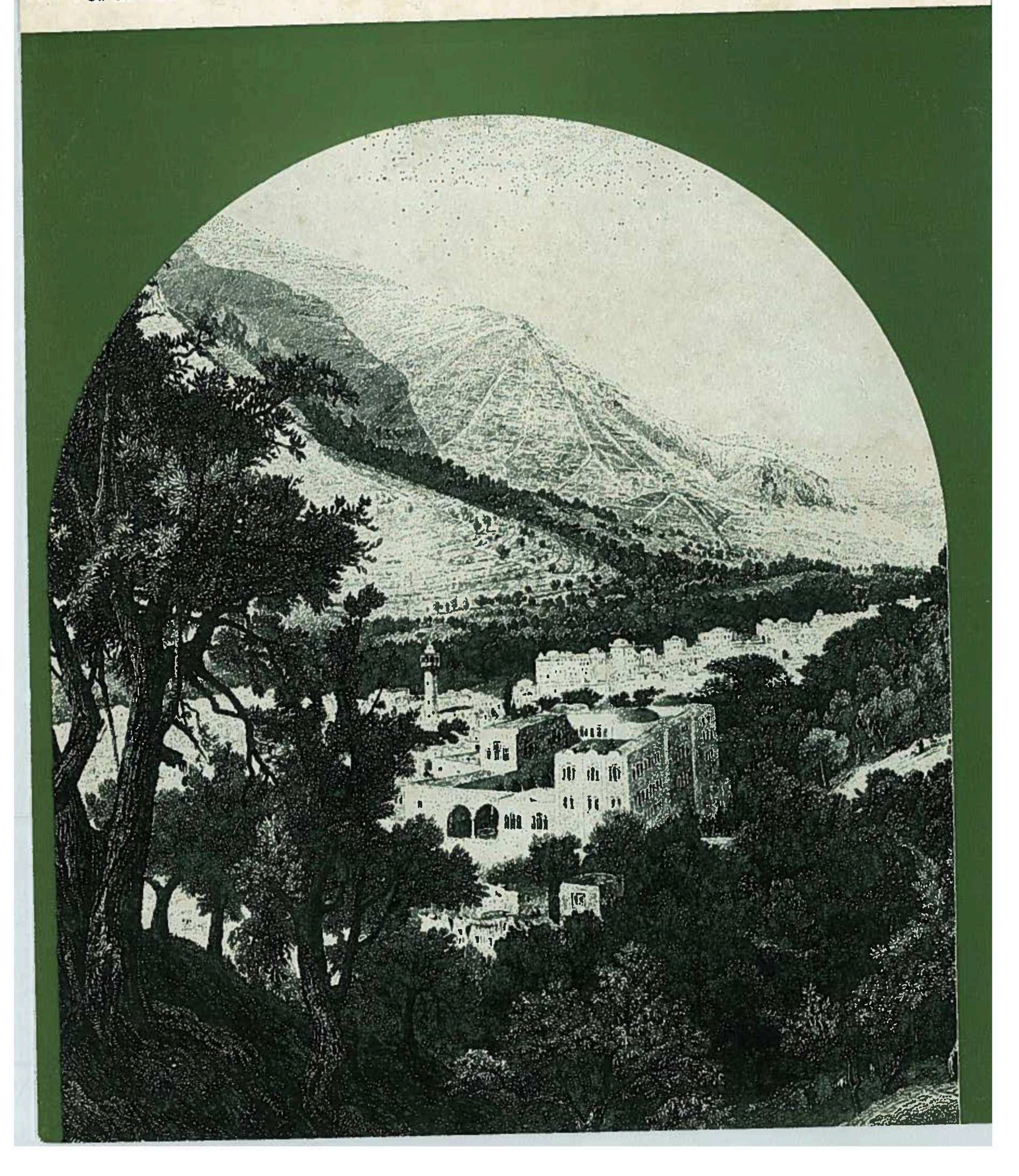
شؤون فلسطينية

١١

تموز (يوليو) ١٩٧٢



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١١ **تموز (يوليو) ١٩٧٢**

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **متعهد التوزيع :** جبريل ديب .

هيئة التحرير : د. ابراهيم ابو لغد ، بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢/١ ٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : نابلس ، القرن التاسع عشر

المحتويات

السنة صفر ، ع. أ. الصهيونية : اعادة نظر ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . تهويد فلسطين ، د. ابراهيم ابراهيم [استاذ العلوم السياسية في الجامعة الاميركية في بيروت] . نظام الاحزاب السياسية في اسرائيل ، الياس نجم [دارس العلوم الاقتصادية والاجتماعية في بيروت] .

١٧٩ **تقارير** كنائس الشرق الادنى والقضية الفلسطينية ، انغو كول [دارس لاهوت الماني متخصص بقضايا الشرق الاوسط] . الاعلام الفلسطيني والرأي العام البلجيكي ، بشارة خضر [دارس للدكتوراه في جامعة لوفان] . الفيلم الفلسطيني بين الوجود واللاوجود ، ابراهيم ابو ناب [مدير المركز العربي للاعلام والنشر] . صحافة المقاتلين الجدارية ، هادي ابو اسوان [مقاتل فلسطيني] . الفن التشكيلي العربي المعاصر والفن الفلسطيني ، اسماعيل شموط [رئيس قسم الثقافة الفنية في م.ت.ف.]. الاستراتيجية الدعائية الاسرائيلية في الهند خلال النصف الاول من ١٩٧١ ، محمد علي العويني [باحث في قسم البحوث والدراسات في جهاز الاعلام في الامانة العامة لجامعة الدول العربية] .

٢١٢ **مؤتمرات** : ندوة الحوار الاعلامي بين الشرق والغرب ، ج. هـ. ج. المؤتمر الدولي حول ناميبيا ، نعيم خضر [محاضر في جامعة بركسل الحرة] . المؤتمر السنوي الخامس للاتحاد العربي — الكندي ، هاني احمد فارس [دارس للدكتوراه في كندا] . مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة ، الدكتورة نادرة جميل السراج [عضو الامانة العامة لاتحاد كتاب فلسطين] .

٢٢٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . ملحق : حول عملية دير ياسين على أرض مطار اللد ، د. سعيد حمود [نائب المدير العام لمركز التخطيط في م. ت. ف.] . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا، ص. ج. ع. (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.]. جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١/١/— ١٩٧٢/٥/٣١ ، غازي خورشيد [باحث في م. أ.].

٢٦٠ **اسرائيليات** ، محمود درويش .

٢٧٤ **تحليل للموقف السياسي** ، كمال العدوان ، [احد مسؤولي الثورة الفلسطينية].

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

بينما كان الكثيرون يتداولون موضوع حزيران وذكرياته ، عند مرور ذكراه الخامسة ، انكب اثنان من اسرة تحرير شؤون فلسطينية على تسجيل بعض افكارهما : تناول د. ابراهيم ابو لغد معالجات بعض المفكرين العرب لنكبة ٤٨ ونكسة ٦٧ ، وكتب الشاعر محمود درويش ذكرياته عن تلك الايام السوداء قبل خمسة اعوام . وقد ضمنا المقالين في هذا العدد ، الى جانب مقال ثالث في مناسبة من نوع آخر — وهو دراسة للاستاذ ياسين الحافظ ننشرها في عدد تموز هذا بمناسبة ذكرى الثورة المصرية. ويضم المقال آراء قد تثير مناقشات بين جمهور المثقفين . والكاتب والمجلة يرحبان بهذه المناقشات وبأية ردود .

ومع ذكرياته ، يكتب محمود درويش (وقد انضم الى اسرة مركز الابحاث في الشهر الماضي) بابا جديدا ، شهريا . وقد اخذ مكان باب « السياسة الاسرائيلية » الشهري الذي حرره الاستاذ احمد خليفة منذ العدد الاول — وقد ترك الاستاذ خليفة هذا الباب ليتفرغ لتحرير نشرة رصد اذاعة العدو التي سيبدأ مركز الابحاث باصدارها يوميا في مطلع تموز الحالي لتسد فراغا كبيرا في المصادر عن العدو وتكون مادة اساسية للصحافيين والمعلقين والكتاب .

ومما يطل ايضا على القراء ابتداء من هذا العدد جداول شهرية بالعمليات الفدائية في الارض المحتلة . وقد اضفنا هذا الباب بناء على رغبة قراء كثيرين طلبوا منا ان نسجل لهم نشاطات المقاومة شهريا مثلما نسجل احداثها وقضاياها ومسائلها وتطوراتها في باب شهري وفي مقال أو أكثر من كل عدد تقريبا . وقد غطت جداول هذا العدد نشاطات الاشهر الخمسة الاولى من العام الحالي . ثم تصبح جداول شهرية . وقد اخذت انباء العمليات من مصادر المقاومة فقط ، أي من البيانات الرسمية دون غيرها . وهي في الواقع حوالى تسعين في المئة من العمليات الفعلية ، باعتبار ان حوالى العشرة في المئة يتأخر وروده الينا . ولكن حتى البيانات المتأخرة سوف يرد ذكرها في اشهر لاحقة حينما تتوافر لدينا — وخزانة وثائق المقاومة الفلسطينية في مكتبة مركز الابحاث ، التي يشرف عليها الاخ غازي خورشيد محرر الجداول المذكورة ، هي حسب علمنا اشمل خزانة في هذا الموضوع . كما سيفيد الباب ، في المستقبل ، من نشرة رصد اذاعة العدو اذ سيضم جدولا باعترافات العدو بما حصل من نشاطات للمقاومة .

عبد الناصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي

ياسين الحافظ

بعد ان قضت الامبريالية الانكليزية ، بالتضامن مع الدول الامبريالية الاخرى ، على أولى محاولات الوحدة العربية والتحديث التي قادها محمد علي وابنه ابراهيم في العام ١٨٤٠ ، انتقلت الى وضع أساس او حاجز يقف أمام احتمالات الوحدة . هنا نبشت مشروع نابوليون القديم ، القاضي بانشاء وطن قومي يهودي يتصدى لاحتمالات المشاريع « التوسعية » ، التي قد يستأنفها محمد علي او احد خلفائه ، للعودة الى سوريا (على حد قول بالمرستون) ، وضمان أمن مواصلات الامبراطورية بالتالي(١). لقد امسكت الامبريالية الانكليزية اذن بمفتاح المسألة الاول ، وما لبثت ان امسكت بالمفتاح الثاني : فما دامت احتمالات النهضة تكاد تكون متمركزة في مصر ، وان الاحتمالات الوحدوية الجدية ستنطلق بالتالي من مصر وتدور حولها ، لذا عملت الامبريالية الانكليزية ، بعد احتلال مصر في اواخر القرن التاسع عشر ، على تشجيع ايديولوجيا قومية مصرية(٢)، مهمتها تكريس عزلة مصر التي فرضتها الامبريالية بقوة السلاح بقضائها على مشروع محمد علي الوحدوي .

هذه النزعة القومية المصرية التي تقولبت ، بعد القضاء على حركة عرابي وبعد ان ضعفت تأثيرات الافغاني على محمد عبده ، في قالب الاخير الاصلاحي ، الذي كان نصف مجدد ونصف تقليدي ، نصف وطني ونصف مهادن للاستعمار ، كان لا بد لها ان تفرز وعيا ملتبسا وقاصرا لقضية فلسطين .

ما دامت مصر تشكل أمة ، لذا كانت قضية فلسطين ، بمعنى ما ، والى حد ما ، مشكلة خارجية . لم تكن القيادات الوطنية التقليدية تولي قضية فلسطين الاهتمام الذي تفرضه أهميتها وخطورتها . اما المثقفون والجماعات السياسية التي كانت تولي هذه القضية عناية أكبر ، تبقى ناقصة على كل حال ، فكانت بالاحرى تقليدية واسلامية ما قبل بورجوازية عموما ، ترى في الصهيونية خطرا على شعب « آخر » تربطه بشعب مصر رابطة الدين والجوار .

اضف الى ذلك ان الطابع غير الراديكالي للقيادات الوطنية الجماهيرية المصرية جعلها ، على حد قول عبدالناصر ، عاجزة على أن تمد بصرها عبر سيناء ، فلم تلتقط لا الابعاد الحقيقية للغزو الصهيوني ، ولا دوره في الاجتياح الامبريالي للوطن العربي ، ولا البعد الحقيقي لاستقلال مصر الفعلي ، هذا البعد الذي اكتشفه عبد الناصر عندما وعى ان الافق الحقيقي لتحرير مصر تحررا كاملا يشرط تحرر الوطن العربي كله ، بل افريقيا ايضا ، من النفوذ الامبريالي ، وبالتالي زوال اسرائيل التي هي انعكاس للنفوذ الامبريالي وجيب من جيوبه .

(٢)

قبل ان يستلم عبد الناصر السلطة ، بل عندما كانت عملية تنظيم الضباط الاحرار في

بدايتها ، كان وعيه للقضية الفلسطينية مطبوعا ، الى حد ما ، بالرؤية المصرية السائدة. قلت « الى حد ما » وذلك لان اصول عبدالناصر الشعبية ونشأته النضالية في حداثته ووطنيته الراديكالية جعلته يولي اهتماما اكبر بكثير لقضية فلسطين(٣). اما بعد انتسابه للجيش فمن المحتمل ، ان لم اقل من المرجح ، ان تكون تأثيرات الاخوان المسلمين على بعض رفاقه في التنظيم من جهة ، وتأثيرات عزيز المصري ، الـذي عاش وناضل فترة طويلة في بيئة سياسية قومية عربية ، من جهة اخرى قد أسهمت في تعميق ذلك الاهتمام. فكان عبد الناصر من اوائل الضباط المصريين الذين حاولوا الالتحـاق بجيش الانقاذ ، الذي كان يحارب في فلسطين قبل أيار ١٩٤٨(٤).

ان اشتراك عبد الناصر في حرب فلسطين ، الذي أتاح له ان يلتقط عيانا ، ومن خـلال تجربته المباشرة الذاتية ، فساد النظام ، كان أحد العوامل الرئيسية التي فجرت ثورة ٢٣ يوليو ، كما كان عاملا حاسما في تقدم وعي عبد الناصر للمسألة الفلسطينية ، الا ان هذا الوعي بقي آنذاك غائما الى حد ما . غير ان اشتراكه هـذا في الحرب لعب دورا كبيرا في اعطاء نزعته القومية طابعا اكثر راديكالية . في الفالوجة ، حيث كان عبد الناصر محاصرا مع جنوده من قبل الهاغاناه ، اكتشف ان مصر «فالوجة اخرى على نطاق كبير»، وانه لا يحارب في أرض غريبة بل دفاعا عن النفس(٥).

هل كان عبد الناصر يسقط وعيه لقضيـة فلسطين في العام ١٩٥٤ (أي عنـدما كتب « فلسفة الثورة ») على وعيه لها في العام ١٩٤٨ ؟ هذا هو المرجح ، لان نزعته القومية العربية لم تتوضح الا في العام ١٩٥١(٦). والحال ان مثل هذا الوضوح هو الذي يعطي العربي غير الفلسطيني مزيدا من الوعي بجوهر المسألة الفلسطينية من جهة ويجعـل التزامه بها مصيريا من جهة اخرى .

ولكن اذا كان وعي عبد الناصر القومي العربي قد توضح في العام ١٩٥١ ، الا اننا نعتقد ان هذا الوضوح لم يصل الى حد التبلور في العام ١٩٥١ ، كما ذكر عبد الناصر ، بل في العام ١٩٥٣ ، عندما بدأت المناوشات الاولى بينه وبين القوى الامبريالية ، وامريكـا بالتحديد ، التي رفض منذ العام ١٩٥٢ توقيع اتفاقية الامن المتبـادل معها مقابل صفقة اسلحة عرضتها امريكا . ولقد كان تدشين محطة اذاعة « صوت العرب » ، في ايـار ١٩٥٣ ، أول أمارة قاطعة على ذلك .

ما العناصر التي ساهمت في بلورة وانضاج هذا الوعي القومي العربي لدى عبدالناصر ؟ تجدر الاشارة اولا الى أن انشغال مصر بالتجديد والتحديث ، فضلا عن التحـرر من الاستعمار ، يشكل المحتوى الرئيسي لنزعتها القومية ، بما في ذلـك النزعة القومية المصرية . فبالرغم من حضور ما للماضي في الواقع المصري ، هذا الحضور الذي يزن على محاولات النهضة ، الا ان هذه النهضة في الرؤية المصرية ليست احياء ماض سلف، فالالتفات الى الماضي في مصر أضعف مما هو في البلدان العربيـة الاسيوية ، رغم أن السلفية وبصمات المجتمع القديم قد تبدو ، ظاهريا ، أقوى في مصر . ومن هنا لم يكن النزوع الوحدوي الناصري بعثا للماضي العربي ، كما في المشرق العربي الاسيوي ، بل بالاحرى احياء لحاضر ليس مشلولا وهزيلا وخانعـا لا لانه مشرذم بفعل الامبرياليـة ومضطهد من قبلها . ولهـذا فان النزعة القومية العـربية اصبحت أكثر عصرية وأكثر راديكالية عندما صبت من جديد في القالب المصري بل القالب الناصري . وهذا يفسر لماذا نمت النزعـة القومية العربية في مصر وقويت في الصراع ضد الامبريالية ، في حين أن النزعة القومية العربية في بلدان المشرق العربي ، وبسبب من بروز العنصر السلفي ، فجرت ثورتها الاولى بقيادة لورنس الفعلية وعايشت الامبريالية ، رغم تناقضات معها خفيفة او شديدة الى هذا الحـد او ذاك ، وفي هذه الفترة او تلـك . ألم يتوهم حزب البعث ، مثـلا ، فياوائل الخمسينات (وكـان آنـذاك اكثر الاحزاب القومية تقدمـا

وراديكالية) ، ان من الممكن ان تقوم وحدة بين سوريا والعراق ، عراق نوري السعيد والعرش الهاشمي ، والامبريالية الانكليزية بالنتيجة والفعل .

لقد عاشت مصر تحت نير الاستعمار الانكليزي منذ اواخر القرن التاسع عشر ، الامر الذي جعل الوعي المصري للظاهرة الاستعمارية اكثر وضوحا وعيانية ومرارة . اما الشرق العربي والاسيوي فلم يواجه الاجتياح الاستعماري المباشر الا مع الحرب العالمية الاولى وبعدها ، ومن هنا القصور المشرقي في وعي مسألة الاستعمار عن الوعي المصري لها . هذه الاشارة تلقي بعض الضوء على فهم عبد الناصر لمسألة الوحدة العربية ومسألة فلسطين . يقينا أن عبد الناصر قد تحدث مرارا عن قضية فلسطين حديثا نشعر وكأنه الجرح يتكلم ، ولكن خلفية تفكيره في مسألة الوحدة ومسألة فلسطين أعمق وأوسع وأكثر عقلانية وعصرية .

جمال عبد الناصر حسين ، حسين البوسطجي ، الذي يلاحقه ويؤرقه هاجس الاذلال الاستعماري (وهذا الهاجس ركب ماوتسي تونغ وهوشي منه ايضا) لم يكن يريد شيئا سوى ان يكون الشعب الذي ينتمي اليه بشرا فحسب . ان كلمة « ارفع رأسك يا أخي » ، التي قالها في العام ١٩٥٣ في قرية الزعفران ، تكاد تلخص كل حلمه (وحلم كل مصري وعربي) العظيم والدائم . ولقد اكتشف عبد الناصر ان المصريين ، **وحدهم ،** لا يمكن ان يتحرروا تحررا **فعليا وكاملا** في عالم العمالقة وعالم الامبريالية . هذا الاكتشاف قاده الى اكتشاف اخر هو الوحدة العربية . والوحدة العربية قادته الى اكتشاف قضية فلسطين ، الممتزجة والمشروطة بمسألة الوحدة العربية .

لم يكن للسلفية من وزن هام في نزوع عبد الناصر الوحدوي . والفكرة المحورية لديه تتلخص في ان الوحدة العربية هي أمضى سلاح في وجه الامبريالية . ولقد توصل عبد الناصر ، عبر رؤية تاريخية واستراتيجية ، الى المعادلة التالية : الوحدة العربية + البترول + المكان الجغرافي = تحرر من الهيمنة الاستعمارية وعودة الى مسرح التاريخ(٧). ومن هنا كانت صيحة عبدالناصر التاريخية الثانية : « لقد انتهى عهد العزلة » . هذه الصيحة ، التي تدين كل قصور الرؤية الوطنية والقومية المصرية وضيق أفقها وافتقارها الى الراديكالية ، وضعته في موقع صدام دائم مع الاستعمار ، وجعلت الناصرية ، وهي حركة قومية بالاساس ، في حالة تطور الى امام ، من حيث وعيها ومن حيث تبدل وتجذر سيمائها او بالاحرى لحظاتها الطبقية .

هذه الخلفية للنظرة المصرية الى الوحدة العربية ، والمسألة الفلسطينية بالتالي ، هي التي تضفي على الموقف التكتيكي المصري ازاء اسرائيل عقلانيته الباردة او برودته العقلانية ، ولكن لهذه العقلانية (وهي عقلانية نسبية بالطبع ما دمنا متخلفين ولم نهضم ، كما هضم الصينيون ، مثلا ، العقلانية الغربية ممثلة بأعلى وأعمق لحظاتها ، وأعني الماركسية — اللينينية) اسبابا اخرى أهمها ان الضربات الاستعمارية والاسرائيلية تكاد تكون مركزة على مصر(٨) ، وان « التراكم الثقافي » في مصر أغنى بكثير (أو بالاحرى أقل فقرا) منه في اي قطر عربي اخر ، فضلا عن رسوبات النزعة الاقليمية المصرية وما يرتبط بها وينبثق عنها من نزعات محافظة « تفضل السلامة عن طريق العزلة » على حد قول عبد الناصر .

ولكن ثمة تساؤلات ، بل شكوك ، ما زالت تثار حول مسألة الالتزام الناصري عربيا ، بسبب من موضوعة الدوائر الثلاث التي وردت في « فلسفة الثورة » .

ان هذه الموضوعة هي ، في التحليل الاخير ، جزء لا يتجزأ من نظرته الى مسألة الوحدة العربية ومسألة التحرر من النفوذ الاستعماري . فالدائرتان الاسلامية والافريقية تبدوان ، في نظر عبد الناصر ، كقوى احتياطية او صديقة للدائرة العربية في صراعها ضد

الامبريالية ، ولم يكونا في نظره ليشوشا او ينازعا الانتماء العربي لمصر او يتناقضا معه، بل يكملانها . لم يلغ عبدالناصر القوقعة الاقليمية المصرية ليقع في قوقعة اقليمية عربية ، فضلا عن أن اتجاه عبد الناصر الافرو آسيوي هذا انما هو امتداد مطور لاتجاه قائم في ايديولوجيا الافغاني ومحمد عبده ، وهو اتجاه لا يمكن نبذه من وجهة نظر ماركسية .

ان افق عبدالناصر السياسي لم يستطع ان يعانق ، عندما كتب « فلسفة الثورة » ، ما اصطلح على تسميته الان بالعالم الثالث كافة ، فاقتصر على جزء من هذا العالم المضطهد والكادح يقع في مدى بصره ، جغرافيا وتاريخيا(٩) . اذن فالسياق الذي طرح فيه عبد الناصر فكرة الدائرتين الافريقية والاسلامية انما كان سياق كفاح ضد الاستعمار ولم يكن لينطوي على نظرة جغرافية او دينية(١٠) . وهذا ما يفسر رفضه ، وهو يفاوض الانكليز للجلاء عن مصر ، ضم تركيا الى الدفاع المشترك مع الدول العربية .

ليس لنا ان ندهش اذن اذا كان عبدالناصر ، في « فلسفة الثورة » ، قد خص الدائرة الافريقية بصفحة واحدة والدائرة الاسلامية بصفحة اخرى ، في حين ان حديثه عن الدائرة العربية وقضية فلسطين قد استغرق خمس عشرة صفحة . لا شك ان ثمة عناصر اسلامية في ايديولوجيا عبد الناصر القومية العربية ، في بداية الثورة على الاقل، ولكن تلاحم النضال المصري مع نضال الشعوب العربية وتجربته مع الاخوان المسلمين ومع السعودية ، ووقوع ايران والباكستان تحت النير الامبريالي ، وتقدم وعيه الاشتراكي ، وكونه قد ضرب العمود الفقري للمجتمع التقليدي الذي يشكل الدين غطاءه الايديولوجي ، كل هذا جعل مفهومه للعروبة والوحدة العربية يفقد رويدا رويدا ملامحه الاسلامية . اذن فالدائرتان الافريقية والاسلامية ، انما كانتا نافذة على العالم ومصيره ، بخلاف الانغلاق العربي للايديولوجيا القومية التقليدية في بلدان الشرق بخاصة .

(٣)

عندما التقط عبد الناصر ، عبر الوحدة العربية ، جوهر المسألة الفلسطينية وحقيقة الغزو الصهيوني انما كان يسجل بذلك انتقالا من مرحلة التلمس الى مرحلة أريد ان اسميها بمرحلة الرومنسية الثورية . لماذا ثورية ؟ ولماذا رومنسية ؟

ثورية ، لان وصول عبد الناصر الى السلطة كان بمثابة فتح صفحة جديدة في الرؤية الرسمية العربية والموقف الرسمي العربي ازاء مسألة فلسطين ، بمعنى ان عبد الناصر كان أول حاكم عربي يعلن للجماهير العربية ، خلافا للحكام العرب وضدهم ، ان المقصود ليس فلسطين بل العرب ، وان الاستعمار هو المسؤول عن هذه الجريمة ، وبالتالي فان الغرب ليس حكما في النزاع بل هو طرف فيه ، والقضية لن تحل مع الغرب ومن خلاله بل ضده(١١) . هذا الموقف ، الذي يشكل انعطافا تاريخيا في مسيرة الثورة العربية الحديثة ، أقام حدا فاصلا ، في وعي الجماهير ، بين الامبريالية والحركة القومية العربية من جهة ، كما انه انتزع من يد الرجعية العربية ، المتحالفة مع الامبريالية ، ورقة طالما لعبت بها لتضليل الجماهير كي تستر تواطؤها مع الامبريالية ، بحجة ان التعاون مع الغرب سيدفع به الى تأييد العرب في صراعهم ضد الصهيونية .

ورومنسية ، لان عبد الناصر كان يرى الى كارثة فلسطين بمثابة نتيجة للخيانة والتآمر(١٢) . هنا ، كان عبد الناصر ، شأنه في تشخيصه الاول ، يقف مع الجماهير العربية ، سواء في احتدام عواطفه أم في حدود رؤيته . يقينا ان مثل هذا التشخيص قد التقط سببا مباشرا وكبيرا من أسباب الكارثة(١٣) ، الا ان هذا السبب ليس جذر الكارثة من جهة ، كما ان كونه السبب لا يعني ان الغاءه سيفتح طريق « نيفسكي » ، المستقيم

الرحب ، القصير ، لازالة الكارثة . اضف الى ذلك ان عبد الناصر ، في هذه المرحلة الرومنسية ، الثورية ، وان كان قد أكد بحق مسؤولية الاستعمار في كارثة فلسطين ، الا انه لم يمسك تماما ، بسبب قصور وعيه للظاهرة الامبريالية ، بالافاق التاريخية للصراع العربي — الاسرائيلي وبانعكاسات الحلف الصهيوني — الامبريالي على المعركة .

كيف كان عبد الناصر يتصرف طوال هذه الفترة الرومنسية الثورية ، التي انتهت مع العدوان الثلاثي في العام ١٩٥٦ ؟ هذا ما سنحاول توضيحه عبر استعراض بعض الاحداث والوقائع التي نعتقدها مفيدة لانارة البحث : بادىء بدء ، يجدر التنويه ، كي نلقي ضوءا سريعا على استراتيجية اسرائيل وبالاحرى نظرتها التاريخية ، ان الجبهة الاسرائيلية المصرية لم تشهد اعتداءات اسرائيلية على مصر طوال سنوات حكم فاروق بعد حرب العام ١٩٤٨ ، وبقيت الحال كذلك ، فيما عدا حادثة السفينة بيت كاليم وقضية لافون(١٤)، حتى ٢٨شباط ١٩٥٥، حيث شنت اسرائيلعدوانا واسع النطاق على القوات المصرية في غزة ، ذهب ضحيتها سبعة وثلاثون من العسكريين المصريين وتسعة من المدنيين الفلسطينيين .

في الفترة الاولى من هذه المرحلة حارب عبد الناصر على جبهتين رئيسيتين : حارب في الجبهة الاولى لتصفية بعض الاتجاهات الليبرالية والاصلاحية بين الضباط الاحرار وللقضاء على الاخوان المسلمين والاحزاب كافة ، وحارب في الجبهة الثانية لكي يظفر اخيرا بجلاء الجيوش الانكليزية عن مصر بعد احتلال دام اكثر من نصف قرن . وفي الفترة الثانية من هذه المرحلة كان محور جهد عبد الناصر منصبا على تسليح الجيش المصري اولا وعلى محاربة المحاولات الامبريالية الرامية الى ادخال المشرق العربي في احلاف استعمارية ، ما لبثت ان تبلورت في حلف بغداد الذي وقع في كانون الثاني ١٩٥٥ . ومن المناسب هنا ، وفي هذه الايام بالذات ، ان نذكر ، مرورا ، بأن عبدالناصر قد أمر في الربع الثاني من العام ١٩٥٤ بتشكيل فرق للفدائيين الفلسطينيين ، وهو القرار الذي اعتبره بعض الصحفيين الغربيين بمثابة النذر الاولى لحرب عربية — اسرائيلية جديدة(١٥) .

شعور عبد الناصر بالخطر الصهيوني ، وتجربته المرة ، كضابط في الجيش ، بسبب قصور السلاح المصري وفساده في حرب العام ١٩٤٨ ، جعله يعتبر هدف بناء جيش قوي احد الاهداف الستة لثورة ٢٣ يوليو . ووضع بالفعل هذا الشعار في امر اليوم . ان رفض عبد الناصر الاحلاف الاستعمارية ، بل حربه ضدها ، وامتناع الدول الامبريالية عن امداد مصر بالسلاح الا شرط قبولها الدخول في هذه الاحلاف ، حشر عبد الناصر في مأزق استمر يعانيه بتمزق حوالي سنتين ونصف السنة .

لم هذه المدة التي تبدو لنا ، اليوم ، طويلة ؟ الاسباب كثيرة . لعل اهمها : تبدل سياسة الاتحاد السوفياتي ازاء مصر ، حسم جزء هام من التناقضات في قيادة الضباط الاحرار، انتظار اتمام جلاء القوات البريطانية عن مصر ، الوقت الذي قضاه عبدالناصر ، شأنه في ذلك شأن اي مواطن عربي ، للخروج من المحارة او من عملية التعليب والتكييف الاستعمارية Conditionnement ، اتساع أفقه السياسي نحو مزيد من النضج من خلال تأثيرات باندونغ، يأسه من احتمالات تسليح غربية بعد ان اتسعت شقة خلافه مع الغرب بسبب رفضه سياسة الاحلاف ، واخيرا — لا آخرا — التحدي العسكري الاسرائيلي الذي تمثل في عدوان ٢٨ شباط على غزة ، حيث تجلى للعيان ، مجددا ، الضعف العسكري المصري .

لماذا العدوان على غزه ؟ وما نتائجه المباشرة وغير المباشرة ؟ لنتذكر ان حلف بغداد قد

وقع ، بعد ضغوط وتمهيدات ومناورات استمرت اكثر من سنة ، في كانون الثاني ١٩٥٥ . وبعد **شهر فقط** شنت اسرائيل هذه الغارة ، التي لا سابق لحجمها في حوادث الحدود بين مصر واسرائيل . لقد أرادت الامبريالية ، عبر اسرائيل وبواسطتها ، أن تلقن عبد الناصر درسا بسبب موقفه من حلف بغداد . والتقط عبد الناصر المحتوى السياسي لهذه الغارة ، التي كانت نقطة تحول حاسمة في تطور ثورة ٢٣ يوليو[١٦] ، فشن هجوما استراتيجيا (اذا صح التعبير) على الجبهة الامبريالية ، مترافقا مع تراجع تكتيكي ، غير ناجح ، على الجبهة الاسرائيلية[١٧] .

لقد أثارت هذه الغارة الاسرائيلية على غزة ما يشبه الزلزال في تطور الحياة العربية والثورة العربية . فالشعب العربي ، الذي كان شبه مستكن داخل بيضة ذات قشرة صلبة ، هي القشرة الامبريالية ، كسر هذه القشرة ، بيد عبدالناصر ، لكي يكتشف ان في العالم عالما آخر غير الغرب الامبريالي . ان عبدالناصر ، عندما اشترى السلاح من الدول الاشتراكية ، لم يأت بالسلاح فحسب ، بل جاء برؤية جديدة للعرب ، وذلك لانه « حرك أمرا كان الشعب المصري (والعربي) محروما منه منذ زمن طويل ، الا وهو الايمان بوجود حرية أو حل خارج الاطار الاستعماري او نصف الاستعماري »[١٨] .

هذه الغارة اذن كانت نقطة انطلاق سلسلة احداث ، أمسكت برقاب بعضها بعضا وصولا الى ثورة ١٤ تموز في العراق ، مرورا باستيراد السلاح من الدول الاشتراكية وتأميم قناة السويس والصراع ضد مبدأ ايزنهاور وافشاله وقيام وحدة العام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا . وهكذا أكدت قضية فلسطين من جديد مكانها المركزي في الثورة العربية: لقد كانت حجر الانهيار بالنسبة لانظمة وأوضاع العام ١٩٤٨ ، وها هي في العام ١٩٥٥ تصبح رافعة الثورة العربية في انطلاقتها الجديدة .

حصول مصر على السلاح ، متزامنا ومترافقا مع اضطرام الصراع بين الحركة القومية العربية بقيادة عبد الناصر وبين الامبريالية ، وشعور اسرائيل ان في مصر محاولة جادة لبناء دولة حديثة ، جعلها — اي اسرائيل — تتجه لضرب هذه القوة الصاعدة قبل ان تقف على قدميها .

لا شك ان وصول بن غوريون الى رئاسة الوزارة في ٢١ شباط ١٩٥٥ ، بعد اقصاء موشي شاريت الذي كان من انصار تكتيك مرن ازاء العرب ، كان سببا مباشرا في تنظيم عدوان ٢٨ شباط على غزة ، ولكن من الخرق الاعتقاد ان المسألة هي مسألة مجيء فريق متصلب ، فريق الصقور ، وابعاد فريق مرن مسالم ، فريق الحمائم ، كما يميل الى ذلك تفسيرا رودنسون وفانشتوك[١٩] والعديد من اليساريين الاوروبيين والعرب . ينبغي ان ينظر الى عودة بن غوريون من زاوية اشتداد الصراع بين الحركة القومية العربية والامبريالية باحلافها ومشاريعها ، وبالاضافة الى ذلك فان بن غوريون ليس مجرد زعيم فريق متصلب ، بل ان عودته الى رئاسة الوزارة في الفترات الحاسمة (وان ينفذ خصومه سياسته . مثلا : اشكول في حرب حزيران ١٩٦٧) انما يعني انه هو الشخص الذي يجسد حقيقة اسرائيل ومصيرها ، وانه رجلها التاريخي ، وهو وحده (ومدرسته بالتالي) من بين الساسة الاسرائيليين الذي يرى ببصيرة ، رغم أوهامه الايديولوجية ، المسار التاريخي للصراع العربي — الاسرائيلي .

قبل ان نتابع سرد الاحداث الهامة وصولا الى عدوان العام ١٩٥٦ الثلاثي لا بد من الاشارة الى ان اسرائيل ، فضلا عن محاولتها منع جلاء القوات الانكليزية عن مصر (حادثة لافون) ، كانت مصممة منذ العام ١٩٥٤ على ضرب مصر عسكريا ، وكان ثمة خطة اسرائيلية فرنسية بهذا الشأن[٢٠]، كما ان بن غوريون طلب الى دايان ، الذي كان

رئيسا للاركان الاسرائيلية ، اعداد خطة لضرب مصر في كانون الاول ١٩٥٥ (٢١)، ولكن مجلس الوزراء الاسرائيلي رفضها في ذلك الحين .

وعندما أمم عبد الناصر قناة السويس ، لم تترك اسرائيل فرصتها تمر ، فانضمت انكلترا الى التحالف الفرنسي الاسرائيلي ، وباشرت اسرائيل العدوان ، بالاشتراك مع دبابات يقودها جنود وضباط فرنسيون بمساندة غطاء جوي فرنسي ــ انكليزي ، اعقبه مباشرة غزو فرنسي ــ انكليزي لقناة السويس ومدنها . وانتهت الحملة بهزيمة عسكرية لمصر . ولكن بنصر سياسي ضخم ، سببه الاساسي وقوف الاتحاد السوفياتي ضد العدوان وعدم دعم امريكا له ، الاتحاد السوفياتي دعما لنضال الشعب العربي ، وامريكا في محاولة لاحتلال مواقع الاستعمار القديم .

الاسباب التي دفعت فرنسا وانكلترا للعدوان معروفة ، ولسنا بمعرض الحديث عنها . وبعض الاسباب التي دفعت اسرائيل الى العدوان معروفة ايضا : الاعتراف !!(٢٢) وفتح مضائق تيران امام الملاحة الاسرائيلية . ولكن هذه بعض الاسباب لا كلها ، رغم ان اللغط الشائع لا يلوكها الا هي .

اذا كانت اسرائيل تريد الاعتراف **فقط** ، فلماذا لم تحاول فرضه من قبل على نظام فاروق ؟ بل لماذا لم تحاول فرضه على ثورة ٢٣ يوليو قبل ان تتضح وتتبلور اتجاهاتها القومية العربية والمعادية للامبريالية ؟ وسؤال آخر : لماذا لم تحاول اسرائيل الحصول على اعتراف الاردن أو سوريا ؟ لماذا لا تبدأ بالاطراف الاقل قوة (بل بالاكثر ضعفا) وتفرض عليها الاعتراف لتنتهي بالطرف العربي الاكثر قوة (مصر) ما دام هذا الطرف لديه الاستعداد للاخذ والرد ــ اذا سلمنا جدلا باتهامات اعدائه ــ حول مسألة الاعتراف باسرائيل ؟ وثمة أمر آخر : اذا كان هم اسرائيل الاعتراف فقط والعيش فقط ، الا يمكنها ان تتخلى عن بعض الاراضي (الاراضي التي احتلتها ولم تعتبر تابعة لاسرائيل بموجب قرار التقسيم) مقابل العيش بسلام ؟ وما قيمة أراض ما اذا كان التخلي عنها يأتي بالسلام والاعتراف ؟

الاجابة الصاحية عن هذه الاسئلة تلقي ضوءا كاشفا على المنظور التاريخي الاسرائيلي للصراع العربي ــ الاسرائيلي من جهة وعلى أرضية وخلفية والدفة الموجهة Plate-forme للسياسة الاسرائيلية . هذا ما سنتحدث عنه بعد قليل ببعض التفصيل ، ونكتفي الان بتثبيت ما أورده مكسيم رودنسون حول الاسباب العميقة والبعيدة للعدوان الاسرائيلي في العام ١٩٥٦ : « ... فبالنسبة لبن غوريون ، الذي كان يقود اللعبة من الجانب الاسرائيلي ، كانت المسألة هي تسديد ضربة كبيرة تجبر العرب في النهاية على الاعتراف باسرائيل كما هي ، وعلى انهاء حالة الحرب الضمنية بسبب هجمات الفدائيين ، التي أصبحت جدية بما فيه الكفاية آنذاك ، وعلى فتح مضائق تيران . ولكن لا شك أن خلفية تفكير بن غوريون تنطوي على ضم محتمل لاراض (عربية) . وان كل زلزلة للوضع ربما تؤدي الى تغييرات مفيدة . **وفي كل الاحوال ، فان بن غوريون ، الذي تسلط عليه منذ زمن طويل الخوف من انتفاضة العالم العربي ، والذي كان يتساءل فيما اذا كان عبد الناصر سيصبح مصطفى كمال الذي سيخلص هذا العالم من الفوضى والتضعضع، قدر أن الوقت موات للضرب وقهر القوة التي تصعد** ، او على الاقل الحصول على الاعتراف في ظرف تتمتع فيه اسرائيل بموقع قوة ، قبل ان يفوت الاوان . كما ينبغي الاستفادة من تضافر ظروف يدفع الى جانب اسرائيل دولتين غربيتين مسلحتين جيدا ، وهي ظروف قد لا تحدث من جديد قبل مضي زمن طويل »(٢٣) .

لقد وصفنا موقف او رؤية عبد الناصر ، بعد اكتشافه الوحدة العربية ، بأنها رومنسية ثورية . فلنضبط حدود هذا التعبير عبر التقاط العناصر الواقعية المتضمنة في هذه الرؤية

ووزنها ، ولنحاول تلخيص تجربته في هذه المرحلة والمعطيات التي استجرها من تجربته :
أ ــ كضرب من استمرار لحركة النهضة المصرية ، ولان عبد الناصر كان أول قائد عربي قد ادرك مشكلة التخلف واهميتها والحاحها ، لذا كانت التنمية هاجسه الرئيسي ان لم اقل المركزي . وكان هذا الهاجس أحد عوامل اصطدامه مع الامبريالية او تهادنه التكتيكي (وبالاحرى التكتكي) المتقطع معها . ب ــ رغم ان عبد الناصر كان يرى صلة الامبريالية باسرائيل ، الا ان قصوره في وعي الظاهرة الامبريالية عموما حال دون رؤيته الطابع العضوي لصلة اسرائيل بالامبريالية الا من خلال تجربة عدوان العام ١٩٥٦ . ولقد فوجيء عبد الناصر بقبول انكلترا وفرنسا تواطؤ اسرائيل معهما في العدوان(٢٤) . ج ــ ان عبد الناصر ، رغم رومنسيته الثورية ، الا انه لم يعلن ، حتى في هذه المرحلة بالذات ، أنه سيحرر فلسطين . لقد كان يقف عند حدود المطالبة بقرارات هيئة الامم المتحدة ، بما فيها قرار التقسيم ، وكان يكرر ، بصيغ عامة ، الحديث عن استرداد حقوق شعب فلسطين . د ــ اننا نلمح الجانب الرومنسي في رؤية عبد الناصر في خطاب له ، بعد تلقي الاسلحة من الاتحاد السوفياتي ، قال فيه ان الجيش المصري أصبح أقوى جيش في الشرق الاوسط(٢٥) . ولكن هذا الجانب اختفى بعد عدوان العام ١٩٥٦ ، وأصبح يقول اننا نبني جيشا لكي لا نصبح لاجئين(٢٦) . هـ ــ لا شك البتة في ان عبد الناصر كان يعتبر ، حتى في هذه المرحلة ، تحرير فلسطين بمثابة هدف رئيسي من أهداف الثورة العربية (سنشرح هذا بالتفصيل بعد قليل) ، ولكنه لم يضع هذا الشعار في أمر اليوم(٢٧) ordre du jour ، وان عبد الناصر عندما عمل على تقوية الجيش المصري انما كان يهدف فقط الى الثبات في الدفاع ، أو ، في أحسن الاحوال ، احراز بعض مكاسب تكتيكية صغيرة تساعده في المعركة الكبرى في سبيل الوحدة وضد الامبريالية .

(٤)

بعد هذه التجربة ، دخل عبد الناصر مرحلة أريد ان اسميها مرحلة «الواقعية الثورية» ، التي لازمته حتى غيابه . خلال هذه المرحلة سمعنا نبرته ترتفع في فترة وتخفت في فترة أخرى ، بل رأينا تراجعات تكتيكية في فترة ثالثة . التقاط ملامح هذه الواقعية الثورية يقتضينا متابعة بعض الوقائع والاحداث :

لقد تمخض العدوان الثلاثي عن أحداث وتطورات كبيرة وكثيرة ، لعل أهمها وحدة العام ١٩٥٨ بين مصر وسوريا ، التي ولدت وسط حالة حرب سياسية من اكبر حالات الحرب الباردة التي شهدها العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم ما لبثت هذه الوحدة ان فجرت بدورها سلسلة من الاحداث ، اهمها ثورة ١٤ تموز ، التي وضعت العالم كله على شفير حرب عالمية .

من التكرار ان نتحدث عن ردود فعل الدول الامبريالية ازاء الوحدة . ولكن ما هي ردود فعل اسرائيل ؟ هياج وشعور بمأزق والتفكير بضربة عسكرية جديدة تفصم الوحدة(٢٨) . كيف أصبح الموقف العربي ــ الاسرائيلي بعد وحدة العام ١٩٥٨ ؟ من الملاحظ ان اسرائيل قد أوقفت تقريبا اعتداءاتها على حدود الجمهورية العربية المتحدة ، وبخاصة على حدود سوريا ، حتى اذا افترضنا ان قوات الطواريء الدولية ، على الحدود المصرية الاسرائيلية ، كانت سببا في منع الاعتداءات الاسرائيلية . ان العدوانين الاسرائيليين الوحيدين في شباط واذار ١٩٦٠ على الحدود السورية قد قوبلا برد كان لاول مرة ردا ذا مغزى ، كما قام الجيش الاول (الجيش السوري) باعتداء مضاد كان اشد من العدوانين الاسرائيليين(٢٩) .

طبعا لم تتعد الجمهورية العربية المتحدة ، خلال فترة الوحدة ، موقف الدفاع . هذا

صحيح . ولكن اسرائيل تخلت ، كما يبدو ، مؤقتا على الاقل ، عن موقف الهجوم والردع . وهذا يفسر بأن ميزان القوى العسكري المحلي أصبح متأرجحا وحساسا . هذا التأرجح وهذه الحساسية في ميزان القوى العسكري لم ينجما بالطبع عن مجرد الجمع العددي للقوة العسكرية المصرية مع القوة العسكرية السورية ، فليس للجمع من وزن عسكري جدي اذا بقي الجيشان يتحركان كجيشين مستقلين وان متضامنين[٣٠]، بل نجما عن تحول سببه **وحدة** الجيشين المصري والسوري وامكانية عملهما كجيش واحد[٣١].

من الزاوية السياسية اخذت اسرائيل تتحدث لغة جديدة الى حد ما . يقينا ان اسرائيل لم تتراجع عن مواقعها الاساسية ، ولكن لغة التهديد بالقوة قد خفتت[٣٢]. هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اتجه تحرك اسرائيل – ونكرر : بسبب قيام الوحدة – الى اقامة حلف بين الدول التي تحيط بأطراف الوطن العربي ، فاقترح دايان ، في أيار ١٩٥٨ – بدعم من بن غوريون – على مونتغمري اقامة حلف بين اسرائيل وتركيا والحبشة[٣٣]. كما حاول بن غوريون الحصول على تعهدات وضمانات من الحلف الاطلسي لحماية حدود اسرائيل[٣٤]. واخيرا باشرت امريكا ، لاول مرة وبصورة علنية ، تزويد اسرائيل بالاسلحة وبخاصة الصواريخ[٣٥]. وزادت المساعدات والقروض السنوية المقدمة من الغرب الامبريالي في فترة الوحدة بنسبة قدرها ٣٥ ٪ عن السنوات الثلاث السابقة للوحدة[٣٦]. وبعد الوحدة فقط نبتت في اسرائيل فكرة صنع قنبلة ذرية تساعدها في ذلك فرنسا[٣٧]. وقد لوحظ ايضا ان المعدل الوسطي السنوي للهجرة الى اسرائيل الذي كان،خلال السنوات الاربع السابقة للوحدة (٥٤ – ٥٧) ٤٤،٦٠٠ مهاجر، قد اصبح ، خلال سنوات الوحدة الاربع (٥٨ – ٦١) ٢٩،٧٥٠ مهاجرا ، وهذا يعني ان المعدل الوسطي للهجرة قد هبط خلال سني الوحدة بنسبة قدرها ٦٦٪ [٣٨].

(٥)

لقد كان مقتل وحدة العام ١٩٥٨ ، اي انفصال ٢٨ أيلول ١٩٦١ ، بمثابة حجر الانهيار الذي هوى بالثورة العربية وصولا الى هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ . ولقد أدرك عبدالناصر ، برؤيته التاريخية ، هول الكارثة ، كما أدركت ذلك الجماهير الفلسطينية ، بغريزتها الثورية ، وعلى نحو أوضح وأحدّ من الشعب السوري وأوضح وأحدّ بكثير من الشعب المصري[٣٩].

فترة ما بعد الانفصال ، وصولا الى حرب الايام الستة ، تشكل مرحلة هامة في تطور وعي عبدالناصر لقضية فلسطين ، كما تشكل خطوة الى أمام في مصارحته جماهير الامة العربية بتعقيدات مسألة النزاع العربي – الاسرائيلي . وفضلا عن ذلك ، ففي هذه الفترة بالذات ألقي المزيد من الضوء على حقائق الوضع العربي ومفاصل أحداثه . لذا لا بد من متابعة تطور مواقف مختلف أطراف اللعبة .

آ. ان مؤامرة الانفصال ، التي تواطأ فيها حلف رجعي عربي – امبريالي – بيروقراطي عسكري سوري ، والتي نجحت بسبب قصور الوعي لدى قيادة دولة الوحدة مضافا اليها العامل الجغرافي والتهديد الامبريالي بضرب الاسطول المصري ، لم تعد عبدالناصر الى « جادة العقل » ، حسبما كانت تقدر الدوائر الامبريالية . لقد دفعت عبدالناصر الى مزيد من الراديكالية سواء على الصعيد الداخلي او العربي . اما على الصعيد الدولي ، في فترة شهدت انفراجا عاما في التوتر بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، فقد عمل عبدالناصر على ازالة ما تبقى من شوائب في العلاقات المصرية – السوفياتية وناور تكتيكيا مع الولايات المتحدة ، التي وان لم تكن قد قررت آنئذ اسقاط عبدالناصر ، الا انها تابعت عملية صده وحصره داخل مصر ، وتجلى ذلك واضحا في دورها في دعم المملكة

العربية السعودية في حرب اليمن ، حيث قدرت ، بالاشتراك مع السعودية ، ان تدخل عبدالناصر العسكري في اليمن هو مناسبة للقضاء عليه عبر تزمين المشكلة اليمنية ونزف الجيش والاقتصاد المصريين(٤٠).

واذا كان كينيدي قد حاول اقامة جسر مع مصر ، بعد فشل مبدأ ايزنهاور ، على اساس خط امبريالي جديد مرن ، الا ان هذه المحاولة سرعان ما ارتطمت بجدار النزاع العربي — الاسرائيلي ، ثم ارتطمت ثانية بسبب تأميمات العام ١٩٦١ واشتراك المخابرات الامريكية في تدبير مؤامرة الانفصال في ٢٨ أيلول ١٩٦١ . لقد حاول كينيدي ان يجد حلا للنزاع العربي الاسرائيلي ، فأجابه عبدالناصر برسائل تعيد طرح المشكلة بأساسها من جديد(٤١)، أما اسرائيل فقد أجابت كينيدي بأن الوقت غير مناسب للتسوية(٤٢). وما لبث كينيدي ان تابع تزويد اسرائيل بالسلاح الامريكي، حيث اصبحت اسرائيل بحاجة ماسة، بعد ان اتجه الجنرال ديغول الى تبني خط تقارب مع العرب (ولكن ليس على حساب اسرائيل بالطبع) ، وبعد ان اتجهت المانيا الغربية ، بسبب الضغوط العربية ، الى ايقاف الدفعات الكثيفة من الاسلحة . وهكذا وقعت في أيلول ١٩٦٢ اتفاقية بين امريكا واسرائيل لتزويد الاخيرة بصواريخ « هوك » الامريكية . وكانت هذه الاتفاقية ، كما لاحظت غالينا نيكيتينا ، نقطة تحول جديدة في السياسة الامريكية ازاء اسرائيل(٤٣). حقا ان الولايات المتحدة كانت تزود اسرائيل بالأسلحة ، تدليسا وخداعا للعرب ، كما لاحظ رودنسون(٤٤)، بواسطة المانيا الغربية ، الا انها في العام ١٩٦٢ انتقلت علنا وصراحة الى اتخاذ هذا الموقف، الذي يشكل ارتساما لموقفها الهجومي الذي شهد ذروته الساخنة في العام ١٩٦٧ .

ب. في سوريا عهد الانفصال شنت حملة مركزة وكثيفة ومستمرة على عبدالناصر، قادها على الصعيد الاعلامي أكرم الحوراني وأحمد عسة(٤٥). وتركزت الحملة على اتهام عبدالناصر بالعمالة لامريكا وخيانة قضية فلسطين ومطالبة عبدالناصر بسحب قوات الطوارىء الدولية من الاراضي المصرية ومنع اسرائيل من المرور في مضائق تيران . ودخلت في المعمعة وسائل الاعلام الاردنية والسعودية ، فكانت الاذاعات والصحف الاردنية والسعودية تذيع مقتطفات طويلة من مقالات أكرم الحوراني ، وتذيع وتكتب تعليقات حول نفس الموضوع وفي نفس الاتجاه(٤٦).

ما لبث عهد الانفصال ان سقط . ولاح سراب وحدة ثلاثية ما لبث تبدد . وانفرد حزب البعث بالسلطة بعد ١٨ تموز ١٩٦٣ ، وغابت الاحتمالات الوحدوية في أفق منظور . وعقد مؤتمر قومي لحزب البعث انتخب منيف الرزاز ، الذي ترك عيادته في عمان ، أمينا عاما لحزب البعث . وما لبث الرزاز أن صعّد ، بالاشتراك مع امين الحافظ ، الحملة على عبدالناصر ، بشكل يذكر بحملة الحوراني وعسة في عهد الانفصال ، وبخاصة في خطابه يوم ٢٨ أيلول ١٩٦٤ (٤٧).

بعد أن اطيح بالرزاز والحافظ في ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، أعلنت السلطة الجديدة التي يقودها صلاح جديد أنها ستعمل لتقارب ما (!) مع القاهرة، وكرست فينفس الوقت شعار تحرير فلسطين كشعار مطروح في أمر اليوم ، وأطلقت شعارا جديدا : « الجيش لحماية الثورة وحرب التحرير الشعبية لتحرير فلسطين»» و«تحرير فلسطين طريق الوحدة» .

ما هي خلفية هذه الشعارات ودوافعها ؟ ثمة عوامل عديدة. من المحتمل ان تكون رغبات قواعد حزب البعث في تحرير فلسطين عاجلا (!) قد لعبت دورا ما ، ولكن مما لا شك فيه ان الرباعي القيادي (صلاح جديد ، يوسف زعين ، نورالدين الاتاسي ، ابراهيم ماخوس) قد رأى في هذه الشعارات أحد أسلحته في الصراع ضد عبدالناصر . لقد تصور ذلك الرباعي القيادي ان هذا الطرح الجديد للمسالة الفلسطينية ، مضافا اليه تشديد اللهجة

اليسارية ، سيدفن نهائيا مسألة الوحدة بين سوريا ومصر وسيلف حولهم الجماهير الناصرية والفلسطينية ، ويعزلها عن عبدالناصر بالتالي .

جـ. بعد مقتل وحدة العام ١٩٥٨ ، وبعد ان ابتعدت عن أفق منظور احتمالات عودتها ، شاع جو من اليأس في صفوف الجماهير الفلسطينية . صحيح ان عبدالناصر لم يضع تحرير فلسطين في أمر اليوم ، الا ان الجماهير الفلسطينية قد ادركت ، بغريزتها الثورية ، ان صعود القوة العربية الى حد يقلب ميزان القوى لصالح العرب يشكل مفتاحا لحل المشكلة . وفي جو اليأس والتراجع هذا أخذت ايديولوجيا (بالمعنى المانهايمي) المقاومة ، التي كانت قد ولدت في صفوف بعض المثقفين الفلسطينيين العاملين في الدول العربية البترولية والذين كان القسم الاعظم من قياداتهم في المناخ الفكري والسياسي للهيئة العربية العليا وحزب التحرير الاسلامي ، تلقى بعض اصغاء في صفوف سكان المخيمات ، اما سكان الضفة الغربية وغزة فكانوا ، الى حد كبير ، بمنأى عن تأثيراتها . وقد تبلورت هذه الايديولوجيا في اطروحات منظمة « فتح » . اما المنظمات الاخرى ، التي نشأت بعدئذ ، وبدأت تفكيرا مشابها ومنافسا في حركة القوميين العرب في العام ١٩٦٦ ، فلم تفعل شيئا سوى السباحة في التيار الذي أطلقته فتح ، مع اضافة تلاوين وهوامش ايديولوجية اخرى على نفس بنيان فتح الايديولوجي .

في جو اليأس ولدت ايديولوجيا ارادتها فتح ايديولوجيا التجاوز : لقد اصيب العرب بالترهل القطري(٤٨)، وسقطت الوحدة . اذن فالمفتاح هو الثورة الفلسطينية التي ستكون كفيلة بتطوير الاوضاع العربية ، تحرريا ووحدويا ، الى الامام(٤٩). الموضوعة قد تبدو متماسكة على الصعيد الفكري المجرد ، ولكن ثمة ثغرة تلغمها : اين تحط الكفة في ميزان القوى المحلي والدولي ، أفي الجانب العربي ام في الجانب الصهيوني — الامبريالي ؟ اي هل يؤدي تفجير الثورة الفلسطينية الى « ديان بيان فو » ام الى « بريست ليتوفسك » ؟ الوقائع بينت ان تطور الاحداث قد قاد الى هزيمة ٥ حزيران والى مجازر أيلول ، وان ارتسامات « بريست ليتوفسك » عربي ، وليس « ديان بيان فو عربي » هي التي تلوح في الافق الآونة . وهذا البريست ليتوفسك العربي سيصيب ، اول ما يصيب ، القضية الفلسطينية ، دونما أمل في نهوض جديد في مستقبل منظور .

هل كانت هذه الارتسامات بعيدة عن تصورات فتح لآفاق المستقبل ؟ لا . مثلا ، ينقل اريك رولو رأيا لعضو ، وصفه بالنافذ ، في فتح ، قبل حرب حزيران ١٩٦٧ : « اننا نأمل اثارة الحرب . نحن نعرف جيدا ان الدول العربية ليست قادرة عسكريا على تحرير فلسطين ، ولكننا نريد على الاقل الوصول الى هذه النتيجة الهامة جدا بالنسبة الينا : القضاء على عبدالناصر ، الذي هو ، موضوعيا ، عميل للصهيونية ، لانه يرفض القيام بأي عمل ضد اسرائيل »(٥٠).

هل كان الرباعي السوري (الذي يقوده صلاح جديد) وفتح ، اللذان التقيا حول طرح هدف تحرير فلسطين في أمر اليوم بواسطة حرب التحرير الشعبية ، سببا في اثارة حرب حزيران ؟ لا ، بالتأكيد ، فاللعبة أكبر منهما بكثير . ولقد كان ممكنا ان يكونا بالفعل سببا في اثارة الحرب لو ان العمل الفدائي كان أكثر فاعلية ضد اسرائيل ، ولكن ما دام العمل الفدائي لم يكبد اسرائيل سوى قتيل واحد من بداية العام ١٩٦٧ حتى اندلاع حرب حزيران(٥١)، لذا يمكن القول ان مسألة العمل الفدائي ضد اسرائيل كانت بمثابة ذريعة استخدمتها اسرائيل والامبريالية الامريكية في لعبة قررها البيت الابيض ، كما سنرى بعد قليل ، منذ زمن .

د . كيف تصرف عبدالناصر في هذه الفترة ؟ ما ردود فعله ؟ ما تأثير ذلك على الاتجاه العام للثورة العربية ؟ على صعيد ميزان القوى العسكري ، الذي اختل اختلالا شديدا لصالح

اسرائيل بسبب الانفصال ، شكل عبدالناصر فرقة عسكرية جديدة ، رغم شعوره بثقل الانفاق العسكري على مجهودات التنمية ، تعدل جزئيا ذلك الاختلال .

على الصعيد العربي العام ، قام عبدالناصر بلف كوع الى **اليمين** وتراجع الى **وراء** . المعركة الحادة(٥٢) التي فتحها ضد السعودية وايران ، المدعومتين والمدفوعتين من قبل امريكا ، بسبب محاولتهما انشاء الحلف الاسلامي ، قد توقفت . ومن جهة اخرى ، فان معركة اليمن ، رغم النزيف الذي سببته للاقتصاد المصري ، ورغم بروز معارضة ، تكاد تكون علنية ، اقليمية ويمينية لعبدالناصر بسبب مشكلة اليمن في مصر بالذات ، والتي كانت قد طرحت احتمالات تغيير في السعودية التي كانت تشكل المركز الاخير والقوي للقوى التقليدية المتحالفة مع امريكا ، ــ هذه المعركة اصبحت عبئا لا يمكن لمصر أن تتحمله اذا أرادت أن تواجه مضاعفات المسائل التي طرحت في المشرق . وهكذا أوقف عبدالناصر صراعا طبقيا جديا على الصعيد العربي العام . وقد تجلى ذلك سواء في خطابه يوم ٢٣ كانون الاول ١٩٦٣ الذي دعا فيه الى عقد مؤتمر للقمة او في محاولته حل مشكلة اليمن وسحب الجيش المصري .

وقد لوحظ في هذه الفترة ، فترة ما بعد الانفصال وصولا الى خطابه بوفد المجلس التشريعي لغزة يوم ٢٢ تموز ١٩٦٢ ، ان لهجة عبدالناصر أخذت تشدد ، ان لم نقل تركز ، على ان المعركة طويلة أولا وان تحرير فلسطين مرتبط بالقضاء على التجزئة والتخلف ثانيا(٥٣) . ففي رده على مطالبة عهد الانفصال بتحرير فلسطين ، (وخطابه في وفد غزة كان هو الرد) تقدم عبدالناصر خطوة الى الامام في مصارحة الجماهير العربية برأيه حول مشكلة تحرير فلسطين ، كما انه لم يكن أقل صراحة في خطابه الذي دعا فيه الى مؤتمر القمة الاول(٥٤) .

ماذا قال عبدالناصر في هذين الخطابين بخاصة وفي تلك الفترة بعامة ؟ قال بالضبط ما معناه : « ان قضية فلسطين هي أصعب قضية في العالم . ومن يقول لكم (للفلسطينيين) انه وضع خططا لحلها انما يخدعكم . يجب ان نستعد لها بكل القوى المعنوية والمادية . من يقول لكم ان قضيتكم سهلة انما يخدعكم ، لانها ليست اسرائيل وحدها ، بل من وراء اسرائيل . من يريد الحرب لا بد ان يكون مستعدا لها ... ونحن لسنا على استعداد . ليس لدي خطة لتحرير فلسطين (خطة بمعنى برنامج محدد الخطوات والتوقيت) . بالنسبة لهذه القضايا يجب ان نعرف متى نقف ومتى نهجم ومتى ننسحب . لقد كانت الوحدة عاملا مساعدا . لقد كانت الوحدة البلاء الاكبر بالنسبة لبن غوريون [... هذه الوحدة لم تعد قائمة الان] . فلسطين سنة ١٩٤٨ كانت متاجرة سياسية . لا يمكن ان ننسى فلسطين بالطبع ، ولا يمكن ان نتخلى عنها ، ولكن لا يمكن ايضا ان نعالج قضية فلسطين بالطريقة التي عولجت بها سنة ١٩٤٨ بالمزايدات والبعد عن المسؤولية »(٥٥) .
وبعد ان بين عبدالناصر ، بصراحة لا سابق لها ، حدود قـوة مصر ، وبالتالي حدود المواجهة العربية ــ الاسرائيلية ، كمواجهة **دفاعية** و **جزئية** ، دعا الى عقد مؤتمر قمة عربي غايته حشد القوى العربية لمعالجة موضوع ضخ اسرائيل لمياه من نهر الاردن .
كيف كان عبدالناصر ينظر الى مشكلة مياه الاردن ؟ وما هو الاطار الذي وضعه فيها ؟ وهل كان عبدالناصر يتصور ان ثمة جدوى من وراء عقد مؤتمرات للقمة بهذا الشأن ؟ واذا لم يكن الامر كذلك ، فما غاية عبدالناصر وأهدافه من وراء مؤتمرات القمة ؟ واخيرا ما حقيقة مشكلة مياه الاردن ، وما اهميتها بالنسبة لاسرائيل ، وهل كان عبدالناصر يتصور ان لا بد من مواجهة مع اسرائيل اذا حول العرب روافد الاردن ؟

سنتناول هذا الموضوع باختصار شديد : منذ العام ١٩٦٠ كان عبدالناصر يتابع اعمال ومشروع اسرائيل لضخ مياه من نهر الاردن . وقد بحث عبدالناصر المسألة في مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة من الزاويتين التقنية والسياسية ، واستبقى عبدالناصر

الناحية العسكرية ليقررها على ضوء النتائج التي يمكن ان ينتهي اليها العملان التقني والسياسي(٥٦). ويبدو ان سقوط الوحدة ومضاعفاته قد ألقى المسألة في الظل وأبعد المسؤولية المباشرة عن موضوع التحويل عن عبدالناصر .

عندما دعا عبدالناصر الى عقد مؤتمرات للقمة ، هل كان يتصور ان المواجهة بين العرب واسرائيل قائمة لا شك فيها اذا حول العــرب روافد الاردن ؟ لا نعتقد ذلك ، لا لان مؤتمرات القمة لن تقدم شيئا جديا وحاسما لمواجهة قريبة محتملة فحسب ، بل لان عبدالناصر لا بد ان يكون عارفا ان تحويل روافد الاردن سيبقي لاسرائيل كميات من المياه توازي ما اقترح تخصيصه لاسرائيل بموجب مشروع اريك جونستون(٥٧)، فضلا عن ان عبدالناصر يعرف ان مشكلة تحويل مياه الاردن ليست بمثابة خلق اسرائيل ثانية(٥٨)، كما كانت بعض الدعاوات تروج آنئذ ، كما ان مياه الاردن ليست كافية لحل المشكلة المائية في اسرائيل ، التي كانت تعمل جاهدة لدفع امريكا الى مساعدتها لاقامة مشروع ضخم لتحلية مياه البحر . ومن جهة اخرى فان الاشغال العربية لتحويل الروافد لن تكون شغالة الا في عام ١٩٧٧ . وعلى هذا يمكن ان نستنتج ان اهداف عبدالناصر من وراء مؤتمرات القمة كانت : (١) دفع الدول العربية للمساهمة المالية بتحويل الروافد وتكوين قوة عسكرية فلسطينية (حليفة له بالطبع) . (٢) تشكيل جبهة عربية تمارس ضغوطا سياسية واقتصادية على الغرب يبعد احتمالات المواجهة العسكرية (وهي احتمالات ضئيلة على كل حال ما دامت هذه المشكلة ليست حاسمة بالنسبة لاسرائيل) . (٣) ان عبدالناصر الذي لا يهمل النهايات الصغرى ، كما يقول منطق هيغل ، قدر ان الامكانات العربية مفيدة مهما ضؤلت في حالة مواجهة لا يتوقعها ولكن لا يستبعدها . (٤) رغم ان عبدالناصر يقدر ان مصر هي وحدها التي ستجر الى الحرب في حال وقوعها ، وان الدول العربية الاخرى هاربة سلفا من المعركة ، الا انه اراد قطع طريق المزاودة بقضية فلسطين التي تمارسها دول عربية مختلفة ومتخالفة ، ففي مؤتمرات القمة سيتحدد عيانا ما ستقدمه كل دولة فعليا في هذا السبيل(٥٩)، وبالفعل فقد نجح عبدالناصر ، مؤقتا على الاقل ، من هذه الزاوية .

ان امين الحافظ ، الذي تراجع نسبيا عن مواقف المزايدة بتأثير من صلاح البيطار ، ما لبث ان سقط في ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، وحلت سلطة يقودها ، كما ذكرنا قبلا ، رباعي بقيادة صلاح جديد ، ما لبثت ان صعدت مجددا ، بالتعاون مع فتح جــو التوتر مع اسرائيل . ولكن قبل ان نكمل عرض الصورة من جانبها العربي ، لا بد من وقفة سريعة لعرض الوجه الاخر للصورة .

هـ. لقد شهد العام ١٩٦٦ انتقال امريكا من مرحلة صد وحصر عبدالناصر الى مرحلة ضربه والقضاء عليه. ففي أوائل العام ١٩٦٦ أوقفت امريكا شحنات القمح الى مصر(٦٠). وفي ربيع العام نفسه قررت امريكا ــ حسب تعبير مايلز كوبلند ــ ان « اللعبة الكبيرة قد انتهت»، فقدمت لاسرائيل كميات كبيرة جدا من الاسلحة الهجومية « يمكن استخدامها لتدمير القواعد الجوية للعدو ، وبخاصة قواعد الجمهورية العربية المتحدة »(٦١). ويحدد مايلز كوبلند ــ رجل المخابرات الامريكي ــ بنود الانذار الذي وجهته امريكا لعبدالناصر بما يلي: (١) خروج مصر من المعركة العربية. (٢) تصفية الاتحاد الاشتراكي. (٣) ادخال نوع من التنظيم على الادارة وتحديد عدد الموظفين بــ ١٨٠ الفا. (٤) تحديد عدد الجيش بخمسين الفا. (٦) الغاء التأميم وانهاء القطاع العام(٦٢). وكان من الطبيعي ان يرفض عبدالناصر الانذار . وبحلول العام ١٩٦٧ اصبح هدف السياسة الامريكية ، كما قال دافيد نيس ، « اسقاط عبدالناصر وعزل مصر عن بقية العالم العربي »(٦٣).

و. ماذا كان يحدث في الجانب الاسرائيلي ؟ ان مجيء ليفي اشكول في العام ١٩٦٣ الى رئاسة الوزارة الاسرائيلية ، بعد ابعاد بن غوريون ، انما سجل الرجحان النهائي لكفة

النفوذ الامريكي في اسرائيل ، ونقل الاخيرة محور تحالفاتها الدولية من اوروبا الغربية الى الولايات المتحدة . ولهذا فان اشكول ، الذي كانت سياسته التكتيكية ازاء العرب تختلف بعض الاختلاف عن سياسة بن غوريون ، اتجه الى تطبيق سياسة بن غوريون ذاتها ، عندما قررت الامبريالية الامريكية تصفية حساباتها مع عبدالناصر .

بعد ان حدد الهدف وقرر ، وهو اسقاط عبدالناصر ، وبعد ان تمت الاستعدادات العسكرية الاسرائيلية عبر صفقة الاسلحة الامريكية الضخمة في أيار ١٩٦٦ ، أصبحت المسألة هي مسألة ايجاد المبررات والذرائع الكفيلة بتغطية هذه العملية امام الرأي العام الدولي من جهة ، وشحن يهود اسرائيل لتعبئتهم للحرب واقناعهم بضرورتها من جهة ثانية(٦٤). وكان الفخ هو تهديد سوريا بالعدوان . ولقد وضع عبدالناصر قدمه الاولى في الفخ عندما وقع اتفاقية مع سلطة صلاح جديد في ٤ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

ز . والسؤال الآن : كيف يمكن لعبدالناصر ، المخندق في مواقع دفاعية ازاء اسرائيل ، ان يعقد اتفاقية دفاع مع السلطة التي يقودها صلاح جديد، وتنادي بمواقف هجومية وحرب تحرير شعبية ، رغم النزاع والشكوك والعداء بينهما ؟ السؤال يبدو اكثر من محير ، والاجابة القاطعة صعبة للغاية ، ومع ذلك فثمة عناصر قد تلقي بعض الضوء على موقف عبدالناصر هذا : ان عبدالناصر ، الذي كان على قناعة من ان الامبريالية الامريكية تنوي اسقاطه(٦٥) وان اسرائيل تعد العدة للحرب ، رأى في هذا الاتفاق ضربا من ارضاء للاتحاد السوفياتي ، الذي كان يبدي بالغ العطف والدعم لسلطة صلاح جديد ، قد يكون سببا في ان يتخذ الاتحاد السوفياتي موقف حماية لكليهما . ومن جهة اخرى ، فان من المحتمل ان يكون عبدالناصر قد قدر ان هذا الاتفاق سيخفف من تطرف مواقف سلطة صلاح جديد بهذا الخصوص ، ولهذا فان المصادر المصرية المسؤولة أعلنت في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٦ ان توقيع الاتفاق مع سوريا لا يعني ان الجيش المصري ملزم بالتدخل مباشرة ضد كل غارة اسرائيلية على المواقع السورية .

بعد ان ربط عبدالناصر بسوريا صلاح جديد ، سهل على اسرائيل والامبريالية الامريكية احكام الفخ : الحكومتان السوفياتية والسورية بالاضافة الى المخابرات المصرية ، تعلمان عبدالناصر في ٨ أيار ١٩٦٧ عن حشود اسرائيلية على حدود سوريا . مراقبو الامم المتحدة يعطون تأكيدات معاكسة . الحكومة الاسرائيلية تنفي الحشود واشكول يبدي للسفير السوفياتي استعداده لمرافقته الى المكان الذي يريد في شمال اسرائيل لاطلاعه عيانا على الوضع . الا ان تصريح اسحق رابين في ١٣ أيار الذي أدلى به للصحف الانكليزية يعطي ، على العكس ، الانطباع بوجود حشود كهذه ، فضلا عن ان المخابرات الاسرائيلية قد بثت برقيات للتضليل ، التقطتها السفن السوفياتية في البحر المتوسط ، كما التقطتها اجهزة الاستماع المصري ، وقد أوحت هذه البرقيات بأن الحشود قائمة وان خطة الهجوم معدة وقيد التنفيذ(٦٦).

ليس أمرا ذا بال اثبات ان الحشود وهمية او حقيقية ما دامت التطورات اللاحقة للاحداث قد كشفت عن ان الهدف الحقيقي لقصة الحشود ، سواء كانت فعلية ام وهمية ، انما كان مصر بالاساس وليس سوريا . فلو ان هدف اسرائيل هو قطع دابر العمل الفدائي المنطلق من سوريا ، ولو ان هدفها قلب السلطة السورية(٦٧)، فلماذا لم تنفذ وعيدها وتحرك حشودها قبل ان يتحرك عبدالناصر ؟ او على الاقل : لماذا لم تضرب سوريا قبل مصر ، او مع مصر ؟(٦٨).

كيف نفسر تصرفات عبد الناصر هذه ؟ لم يفقد عبد الناصر رأسه في دوامة هذه الاحداث الا انه عانى ضربا من تشتت . لقد كان ، كعادته ، مرنا ، الا انه كان عاجزا عن الحسم ، الحسم بعقل بارد في اللحظات الخطيرة . وبالرغم من ان الطابع التاريخي

لشخصية عبد الناصر ، مثله في ذلك مثل اية شخصية تاريخية ، يضفي مسحة من مغامرة على بعض تصرفاته الكبيرة ، الا ان حساباته في هذه الفترة ، رغم انها كانت خاطئة ، لم تكن بلا أساس .

لم يكن عبد الناصر يريد الهجوم على اسرائيل بالطبع ، ولكن كانت نواياه تتجه الى انقاذ سوريا من مخاطر تهديدات اعتقدها جدية ، من خلال ضغوط ومناورات تحولت الى فخ قاتل . ان حساباته كانت مبنية على اساسين رئيسيين : الجيش المصري والدعم السوفياتي . حقا ان عبد الناصر لم يكن يقدر ان الجيش المصري اقوى من الجيش الاسرائيلي ، الا انه كان ، بالتأكيد ، على ثقة من ان الجيش المصري يمكن ان يقاتل مدة ما دون ان ينهزم . اما الدعم السوفياتي ، فان عبد الناصر كان يقدر ان الاتحاد السوفياتي سيتدخل بطريقة ما لمنع الهزيمة على الاقل . وهذا لم يحدث .

هذا جانب من الموضوع ، اما الجانب الاخر منه فهو ان عبد الناصر ، الحريص على روابطه بالجماهير العربية ، والذي لم يستطع ان يواجهها الا بنصف الحقائق متأخرا ، بسبب موقفه الابوي منها ، قد سار ، بسبب هذا الحرص ، على صراط ضيق جدا بين نارين : نار الديماغوجية التي تصور انها ستقطع صلاته بالجماهير العربية ، او ستضعفها على الاقل ، ونار الامبريالية التي احكمت هذا الفخ المميت لتصفي حساباتها معه الى الابد . وفي هذا الصراط الضيق لم يستطع عبد الناصر ، الذي جرحته تهم الجبن والعمالة ، ان يمسك راسه تماما وان يتوازن تمام التوازن ، فهوى . ولكن تلقفته الجماهير التي وقفت لاول مرة في التاريخ مع قائد مهزوم . واذا كان هذا الجانب من شخصية عبد الناصر قد لعب دوره ، فان قصور وعيه للظاهرة الامبريالية قد لعب دوره في هذا المجال ايضا .

وحاول عبد الناصر ان يقف من جديد ، مع شعبه ، وهو في القاع ، قاع الهزيمة . ولكن امريكا قررت ان تتابع المعركة وصولا الى اعادة الشعب العربي الى ما قبل العام ١٩٥٢ ، اي الى ما قبل عبد الناصر(١٩). وفي ٢٨ ايلول ١٩٧٠ غاب عبد الناصر وهو ينزف (وشعبه ينزف معه) ، ولكنه كان واقفا .

(٦)

كيف تبلورت وتحددت رؤية عبد الناصر للمسألة الفلسطينية ، وما هو الـ plate-forme الذي استخلصه لمواجهة الخطر او الغزو الصهيوني ؟

١ ــ ان اسرائيل جسم غريب زرعه الاستعمار وتحميه الامبريالية للقضاء على احتمالات النهضة العربية وليكون رأس جسر لها في الوطن العربي . ان اسرائيل هي « الشعب » النقيض للامة العربية . انها نقيضة antithèse الوجود العربي .

٢ ــ بما ان ميزان القوى المحلي والدولي ليس في صالح العرب ، وبما انه ليس بامكان اسرائيل ان تقضي على الامة العربية ، لذا فان الصراع سيكون صراعا تاريخيا ومديدا . ومن هنا يرفض عبد الناصر الاوهام السلامية على صعيد المستقبل ، استراتيجيا وتاريخيا ، كما انه يرفض الاوهام التحريرية على صعيد التكتيك والعمل السياسي .

٣ ــ ان الضعف العربي يتجسد في ظاهرتين اساسيتين : التخلف والتجزئة . وبما ان الصراع ضد التخلف معركة طويلة ، ونتائجها في المدى القريب ليست ناجعة في قلب ميزان القوى المحلي لصالح العرب ، لذا تغدو الوحدة العربية طوق خلاص للعرب في المرحلة الراهنة والثقل الذي سيرجح ميزان القوى المحلي لصالح العرب ، وسيكون هذا الرجحان اشد بقدر ما تكون الوحدة أوثق وأكثر تلاحما وتقدما . ان وزن العرب العددي ليس له ــ كما اثبتت تجارب العشرين عاما الماضية ــ اي قيمة الا في اطار

وحدة فعلية وفعالة . ما دام العرب متخلفين فهم كمية ليست ذات بال في واقع التجزئة، ولكن في اطار الوحدة يصبحون كما له قيمته حتى في ظل تخلفهم الراهن . حتى الوحدة في ظل التخلف ستحشر اسرائيل في مواقف دفاع ، بل دفاع تراجعي .

٤ ــ ان تحرير فلسطين جزء من الثورة العربية ، وجزء من نضال الامة العربية ضد الاستعمار . وما دامت اسرائيل ليست الحلقة الاضعف ، بل الاقوى في السلسلة الامبريالية ، لذا لا يمكن لقضية العرب في فلسطين ان تتقدم جديا نحو التحرير ما دام ثمة رجعية عربية وما دام البترول العربي ليس بيد العرب ، اي ما لم تتقدم الثورة العربية لتنجز قسما كبيرا من اهدافها .

٥ ــ بما ان عبد الناصر يطل على النزاع العربي ــ الاسرائيلي من خلال منظور صراعي طويل الامد ، لذا فان المعارك مع اسرائيل ستدور على مختلف الاصعدة وعلى مختلف الجبهات : كل ما يقوي العرب يضعف اسرائيل ويشكل خطوة على طريق التحرير المعقد والطويل . المهم ان يناضل العرب لكي ينقلب ميزان القوى ، المحلي والدولي، لصالحهم. وعندما ينقلب هذا الميزان ستترنح اسرائيل ، وستتهاوى حتى قبل المعركة العسكرية الفاصلة .

٦ ــ خلافا للديماغوجية والجهل ، التي لا ترى الى الصراع العربي الاسرائيلي الا من زاوية هجومية تحريرية ، فان عبد الناصر ، كسياسي حقيقي وكعسكري حقيقي ، قد أدرك ان الحرب ليست هجوما فقط ، وان من الممكن ان تكون الحرب العربية الاسرائيلية حرب دفاع من جانب العرب في فترة ما وفي ظل توازن ما .

٧ ــ ان عبد الناصر قد عرف ، من خلال التجربة ومن خلال دراسة كلوزيوتيس ، « ان الطريق الى فلسطين لا يفتحه السلاح وحده . ان الجيوش الوطنية ، اذا لم تكن في قوتها تعكس واقعا اجتماعيا صلبا وقويا ، تصبح في أحسن الاحوال قشرة من حديد يسهل كسرها . وانما تصبح للجيوش الوطنية فاعلية حقيقية اذا كانت قوتها اعمق من قشرة الحديد، اذا كانت قوة دروعها مستمدة من قوة الواقع الاجتماعي ومقدرته»(٧٠).

٨ ــ لقد استوعب عبد الناصر جيدا موضوعتي لينين وماوتسي تونغ . موضوعة لينين التي تقول بضرب السلسلة الامبريالية في أضعف حلقاتها ، وموضوعة ماوتسي تونغ التي تقول بأن الثورة تكون قوية حيث الثورة المضادة تكون ضعيفة . ففي رأي عبد الناصر ، ان اسرائيل ليست الحلقة الاضعف، بل الحلقة الاقوى في السلسلة الامبريالية. وينبغي البدء بضرب الحلقات الاضعف : الرجعية ، جيوب الامبريالية ، التجزئة ... الخ .

٩ ــ بما ان ميزان القوى المحلي الدولي ليس في صالح العرب ، وبما ان اسرائيل ليست الحلقة الاضعف في السلسلة الامبريالية ، لذا لم يضع عبد الناصر تحرير فلسطين في أمر اليوم . ولكنه أكد دائما على انه هدف أساسي من اهداف الثورة العربية . ولهذا خندق عبد الناصر في مراكز دفاعية ، واتخذت اسرائيل ــ بالطبع ــ مواقع هجومية .

ولكن ، كما قلت قبلا ، اذا كان عبد الناصر لم يضع هدف تحرير فلسطين في أمر اليوم ، الا ان اسرائيل قد وضعت على الدوام القضاء على عبد الناصر في امر اليوم . وهذا يقتضينا الحديث ، وان باقتضاب ، عن plate-forme اسرائيل .

ان بلاتفورم اسرائيل هو بلاتفورم عبدالناصر مترجم اسرائيليا وصهيونيا :

١ ــ ان الحفاظ على وجود اسرائيل يقتضي تكبيرها سكانا وارضا من جهة ، كما يقتضي الحفاظ على طابعها الغربي من جهة اخرى . وهذا يقتضي ان تعيش اسرائيل في حالة توتر دائم مع العرب ، وان تنتهج بالتالي سياسة توسعية وهجومية ما دام ميزان القوى

لصالحها . لهذه الاسباب لم تكن محاولات اسرائيل للحصول على التعايش مع العرب لا جدية ولا أولوية ، كما ان شعارها بقي هو هو طيلة وجودها : لا شبر ولا نفر . ومن هنا فان اسرائيل هي ايضا ، وبخاصة رجالها التاريخيين ، ترى ان الصراع العربي الاسرائيلي سيستمر طويلا ، نصف قرن او اكثر . ان اسرائيل لا يخدعها وهم احتمالات سلام ، التي قد تفرض احداها اليوم ، ولكنها لا بد ان تنقض ان غدا او بعد غد ، سواء من قبل اسرائيل او من قبل العرب .

٢ ـ ان بقاء التجزئة هو طوف نجاة دائم لاسرائيل . لذا كانت اسرائيل ، وما تزال ، شديدة الحرص على « استقلال » البلدان العربية « المهددة بالابتلاع المصري » !! ليس في الشرق الاوسط عرب ويهود مثلا بل هناك سوري وعراقي ومصري وسعودي واسرائيلي . بل أكثر من ذلك هناك : سنة وشيعة واكراد وموارنة ودروز وآشوريون وعلويون ... الخ . ان ايبان يلخص الصراع في الشرق الاوسط بأنه صراع بين الوحدة والتعدد(٧١) . ومن هنا ، فان اسرائيل تبني آمالها على مزيد من التجزئة ، لكي تكون الدويلة الاولى والاقوى وسط محيط من الدويلات القزمة المبنية على اعتبارات طائفية او عنصرية الخ ، ولهذا السبب تشجع اسرائيل النزعات النابذة المبعدة عن المركز Centrifuge القومي العربي .

٣ ـ تطبق اسرائيل بمنتهى الوعي والبراعة تكتيك هوشي منه : ضرب **العدو الرئيسي في اللحظة الملائمة** :

ـ العدو الرئيسي لاسرائيل هي مصر فقط : ان ضرب مصر يعني ضرب الكتلة ، الثقل ، مركز الثقل ، الكتلة المنسجمة المتراصة masse ، وبعد ذلك تصبح مشكلة الفراطة او الفرافيط محلولة .

ـ اما اللحظة الملائمة فقد اختارتها اسرائيل بذكاء في العامين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ : توفرت اللحظة الاولى في العام ١٩٥٦ عندما أمنت دخول انكلترا وفرنسا معها في الحرب ، مضافا اليها حالة المتفرج التي وقفتها الدول العربية الاخرى . وتوفرت اللحظة الملائمة الثانية عندما أمنت دعما امريكيا حاسما ، مضافا اليها ان العرب لم يكونوا شأنهم عام ١٩٥٦ و ١٩٤٨ في حالة تجزئة فقط ، بل في حالة انفصال مقاتل .

---

١ ـ راجع فلاديمير لوتسكي : « **تاريخ الاقطار العربية الحديث** » ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠ ، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

راجع ايضا : جوزيف حجار *L'Europe et les destinées du Proche-Orient* (1815-1848), éd. Bloud et Gay, Paris 1970, p. 335.

٢ ـ راجع : ألبرت حوراني : « **الفكر العربي في عصر النهضة** » ، الترجمة العربية ، دار النهار ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٣٥ .

لسنا الا بصدد اعطاء اشارات سريعة حول هذا الموضوع الهام وتبيان حقائق تاريخية بسيطة تؤكد **ان قضية فلسطين محكومة بمسالة الوحدة والتجزئة** . واذا كنا قد استشهدنا بكاتب عربي متنكلز ، فليس غرضنا الطعن بنزاهة دعاة الحركة القومية المصرية الاوائل ، هذه الحركة التي تجد مبررات ما موضوعية في التاريخ المصري والواقع المصري ، ولكن غرضنا ان نبين الى اي حد تستطيع الامبريالية ان تلعب او تنمي اتجاهات وميولا لها بعض الجذور في الواقع الموضوعي . ترى ألم يكن ايديولوجيو ومخططو الامبريالية الانكليزية قد تمثلوا درسا من خلال عملية رد الغزو الصليبي التي نجحت عندما وحد صلاح الدين الايوبي مصر وسوريا ؟! وفضلا عن ذلك فان هذه الانعطافة التي أحدثها عبد الناصر ، باعادة مصر الى اطارها الطبيعي كقوة فاعلة ، تعطي صورة واضحة عن رؤية عبد الناصر التاريخية التي تفوقت على سائر رؤى مفكري وساسة مصر ما قبل العام ١٩٥٢ .

ومن جهة اخرى ينبغي لنا ان نحدد بالضبط محتوى شعار « القومية العربية » الذي اطلقته في المشرق

العربي جمعيات وشخصيات قومية عربية . لم يكن الافق الوحدوي لهؤلاء ، في معظم الاحوال ، يعانق مصر من جهة ولا يعرف حقيقة دورها من جهة اخرى . وبالتالي فان النقد الذي وجهه عبد الناصر في « الميثاق » للحركة الوطنية المصرية ، حين عزا سبب فشلها ، مع أسباب اخرى ، لكونها لم تستطع ان تتعلم من التاريخ ولم تستطع ان تمد بصرها عبر سيناء — هذا النقد يصيب ايضا ، وان بنسبة أقل ، الحركة القومية العربية المشرقية .

٣ — لا شك ان الجماهير المصرية كانت اكثر اهتماما بكثير من قياداتها الوطنية بقضية فلسطين ، وبالطبع كان القطاع الطلابي اكثر تحسسا من قطاعات الشعب الاخرى . ولقد كان عبد الناصر ، كما يروي هو وبعض من كتبوا عنه ، واحدا من زعماء تلك المظاهرات التي كانت تجوب شوارع القاهرة في كل عام بمناسبة ذكرى وعد بلفور ، الذي كان احد عوامل بزوغ الوعي العربي لدى عبد الناصر .

٤ — راجع : « **فلسفة الثورة** » . وراجع ايضا « **عبد الناصر والثورة** » . اصدار الشباب الاشتراكي في القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٣ — ٢٠ .

٥ — راجع : « **فلسفة الثورة** » ، اصدار وزارة الارشاد القومي ، القاهرة ، ص ٦١ . لخص عبد الناصر الدرس الذي تعلمه كما يلي : « ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك في فلسطين وعدت الى الوطن ، كانت المنطقة كلها في تصوري قد أصبحت كلا واحدا » .

٦ — راجع : « **عبد الناصر والثورة** » ، ص ١٩ .

٧ — **نفس المصدر** ، ص ١٩ — ٢٠ .

٨ — حرب حزيران أحد الامثلة الساطعة على هذه الحقيقة : صراخ اسرائيل كان يعلو على سوريا ، ولكن ضربتها نزلت بمصر .

٩ — ألا يذكر عبد الناصر هنا بالزعيم الشيوعي التتري سلطان عالييف وبالزعيم الشيوعي الاندونوسي طان ملكا !!

١٠ — لنتذكر صداقات عبد الناصر مع « الكفار !! » وصلاته الحميمة بهم : نهرو ، تيتو ، نكروما ، لومومبا .

١١ — في خطاب ألقاه في نادي فلسطين بالاسكندرية بتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٥٣ ، قال عبد الناصر : « ان الاستعمار ، الذي لا يريد لهذه المنطقة أية حرية ، يسند اسرائيل ، وهي (جزء من) خطة الاستعمار في القضاء على الامة العربية جميعا ، وهي ليست خطة قصيرة الاجل ، بل طويلة تهدف الى القضاء على العروبة كلها . ان العملية ليست عملية فلسطين ، انما هي عملية العرب ... نحن يمكننا ان نقضي على الغرب اذا اتجهنا الى العمل وحده ... ضد الاستعمار ، لانه سبب النكبات ، وهو الذي دبر نكبة فلسطين ، ويدبر النكبات للبلاد العربية جميعا » . عن كتاب : « **فلسطين — من اقوال الرئيس جمال عبد الناصر** » . سلسلة كتب قومية ، القاهرة سنة ؟ ، العدد ٣٠١ ، ص ١٠ — ١٣ .

١٢ — ورد في « **فلسفة الثورة** » ما يلي : « ... لقد كانت جيوشنا (جيوشنا جميعا في حرب عام ١٩٤٨) تبدو كقطع شطرنج لا قوة لها ولا ارادة الا بقدر ما تحركها ايدي اللاعبين ... وكانت شعوبنا جميعا تبدو في مؤخرة الخطوط ضحية مؤامرة محبوكة أخفت عنها عمدا ما يجري ، وضللتها عن وجودها نفسه » ، ص ٦٥ .

١٣ — ان الخيانة واسعة المدى (أي خيانة حكم لا خيانة فرد او مجموعة) هي أساسا ، وفي اخر تحليل ، تضعضع انهيار المجتمع التقليدي المتيبس ، الهش ، المات ، عندما يتلقى صدمة الدول الاستعمارية . حقا ان المجتمع الحديث المتماسك لا يخلو من ظاهرة خيانية كهذه ، ولكن في مثل هذا المجتمع تبقى هذه الظاهرة أمرا هامشيا وعابرا ، فضلا عن ان تماسك المجتمع وعافيته تجعلان التأثيرات السلبية لتلك الظاهرة محدودة وغير متطاولة . ان هشاشة المجتمع المتخلف تتيح للامبريالية ان تمد شبكات من الاقنية الخيانية . اما تماسك المجتمع الحديث فلا يسمح ، في أسوأ الاحوال ، سوى بمد قصبات خيانية ضيقة في الاطراف والتخوم ، كما انه يشل فاعليتها او يضعفها . أليس أمرا له دلالته ان اكثر المجتمعات العربية تخلفا هو اكثرها افرازا للظاهرة الخيانية الواسعة .

١٤ — للاطلاع بتفصيل على حادثة السفينة الاسرائيلية « بيت كاليم » ، التي ارسلتها اسرائيل في محاولة لعبور قناة السويس في العام ١٩٥٤ ، وعلى قضية لافون ، حيث حاولت اسرائيل القيام بعمليات تخريب في السفارات الغربية في القاهرة بغية افشال المفاوضات المصرية — الانكليزية والحيلولة بالتالي دون جلاء

القوات البريطانية عن مصر — للاطلاع على تفاصيلهما راجع :

Nathan Weinstock : «*Le Sionisme contre Israël*», éd. Maspero, Paris 1969, p.p. 426-427.

Maxime Rodinson : «*Israël et le refus arabe*», éd. Seuil, Paris 1968, p. 69.

١٥ — راجع : جان لاكوتير : **عبدالناصر** ، الطبعة العربية ، دار النهار ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٧٨ .

١٦ — في خطابه في ٢ تشرين الاول ١٩٥٥ ، قال عبد الناصر : « ... لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير (شباط) الماضي والاعتداء الوحشي اليهودي المدبر ... نقطة تحول . لقد كان هذا الاعتداء ناقوس الخطر الذي جعلنا نبحث وندقق في التعرف الى السلام ومعنى السلام ... ومعنى توازن القوى في المنطقة ... » . وفي خطابه في ٢٢ تموز ١٩٥٧ قال : « ان معركة الدفاع عن الشرق الاوسط او معركة الاحلاف العسكرية المفروضة من الخارج لم تلبث ان قادتنا الى اشتباكات خطوط الهدنة مع اسرائيل ، هذه الاشتباكات التي بدأت بالغارة على غزة . قبل الغارة لم نكن نشغل انفسنا كثيرا بخطر اسرائيل . كنا نعتبر خطر اسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء اوطاننا . كنا في ذلك الوقت نعتبر ان خطر اسرائيل هو في حقيقة امره ضعف العرب ، ولولا هذا الضعف ما استطاعت ان تغتصب من الوطن العربي بقعة من أقدس بقاعه واطهر أراضيه . ان دخان الغارة على غزة في فبراير قد انجلى ليكشف عن حقيقة خطيرة تلك هي ان اسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة وانما اسرائيل في حقيقة أمرها رأس حربة للاستعمار ومركز تجمع لقوى الاستعمار والصهيونية العالمية » .

وفي خطابه بتاريخ ١٥ أيار ١٩٥٨ ، قال : « عندما خرجت قوات الاحتلال من بلادنا بدأت اعتداءات اسرائيل على حدودنا ، حتى ننضم الى الاحلاف ، ونطلب من الدول التي تنادي بالاحلاف في الشرق الاوسط ان تحمينا من عدوان اسرائيل . ففي عام ١٩٥٥ أعلن حلف بغداد فرفضنا الانضمام اليه وصممنا على سياستنا وتمسكنا بها ، فكانت النتيجة ان وقع علينا العدوان من اسرائيل . ولم تكن اسرائيل الا منفذة لسياسة الاستعمار التي تتعامل معه » . عن « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبد الناصر** » ، مرجع مذكور آنفا ، ص ٢٩ — ٣٠ ، ٣٦ .

١٧ — لقد شدد عبد الناصر هجومه على حلف بغداد والاستعمار والرجعية المرتبطة به ، ولكنه تقدم الى كبير المراقبين الدوليين اقتراحا يقضي بسحب قوات الفريقين ، المصري والاسرائيلي ، المسلحة مسافة كيلو متر عن جانبي خط الهدنة . وقد رفضت اسرائيل هذا الاقتراح . راجع جان لاكوتير ، **مرجع مذكور آنفا** ، ص ١٧٩ — ١٨٠ .

١٨ — جان لاكوتير ، **مرجع مذكور آنفا** ، ص ١١٢ .

١٩ — رودنسون ، **مصدر مذكور آنفا** ، ص ٦٩ . فانشتوك . **مصدر مذكور آنفا** ، ص ٤٢٨ .

٢٠ — فانشتوك ، **مرجع مذكور آنفا** ، ص ٤٣٣ .

٢١ — فانشتوك ، **المصدر السابق** ، ص ٤٣٠ — ٤٣١ . رودنسون ، **المصدر السابق** ، ص ٧١ .

٢٢ — ان هدف الاعتراف ، اعتراف العرب باسرائيل ، هو بالاحرى سبب اضافي وثانوي للعدوان الاسرائيلي في العام ١٩٥٦ . ولعل الاشارة الاسرائيلية القاطعة الى هذه الحقيقة تتمثل في المذكرة الاسرائيلية السرية الموجهة الى السفارة الامريكية في اسرائيل قبيل زيارة بن غوريون للولايات المتحدة في ايار — حزيران ١٩٦١ ، وجاء في المذكرة ان الحكومة الاسرائيلية لا تعتقد ان الوقت مناسب للتسوية السلمية للعلاقات بين اسرائيل والبلاد العربية . هذا ما أوردته الكاتبة السوفياتية جالينا نيكيتينا في مؤلفها : « **دولة اسرائيل — خصائص التطور الاقتصادي والسياسي** » ، الترجمة العربية الصادرة عن دار الهلال ، ص ١٤٤ . وقد نقلته المؤلفة عن جريدة «Stuttgarter Zeitung» الالمانية ، تاريخ ١٩٦١/٤/٥ .

٢٣ — رودنسون ، **المصدر السابق** ، ص ٧٣ . وكتب حبيب القهوجي : « لقد كتب بن غوريون مرة بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ بأن أخشى ما يخشاه بأن يقوم رجل من هذه الامة ويوحدها كما حصل في الماضي وعندها لن يكون محل لاسرائيل في الشرق الاوسط » ، مجلة « **الثقافة العربية ٧١** » ، بيروت ، العدد ٦ ، تشرين الثاني ١٩٧١ ، ص ١٤٩ .

٢٤ — روى محمد حسنين هيكل ذلك . راجع جريدة «**النهار**» الصادرة في بيروت ، عدد ٣ تشرين الاول ١٩٧١ .

٢٥ — من خطابه بتاريخ ١٤ ايار ١٩٥٦ ، عن « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبد الناصر** » ، ص ٢٧ .

٢٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٧ .

٢٧ ـــ ولكن لا بد من ايضاح : ان السياسة علاقات **موضوعية** وليست نوايا ذاتية . عبد الناصر لم يضع تحرير فلسطين في أمر اليوم فعلا ، ولكن اسرائيل لم تضع **الا** رأس عبد الناصر في **أمرها اليومي** .

٢٨ ـــ لم تكتب بعد دراسة عربية خاصة بمسألة الوحدة العربية واسرائيل ، رغم ان مسألة الوحدة العربية تعتبر المسألة المركزية في الصراع العربي الاسرائيلي . ومع ذلك فثمة دلالات بينة بما فيه الكفاية .

ـــ في « **الثقافة العربية ٧١** » ، مصدر مذكور آنفا ، كتب صبري جريس : « ما زلنا نذكر صرخة بن غوريون في اعقاب قيام اول وحدة في تاريخ العرب الحديث ـــ وحدة عام ٥٨ بين مصر وسوريا ـــ حين قال : « ان هذه ليست جمهورية ، ولا هي عربية ، ولا هي متحدة ! » . لقد كانت هذه الكلمات تعبر عن الحقد والغضب والكراهية التي تفجرت في قلوب الصهاينة وهم أمام اولى البوادر الوحدوية الحقيقية في العالم العربي . والواقع ان أشد ما ترهبه اسرائيل هو قيام اي ظاهرة حقيقية للوحدة العربية . والسبب بسيط جدا ، فكلما كبر العرب صغرت اسرائيل . المسألة مسألة وجود كيانهم بأكمله او عدم وجوده ... » ص ١٥٩ .

ـــ في ١٩٥٨/٢/٢٠ نقلت الصحف السورية كلها تقريبا تصريحا لنهرو أدلى به في البرلمان الهندي : « ... انني ارحب بوحدة مصر وسوريا ... ان هذا الذي يجري في الشرق الاوسط (أي قيام الوحدة) أدى الى سماع صوت التشاؤم من اسرائيل . وهناك بعض الخطر من ان تقوم اسرائيل بعمل طائش نتيجة لما حدث في الشرق الاوسط ، واذا ما حدث شيء من هذا النوع ، فان المرء ليعجز عن معرفة ما يؤدي اليه » . ولقد ثبت هذا التصريح في كتابي **« حول بعض قضايا الثورة العربية »** ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ١٩٤ .

ـــ عالج ايبان موقف اسرائيل بهذا الخصوص ولخص الصراع في المنطقة بوصفه صراعا بين الوحدة والتعدد (التجزئة) . راجع مجلة « Foreign Affairs » الاميركية ، تموز ١٩٦٥ ، ص ٦٢٩ . ونوه رودنسون في الصفحة ١٠٥ من كتابه المذكور آنفا ، بهياج بن غوريون عندما لاحت احتمالات الوحدة الثلاثية . اما صموئيل سيجيف ، الكاتب الاسرائيلي ، فقد أوضح ببعض التفصيل وجهة نظر اسرائيل في الوحدة العربية في الصفحات ١٦ ـــ ١٨ من كتابه :
«Israël, les Arabes et les grandes puissances», éd. Calman-Lévy, Paris 1968.

أما نظرة اسرائيل الى مسألة الوحدة من زاوية عسكرية فنجدها في تقرير الاركان الاسرائيلية المنشور في كتاب « **خنجر اسرائيل** » الذي نشرته دار دمشق عام ١٩٦٧ .

٢٩ ـــ معلومات حصلنا عليها شخصيا من قائد الجبهة السورية آنذاك .

٣٠ ـــ راجع « **خنجر اسرائيل** » ، مصدر مذكور قبلا ، ص ٢٨ .

٣١ ـــ لقد اثبتت الاحداث دوما ان ما يسمى بالتضامن والتحالف العربي ، في ظروف كالظروف العربية ، لم تكن يوما جدية . فما لم تكن ثمة قيادة سياسية مركزية فلن يكون هناك تحالف ذو جدوى وفاعلية من الزاوية العسكرية .

٣٢ ـــ وقد أشار الى ذلك عبد الناصر باعتباره ثمرة من ثمار الوحدة . راجع خطابه بمناسبة الذكرى الاولى للوحدة . عن « **فلسطين ـــ من اقوال الرئيس عبدالناصر** » ، مصدر مذكور آنفا ، ص ٣٨ .

٣٣ ـــ راجع رودنسون ، **مصدر مذكور آنفا** ، ص ٨٥ .

٣٤ ـــ **نفس المصدر** ، ص ١٠٠ . راجع ايضا جالينا نيكيتينا ، **مصدر مذكور آنفا** ، ص ١٤٢ .

٣٥ ـــ **نفس المصدر** ، ص ١٤٢ .

٣٦ ـــ راجع كتاب جورج قرم : «Les finances d'Israël» ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٣٨ . يستخلص من الجداول الاحصائية المنشورة في هذا الكتاب ما يلي : الهبات المقدمة لاسرائيل كانت في تناقص في فترة ١٩٥٤ ـــ ١٩٥٧ ، ثم صعدت صعودا ملحوظا في فترة الوحدة . فبعد ان كانت الهبات الامبريالية ٢٤٥٫٤ مليون دولار في العام ١٩٥٧ أصبحت ٣٤٦٫٥ مليون في العام ١٩٦١ . ولم يرتفع هذا الرقم بعد مقتل الوحدة ، فبقي ٣٤٧٫٩ في العام ١٩٦٥ ، وهبط الى ٣٠٦٫٣ في العام ١٩٦٦ .

٣٧ ـــ فانشتوك ، **مصدر مذكور قبلا** ، ص ٤٤٧ .

٣٨ ـــ راجع الياس سعد : **«الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة»**، مركز الابحاث الفلسطينية، تشرين الثاني ١٩٦٩ ، ص ٢٤٦ ـــ ٢٤٧ . لا شك ان ثمة عوامل اخرى تتحكم بموضوع الهجرة ، ولكن لا شك ان الوحدة تشكل عاملا هاما .

٣٩ — ان نسبة الفلسطينيين الذين قتلوا وسجنوا وطوردوا بسبب نضالهم في سبيل اعادة الوحدة كانت أعلى بكثير من نسبة السوريين . لا عجب . لقد شعروا ، بحق ، انهم يدافعون عن أمل بالعودة قد انطفأ .

٤٠ — راجع الحلقة السابعة من كتاب محمد حسنين هيكل « **عبدالناصر والعالم** » . النهار ٢٤ تشرين الاول ١٩٧١ .

٤١ — أعاد هيكل نشر هذه الرسائل في الحلقة السادسة من الكتاب المذكور ، **النهار** ١٧ تشرين الاول ١٩٧١.

٤٢ — راجع الهامش رقم ٢٢ .

٤٣ — جالينا نيكيتينا ، **مصدر مذكور قبلا** ، ص ١٤٥ .

٤٤ — رودنسون ، **مصدر مذكور قبلا** ، ص ١٤٥ .

٤٥ — كان احمد عسة يصدر جريدة « الرأي العام » ، التي كانت اكثر الصحف السورية انتشارا . هرب أحمد عسة بعد ٨ اذار ١٩٦٣ الى السعودية ، ليعمل في الاعلام السعودي ويؤلف الكتب عن « **منجزات** » العائلة السعودية . كان اكرم الحوراني « راعي » هذه الجريدة ، وكانت الصحف السورية كلها تقريبا تنشر مقالات اكرم الحوراني في عرض صفحاتها الاولى ، ولعل أهم مقالاته واشهرها هو المقال الذي نشره في ١٩٦٢/٨/٢١ .

٤٦ — في **المصدر المذكور آنفا** ، كتب صموئيل سيجيف في الصفحة ٢٤ ما يلي : « ان مختلف الانظمة الملكية العربية ، التي كان عبدالناصر يهاجمها دائما بسبب سياستها الرجعية ، ما لبثت ان كالت لـه الصاع بالصاع ، وهاجمته في موقفه المتساهل من مسألة حرية الملاحة الاسرائيلية الى ميناء ايلات وبسبب وجود قوات الطوارىء الدولية على حدود قطاع غزة وسيناء . وتزايد تواتر وعنف هذه الهجمات كلما اقترب موعد انتهاء المشروع الاسرائيلي لضخ المياه من نهر الاردن » .

٤٧ — لوحظ آنئذ ان العلاقات بين النظام الاردني والنظام السوري أصبحت ايجابية في الفترة التي شغل فيها الرزاز مركز الامين العام القومي لحزب البعث . ولاول مرة في تاريخ سوريا يقوم رئيس للدولة (امين الحافظ) بزيارة السفارة الاردنية مهنئا بعيد جلوس الملك حسين على العرش . كما سمح للصحف الاردنية، لاول مرة ايضا ، بالدخول الى الاسواق السورية .

٤٨ — « **تحرير الاقطار المحتلة** » ، من اصدار فتح ، ص ٢٧ — ٢٨ .

٤٩ — « **كيف تنفجر الثورة الشعبية المسلحة ؟** » من اصدار فتح ، ص ٣٢ .

٥٠ — E. Rouleau, J.F. Held, J. Lacouture : «*Israël et les Arabes — le 3e combat*», Seuil, Paris 1967, p. 59.

٥١ — في الصفحة ٤٧١ من كتابه الآنف الذكر ، أورد ناثان نانشتوك ، نقلا عن مصادر اسرائيلية رسمية ، المعلومات التالية عن النشاط الفدائي قبل حرب حزيران : عـام ١٩٦٦ : ١٠ قتلى . عام ١٩٦٧ (من ١ كانون الثاني حتى ٥ حزيران) ، وعلى حدود الدول الاربع) قتيل واحد . عدد العمليات : عام ١٩٦٥ بلـغ ٣٥ عملية ، الناجحة منها ٢٧ . عام ١٩٦٦ بلغ ٤١ عملية ، الناجحة منها ٣٠ . عام ١٩٦٧ بلغ ٤٦ عملية الناجحة منها ٢٠ .

٥٢ — لا بد ان انوه، استنادا الى الذاكرة، الى ان صحف دمشق كانت تهون آنذاك من شأن الحلف الاسلامي وتعتبر الحلف الاسلامي وهما خلقه عبدالناصر ، فالرجعية ضعيفة وان الهدف الاساسي للاستعمار من وراء مشروع الحلف الاسلامي هو دفع دمشق للقاء بالقاهرة .

٥٣ — راجع « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبد الناصر** » ، مصدر مذكور قبلا ، ص ١٢٠ ، ١٣٧ ، ١٣٩ .

٥٤ — ما كان عبد الناصر ليواجه هذا الحرج امام الجماهير العربية لو ان اجهزة الاعلام المصرية لم تخف عليها حقيقة المعارك العسكرية مع اسرائيل عام ١٩٥٦ .

٥٥ — راجع « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبدالناصر** » ، ص ٩٧ ، ١١٩ ، ١٤١ .

٥٦ — **المصدر السابق** ، ص ١٣٧ .

٥٧ — رودنسون ، **مصدر مذكور قبلا** ، ص ١٧٥ . ونانشتوك ، **مرجع مذكور قبلا** ، ص ٤٥٩ .

٥٨ — قال عبدالناصر في حديث الى مجلة « **بليتز** » الهندية بتاريخ ٦ شباط ١٩٦٤ : « ليس مصدر قلقنا هو المياه التي يسرقونها والارض التي يعتزمون استعمارها [تعميرها ، بالاصح] عـن طريق استجلاب مهاجرين غرباء ، فان هذه الاعمال — رغم عدم شرعيتها — ليست بالخطر الكبير ، ولكن ما يهمنا هـو ألا

نسمح لهم بأن يقووا ويدعموا قبضتهم على الارض التي اغتصبوها عن طريق سلب المياه العربية وسرقة الارض العربية والاستمرار في تمزيق الجرح الذي أصاب اللاجئين الفلسطينيين بطردهم من ديارهم » .

٥٩ — « **فلسطين — من اقوال الرئيس عبد الناصر** » ، مصدر مذكور آنفا ، ص ١٣٨ — ١٣٩ .

٦٠ — هشام شرابي : « **المقاومة الفلسطينية في وجه امريكا واسرائيل** » ، دار النهار ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٨٢ ، نقلا عن مقال دافيد نيس (وهو دبلوماسي امريكي كان في القاهرة قبيل العدوان) الذي نشر في جريدة « نيويورك تايمس » ، ٩ شباط ١٩٦٨ .

٦١ — جريدة **لوموند** ، عدد ١٩٦٦/٥/٢ ، راجع ايضا كتابي رودنسون ص ١٧٥ وفانشتوك ص ٤٢٥ ، **المذكورين آنفا** .

٦٢ — مايلز كوبلند : « **لعبة الامم** » ، الطبعة العربية ، دار الفتح ، بيروت ١٩٧١ ، ص ٢٩٠ — ٢٩١ .

٦٣ — نقلها هشام شرابي ، في كتابه المذكور قبلا ، عن خطاب القاه دافيد نيس في مؤتمر لبحث الشؤون العالمية عقد في جامعة كولورادو في نيسان ١٩٦٨ .

٦٤ — وقد تم فعلا هذا الشحن من خلال الصحف الاسرائيلية بخاصة ، عبر ابراز تصريحات الشقيري وعبر تضخيم اعمال الفدائيين ، والتهويل بها ، بحيث كانت اجهزة الاعلام الاسرائيلية تعكس اعمال الفدائيين على نحو أضخم من بلاغات « العاصفة » ، كما كانت المخابرات الاسرائيلية تضع متفجرات في أماكن معينة وتفجرها بحيث لا تحدث اضرارا في الارواح ثم تنسبها للفدائيين .

٦٥ — يروي ايريك رولو ، في جريدة **لوموند** تاريخ ١٩٦٧/٦/٦ ، ان عبدالناصر كان قانعا بأن المخابرات الامريكية ضالعة في مؤامرة الاخوان المسلمين التي اكتشفت عام ١٩٦٥ . وفضلا عن ذلك فقد وقعت اربعة انقلابات امريكية في اندونيسيا وغواتيمالا وغانا واليونان في الربع الثاني من العام ١٩٦٧ .

٦٦ — رودنسون ، **مصدر مذكور آنفا** ، ص ١٨١ — ١٨٢ .

٦٧ — في ١٢ أيار صرح اسحق رابين ، رئيس اركان الجيش الاسرائيلي ، انه « لا يمكن لاية دولة في الشرق الاوسط ان تشعر بالامن ما لم يتم القضاء على الحكم الثوري في دمشق ».

٦٨ — راجع ميشال بار زوهار ، المؤرخ الاسرائيلي المعروف وشبه الرسمي ، ص ٢٩١ — ٢٩٦ :
Histoire secrète de la guerre d'Israël, éd. Fayard, 1968
وملخص رواية بار زوهار كالاتي : كان مجلس الوزراء الاسرائيلي منقسما ، لاعتبارات سياسية وعسكرية، حول مسألة الهجوم على سوريا ، في ٥ حزيران . وقد مارس ألون ضغوطا شديدة على الوزارة لدفعها لاتخاذ قرار بمهاجمة سوريا ، وجاء بوفود شعبية من شمال اسرائيل لهذا الغرض . ولقد عارض دايان في البدء الهجوم على سوريا . وبعد ان قبلت مصر وقف اطلاق النار في ٩ حزيران عاد دايان فأمر بمهاجمة سوريا بدون علم اشكول ، الذي أيد الهجوم في البداية ثم عارضه بعد ذلك ، ثم عاد اخيرا فوافق على أوامر دايان بالهجوم .

٦٩ — روى محمد حسنين هيكل ، اياه ، في **الاهرام** الصادرة في ١٩٧١/٢/١٩ ، ما يلي : اذكر انني التقيت مرة بأحد المستشارين الذين يعملون في لجنة الطوارىء في البيت الابيض ، واذكر انه قال لي : « بعد أن اطمأن جونسون الى انتصار اسرائيل ، فان سياستنا اصبحت قائمة على الاحتفاظ بالوضع الذي نشأ عنه وعدم تغييره الا على شروطنا » .

٧٠ — من رسالة عبد الناصر الى مؤتمر الطلبة العرب المنعقد في الولايات المتحدة بتاريخ ١٩٦٣/٨/٢٧ . نشرت في **الاهرام** بتاريخ ١٩٦٣/٣/٢٨ .

٧١ — راجع الهامش رقم ٢٨ .

من ذكريات ٥ حزيران ١٩٦٧
الفرح .. عندما يخون !

محمود درويش

فصل من كتاب عن تجربة محمود درويش

الاسرائيلية ، سينشر تباعا في شؤون فلسطينية

١

علموك أن تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية . من أين يأتيك فجأة ؟

تغزوك الايام بذكريات لا تشبهك . كنت خارجا ، لتوك ، من الخامس عشر من أيار . وكنت عاجزاً عن الالتصاق بالاشياء التي ابتعدت عن مسام جلدك . وقد مات جدك الذي أوصيته بمراقبة الرابية المطلة على مصادر موته . أخوك يحب الخطابة ، فوقف على البكاء ووعد الجنازة القادمة بأنها ستكون اكثر حظا من الاولى . لم تبلغ الثلاثين ، ولكن محاذاة الموت تعطيك الحكمة . ومن الحكمة الا تبدو عاطفيا في حضرة الاخرين .

تنتهي مدة الحزن المحددة في تصريح سفر . تنسل من الجنازة الثانية وتعد أهلك بالعودة لزيارتهم في جنازة قادمة . فهذه هي المناسبة الوحيدة للحصول على اذن بالحركة . ما اشد العلاقة بين الموت والحركة . وكنت خارجا ، لتوك ، من ذكرى الخامس عشر من أيار . كنت مسرعا الى البيت لا لتسبق الشمس الغاربة ، وانما لتهرب من الاضواء المتفجرة من الشوارع في عيد مصرعك التاسع عشر .

ماذا قالوا لك في المرة الاخيرة ؟

خياليون .. خياليون أيها العرب .

وفي كل ليلة ، من كل عام ، في مثل هذا اليوم يتجدد انتحارك الذي لا يشعر به أحد . الانتحار غالبا ما يكون مظاهرة . ولكن انتحارك سر . يهبط عليك يوم ، يثقب جلدك وينتشر في عظمك رويدا رويدا كزلزال صغير لا ينتهي ، ولا يكبر ، ولا تنفجر .

الانفجار — هذا ما يشغل بالك . تنتظر هذه النهاية منذ عشرين سنة ، ولا تأتي . لان حالتك لا تفهم ولا تصل . ما أسهل أن تكتب قصيدة تجهض الانفجار . وما أسهل أن تحاور خصمك لتثبت ماذا ؟ أن لك حقا ؟

وماذا قالوا لك في المرة الاخيرة ؟

خياليون . . خياليون ايها العرب .

ولو أعطوك كل شيء ، فماذا أنت فاعل . هل ترضى ؟ هل تكف عن البحث عن نقطة انفجار ؟ وهل تأتمن الفرح ؟ . أن من سلبك كل شيء لن يعطيك اي شيء . ولو أعطاك أهانك . « كن عاقلا واذهب الى الطين » هكذا قلت لنفسك ، ولم ترد على سؤالي : لو أعطوك كل شيء ، فهل تأتمن الفرح ؟ . وتلتفت الى أيامك وتصنف أجمل الشعارات التي حملتها وسرت بها الى السجون :

تصريح سفر . .

حرية تعبير . .

مساواة . .

وفجأة تضحك ، تضحكك المساواة بين المحتلين والغزاة . وأنت تناضل لكي لا تأتمن الفرح . . ولقد علمتك الايام أن تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية ، فمن أين يأتيك فجأة ؟

٢

تنتظر شيئا آخر . .

حالة الانتظار هي المبرر الوحيد لاقتناعك بمطالب تبقى صالحة ، طيلة السنة ، وتسفر عن سماجتها في منتصف أيار دائما .

لست مسؤولا عن شيء مما مضى . ليس الماضي من صنع يديك وأخطائك . ولكنه ميراثك . هل ذهبت الى طبريا مثلا ؟.

تقرأ شعرا عبريا في وصف هذه المدينة التي تحمل بحيرتها وتنزل الى تحت . وأنت لا تراها . هل تكون تافهة رغبتك الجامحة في لقياها ؟ وهل يكون كفاحك رخيصا لو طالبت بالسفر الى مدنك ؟. لا . ولكنك تنتظر . ولماذا ترى طبريا ما دامت المدافع العربية تطل عليها وتعدك بها ؟

تنام وجهاز الراديو ساهر في سريرك . تعرف أسماء المذيعين في كل الاذاعات العربية ، ومواعيد نشرات الاخبار ، وتلاوة آيات من الذكر الحكيم ، والاغاني والتمثيليات . وكلها جميلة . كل ما يفعله العرب جميل لانه ظهرك . لا يعترض أحد على أصوات مضيفات الطائرة ، فكلها أصوات جميلة ما دامت تعلن عن قرب هبوط الطائرة في مدينة ما . وكل المذيعين والعاملين في الاذاعة والقرآن وعدوك بسلامة الوصول الى المدن التي تشتهيها. ليس من حقك ، الان ، ان تعرف الحقيقة لان الحقيقة قد تعني انتهاء حقك في الانتظار . ويوم ثار الجدل بين النقاد على تحديد شخصية « جودو » اللامعقولة ، لم تفهم دواعي الضجة ، وكنت أذكى من كل النقاد ومن بكيت نفسه . فمن انتظر العرب عشرين عاما يعرف جودو .

وهل ذهبت الى قيساريه ؟

تقرأ شعرا عبريا في وصف هذا الشاطىء الذهبي ، وتشعر بالنشوة . وحين كانت العرب تخطىء في نطق أسماء مدنك وتراك لم تكن تغضب عليهم ولا تعاتبهم . كنت تلجأ الى دليل الاسماء العبرية وتفهم . ثم تبتسم للاخطاء العربية كما يبتسم الاب لاخطاء طفله الذي يتدرب على النطق .

وكنت تتساءل أحيانا :

ما هي العلاقة بين هؤلاء الغزاة وبين هذه الحجارة والمياه والاشجار ؟ ولم تفطن الا في وقت لاحق الى أن أدبهم السياسي والوجداني شديد الالتصاق بها بشكل يثير الدهشة ، ويتعامل مع جزئيات وأشياء لا تراها . ليس هـذا بذنبك . فمنذ بلغت الصبا حددوا اقامتك وصارت كتابتهم وسيلتك الوحيدة للتعرف على وطنك . مفارقة غريبة ، اليس كذلك ؟ باطل الاباطيل والكل زائل . ثم تفطن في وقت لاحق أيضا الى ان جانبا من جوانب صراعك معهم هو التنافس الوجداني على حب هذا التراب ، وليس الدعوى الذهنية فقط . لقد زوجوا الدعوى بالعاطفة . كيف ؟ هل يكون الغازي عاشقا الى هذا الحد ؟ لم يكتب الفرنسيون والامريكيون غزلا في غابات فيتنام . ولكنهم يموتون وبدون حب . تخاف الفكرة ، وتخشى ان يتحول المثل الى حجة ضدك ، ولكن الجزائر تنقذك . فيهدأ بالك وترتاح الى جدوى الانتظار .

وقد سألوك كثيرا :

خياليون . . خياليون ايها العرب. ما دام انتماؤكم الى هذه البلاد حقيقيا وعميقا فلماذا لا تكتبون شعرا في الطبيعة ؟

الطبيعة . . ما هي ؟ تخرج الى الشرفة فيسرقك المساء ويعيدك الحارس . ومن ثقب سيارة الشرطة تعطي عينيك للطبيعة . كيف يجتمع الازرق والاخضر والبرتقالي في اناء واحد ولا يختلط ؟ تحافظ الالوان على استقلال جمالها وتجانسها المشترك : ينزل الكرمل الى الشاطىء ليبدأ البحر . ينتهي البحر ليبدأ المساء . ينتهي المساء ليبدأ التحقيق :

ـ خياليون . . خياليون أيها العرب

• لماذا ؟

ـ لانكم لا تعترفون بالزمن

• ماذا تعنون ؟

ـ مرت ١٩ سنة ، وتطالبون بالاوهام

• تعلمنا صداقة الوهم منكم

ـ ماذا تعني ؟

• مرت ٢٠٠٠ سنة ، وتطالبون بالاوهام

ـ هذه بلادنا

• وهذه بلادنا .

ـ نحن أقوى .

• خياليون أيها الاسرائيليون . . خياليون

ـ لماذا ؟

• لانكم لا تعترفون بالزمن

ـ ماذا تعني ؟

• القوة لا تخلق الحق . ونحن اقوى مع الزمن .

ـ ولكنها بلادنا ، وسندافع عنها .

• وبلادنا وسندافع عنها .

ـــ نحتكم الى السلاح اذن .

● لقد احتكمتم . ونحن لم نحتكم بعد .

وكان حزيران خلف الباب

كنت تنتظر

وكانوا ينتظرون .

كن متفائلا ، واذهب الى حزيران .

من هنا ، جاءك الفرح فجأة . وقد علمتك الايام ان تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية .

٣

صار الاسرائيلي العادي متأرجحا بين النص وبين الخبز . كان يقول « عدت » الى أرض الميعاد تحقيقا لرسالة البعث التاريخي للامة اليهودية العظيمة . وفي حالات أقل مثالية كان يقول « جئت » الى أرض الامان لانجو بجلدي من الاضطهاد النازي . « للغربان وطن وليس لي وطن » . وفي حالات أكثر واقعية يقول « أعيش » على أرض اسرائيل ، وليس لي من هدف الا الامن والعيش بسلام . ولم يقرأ الحكمة القائلة « عدلت ، أمنت ، فنمت » .

ولقد خف الاحساس الوطني الاسرائيلي ، قبل حزيران ، عندما واجه حقيقة الفارق بين « ارض الميعاد » في أناشيد الطلائع « ارض السمن والعسل وحل المشكلة اليهودية » وبين الواقع الذي أخذ شكلا شديد القسوة في أيار ، عندما وصلت البطالة والغلاء ذروة خطيرة . وصارت الهجرة من اسرائيل لا الى اسرائيل هي القضية المطروحة ، وانتعشت حاسة السخرية اليهودية لدى الاسرائيلي الذي صار يقول : « يرجى من المسافر الاخير الا ينسى اطفاء النور في مطار اللد » . والتهمت الكتب التي تتندر على رئيس الوزراء كل الكتب الصهيونية القومية . فأرض السمن والعسل ليس فيها خبز وزبدة . ثم التقت الازمة الاقتصادية الخانقة بالتوتر الشديد على خطوط الهدنة ، فتأرجح الاسرائيلي العادي ، هذه المرة ، بين المطلب الاقتصادي وبين الجسد . وصارت الصحف الاسرائيلية تتهم العمال المضربين عن العمل بالعمالة للمنظمات الفدائية الفلسطينية . وصار بوسع المراقب أن يلاحظ أن نقمة الاسرائيليين على مؤسستهم تصرف الى الحدود .

الامن ــ اولا ، والخبز ــ ثانيا . والمؤسسة الاسرائيلية تنمي حاسة الخوف اليهودي باستمرار لتحقق اكثر من هدف : امتصاص مطالب الناس الاقتصادية ، وتوظيفها في مسألة الحرب . اندفع الاسرائيليون الى القتال بشراسة تحت غطاء « الدفاع عن النفس من خطر الابادة » . وايهام العالم الخارجي بمدى الخشية الاسرائيلية من الغزوة العربية .

وكان رجل الشارع خائفا . خائفا حقا .

وكان أصدقاؤك الاسرائيليون يزورونك كل مساء . يشربون حتى الثمالة كأنهم يشربون الحياة . « من يدري ، فقد تنشب الحرب غدا ، وقد لا نعود » . كان الوطن يتحول عندهم الى مجزرة . أمن أجل هذه النهاية جئنا ؟

لم يعد الاسرائيلي الحي خيرا من اليهودي الميت . وكنت تتساءل : كيف استطاعت المؤسسة الاسرائيلية أن تشحنهم بكل هذا الخوف المسرحي . كانوا فعلا يمثلون ، ربما دون أن يدري معظمهم ، مسرحية المسافرين الى الموت . اليأس ... اليأس . ان

اليأس طاقة تفجيرية . وكانوا يسألونك : كيف ننجو ؟. وكنت تكلمهم عن حقوق الاخرين ، فيضيقون ذرعا ، ويقررون : ليس أمامنا الا القتال . لا مفر . لن نموت بلا سلاح . الموت في ميدان القتال خير من الموت في البيت . وتتفجر فيهم حاسة مسادة الانتحارية . ويشربون بشراهة كأنهم يشربون الحياة . ويتصالح العاشق مع عشيقته . وتتحول العذارى الى أمهات بسرعة مدهشة . ويعود المطلق الى زوجته . وتأتلف الاحزاب المتعارضة وتنشأ جبهة قومية ، ويبحثون عن بطل قومي .

ويودعونك ولا يعودون .

٤

وحين تسير في شوارع المدينة ، تكون وحدك . لا لونك يعلن هويتك ، ولا مطاردة البوليس لك . ان الشارع نفسه يطاردك ويعلنك . لانك الشاب الوحيد . ومن يمشي في الشارع في تلك الايام يكون عربيا . يلعنك الاطفال والشيوخ ، فتخجل من السير في الشوارع . اكشاك الفلافل والسندويتشات خالية . دور السينما خالية . البلاد كلها خالية من الشباب . صحف كثيرة لا تعرف من يقرأها ومن يوزعها . ولكنك ترى ان أولاد المدارس الصغار هم الذين يوزعون زجاجات الحليب والبريد .

وعلموك ان تحذر الفرح ، لان خيانته قاسية . فمن أين جاءك فجأة ؟.

يقترب الانتظار من الانفجار . وتسألك أمك ، أن تعتني بسلامتك . والمصير — كل المصير يأخذ شكل طلقة . ترى الحرب ولا ترى موتا . تخرج منك الذكريات الى الابد . ولا وقت للتصور القادم . تذكر ، فجأة ، أن فلسطين بلادك . يأخذك الاسم الضائع الى عصور ضائعة . كأن هذه المرأة النائمة على ساحل البحر الابيض المتوسط تصحو دفعة واحدة حين تناديها باسمها الفاتن . حرموك من الاناشيد المدرسية القديمة وسيرة الثوار والشعراء الذين خاطبوها . الاسم يعود ... يعود أخيرا من رحلة العبث . تفتح خارطتها كأنك تفتح ثياب حبيبتك الاولى لاول مرة : كان شيء يشبه الفضة — كانت طبريا . تصعد القدس الى خصر الله . صفد طارت الى أول قبلة . وفي عكا أجلسك الحب على صخرة البحر . ترى الى الخارطة وتصفر لحنا مرحا مرحا . وتنسى حيفا لانك دائما تنسى قلبك . تشعر بصداقة عميقة مع الايام . لم تكن قاسية الى الحد الذي تتصوره ، ولكن مزاحها كان سمجا أحيانا . دنيا !.. تمد أصابعك الطويلة الى أجزاء المرأة الذكية النائمة على ورق صقيل : الخصر رفيع يشربه البحر وخطوط الهدنة . ثم تقبلها وتعانقها وتموت من اللذة — الوعد . ولا تقف على أرض ، سابح...سابح مفتون بالغموض. وتذكر طفولتك القاسية وطفولة المستقبل والاشجار. ثم تقطع شوارع عكا ، وتقف طويلا عند شارع بيروت . كنت تشعر بالمعجزة يوم كان أصدقاؤك الكبار يخبرونك عن رحلاتهم الاسبوعية الى دمشق وبيروت والقاهرة . تأخذ القطار من حيفا ، يمر القطار في العريش ويوصلك الى القاهرة . تأخذ سيارة أجرة من عكا ، وبعد أقل من ساعة تكون في ساحة البرج . وتكمل السهرة عند ضفة بردى الذي تصورته في حجم الفرح . تسألهم : هل كانت بيروت والقاهرة ودمشق قريبة الى هذا الحد . كانت ... كانت أقرب . وكانت فلسطين ملتقى الشرق . وفيها غنى عبد الوهاب وأم كلثوم . لو وقفت على الاهرام وقذفت حجرا على فلسطين لوصل عصفورا . والآن ، ماذا ؟ يخرج عصفور من فلسطين فيبيض سربا من اللاجئين عند ضواحي دمشق . مزقونا فتكاثرنا لاجئين . شيء في الداخل وشيء في الخارج . في الخارج — ينمو الاطفال على حليب وكالة الغوث فيتحول في عروقهم الى دم فلسطيني . وفي الداخل تأكل من قمح مرج بن عامر وتصبح « مواطنا اسرائيليا » . وتقضي نصف عمرك لكي تجد اعترافا واحدا بأنك « مواطن فلسطيني » فلا تجد . ويوم هبط الانسان

الاول على سطح القمر كنت مشغولا بكتابة رسائل عاطفية الـى البوليس الاسرائيلي ليأذن لك بالسفر الى قرية أهلك !.. في الخارج يحسدونك لانك في وطنك وهم لاجئون. تخبرهم ان منظر الماء لا يروي الظامىء بل يرميه . لا يفصلك عن أرضك الان الا شارع لو قطعته لاعتقلت ، واتهمت بالتسلل والاعتداء على أملاك الدولة . قف على رصيف الشارع وتحول الى شجرة يابسة . بينـك وبين الموت حافة سكـين . وحين تراهم يحرثون ارضك ينزل المحراث في كبدك ، وحين تصرخ من الغيظ والالم يتهمونك بالعداء للسامية !.. هذا هو الشعر ، والنهـر بعيد . تؤثر الشعر على عبـور النهـر . فيحاسبك النقاد المترفون على اعترافات لم تعلنها ولم تخترها ولا شأن لك بها . الرفض العلني معناه النفي العلني . هكذا تصبح المعادلة مميتة : أن أرفض أعدائي ، بهذا الشكل ، معناه أن أرفض وجودي . تحايل على الصيغة لكي تحتفظ ببقائك . وهكذا تفضل الشعر على عبور النهر . فيتهمك النقاد المترفون بالخيانة القومية . ويتهمك اعداؤك بالعداء للسامية .

قف على رصيف الشارع ، وتحول الى شجرة يابسة . وحين تراهم يروون ارضك بالماء تنهمر الافراح التي يبعثها المطر . المهم الا تعطش الارض . ولو مت أنت من الظمأ . هكذا كان يفعل جدك . قضى بقية حياته واقفا على رصيف الشارع في محاذاة حافـة السكين . وبين تحوله الى شجرة يابسة وبين فرحه بالمطر ونزول المحراث في كبـده توقف قلبه ومات . رثاه أخوك الذي يحب الكتابة ووعد الجنازة القادمة بأنها ستكون اكثر حظا من الاولى . كنتم تدفنون الشجرة اليابسة ــ جدك في قبر ما تمناه . الاحياء محرومون من بيوتهم وأرضهم . والموتى محرومون من قبورهم .

وما عدت تخرج الى شوارع المدينة في تلك الايام . تجلس في الغرفة وتنفض الغبار عن أسماء مدنك . اكتشفت فلسطين اسمها ، وعاودك الحب .

٥

ممتلىء بالموسيقى وشهية المفاجآت . تغض طرفا عن الحماقات . هذا منطـق اللغة الفنية بتعابير لا تعكس فعلا أو رغبة في الفعل . تشمئز من منظر الكلمات وهي تمارس القتل الجماعي . تقول لاصدقائك ان العرب لا يعنون ما يقولون . هذه لغـة .. ثم تذكر أصدقاءك الذين أقنعتهم بالامس أن لك حقا ، بأنهم قتلوك وقتلوك وقتلوك بدون لغة . ليس الضجيج هو المهم .

ثم تحلم بحل آخر : هل الحرب قدر ؟ تصدمك حقيقة أخـرى : الاسرائيليون يقولون دائما « لا مفر » . لقد تبنوا حقيقتك واطلقوا عليها تسميتهم . هذا هو وضعك . هذه هي حالتك . فلماذا تعطيهم هذه النعمة . كيف يخرج القاتل الى الشارع مرتديا جلد الضحية ؟.. وكيف دفع الضحية الى الفرح بأنها هي القاتل . لقد قتلتنا الصهيونية المسلحة بالعنف عشرين سنة . ونحن الضحايا نتحدث عن القتل ، ولا نعنيه . هل هي اللغة ؟ هل تقود متطلبات السجع العربي الى مذبحة . لست مخدوعا بالبكـاء الاسرائيلي ... هذا صحيح . ولكن ، اعلن ضيقك من الحماقة العربية .

ثم تحلم بحل آخر : حرب بلا موت . وتأتي الزوبعة . تبـاهى اديب اسرائيلي بأنه شديد الصلة بالموت : مات أبوه في اوكرانيا ، وعمه في المانيا ... و ..... وعاش هو في فلسطين . لست مسؤولا عن موتك يا صديقي . أن يكون الاب شهيدا لا يعطي الابن الحق في أن يكون قاتلا . وأنت قاتل يا صديقي . تحمل حس الانتقام الكوني كله مني . ينتهي اغترابك ليبدأ منفاي ، وتقتلني بسلاح من قتل أباك وعمك ، وبالتعاون معهم . تشتري فدية أبيك بمال تشتري به سيارة وسلاحا وتباهيني بالحضارة ؟ لن

أعد لك اسماء ضحايانا جميعها ، ولكني سألفظ اسم ضحية واحدة : وطني !..

تحدثني عن « فاوست » وتقول انه وجد الخلاص في خلق بلاد عجائب جديدة . وتقول لي ان ثمن خلاصه كان التضحية بمسنين أبرياء . وتعترف بأن فاوست لم يصنع هذه التراجيديا ، وانما هي من صنع الشيطان . ثم تمد أبعاد هذه المأساة على حياتك الحاضرة ... حياة القتال والحاجة العميقة الى السيطرة على الحياة يوما بيوم .

يعجبك اعتراف الخصم في لحظة صدق نادرة ، بعد سنين من ادعاء العذاب وارتداء ثياب الضحية . ويعجبك أكثر من ذلك أنه يعترف باختياره دور الشيطان . ثم تسأله عن جدارة الحياة كما حددها فاوست ، فيقول لك ان معيار هذه الجدارة هي القدرة على السيطرة على الحياة . فترتاح الى فرحك بمحاولة السيطرة من جانبك . وما كنت بحاجة الى ذرائع ، ولكنك عاجز . ان سؤالا آخر يبقى معلقا : هل وجد الخلاص بخلق بلاد عجائب ؟ لقد أقنع نفسه وأقنع الاخرين بأن هذه البلاد من صنع يديه وعقيدته المسلحة . انه يتكلم عن انتماء الجدارة بطريقة أخرى ، ليس مهما أن تقول ان جدارته خرافة ، فلم تكن بلادك صحراء من قبل . ولكن الاهم من ذلك كله أن تبرهن جدارتك بالطريقة ذاتها ، كيف استطاع أن يصنع الحالة التي تبيح له حق الكلام عن الجدارة... بالعنف طبعا . الاقوياء هم الجديرون . والضعفاء يكونون دائما ضعفاء في الحجة ... ثم تقنع بجدوى الايام القادمة : ألحق وهم بلا قوة ، والقوة حماقة بلا حق . وقد كنت، طيلة حياتك ، صاحب حق بلا قوة ، وضعيفا بحماقة . ولم تكن شكواك المستمرة من الظلم دليل حرص على العدالة بقدر ما كانت تعبيرا عن غياب القوة . وانت الآن قوي ... قوي ... قوي .

وقد كنت ممتلئا بالموسيقى والقابلية على استيعاب المفاجآت في ذلك الصباح الساخن لحظة قالت مذيعة باللغة العبرية : « صرح ناطق عسكري بأن مجموعة من المدرعات المصرية اتجهت نحو حدودنا ، وصدرت الاوامر الى قواتنا بالتصدي لها » ثم استمرت موسيقى الصباح الناعمة ..

٦

ابتدأ كل شيء ،

وانتهى كل شيء .

وبين البداية والنهاية ، خانك الفرح الذي كنت تحذره دائما . كل شيء يتحول من حجارة الى أفكار . تخرج فلسطين منك بلا وداع . كنت في المخبأ معلقا على حبل الفارق بين يومين لا يتشابهان . ليسكت الوطن قليلا . لقد وقعت الخصومة بينك وبين الحياة ذاتها . يأخذك الزلزال ويطرحك أرضا ، عادوا الى اورشليم : الجنرال ، والكاهن ، والزانية . « لن نخرج من هنا الى الابد » . نفخوا في الصور وصلوا ودقوا رؤوسهم بحجارة الحائط القديم ، حتى سالت دماؤهم . لا حرب بلا دماء ، ولم يخسروا دما كثيرا في الحرب ، فليعلنوا ثمن الحرب تطوعا وتبرعا لحجارة الهيكل . تسمع أصواتهم عبر الراديو . لقد وصلوا الى الرب عبر جثث أهلك التي لم تدافع عن نفسها . العنف مرة أخرى . العنف يعلن جدارته . وبدعاوي الحق لا تأخذ شيئا ولا تستطيع الاحتفاظ بشيء . أنت لا تبكي ، عادة ، ولكن سقوط القدس يعني سقوط الدموع . توقظك صلواتهم ، ترفع ستار نافذة المخبأ ، بعد يومين ، فيجتاحك شلال الضوء الزاحف من حيفا التي كانت غارقة في التعتيم الكاذب ... لم تر ناسا ، قبل اليوم ، قادرين على الفرح الوحشي بمثل هذه الطاقة . دقات طبول وصفارات أطفال وأضواء وأضواء كثيرة . لم يفرحوا بسقوط القدس والضفة وسيناء والجولان

كما يعلنون افراحهم الآن . لقد سقط عبدالناصر . الرمز والصوت والامل . خُبز صغير في حجم الموت . ثلاثة شبان من الناصرة توقفت قلوبهم وماتوا . قرى الصعيد والاقاليم تزحف الى القاهرة لتعيد عبدالناصر الى الوقوف . كيف يكون الرمز في حجم الوطن ؟ لان بقاء الرمز يبعث الامل باستعادة الوطن . يوم كان جمال عبدالناصر يقول : « أيها الاخوة المواطنون » . ويبدأ ... كان كل شيء يتوقف عن الحركة . كان الجائع يشبع ، والغريب يعود . وكانت فلسطين تقف على أقدامها تأهبا للتحرير . يوم كان جمال عبد الناصر يقول : « ايها الاخوة المواطنون » ويبدأ ، كان سكان الارض المحتلة يعتقلون أنفسهم ، من أصغر طفل الى أكبر شيخ ، قرب أجهزة الراديو . وكثيرا ما كانوا يندفعون الى الجهاز الذي يحمل صوت عبد الناصر ويقبلونه في نشوة وطنية وانسانية لا توصف . والآن يذهب ؟.. صار التعلق بالوطن والتحرير مرتبطا بعودة عبد الناصر . وحين عاد ، أحس العرب بأنهم حققوا انتصارا ، وخلصوا الامل من براثن الهزيمة .

تترك أوراق الجريدة في المخبأ . ماذا كتبت ؟ كنت تغطي اخبار المعارك وتكتب الجريدة، وتبوبها ، وتصحح بروفاتها ، لان زملاءك في هيئة التحرير قد اعتقلوا . دخلت مجموعة من رجال البوليس في ساعة مبكرة من صباح ذلك الاثنين وتلوا اسم زميل . وضعوا يديه في الحديد ، وساقوه ، على مرأى من الناس ، الى سيارة الشرطة . ثم عادوا وتلوا أسما آخر ، حتى لم يبق غير رئيس التحرير وغيرك في المكتب . والجريدة تصدر غدا في موعدها . المهم ان تصدر الجريدة لتحمل لونا من الامل الى قرائك الذين لا يحميهم من الحرب النفسية سواكم ؟.. التفت اليك رئيس التحرير وقال : خذ أوراقك واذهب الى اي مكان . الآن دورك ! وذهبت الى أي مكان لتواصل كتابة الجريدة . وعلمت فيما بعد ، أن زملاءك قادتهم الشرطة في شكل أسرى الى ساحة المدينة ، على مرأى من الاسرائيليين ، الذين رأوا الفوج الاول من أسرى الحرب . من قرر عملية الاعتقال الداخلية ؟ في الرابع من حزيران وقع قائد الجيش على لائحة المرشحين للاعتقال . كل شيء منظم . وفي المخبأ لم تعرف شيئا عن الحقيقة : العرب يعلنون عن تغلغلهم في فلسطين . والاسرائيليون لا يقولون شيئا . تسمع الذعر المنتشر خارج المنزل . وتسمع عن هيجان البوليس في القرى العربية المنتظرة ... الضرب والتعذيب والسباب . ولكن الناس تعد عمر سلاسلها باللحظات . هذه رقصة البجعة . وتسمع عن احتراق مصافي البترول منذ ساعات ، وتسجل الخبر . وتفطن ، بعد قليل ، الى أن مخبأك مطل على الميناء ، تسترق النظر عبر ستارة النافذة ، فلا تجد حريقا في مصافي البترول . الحريق في القلب . ثم ، يأتيك نبأ من البرلمان الاسرائيلي ، في أول ساعات المعركة ، بأن الوزراء الاسرائيليين يشربون الانخاب . حمقى ... يشربون الانخاب ! كيف . يقولون أنهم قضوا على أسطورة جيش عبد الناصر . وفي منتصف الليل ، يأتي قائد الجيش الى الاذاعة ليعلن حصاد المعارك : تحطمت الطائرات عند الفجر . والقوات الاسرائيلية تقاتل عند مدخل رفح !!..

وتعود ، من رحلة الامل السريع ، الى حيفا . تعود الى الحقيقة . من يعطيك الحقيقة ؟ العدو . لقد وعدني أهلي بالوصول ، فانتظرت . ذهبوا من اماكنهم ، فانتظرت الامل . أخذتني الاناشيد والاذاعات والانقلابات الى الحقول التي أحلم بها . أخذتني الى انسانيتي ، وتركتني في منتصف الطريق . أيها العرب ! لماذا تكذبون علي. لم تكتب هذه الخواطر في الجريدة . كتبت أشياء أخرى . حتى عبدالناصر يذهب ، الآن ، ويتركني . بلا وطن ، وبلا عبد الناصر أيضا ؟!..

هكذا ابتدأ كل شيء ،

وهكذا ، انتهى كل شيء .

٧

ـــ أين كنت ؟

ـــ هنا ، في البيت .

ـــ لماذا لم تفتح الباب منذ ستة أيام ؟

ـــ لاني لا استقبل الزوار أيام الحرب .

ـــ ولمـــاذا فتحت الآن ؟

ـــ لان السجن أفضل من البيت . ولاني الغيت كل مواعيدي . جاهز للاعتقال ... جاهز . خذوني !..

كانوا ضابطا ، وشاويشا ، وبوليسا .

حين كنت تهبط الدرج الى سيارة الشرطة ، وكنت تودع البيت وعيون الجيــران خلف النوافذ ، لم تشعر أبدا أنك تودع الحرية . كنت تعتقد دائما ان سيارة الشرطة تأخذك الى حريتك الحقيقية . تحب تسمية الاشياء بأسمائها وهذا هو الاسم الحقيقي للسجن. في السجن لا تقول : انتهى كل شيء . في السجن تقول : ابتدأ كل شيء . والبدايــة هـــي الحرية .

ابتـــدأ كل شيء ...

زملاؤك يندفعون اليك ، في السجن ، ليعتصروا منك خبرا آخر . كانوا منقطعين عن الاخبار الا ما يذيعه العدو . ولا يصدقون شيئا ، ويريدون منك خبرا واحدا . وليس عندك شيء . أيها الاصدقاء ! يؤسفني أن اقول ان ما بلغكم هو الحقيقة !.. يغضب بعضهم وتتهمك عيناه باليأس وينصرف عنك . والسجن جميل ، دائما تنتظر شيئا . وتشغل نفسك بمتطلبات صغيرة . وساعة في اليوم ، ترى السماء التي تعيد اليــك صداقتك المهزوزة مع الحياة . ان قطعة واحدة من الزرقة تبهج قلبك ، ويوم تخــرج ستلتهم الارض كلها . وفي السجن ، صرنا كلنا خبراء في المسألة العسكرية . ووجدنا سببا واحدا للهزيمة : الخيانة . ومن كان يجرؤ منا على الشك بهــذا السبب كــان يتهم بالانحراف .

ولكن ، كيف يبدأ كل شيء وفي أي اتجاه : اما أن يتعمق احساسك بأنك « مواطن عربي في اسرائيل » واما أن يتعمق رفضك لهذا الانتماء الذي لا خيار لك فيه . الحالة الاولى تكون رد فعل لخيبة الامل التي الحقها بك العرب ، وتعزيــزا لاستمرارك في العمــل السياسي المتواضع الذي تمارسه ضمن دائرة الممكن وفي اطار القانون الاسرائيلي « كل شيء يبدأ من الداخل ، من المطالب الديمقراطية القائمة على الاعتراف بالامر الواقع » . والحالة الثانية تكون رد فعل للعنف الاسرائيلي وتأكيدا لاستمرارك بممارسة انتماءاتك الحقيقية كما تختارها أنت « كل شيء يبدأ من الخارج ، بدون هزيمة عسكرية تلحــق باسرائيل ، لا يمكن أن تحدث تغيرات جوهرية داخل المجتمع الاسرائيلي » .

ثمة فارق بين الحالتين ، ولكن لا تناقض عميق فيما يترتب عنهما في مثل ظروفك الراهنة من ممارسات ما دمت موجودا في الداخل والخارج معا .

لقد هزم العامل الخارجي حقا ، ولكن انتماءك اليه لم يهزم . لان هــذا الانتماء ليس وجهة نظر وليس رأيا قابلا للمناقشة . انه حقيقة تاريخيــة . وتشعر بصدمة تناقض معنوي مباغتة. ان أقصى ما تستطيع ممارسته من كفاح ، ضمن دائرة الداخل ، يقتضي منك الانطواء تحت راية «الوطنية الاسرائيلية» التي تتناقض مع انتمائك القومي الذي هو

حقيقة تاريخية . ومن هنا ، بدأت تهتز بعنف وصرت تنشق . لا يعوزك البحث عن عزاء . ليس العزاء قضية . تستطيع القول مثلا : اني لم اختر ظروفي . وتستطيع القول مثلا : هذا التناقض قائم ، ولكنه ليس القضيـة السياسية المطروحـة الآن . سينفجر التناقض ذات يوم . وان هذا الانتظار يشكل عقدة نفسية . ومسألة تحقيق الانسجام مع النفس شرط للقناعة ...

ولكنك تترك السؤال معلقا . والشعر هو لغتك . واللغة الشعريـة تتلافى مواجهة السؤال القاتل . الشعر يقول ولا يقول . الشعر يقول الحقيقة ولا يعلنها . هذا وطنك، والرد على الغزاة ــ مزيد من الحب لهذا الوطن . لان اي وهن في العلاقة بينكما منفذ للغزاة . يضعون فلسطين في جيوب بزاتهم العسكرية . وتبقى فلسطـين وطنك .. خارطة ، او مذبحة ، او ارضا ، أو فكرة . انها وطنك . ولن يقنعك الخنجر بأنها لهم . ان التحدي وهذا السجن يحميانك من اعادة النظر . شكرا للسجان الذي يجعلنـي والحرية معادلة واحدة . شكرا للقيد الذي يذكر زنديّ بأنهما محرومـان من معانقة الشجر . وتكتب الى حبيبتك الوهمية : « أتمنى لك اليأس ، يا حبيبتي ، لكي تصيري مبدعة . اليائسون هم المبدعون . لا تنتظريني ، ولا تنتظري احدا . انتظري الفكرة ولا تنتظري المفكر . انتظري القصيدة ولا تنتظري الشاعر . انتظري الثورة ولا تنتظري الثائر . المفكر يخطىء . والشاعر يكذب ، والثائر يتعب . وهذا هو اليأس الذي أعنيه» .

لم تعانق ظلالا لتندم .

والفرح الذي فاجأك هو الحالة الطارئة . كانت خيانة قاسية . لا بأس . تواصل حياتك وعملك وتمزقك وتناقضك . وقبل كل شيء تواصل رفضك . لن تقول نعم لشيء . لقد خرجت من الفرح بهزيمة ، وخرجت من الهزيمة برفض جديد ليس للعدو وحده . هل صار وطنك فكرة ؟ التصق بالفكرة . والطريق من حيفا الى تل أبيب هو المعجزة الجمالية الحقيقية . البحر الابيض المتوسط على يمينك ، وسلاسل الجبال على يسارك، وسلاسل الحديد حول زنديك . والوطن ، يكون أجمل ما يكون عبر الاسلاك .

وفي المحكمة يتحقق التكافؤ بين القانون والمدفع . لن يقف القانون معك ، ما دام مدفعك ساقطا . والقتلة دائما يتحدثون عن الاخلاق بأشكال مختلفة . يأتيك جنود « ليندموا » على عمليات القتل والتخلص من الاسرى ويقولون « لا مفر » . وتأتيك صديقة قديمة بحفنة لوز من الضفة الغربية . ما عادوا يشعرون بالخوف ــ ما عادوا يهودا . وفي عكا، ترى أسرى مصريين ، يسقط قلبك . جاءوا يحررونك فوقعوا في الاسر . ويأتي العرب الذين كنت تنتظرهم . اللاجئون يعودون .. يعودون سياحا وأسرى . تخفت الاناشيد العربية ، وتعلو الاناشيد العبرية . والاسرائيلي يتحول الى أسطورة . وفلسطين تنام مرة أخرى في جيوب الفاتحين وعلى ضفاف الانهار البعيدة . فلسطين وسيناء ، فلسطين والجولان . لم يلتقوا في الحرية ، والتقوا في الاسر . وفلسطين تنام على ضفاف الانهار البعيدة ، لا تستحم بالماء ولكنها تستحم بالدم القادم . هل تكون ولادة جديدة ؟ هكذا يجب ان تكون . لا بد من ولادة . هل يصقلنا الموت ؟ هكذا يجب ان يكون . لا بد ان يصقلنا الموت . ستبدأ المقاومة . ستبدأ المقاومة . انتهى كل شيء . وتبدأ المقاومة . واذا جاءك الفرح ، مرة اخرى ، فلا تذكر خيانته السابقة .

ادخل الفرح .. وانفجر !..

الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : تحليل لنتائجها ، وتقييمها في ضوء مبادىء القانون الدولي العام

تيسير النابلسي

منذ بداية الاحتلال في حزيران ١٩٦٧ واسرائيل تسير في عملها في الارض المحتلة بخطين رئيسيين : تمثل الخط الاول في خلق وجود مادي لها في الاراضي المحتلة بخلق وقائع يومية من خلال عملية الاستيطان المدني بمختلف المناطق حسب الاولويات التي وضعتها ومن خلال مخطط اقتصادي يستوعب الامكانات الاقتصادية والقوى البشرية في المناطق المحتلة . كما تمثل الخط الثاني في محاولة خلق طرف فلسطيني قادر ومن داخل الارض المحتلة على الحوار المباشر معها لتسوية اوضاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ بعد اخذ اعتراف باسدال الستار نهائيا على الاحتلال القديم الذي تم عام١٩٤٨ وبذلك تضع العالم والعالم العربي امام امر واقع جديد .

لقد حققت اسرائيل على مدى السنوات الخمس من الاحتلال بالنسبة لخطها الاول نجاحا كبيرا وقد استغلت هذا النجاح في محاولة لتحقيق خطها الثاني . ولكن وجود الثورة الفلسطينية وتأثيراتها داخل الارض المحتلة كان يضع اكبر العقبات امامها . ورغم ظهور عدد من الافراد من الفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية الذين أخذت اصواتهم تتردد بين الفينة والاخرى مطالبين بالحوار مع اسرائيل على اساس خلق كيان فلسطيني داخل الارض المحتلة بالتفاهم معها بدعوى الحفاظ على ما تبقى من الارض وبحجة الحيلولة دون التهام ما تبقى من فلسطين الا ان هؤلاء الافراد لم يستطيعوا ان يشكلوا تيارا قادرا على التحرك وسط معارضة جماهيرية لا زالت ترفض .

أمام هذه الصعوبات التي واجهت اسرائيل ارتأت ان تجري تعديلا على هذا الخط بالشكل التالي : في البداية لا بد ان يتم تغيير في المؤسسات العسكرية والمدنية التي تقوم بادارة الاراضي المحتلة عن طريق خلق اجهزة وادارات عربية يجري نقل الاختصاصات اليها تدريجيا(١) بحيث ينتهي وجود المظهر الاحتلالي ومن خلال هذه الاجهزة الجديدة التي تقتضي ان يتوفر فيها نوعيات جديدة من المسئولين الذين يستطيعون من خلال تحملهم المسئوليات اليومية في اداراتهم ان يكونوا مفاوضي المستقبل وبهذه العملية وبما يتوفر لدى هؤلاء المسئولين من صلاحيات وسلطات ولا سيما اذا وصلوا عن طريق نوع من المشاركة الجماهيرية باختيارهم بحيث يكسبونهم امام المواطنين وامام العالم الخارجي صبغة من الشرعية وبذلك يكون قد توفر لاسرائيل طرف فلسطيني قادر على الحوار والاتفاق .

لماذا المجالس البلدية : وبما ان عملية الانتخاب السياسي التمثيلي والشامل غير ممكنة

في هذه الفترة حيث ان الجماهير لا زالت حساسة لاي محاولات سياسية مكشوفة وسيدخلهم اللجوء اليها الى عملية صراع مع السكان ربما يدمر ما بنوه من علاقات خلال هذه الفترة ، لذلك كان المخرج هو ان تتم عملية التمثيل من خلال انتخابات ليس لها في ظاهرها صفة سياسية وهي في نفس الوقت تتمشى مع النظام القانوني القائم (واسرائيل حريصة على مراعاة هذه الامور من حيث الشكل في غالب الاحيان) ويمكن لدعاة الانتخابات والمرشحين ان يبرروا مواقفهم بان هذه الانتخابات بلدية لشئون محلية وليست للتمثيل السياسي ، علاوة على ان المجالس البلدية خلال خمس السنوات كانت المؤسسات الاهلية الوحيدة التي بقيت بعد انهيار الادارات المدنية السابقة وتولي الحكم العسكري الاسرائيلي السلطات الادارية المختلفة . وقد عزز الاحتلال هذه البلديات بصلاحيات جديدة بحيث اصبحت صلة الوصل بين السكان والسلطات المحتلة واصبحت البلديات مرجعا للسكان في كثير من امورهم التي لم يكونوا يرجعون اليها فيها قبل الاحتلال كما ان البلديات اعتمدت من قبل الحكومة الاردنية بالنسبة لكثير من الامور التي كانت تتولاها الدوائر الاخرى السابقة كدوائر الاراضي والمحاكم والصحة والشئون الاجتماعية واوكل اليها اعتماد الشهادات والسجلات والوثائق المختلفة وكذلك الشئون الاقتصادية والتجارية والمالية .

ولذلك كان طبيعيا ان تتجه انظار سلطات الاحتلال الى هذه المجالس البلدية بما تمثله من صلات وثيقة بالجماهير ومصالحها اليومية المتعددة لتكون قاعدة اساسية في عملية تمثيل السكان توسعها عن طريق انتخابات في مؤسسات وهيئات اخرى تكمل وتغطي باقي السكان الذين لا يعيشون في المدن او الذين لا حق لهم في اختيار المجالس البلدية وهم في غالبيتهم من العمال الذين لا يدفعون ضرائب بلدية . ولذا كان قرارها اللجوء الى الانتخابات البلدية . ويبدو ان فكرة اللجوء الى الانتخابات البلدية قد خامرت ذهن دايان في اوائل عام ١٩٧٠(٢) اذ طرحها امام اللجنة الخاصة بالتكتل العمالي الحاكم ثم عاد في اليوم التالي ونفى الفكرة(٣). ويبدو ان موضوع الانتخابات في تلك الفترة كانت لا زالت فكرة بانتظار ظروف المستقبل السانحة وتهيؤ ظروف موضوعية تتحقق بمضي الزمن ووصول السكان الى مرحلة اليأس مع استمرار التغيير في البنيان الاقتصادي والاجتماعي والتوسع في عمليات الاستيطان والتهويد .

عقب احداث جرش خلال شهر تموز ١٩٧١ والانتكاسة التي اصابت الثورة الفلسطينية وانعكاساتها السيئة داخل الارض المحتلة على اوضاع المواطنين قدرت الاجهزة الاسرائيلية المختصة ان هذه هي الفرصة السانحة ؛ وقد حللت صحيفة عل همشمار بتاريخ ٧٢/٣/٢٩ هذا الامر بقولها « لقد استهدفت الحكومة من الانتخابات اثبات ان الامور تسير بشكل طبيعي في ظل الاحتلال لدرجة يمكن معها اجراء انتخابات في الضفة الغربية » . وهكذا عاودت اسرائيل بحث موضوع الانتخابات من جديد وجرت مشاورات على اعلى المستويات وجرت اتصالات بين مختلف الوزارات التي لها صلة بالموضوع(٤). وبنفس الفترة انطلق الدعاة الجدد يهيئون الرأي العام لفكرة الانتخابات البلدية بحجة التغيير وخلق قيادات جديدة شابة وعلى رأس هؤلاء كان حمدي كنعان . وشهدت الصحف حملة من المقالات بين مؤيد ومعارض لاجراء الانتخابات . كان قصد اسرائيل من ورائها ايجاد تيار من العناصر الجديدة القادرة من خلال شعور اليأس والاستسلام ان تتولى معها الحوار والاتفاق وقدرت ان هذه العملية الانتخابية ستأتي لها بعدد من هذه العناصر : « ان اسرائيل تريد المرشح الذي يريده السكان والفعل هذا هو اختيار دعاة الكيان الفلسطيني في الضفة الغربية اذا لم يحصل لفكرتهم شيء بعد الانتخابات »(٥).

وحتى لا تحظى عملية الانتخابات بمعارضة جماهيرية منذ البداية باعتبارها مخططا اسرائيليا اختطت اجهزة الدعاية الاسرائيلية ومسئولو الحكم العسكري خطا واحدا مفاده

ان الانتخابات واجراءها لا يهم اسرائيل في شيء ومرجعه الى السكان وارادتهم وان الانتخابات ستجري في المدن التي يطلب ذلك فيها اغلبية السكان(٦). ويبدو ان اسرائيل كانت لا زالت في المرحلة الاولى مترددة بالنسبة لاجراء هذه الانتخابات الا انها كانت في مرحلة جس النبض حيث انهم كانوا يرشحون مدينتي اريحا وطولكرم في البداية لاجراء الانتخابات فيهما(٧) باعتبار ان المدينتين من المدن الصغيرة التي يسهل السيطرة عليها. ونتيجة لعدم ظهور تيارات معارضة فعالة سواء على مستوى الجماهير او الثورة حتى هذه المرحلة صدرت على التوالي اوامر بتاريخ ٧١/١١/٢٦ باجراء الانتخابات في كل من جنين وطولكرم وقلقيلية واريحا وتحدد موعدها في ٧٢/٣/٢٨ ثم صدر امر لاحق في ٧١/١٢/١٩ باجراء انتخابات بنفس التاريخ في نابلس وطوباس وسلفيت وعنبتا ويعبد وعرابه(٨). وحددت المرحلة الثانية للانتخابات في ثلاث عشرة بلدية اخرى يوم ٧٢/٥/٢ وهي: رام الله، البيرة، نوبا، بير زيت، نبي زيد، سلواد، دير دبون، بيت لحم، بيت جالا، بيت ساحور، الخليل، حلحول ودورا(٩). واعلن العقيد فاردي قائد الضفة الغربية بان قرار سلطة الحكم العسكري باجراء الانتخابات هو قرار نهائي(١٠). وهكذا اصبح الموقف الاسرائيلي بالنسبة لاجراء هذه الانتخابات موقفا حازما وذلك ردا على ظهور اول رد فعل جماعي عندما دعت المجالس البلدية في نابلس وطولكرم وجنين لمقاطعة الانتخابات وقرر المجلس البلدي في نابلس عدم ترشيح نفسه(١١).

ولدى تحليلنا لنتائج هذه الانتخابات لا بد لنا من استعراض موجز لاحداث ما قبل انتخابات المرحلة الاولى: ١ ــ في هذه المرحلة بدأت الثورة عملية التصدي لاجراء الانتخابات بدعم موقف المعارضة لدرجة انه حتى قبيل قفل باب الترشيح للانتخابات لم يكن احد يجرؤ على اعلان نيته في ان يرشح نفسه للانتخابات باعتبار ذلك عارا عليه يعرضه لنقمة الجماهير. ٢ ــ وقد تطور الوضع الى عمليات عنف ضد مصالح بعض المرشحين تركزت في مدينة نابلس. ٣ ــ وكانت مفاجأة لاسرائيل حين انسحب معظم المرشحين في نابلس وانتهى موعد قبول طلبات الترشيح وكان المتقدمون للترشيح اقل من المقاعد المطلوبة. وهنا تحرك جهاز القمع الاسرائيلي بسرعة خاطفة فقام بحملة ارهاب وضغط ضد السكان وضد المجلس البلدي بعد ان فشل في اقناع حمدي كنعان ومجموعته في الابقاء على ترشيح انفسهم. وكان انسحاب هذه المجموعة فشلا للعملية اذ كان يعول على نجاح حمدي كنعان ومجموعته في هذه الانتخابات ولم يجد مناصا من الضغط على المجلس القائم لاعادة ترشيح اعضائه(١٢).

نتائج الانتخابات

تمت عمليات انتخاب المرحلة الاولى يوم ٧٢/٣/٢٨ في عشر بلديات حيث اقترع ١٣ الف ناخب من بين ١٧ الف ناخب. وتمت المرحلة الثانية يوم ٧٢/٥/٢ في ثلاث عشرة بلدية حيث اقترع ١٠ الاف ناخب من بين ١٣ الف ناخب. وقد فاز اعضاء بلديتي الخليل وسلفيت بالتزكية كما استبعدت القدس من عملية الانتخاب بسبب الضم. وقد بلغت نسبة المشاركين في هذه الانتخابات الى عدد السكان في الضفة الغربية حوالي ٣٪ فقط. وتعتبر المرحلة الاولى هي المرحلة الاساسية التي تميزت بمواجهة ساخنة وتحديات اخذت طابع العنف واوضحت بجلاء الرفض الجماهيري للانتخابات بما تمثله من خلفيات واهداف سياسية لاحقة.

وقد حاولت اجهزة الدعاية الاسرائيلية والمسئولون الاسرائيليون ان يبرزوا نتائج الانتخابات بانها كانت نصرا لاسرائيل على معارضي الانتخابات والمنظمات الفلسطينية(١٣). الا ان التقييم الموضوعي لهذه النتائج على ضوء مجموع الاهداف المتوخاة من وراء اجرائها لا يطابق الادعاءات الاسرائيلية. اذ انه يلاحظ على هذه النتائج:

١ ــ ان اعضاء ورؤساء المجالس البلدية الجديدة في غالبيتهم هم من بين اعضاء ورؤساء المجالس البلدية القديمة . ولم يفز من ضمن اعضاء هذه المجالس من دعاة الكيان الفلسطيني والتسوية سوى عدد ضئيل من الاشخاص وعلى رأسهم رئيس بلدية الخليل. وبذلك فشلت اسرائيل في خلق قيادة سياسية جديدة(١٤) (وهذا هو احد اهداف اسرائيل من اجراء الانتخابات الذي فشلت في تحقيقه) . واعضاء المجالس البلدية الحاليون في اغلبيتهم ليسوا من السياسيين وانما هم في معظمهم من اصحاب المصالح التجارية والملاك والمهنيين الذين ترتبط مصالحهم بشئون مدنهم المحلية ونشاطاتها العادية والاقتصادية والعمرانية وهم في مجملهم حريصون على الا ينخرطوا في العمل السياسي وهم وان كانوا اقل استعدادا للتضحية ويضعفون عند مجابهة وتحدي سياسة الاحتلال فانهم في نفس الوقت ليس لهم أية مبادرات سياسية معادية للجماهير ويحاولون ان يحافظوا على سمعتهم الوطنية بين الجماهير . ولذلك فان محاولات اسرائيل في المرحلة التالية لاجراء هذه الانتخابات في الاعتماد على هذه المجالس سيواجه بصعوبات . وقد ظهرت بوادر ذلك مؤخرا عندما بدأت تردد نغمة تشكيل مجلس تنفيذي للبلديات بالضفة الغربية (وهي خطوة تالية لاتمام الانتخابات) حيث تلقى هذه الفكرة رفضا من معظم المجالس البلدية . وقد عبر عن ذلك رئيسا بلدية نابلس وطولكرم ، وان المجالس البلدية لن تلتزم بأية تعهدات في الامور السياسية وان هذا الموقف قد اتخذ بالاتفاق مع باقي رؤساء البلديات في محافظة نابلس(١٥) .

٢ ــ ان هذه الانتخابات وما رافقها من تحرك مضاد من قبل الثورة والتحرك الجماهيري الذي تمثل في الاحداث التي تمت خلال الاسبوعين الثاني والثالث من شهر آذار (مارس) ١٩٧٢ في مدينة نابلس خلال المرحلة الاولى وهي المرحلة الاساسية ، قد ابرزت ان هذه الانتخابات تتم ضد رغبة الجماهير ، مما يعتبر هزيمة لاحد اهداف الانتخابات (وكما ذكرت صحيفة عل همشمار ٧٢/٣/٢٩ كان الحكم العسكري يعني شيئا واحدا : عملية تصويت جماعية وهادئة) . فمن جهة هناك مرشحون بالرغم عنهم وناخبون يقترعون تحت شعور بالخوف من عمليات انتقامية من السلطة المحتلة . كما ان هناك مرشحين لم يرشحوا أنفسهم الا للحفاظ على مراكزهم الاجتماعية والعائلية والعشائرية ومصالحهم الاقتصادية داخل مدنهم بعيدا عن أية اتجاهات او افكار سياسية اخرى . وهكذا فقد كانت اسرائيل قد جعلت اتمام اجراء الانتخابات هدفا اوليا ، وقد استطاعت تحقيقه . وكان هناك هدف يتلوه اهمية وهو ان تجري هذه الانتخابات عن قناعة من السكان او على الاقل دون معارضة لان هذا الامر سيساعدهم في السير في بقية المخطط بسهولة وسيكون معيارا تقيس به درجة استعداد الناس للاستمرار معها فيما ترسمه لمستقبل المناطق المحتلة والقضية الفلسطينية . كان الموضوع سيسير طبيعيا ولن يواجه بالمعارضة الجدية ولكن بعد التحرك العنيف المضاد في نابلس اضطرت السلطات للجوء لاساليب العنف والقهر من اجل تحقيق الهدف الاول (وهو اجراء الانتخابات) مضحية بالهدف الثاني(ظهور مجالس بلدية بها عناصر مؤيدة للتفاوض وللكيان الفلسطيني مدعومة بتأييد جماهيري او على الاقل غير معترض عليها جماهيريا) ولذلك فان اسرائيل خسرت في الوصول الى هذه النتيجة حيث اتضح لها ان : أ ــ الثورة لا زالت قادرة على التأثير في مخططاتها داخل الارض المحتلة رغم الضعف الذي اعتراها وربما كان هذا ايضا احد الاهداف وهو اختبار قدرة الثورة على التأثير ومدى التأييد الذي تلقاه من السكان ، ولذلك صرح ديان للتلفزيون الاسرائيلي يوم ٧٢/٣/٣١ بأن هذه الانتخابات بمثابة صراع بين الحكومة الاسرائيلية من جانب وبين المنظمات الفلسطينية والدول العربية من جانب اخر وان اسرائيل انتصرت في هذا الصراع(١٦). وفي تقدير الخبراء الاسرائيليين ان الانتخابات ستكون بمثابة اختبار للقوة بين السلطات الاسرائيلية والعناصر المتطرفة(١٧) .

ب ــ انه اذا كان بوسع السلطة المحتلة ان تفرض ما تريد فان الجماهير التي قد ترضخ تستغل اية فرصة سانحة لتعبر عن رفضها وانها لم تصل بعد الى مرحلة القناعة بما تخططه لها السلطة المحتلة رغم مضي خمس سنوات على الاحتلال . « ان سكان الضفة الغربية في غالبيتهم العظمى لم يكونوا يريدون هذه الانتخابات وبسبب جو اليأس الذي يسود بينهم . . . فضلوا ان ينفذوا ارادة الاسرائيليين على الدخول في صدام نتائجه خطيرة ومعروفة سلفا »(١٨).

٣ ــ لقد كانت اجراءات الانتخابات ونتائجها تجربة بالنسبة للسلطة المحتلة ستستفيد منها ولا شك في خطواتها القادمة وربما دعاها هذا الامر الى التريث قليلا قبل ان تخطو خطواتها التالية بالنسبة لايجاد اجهزة تمثيلية من السكان ، بحيث يقوى تيار دعاة الكيان مع ابراز ضعف قدرات الثورة داخل الارض المحتلة عن تنفيذ تهديداتها ، وبحيث تفيد اكثر من عامل الزمن مع الوقائع المادية اليومية التي تبنيها .

٤ ــ ستحاول اسرائيل في الاشهر التالية ونتيجة لما جابهها اثناء الانتخابات البلدية الا تكون هذه البلديات هي القاعدة الاساسية لاخراج ممثلين معارضين حيث انه لم يتوفر لها من العناصر المتعاونة داخل هذه البلديات ما يكفل لها ايجاد جهاز منسجم معها ، ولذلك فستلجأ في الفترة المقبلة الى اخراج ممثلين من القرى والمخيمات وربما عن طريق المجالس القروية حيث تكون المقاومة اقل والسيطرة اشد ، ثم توسع هذه القاعدة عن طريق انتخابات النقابات المهنية وخاصة نقابات العمال والغرف التجارية والجمعيات لامكان اخراج نسبة اكبر من العناصر المؤيدة لفكرة الكيان الفلسطيني والوصول الى اتفاق مع اسرائيل .

٥ ــ لقد كانت عملية الانتخابات مناسبة هامة لمزيد من التوعية الجماهيرية على مخططات اسرائيل وبعد ان كان تصور قسم كبير من السكان في البداية انه ليس وراء اجراء الانتخابات اية اهداف سياسية اسرائيلية فقد اصبح واضحا لدى السكان خلال ما تم من احداث في اربعة الاشهر الاولى لهذا العام ابعاد المخطط الاسرائيلي المقبل .

٦ ــ واخيرا فنحن امام حقيقة واقعة وهي ان انتخابات قد تمت وان اعضاء مجالس بلدية قد جاءوا الى هذه المجالس وهنا يبرز التساؤل : ما الذي تغير في الوضع ؟ ما هو الشيء الجديد ؟ نفس الوجوه القديمة تقريبا مع توتر استمر اربعة اشهر . الجديد الذي حققه الاسرائيليون كما يقولون « انه اصبح هناك ممثلون لسكان يريدون ان يقرروا لانفسهم ما لم يكونوا قادرين على ان يقرروه من قبل » ، واظهار هذا التطور الذي تم داخل الارض المحتلة امام العالم الخارجي . جاء في تصريح ديان امام التلفزيون الاسرائيلي يوم ٧٢/٣/٣١ « ان هذه الانتخابات تعطي المنتخبين حقوقا سياسية »(١٩). اما البريغادير شلومو جازيت منسق اعمال الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة فقد صرح « ان ممارسة السكان المحليين حق الاقتراع وانتخاب ممثليهم في المجالس البلدية هو دليل على النضوج وتعبير عن التغيير الذي طرأ على العلاقات بين سكان المناطق المحتلة واسرائيل ، وان اهم الانجازات التي تم تحقيقها في عملية الانتخابات هو قيام سكان المناطق المحتلة للمرة الاولى بعمل مستقل وفعال يمكن اعتباره تعاونا مع السلطات الاسرائيلية ورفضا وتجاهلا للتهديدات من الخارج »(٢٠).

واذا كان مثل هذا التمثيل قد جاء بمثل هذا الاسلوب فما نصيب هذه الاجراءات التي تمت والاهداف المتوخاة من اجرائها من الشرعية امام العالم والمؤسسات الدولية والمواطنين اصحاب الوطن والقضية . هذا ينقلنا الى القسم الثاني من التحليل وهو تقييم الانتخابات باجراءاتها وباهدافها ونتائجها في ضوء القانون الدولي .

التحليـل القانوني

الاحتلال العسكري الذي يتم عن طريق الغزو المسلح لاقاليم دول أخرى هو عادة فرض لواقع مادي مكروه من قبل السكان الذين يخضعون له أي انه يتم عادة نتيجة صراع بين قوتين متعادلتين ولارجحية قوة على الاخرى يتم الاحتلال ، ويبقى الشعور بالعداء قائما . السلطة المحتلة تحاول قدر الامكان استغلال وجودها الاحتلالي في الارض المحتلة الى اقصى مدى سياسي واقتصادي وعسكري ومعنوي على حساب الاقليم المحتل وسكانه ، وهي تستغل عادة وجودها وسيطرتها المؤقتة لتحولها الى سيطرة دائمة ولتحقيق اهداف سياسية واستراتيجية بغض النظر عن مشروعيتها وعدالتها واخلاقياتها ، ولكنها اثناء ممارساتها لتحقيق ذلك تصطدم بقوانين واتفاقيات دولية ومبادىء قانونية عامة ورأي عام دولي ينظر بعين الشك لاجراءات السلطة المحتلة وممارساتها . فالمستقر في مبادىء القانون الدولي الاتي : ١ — ان وجود الاحتلال وجود مادي يترتب عليه بعض آثار قانونية مؤقتة . ٢ — ان السيادة على الاقاليم المحتلة لا تنتقل الى الدولة المحتلة « فالسيادة نابعة من الشعب ولا تنتقل بمجرد قيام حالة فعلية بسبب الاحتلال لبعض الاراضي ويترتب على هذا عدم جواز ضم الاقاليم المحتلة أو أي جزء منها » . ٣ — ان وجود الاحتلال وجود مؤقت والسلطة الفعلية التي تمارسها سلطة الاحتلال لادارة الاقليم المحتل أعطيت لضمان المحافظة على السكان ومصالحهم وحياتهم واموالهم وامنهم وثقافتهم وهويتهم القومية والدينية . وكل ما للسلطة المحتلة من حقوق هو اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالمحافظة على امن القوات المحتلة وهي في ممارسة هذا الحق مقيدة ايضا اثناء ممارسته بمراعاة قواعد انسانية واخلاقية ومبادىء المدنية .

وقد اثبتت تجربة الاحتلال الذي وقع خلال حروب عديدة في العالم ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية ان السلطة المحتلة دائما تلجأ الى التحايل على هذه المبادىء من اجل انتهاكها ، ففي معظم الاجراءات تحاول ان توجد اشكالا ظاهرا من الشرعية يغطي على المخالفة والانتهاك للمبادىء القانونية التي تنطوي في الاعمال والاهداف والنتائج والمضمون الكامن وراء المظهر المخادع. ولذلك فقد رفضت محكمة نورمبرج عندما قامت بمحاكمة مجرمي الحرب عقب الحرب العالمية الثانية ان تلتفت الى شكليات الاجراءات الالمانية وتوافقها الظاهري مع النصوص واصرت على التعرف على جوهر العمليات والاجراءات واهدافها ونتائجها . وجاء في احد قراراتها(٢١):

"As in international law in general and the law of war in particular what matters is not the appearance but the reality of a situation".

هذه مقدمة لا بد منها لفهم ممارسات اجراء الاحتلال الاسرائيلي في الاراضي العربية وتقييمها موضوعيا . والانتخابات البلدية التي قامت سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي في الضفة الغربية باجرائها مثل واضح على عملية التحايل هذه : ان اجراء انتخابات بلدية امر طبيعي . فالقانون الساري المفعول وهو رقم ٢٩ لسنة ١٩٥٥ ينص على أن يجري تجديد أعضاء مجالس البلديات مرة كل اربع سنوات وفقا لاجراءات معينة حددها القانون . هذا الاجراء في ظل الاحتلال امر مشروع لا خروج فيه عن المبادىء المستقرة في القانون الدولي باعتباره ممارسة لسلطة ادارية تمارسها السلطة المحتلة اثناء ادارتها للاقليم وفقا للمبادىء التي حددناها سابقا ولكن عندما تكون ممارسة هذا الاجراء ليس مقصودا لذاته وانما ستارا لامور أخرى وتتوخى اهدافا تعتبر انتهاكا لهذه المبادىء القانونية عندها لا بد ان نعيد التقييم ونبحث عن الجوهر والمضمون .

واذا فلنبدأ باستعراض الاهداف المنشودة من وراء اجراء الانتخابات : —

١ — نأمل ان يستعمل اجراء الانتخابات البلدية كمرحلة اولى في عملية السماح بالنشاط

السياسي في الضفة الغربية ومهمة هذا النشاط هي اعداد الشعب الفلسطيني ليقوم بمساهمة تعامل موفق ومعجل لاحلال السلام في منطقتنا . (من تصريح لمسئول اسرائيلي في صحيفة علهمشمار الاسرائيلية ١٩٧١/١٠/٢٠) . ٢ — « ان تغيرا جذريا في العلاقات بين الضفة الغربية واسرائيل سيحدث بعد هذه الانتخابات » (من تصريح لمسئول اسرائيلي نقلته وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٣/٢٠) ٣ — « آمل ان تسفر هذه الانتخابات عن خلق زعامة في الضفة الغربية وان تكون بداية لاعادة الحياة السياسية لاوضاعها الطبيعية في هذه الاراضي » . (من تصريح لابا ايبان وزير خارجية اسرائيل نقلته وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٣/٢٥) . ٤ — « ينتظر الجميع باهتمام نتائج انتخابات الضفة الغربية والمسألة هنا هامة لان السلطات الاسرائيلية يمكن ان تعتبر الناخبين الجدد مفاوضين ذوي صلاحيات » . (رأي « للمراقبين » نقلته وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٣/٢٨) . ٥ — « ان هذه الانتخابات تعطي للمنتخبين حقوقا سياسية » . « ان الذين فازوا بالانتخابات سيتمكنون بطريقة أو بأخرى من التحدث باسم السكان في الضفة الغربية وهم لذلك مزودون بسلطات سياسية » . (من تصريحات للجنرال موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في التليفزيون الاسرائيلي عن وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٣/٣١ ، وجريدة الانباء الاسرائيلية ١٩٧٢/٤/٢) . ٦ — « يواجه الاقتراح الذي تقدم به رئيس بلدية الخليل بأن تشكل المجالس البلدية في الضفة الغربية مجلسا تنفيذيا ويقوم بالتفاوض للتوصل الى اتفاق مع اسرائيل والدول العربية معارضة قوية من بين اعضاء المجالس الجدد في منطقة السامرة » . (وكالة الانباء الفرنسية ١٩٧٢/٤/٣٠) . ٧ — « الهدف الرئيسي من وراء الانتخابات مرتبط بالافكار السائدة في دوائر مختلفة بالحكومة حول المستقبل السياسي بالضفة الغربية » . « ان الضرورات المحلية لم تكن هي التي ادت الى القرار التي اتخذته قيادة الحكم الاسرائيلي فيما يتعلق بالانتخابات في مدن الضفة الغربية حيث انتخب في المناطق نفس الاعضاء القدامى ولكن ما حفز الى هذا القرار كان الامتيازات السياسية البحتة » . « يخطىء من يكتب ان الانتخابات برهان على اننا نساعد السكان العرب على تنمية مدنهم دون ما صلة بالمسألة الكبرى المتعلقة بمستقبلهم السياسي » . (صحيفة علهمشمار الاسرائيلية ١٩٧٢/٣/٢٩) . ٨ — ان الانتخابات البلدية التي تمت في عشر مدن في الضفة الغربية تعد مرحلة هامة نحو النضج السياسي لسكان هذه المنطقة وستكون لها نتائج ايجابية على العلاقات بين اسرائيل وسكان الضفة الغربية. (من تصريح للبريغادير شلومو جازيت منسق اعمال الجيش الاسرائيلي في المناطق المحتلة نقلته وكالة الانباء الفرنسية ٧٢/٤/١ وصحيفة الانباء الاسرائيلية ٧٢/٤/٢) .

من استعراض تصريحات المسئولين الاسرائيليين وتحليلات وكالات الانباء والمراقبين والصحافة الاسرائيلية السابقة تتضح امامنا الاهداف الحقيقية من وراء اجراء الانتخابات والتي يمكن تلخيصها بالتالي: ١ — هدف اجراء الانتخابات هدف سياسي يتعلق بمستقبل ومصير الاراضي المحتلة . ٢ — ايجاد ممثلين (ظاهريا) للسكان لاجراء المفاوضات معهم بشأن امور تمس الشعب الفلسطيني بأسره لان الاحتلال الذي تم للجزء الباقي من الارض الفلسطينية ١٩٦٧ ليس معزولا عما تم سنة ١٩٤٨ والمشكلة في مجموعها مشكلة واحدة : مشكلة فلسطينية (الشعب والارض والسيادة) . ٣ — هدف خلق كيان او ارادة او حكومة فلسطينية تابعة على جزء من الارض المحتلة عام ١٩٦٧ حيث ينتهي وجود مظهر الاحتلال مع ضم بعض الاجزاء الباقية الى ما جرى احتلاله سنة ١٩٤٨ .

ولكي تتضح باقي ابعاد الصورة لا بد ان نضع في اعتبارنا المطالب الاسرائيلية التي حددها الاسرائيليون كحد ادنى وهي امور يصرون عليها ولا تراجع عنها : ١ — ضم القدس بأجمعها ، وقد اعلنوا ذلك واتخذوا الاجراءات للتنفيذ . ٢ — ضم اجزاء من

الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ في الضفة الغربية . ٣ ـ الاعتراف بسيطرة اسرائيل على كافة الاراضي المحتلة من فلسطين قبل سنة ١٩٦٧ . ٤ ـ وما يستتبع هذا من تنازل عن حق الشعب الفلسطيني بالعودة وتقرير المصير على ارضه .

هذه المطالب في مجموعها تتعارض مع مبادىء القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة والميثاق التي ترفض مبدأ ضم الاراضي بالقوة والتوسع الاقليمي واستغلال الاحتلال لتحقيق مكاسب سياسية على حساب سكان الارض المحتلة والاقليم المحتل .

ولتقييم كل ذلك على هدى المبادىء العامة في القانون الدولي واحكام قانون الاحتلال الحربي لا بد من اثارة التساؤلات التالية :

١ ـ ما مدى صحة التمثيل السياسي لسكان الضفة الغربية وللشعب الفلسطيني الذي يحظى به اعضاء المجالس البلدية المنتخبون ؟ ان ما تم خلال مرحلتي الانتخابات في ٧٢/٣/٢٨ و ١٩٧٢/٥/٢ هو انتخابات لاختيار ممثلي ثلاث وعشرين بلدية منتشرة في الضفة الغربية (عدا القدس) وفقا لقانون الانتخابات البلدية رقم ٥٥/٢٩ . والمرشحون الذين فازوا لم يعتبروا انفسهم كممثلين سياسيين لجهاز سياسي او تشريعي . والمقترعون الذين اقترعوا لم يختاروهم لاية اعتبارات سياسية وانما لاعتبارات تتعلق بلياقتهم لادارة شئون المجلس البلدي وللعمل ضمن الاختصاصات المحددة لهم بموجب المادة ٤١ من القانون ١٩٥٥/٢٩ . ولذلك فهم ممنوعون من الادعاء بأي تمثيل للسكان ولا حتى بالنسبة لـ ٣٪ فقط من السكان الذين انتخبوهم فيما يتعلق بشئونهم السياسية والمصيرية كما أن اية جهة او قوة اخرى ممنوعة بالتالي من اصباغ أية صفات تمثيلية لهم . واما القضية المراد اعتبار هؤلاء ممثلين فيها فهي قضية تمس ثلاثة ملايين انسان فلسطيني بغض النظر عن اماكن تواجدهم الاجباري ومعترف لهم دوليا ومن اعلى المؤسسات الدولية وهي هيئة الامم المتحدة بهويتهم وشخصيتهم الدولية وكان آخرها قرار الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة في دورتها الرابعة والعشرين قرار ٢٥٣٥ تاريخ ١٩٦٩/١٢/١٠ وقرار ٢٦٧٢ في الدورة ٢٥ سنة ١٩٧٢ الذي اكد على وجود الشعب الفلسطيني وأكد على حقوقه التي لا يجوز التنازل عنه وعن حقه في تقرير مصيره . وهكذا وعلاوة على ما سبق بيانه فان هؤلاء المنتخبين لا يملكون تمثيل الشعب الفلسطيني او التحدث باسمه بالنسبة لقضايا تمس مجموع الشعب الفلسطيني وليس فقط قسما من السكان الفلسطينيين المقيمين بالضفة الغربية .

والمبادىء الديمقراطية التي اقرتها الدساتير المتمدنة ان الممثلين هم الذين اختارهم غالبية السكان في الاقليم واوكلوا اليهم مهاما محددة ضمن ما تفرضه دساتير الدول ، وهؤلاء المنتخبون الذين أتت بهم اقلية لا تتجاوز ٣٪ من مجموع سكان الضفة الغربية واقل من ١٪ من مجموع الشعب الفلسطيني لا يمكن اعتبارهم مفوضين بالتحدث باسمه او ممثلين لارادته . هذا اذا افترضت صحة الاجراءات التي تمت وصحة الاختيار وتوفر الصلاحيات السياسية للتمثيل وهي امور كلها غير متوافرة كما سيرد تاليا .

قد يثار هنا ان المقصود بالشعب الفلسطيني الذين لهم حق الاختيار وتقرير مصيرهم السياسي هم اولئك فقط الذين بقوا مستقرين في فلسطين وهؤلاء فقط هم الذين لهم حق التوصل الى حل عن طريق ممثليهم ؟

٢ ـ ويقودنا هذا التساؤل الى تحديد حق العودة وحق تقرير المصير بالقدر المتعلق بموضوع بحثنا . من الثابت ان تواجد حوالى نصف شعب فلسطين خارج فلسطين لم يكن بارادة هذا الشعب وانما تم نتيجة ظروف القهر والارهاب والطرد المخططة والتي تمت على مدار السنوات الماضية منذ عام ١٩٤٨ . ومنذ ذلك التاريخ بقي هذا الشعب عن طريق ممثليه وبشهادة وتقارير ممثلي وكالة الغوث الدولية السنوية لهيئة الامم

المتحدة وبرفضه اي حل لا يحقق له العودة الى ارضه ونضاله من اجل تحقيق عودته .
كل ذلك مما يؤكد الوجود القومي للشعب الفلسطيني والاصرار على العودة الى ارضه .
وقد تأكد هذا كله في قرارات متتالية صدرت عن الجمعية العامة للامم المتحدة منذ قرارها الاول بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ وحتى الان كما صدرت قرارات متتالية من مجلس الامن والجمعية العامة ولجنة حقوق الانسان والمجلس الاقتصادي والاجتماعي خلال السنوات التي اعقبت تشريد قسم جديد من سكان فلسطين بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ . كما ان العودة حق ثابت بالمبادىء المستقرة كحق طبيعي (م. ١٣ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان سنة ١٩٤٨ ، م ٤/١٢ من الاتفاقية الدولية بشأن الحقوق المدنية السياسية سنة ١٩٦٦) .

ويتضح من كل ذلك ان حق ابناء الشعب الفلسطيني المتواجدين خارج فلسطين(٢٢) في العودة وفي تقرير المصير يبقى قائما ولا يجوز لاي نفر او جهة ان تتخذ من الاجراءات أو تعقد من الاتفاقيات ما يمس هذه الحقوق او تهدرها لارتباط حقوق من هم خارج الارض الفلسطينية ومن هم داخلها بقضية واحدة . ولذلك فلا بد من النظر الى الشعب الفلسطيني كشعب واحد له قضية واحدة والتباعد المكاني بين اجزاء هذا الشعب المفروض عليه من قوى خارجية لا يجوز ان يكون مناسبة لتجزئة القضية وفرض حلول تحت ظرف احتلال يفتقد فيه السكان الرازحين تحته ارادتهم الحقيقية باستغلال السيطرة العسكرية القائمة للحصول من خلال من تدعي تمثيلهم لاصحاب الحق الحصول على اتفاقية تعطيها شرعية لحرمان الشعب الفلسطيني من حقه بالعودة وتقرير مصيره على ارضه ووطنه .

٣ ـ ما مدى شرعية الاطار الذي سيتخذه الممثلون المنتخبون الذي تزمع السلطات الاسرائيلية تشكيله في الضفة الغربية استكمالا لمخطط الانتخابات ويعهد اليه بشئون ادارة جزء من الاقاليم المحتلة من فلسطين في حزيران سنة ١٩٦٧ ويقوم بالتفاوض باسم الشعب الفلسطيني مع السلطة الاسرائيلية وهي الخطوة التالية للانتخابات البلدية ، ان افضل مصطلح علمي لهذه الادارة او الحكومة التي ستتولى تدريجيا العمل السياسي هو تسميتها « الحكومة الدمية » أو « الادارة الدمية » . ويتضح من التسمية ان مثل هذه الحكومة او الادارة شكلية فقط لا ارادة ذاتية مستقلة لها وانما تسيرها ارادة السلطة المحتلة .

لقد عرفت تجربة الاحتلال الالماني لاوروبا (في الدانمرك وهولندا مثلا) والاحتلال الياباني (بورما والفليبين) هذا الشكل من اشكال الحكومات « الدمى » حيث استغل الاحتلال قوته العسكرية في فرض حكومات ضعيفة تأتمر بامره واعطاها استقلالا شكليا ليتمكن من تنفيذ مآربه في ضم اجزاء من البلاد والتهرب عن تطبيق الاتفاقيات الدولية وخاصة اتفاقيتي لاهاي سنة ١٨٩٩ و ١٩٠٧ بدعوى ان صفة الاحتلال قد زالت بانشاء هذه الحكومات (المستقلة) . ولكن القضاء الدولي تنبه لهذه المكيدة واستقر في احكام عديدة على عدم مشروعية اجراءات سلطات الاحتلال بانشاء مثل هذه الحكومات والادارة الصورية وقرر عدم مشروعية تصرفاتها واجراءاتها واعتبرها لاغية لانه لا يمكن ان يكون لها ارادة حقيقية وسلطة فعلية فيما تقرره وتتخذه من اجراءات واعتبر اقامتها فقط للتغطية على تصرفات الاحتلال والتهرب من تنفيذ الاتفاقيات الدولية وقوانين الاحتلال وتنفيذ مآرب سياسية لا تستطيع الدول المحتلة ولا ترغب في القيام بها بشكل مباشر . ومن هذه القرارات : ١ ـ قرارات محاكم الجرائم الخاصة في هولندا بعد الحرب العالمية الثانية ، والتي اعتبرت في عدة قضايا اثيرت لديها ان انشاء المانيا لادارة مدنية تابعة لها اختصاصات تشريعية بأنها غير مشروعة بموجب مبادىء القانون الدولي . ٢ ـ قرارات المحكمة القضائية العليا في بورما حيث تررت « ان مثل هذه

الحكومات المستقلة صوريا كتلك التي انشأتها قوات الاحتلال الياباني ، ليس لها بالطبع اي وضع قانوني ، وان اجراءاتها لا تحدث آثارا قانونية » . ٣ ــ كما اعتبرت اجراءات المجلس الاداري المشكل في ظل الاحتلال الالماني للدانمرك واقراره خلع ملك الدانمرك عن العرش بضغط من المانيا (نظرا لتصديه لمقاومة الاحتلال الالماني) اجراءات باطلة ومخالفة لاتفاقية لاهاي والقانون الدولي العام . ٤ ــ كما صدرت قرارات عديدة من محاكم الجرائم اليونانية اعتبرت فيها ان اجراءات الحكومة « الدمية » انما هي امتداد لاجراءات السلطة المحتلة نفسها . ٥ ــ كما اعتبرت محكمة الاستئناف في لاهاي (هولندا) في قرار لها في احدى القضايا بأنه لا يجوز السماح لسلطة الاحتلال التهرب من مسئوليتها عن عمل غير مشروع أو تأمين منافع أو مكاسب من العدو بطريق غير مباشر عن طريق اجراء تحايلي بانشاء حكومة « دمية » .

وهكذا استقر القضاء الدولي على مثل هذه الكيانات والحكومات مجرد جهاز تابع أو امتداد للسلطة المحتلة ، وكأن تصرفاتها تعود الى السلطة المحتلة نفسها . وعند تقييمها تعتبر وكأنها صادرة عن السلطة المحتلة نفسها من حيث مشروعيتها ونفاذها سواء كانت متفقة مع احكام ومبادىء القانون الدولي او مخالفة له .

هذا وقد نص في قوانين الحرب البريطانية في الفقرة ٢/٥١٨ ما يلي : « ان القيود والواجبات الملقاة على عاتق سلطات الاحتلال لا يجوز المخادعة بشأنها بارتكاب اعمال غير قانونية من خلال اداة الحكومة الدمية يجري اقامتها في الارض المحتلة » . كما جاءت المادة ٤٧ من اتفاقية جنيف الرابعة سنة ١٩٤٩ فاسبغت الحماية على السكان المحميين في الاراضي المحتلة وضرورة الاستفادة من الاحكام الواردة في هذه الاتفاقية رغم اية تغييرات في الادارة او الحكم تتم بالاتفاق مع السلطة المحتلة وكذلك رغم حالات الضم الجزئي او الكلي للارض المحتلة . ويبدو ان ايراد هذا النص جاء نتيجة للاجراءات الالمانية اثناء الحرب العالمية الثانية حيث كانت المانيا تضم بعض أجزاء من الدول التي احتلتها وادعت عدم انطباق اتفاقية لاهاي في هذه المناطق لانها اصبحت جزءا من المانيا ولم تعد مناطق محتلة فجاءت م ٤٧ من أتفاقية جنيف الرابعة سنة ١٩٤٩ لاكمال النص في اتفاقيتي لاهاي ١٨٩٩ و١٩٠٧ .

واخيرا فلا بد من اشارة موجزة للاجراءات التي تمت الانتخابات بموجبها من حيث صحتها ومدى توافقها مع احكام القانون المحلي الذي جرت بموجبه . واذا عدنا لاستعراض الاجراءات التي تمت خلالها عملية الانتخابات والاجواء التي فرضت فيها (بغض النظر عن عدم مشروعية اجراء الانتخابات لتحقيق اهداف انشاء حكومة او كيان صوري) فاننا نلمس ان هذه الانتخابات باطلة من حيث كونها انتخابات لمجلس بلدي . وباطلة ايضا من حيث قصد بها تمثيل سياسي للسكان .

١ ــ فمن حيث اجراءات الانتخابات كما سبق ان بينا سابقا فقد فقدت هذه الانتخابات جو الحرية ، فمن الثابت ان الترشيح للانتخابات قد تم نتيجة لضغوط وعمليات اكراه وتهديد واجراءات انتقامية كما حصل في نابلس عندما انسحب المرشحون ولجأت السلطات المحتلة الى حصار المدينة ومنع السفر منها او اليها وفرض حصار اقتصادي عليها واجراء حركات اغتيال وارهاب وتهديد(٢٣) .كل ذلك يلحق البطلان بهذه الاجراءات. ولا يستنتج كون ان ما حصل في نابلس لم يتكرر في المدن الاخرى ، ان السكان في هذه المدن كانوا راضين بالانتخابات ، ذلك ان سيطرة سلطات الاحتلال على المدن الاخرى نظرا لصغرها كانت أشد واكثر فعالية .

٢ ــ ان ممارسة حق الانتخابات قد تم في جو من التهديد والارهاب المعنوي ، ذلك لانه

لاول مرة يرافق عملية الاقتراع ختم بطاقات هوية المقترعين ، وكانت السلطة المحتلة عن طريق الصحافة(٢٤) والاشاعة قد اشعرت السكان ان كل من لا يشارك في الاقتراع سوف يتعرض لانتقام السلطات وحرمانه من الحصول على تصاريح السفر والانتقال والعمل وأذونات الاستيراد والتصدير ، وقد أكد هذا كله وكالات الانباء والصحافة الاجنبية المحايدة(٢٥) وحتى الصديقة لسلطات الاحتلال . ونكتفي هنا بايراد الوصف الذي اوردته صحيفة لانوفيل اوبزيرفاتوار الفرنسية في عددها ٣ ـ ٩ ابريل ١٩٧٢ « لقد تمثلت الضغوط في الختم الذي كان يضعه الرئيس على البطاقة الشخصية لكل ناخب وقد ترددت شائعات في جميع مناطق الضفة الغربية لنهر الاردن عشية الانتخابات تقول انه سيجري حصر هؤلاء الذين لا يوجد ختم على بطاقاتهم الشخصية وسيحرمون من العمل وسيمنعون من الخروج من البلاد وستحتجز بضائعهم عبر جسور الاردن . وهكذا اصبح الجميع يريدون ان توضع الاختام على بطاقاتهم وهكذا أراد الجميع ان يدلوا بأصواتهم » .

٣ ـ ان اجراء هذه الانتخابات تم ضد رغبة السكان الذين رفعوا عرائض الاحتجاج يطلبون من الحاكم العسكري الابقاء على المجالس البلدية القائمة وعبروا عن عدم رغبتهم في اجراء مثل هذه الانتخابات بالعرائض والمنشورات والتظاهرات التي وصلت الى حد اعمال العنف . وفي هذا الصدد تقول صحيفة عل همشمار ٧٢/٣/٢٩ « ان سكان الضفة الغربية في غالبيتهم العظمى لم يكونوا يريدون هذه الانتخابات » .

٤ ـ ان اجراء الانتخابات في نابلس لم يتم وفقا للقانون المحلي الساري المفعول وهو القانون رقم ١٩٥٥/٢٩ حيث جرى تمديد فترة الترشيح بعد أن كان باب الترشيح قد أقفل وليس هناك نص في القانون يجيز ذلك ، كما ان المادة ٢١/فقرة ١ من القانون تلزم ان تعلن أسماء المرشحين للانتخابات في الصحف وفي مراكز الاقتراع قبل اجراء الاقتراع بمدة ٣ ايام والذي حصل ان اقفل باب الترشيح المجدد يوم ٧٢/٣/٢٧ وجرت الانتخابات في اليوم التالي مباشرة ١٩٧٢/٣/٢٨ .

واذا كان لا بد من كلمة اخيرة عن التطورات المحتملة في الارض المحتلة فهناك حقيقة يجب الاعتراف بها وهي ان ما يجري داخل الارض المحتلة من مواجهة او ضعف فيها مرتبط لدرجة كبيرة بما يجري خارج الارض المحتلة في الساحة العربية وساحة الثورة الفلسطينية . ان قوة اسرائيل وامكاناتها التي تستطيع توفيرها لاجل تنفيذ مخططها السياسي بالنسبة لمستقبل الارض المحتلة وسكانها اكبر بكثير من طاقة شعبنا على مواجهته بمعزل عن قوى الثورة والقدرات العربية . ولذلك فان استمر الوضع في الساحتين العربية والفلسطينية على ما هو عليه الان فان اسرائيل ستكون قادرة على تنفيذ مخططها السياسي وتنفيذ ما تشاء من مخططات لتصفية القضية وخلق كيان فلسطيني تابع ، مستفيدة من تمثيلية الانتخابات التي قامت بها وسلسلة الانتخابات على المستويات الاخرى التي ستقوم بها .

اننا نأمل وليس ذلك من قبيل التفاؤل فقط ان الساحة خارج الارض المحتلة لا بد وان تشهد تغييرات في المستقبل تعكس بدورها تغييرات داخل الارض المحتلة كفيلة بأن تحبط كل ما خططت له اسرائيل لتزوير الارادة الفلسطينية وسحقها .

---

١ ـ صحيفة **جيروزاليم بوست** ٧١/٩/٢٢ وصحيفة **علهمشمار** ٧١/١٠/٢٠ .

٢ ـ صحيفة **معاريف** ١٩٧٠/٢/٣ .

٣ ـ **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧٠/٢/٤ .

٤ ـ صحيفة **هآرتس** ١٩٧١/٧/٢٣ .

٥ ـ صحيفة **معاريف** ١٩٧٢/٢/١١ .

٦ ـ صحيفة **القدس** ١٩٧١/١١/١١ .

٧ ـ صحيفة **معاريف** ١٩٧١/١٠/١٩ وصحيفة **دافار** ١٩٧١/١١/٨ .

٨ ـ **وكالة الصحافة الفرنسية** ١٩٧١/١٢/١٩ .

٩ ـ **اذاعة اسرائيل** ١٩٧٢/١/٣٠ .
١٠ ـ **اذاعة اسرائيل** الساعة ١٠ يوم ١٩٧١/١٢/٢٢ .
١١ ـ **وكالة الانباء الفرنسية** وصحيفة **علهمشمار** ١٩٧١/١٢/٢١ .
١٢ ـ انظر تفصيلات احداث هذه المرحلة في **نشرة الوطن المحتل** م. ت. ف. عدد ٦١ تاريخ ١٩٧٢/٤/١ .
١٣ ـ **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧٢/٤/٣٠ .
١٤ ـ صحيفة **الاتحاد** الصادرة بفلسطين المحتلة ١٩٧٢/٣/٣١ .
١٥ ـ **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧٢/٤/٣٠ .
١٦ ـ **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧٢/٣/٣١ .
١٧ ـ **وكالة الانباء الفرنسية** ١٩٧١/١١/٣٠ .
١٨ ـ صحيفة **علهمشمار** ١٩٧٢/٣/٢٩ .
١٩ ـ صحيفة **الانباء** الاسرائيلية ١٩٧٢/٤/٢ .
٢٠ ـ انظر تصريحات ديان ١٩٧٢/٣/٣١ امام التلفزيون الاسرائيلي وابا ايبان للاذاعة الاسرائيلية ٣/٢٥ في **نشرة الوطن المحتل** م. ت. ف. تاريخ ١٩٧٢/٤/١ .
٢١ ـ George Schwarzenberger, *The Law of Armed Conflict*, "International Law as Applied by the courts & Tribunals", Vol. 11, London 1964, p. 252.
٢٢ ـ قرار مجلس الامن ٢٣٧ تاريخ ١٩٦٧/٦/١٤ والجمعية العامة في ٦٧/٧/٤ و ١٩٦٨/١٢/١٩ ولجنة حقوق الانسان في ٦٨/٢/٢٧ و ٦٨/٥/٧ والمجلس الاقتصادي والاجتماعي في ٦٨/٥/٣١ .
٢٣ ـ راجع نشرة **الوطن المحتل** عدد ٦١ تاريخ ١٩٧٢/٤/١ ملف الانتخابات البلدية في الضفة الغربية ، (**الاسوشييتد برس** ٣/٢١ و أ. ن. ٣/٢٦ ، ٣/٢٧ ، **لانوفيل اوبزيرفاتور** ٣/٢٧ ـ ١٩٧٢/٤/٢ ، **لوموند** الفرنسية ٣/٣٠ ، **الاكسبرس** الفرنسية ٣ ـ ٧٢/٤/٩ ، **نيوزويك** الامريكية ٧٢/٤/٣ ، **كورييردي لاسيرا** ١٩٧٢/٣/٣٠ الخ ...) .
٢٤ ـ جريدة **الانباء** الاسرائيلية ٧٢/٢/١٤ .
٢٥ ـ صحيفة **لانوفيل اوبزيرفاتور** ٢ ـ ٩ ابريل ١٩٧٢ .

من النكبة الى النكسة :
تعبيران لحوادث جسام

الدكتور ابراهيم ابو لغد

لقد حاول اللفظ اللغوي ان يشخص ما حدث بفلسطين عام ١٩٤٨ ، وان يرمز الى هوله باطلاق « النكبة » كتعبير يصف حقا هزيمة الشعب الفلسطيني ومن ورائه الشعوب العربية الحليفة التي حاولت نجدته عن طريق الانظمة العربية القائمة آنذاك. وقد حاول التعبير اللغوي في التاسع من حزيران عام ١٩٦٧ ان يصور الحجم الحقيقي لما حل بالانظمة العربية التي حاولت التصدي للعدوان الاسرائيلي ، وخرج « بالنكسة » كتشخيص لهذه الهزيمة . وقد جرى كثير من المفكرين وراء هذه التشخيصات ، جريا حثيثا ، فما صدر من كتابات لوصف ما حدث او ما يجب القيام به للتخلص من آثار ما حدث ، رغم استثناءات معينة ، رضي بوجه عام ضمنا بهذا التشخيص . ومن لم يرض بالتشخيص الاخير استعمل تعبيرات اكثر حيادا واقل التزاما كحرب الخامس من حزيران او « حرب الايام الستة » (وهنا لا بد ان نشير بأن لهذا التعبير دلالة معينة وهي قبولنا بالتعريفات الاسرائيلية للمواجهة . وبهذا يثبت مرة أخرى القول بأن « المنتصر هو الذي يكتب التاريخ » ، وكلنا نعلم بأن « حرب الايام الستة » هو التعبير الاسرائيلي الرسمي للمواجهة العربية الاسرائيلية في ٥ حزيران ١٩٦٧) .

ومن طريف الامور ، ان يتنبه العدو الى هذه المقارنة علنا ، ويسخر من هذا التشخيص، ويعزوه فيما عزاه ، الى هذا التناقض الواضح في الفكر العربي ، والى البلبلة الفكرية العربية ، والى رغبة العربي المعاصر في الجري وراء ألفاظ كاذبة لارتياحه النفسي الى تضليل نفسه . وعلى سبيل المثال لا الحصر، نشير الى ذلك المقال الذي نشره المستشرق الصهيوني برنارد لويس في مجلة النظام الاميركي « الشؤون الخارجية » حيث سخر من التشخيص العربي لاثار حرب حزيران بمقارنتها بنكبة عام ١٩٤٨ ، وحاول ان يبرهن عن « ضخامة الهزيمة العربية الحزيرانية » بالقياس الى ٤٨(١).

ولا نريد في هذا المجال ان نتعرض للتفاصيل النفسية التي أدت الى اطلاق هذين التعبيرين لما حدث للامة العربية في الفترتين ، الا أننا نريد أن نشير بأن التعبير الاول استخدمته الفئة المفكرة أصلا ، التي تعرضت الى تشخيص ما حدث ، ومن ثم قبل الشعب العربي هذا التشخيص ودرج على منوالهم المسؤولون في الدول العربية ، فكثر استعمال هذا اللفظ والاشارة اليه ، وبالتالي أصبحنا أسرى لهذا المفهوم المختزل المعبر . واما التعبير الثاني ، والذي يناقض ظاهرا حقيقة المأساة وبعدها ، استخدمه الرئيس

---

١ — انظر : Bernard Lewis, «The Arab-Israeli War Concequences of Defeat,» *Foreign Affairs*, VOL. XLVI, No. 2, pp. 321-35, (New York: 1968).

الراحل جمال عبدالناصر ، فكان تشخيصا رسميا قياديا ، تبنته الانظمة العربية ومدافعيها ، ومن ثم الكثير من الفئات الشعبية الكاتبة ، فدرج استخدام هذا التعبير . ومن المؤكد انه ترتب على هذين التعبيرين تصورات سياسية وتوقعات وأساليب عمل دقيقة لمعالجتهما . فما تلى النكبة كان لا بد له وان يتصدى لعمل ضخم يوازي النكبة في آثاره ، ومن ثم انطلق العمل والفكر السياسي الى مشكلات وأوضاع تهيأ لمن انطلق من هذه المنطلقات بأنها جذرية ، بينما أولئك الذين قبلوا بالنكسة كتشخيص انطلقوا « لازالة آثار العدوان » كهدف للعمل والفكر السياسي ، ومن ثم جاءت البرامج المدروسة لتخطط « لازالة آثار العدوان » . وكما كنا أسرى للتعبير اللغوي الاول ، أصبحنا بشكل عام بعد العاشر من حزيران ١٩٦٧ أسرى للشعار الذي أطلقه الرئيس عبدالناصر ، وآثرت الانظمة العربية على اختلافها ان تعمل وتخطط وتبرمج « لازالة آثار العدوان » .

وكما كان للنكبة من مقللي أهميتها ، كان « للنكسة » من اشمأز من تصغيرها لحجم مفعولها ، وانطلاق شعار التحرير الكامل ، عن طريق حرب التحرير الشعبية الشاملة ، يشكل اوضح استثناء للقبول بالمنطق النكسوي وازالة آثار العدوان .

التشخيصات والتعرض الفكري لاسباب النكبة

وقبل أن نمضي في تحليل رد الفعل العربي للهزيمتين ، يستحسن ان نحاول كشف النقاب عما يمكن أن يكون قد دخل في كنه المشخصين من عوامل وتصورات ، ادت الى قبول هذين التشخيصين اللذين كما ظهر للبعض يخالفان هول ما وقع .

ما حدث بفلسطين عام ١٩٤٨ هو قيام مجتمع اسرائيلي صهيوني في بقعة جغرافية محدودة جدا ، رغم المسيرة الفلسطينية الطويلة المدى ، ورغم توقعات الشعوب العربية بانتصار جيوشها العتيدة على ما اصطلح على تسميته حينئذ بالعصابات الصهيونية . ومع ان الشعب الفلسطيني ادرك ادراكا متفاوتا القوة الحقيقية للمجتمع الصهيوني المستوطن الا ان الشعوب العربية وانظمتها لم تع قط طرفا من هذه القوة . ومنطق الاستهتار الحقيقي للقوة الصهيونية، والتقليل من اهميتها ، عكست حدة أثر الفعل الذي صاحب هزيمة الجيوش العربية ، واستفاق العرب الى حقيقة ناصعة وهي بأن هذا العدو ، القليل العدة والعدد ، أقدر من الجيوش العربية متفرقة ومجتمعة مما ادى الى سحق او تراجع الاخيرة . وللمقارنة ايضا ، نستطيع ان نقول بأن المكاسب الجغرافية والديمغرافية والاقتصادية الاسرائيلية اثر هزيمة حزيران كبيرة جدا نسبيا مما قد يخلق انطباعا بهول هذه الهزيمة التي مني بها العرب ، وبالتالي مما كان قد أدى الى نعتها « بنكبة » . الا أنها فيما ترتب عليها على المدى القصير لم تنتج تلك التحولات في المجتمع العربي التي أدت اليها الهزيمة الاولى على قلة مكاسبها الجغرافية والديمغرافية . فلو كانت الجغرافيا والديمغرافيا والاقتصاد هي المقياس ، لحق للذين يسخرون من المنطق العربي في التصور لآثار الهزيمتين ان يسخروا . الا أن ما ترتب على الهزيمتين من تحولات في المجتمع العربي ربما شكل الخلفية الحقيقية للتعبير اللغوي عن مـا حدث . وربما يذكر بعضنا ، خاصة أولئك الذين وصلوا الى مرحلة الشيخوخة المبكرة ، بأن أول انعكاس فكري تصدى لنتائج انتصار المجتمع الصهيوني باقامة اسرائيل ، كان كتاب الدكتور قسطنطين زريق « معنى النكبة » الذي أعقبه بعد نيف وعشرين عاما « بمعنى النكبة مجددا » . وطرح الدكتور زريق آنذاك بعض الموضوعات والمسببات التي اعتبرها مفسرة للانهزام الفلسطيني — العربي عام ١٩٤٨(٢) . وتعرض الدكتور زريق فيما تعرض

٢ — انظر بالاضافة الى الكتابين ، اجابة الدكتور زريق واخرين في استفتاء الاداب « درس الهزيمة الاكبر » في **الاداب** ، السنة الخامسة عشرة ، العددان ٧ و ٨ يوليو — اغسطس ١٩٦٧ بيروت . يحوى العدد ، وهو عدد « ممتاز » للمجلة ، لفيفا من المقالات تتفاوت في قيمتها حاولت تقصي الاسباب الحقيقية والعبر

اليه الى التخلف العلمي والحضاري ، وتعرض الى الفساد الاجتماعي الذي نتج عن هذا التخلف ، والى النقص في التعاضد العربي في مواجهة العدو . الا اننا لا نجحف الدكتور زريق بقولنا ان السبب الاصلي للهزيمة كان في رأيه التخلف العلمي العربي والتخلف العقلي العربي . ومن ثم كانت المواجهة بين حضارة وثقافة ومجتمع متخلف علميا وتكنولوجيا وبين شعب يتحلى بحضارة وثقافة وعلم وتكنولوجيا حديثة ، ومن ثم كان محتما على العرب ان ينهزموا امام العلم ، وان يسحقوا مجددا ، لعدم تغلبهم على هذا التخلف بعد ما يزيد على عشرين عاما .

وقد جرى وراء هذه التحليلات القيمة بعض من نصدى لهذا الموضوع فكرا ولم يخرج هؤلاء عن هذا التشخيص العلمي ــ الحضاري الذي في نهايته يطرح التصور العملي بأن المجتمع العربي الشرقي الاسلامي الغيبي اللاعقلي يواجه في هــذه المرحلة الحضارة الغربية العلمية العقلية وان مثل هذه المواجهات لا بد وأن تؤدي الى انتصار الثانية مؤكدا .

ولا أعتقد بأننا ننتقص من هذا المجهود ان قلنا بأن النهضة العربية منذ أن بدأت مساعيها الحثيثة في القرن التاسع عشر اتجهت من نفس المنطلق ووصلت نتائجهــا الى نفس التصور ، فما دار من صراع فكري منذ القرن التاسع عشر شكل هذه المواجهــة بين انصار « المستغربين » وانصار « المشرقين » ، ونحن نعلم علم اليقين ، بأنه على الصعيد النظري، وفي الممارسات العملية للدول العربية التي تشكلت أثناء صراع الشعب العربي في الامبراطورية العثمانية ومع الاستعمار الاوربي فيما بعد ، انتصر الاوائل وتجسد انتصارهم في وضع الاسس العديدة للدويلات العربية الحديثة كمصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق ، وأصبحت هذه الدويلات ظاهرة حديثة ، تتحلى بقميص مزخرف غربي المظهر، الا أن من راقب هذا التطور كما راقبه الدكتور زريق اطمأن بأن هذا المظهر يخفي الحقيقة المرة وهي أن هذه الدويلات أبعد ما تكون عن العلمية والعقلية والحضارة الحديثة في جوهرها . فهذا الثوب الجميل يخفي جوهرا لم يتحول تحولا جذريا ولم يتطلع حقيقة الى العلم وسيطرته على شؤون المجتمع .

ولا نغالي ان قلنا بأن تصدي الدكتور زريق للاسباب الحقيقية للنكبة كان فريدا وجريئا من نوعه ، وكانت محاولة صادقة في تخطي الامور التي ظهرت أكثر وضوحا لغيره من المحاولين . وبامكاننا أن نوجز مجمل هذه التصورات التي انطلقت بعد عــام ١٩٤٨ لتفسير الاسباب الكافية للهزيمة . اذ كان هنالك التصور التآمري والذي فسر الهزيمة على انهــا نتيجة تآمرات عديدة بين الصهيونية والدول الكبــرى التي أعطتها شرعــة وسلاحا واسرارا عسكرية عربية كان من شأنها ان تسحق العصابات الصهيونية ، أو أنها تآمرات بين الاستعمار وحلفائه الرجعيين من العرب والصهيونية لسلب حقوق

= الاساسية لهزيمة حزيران ، وكان هدف العدد ان يبين « طريقنا الجديد » . الا انني وجدت بعد مطالعتي لهذا العدد بأن الطريق الجديد يشكل امتدادا وتكثيفا للطريق القديم ، سواء من حيث دعوة المؤلفين الى المزيد من الحشد ، الى المزيد من التعقل ، الى المزيد من العلم ، الى المــزيد من العلمانية ، الى المــزيد من الوحدة ، الى المزيد من الاعلام الصحيح ، وهي دعوات تبشيرية غائية لا تبين الطريق «الجديد» للحصول على هذه الفوائد . الا ان موضوعا يتيما طرق في هذا العدد تحسن الاشارة اليه ، وهو مقال عبد الله عبد الدائم « التربية وطريقنا الجديد الى النصر » ، حيث ربط الدكتور عبد الدائم بــين التخلف الحقيقي للمجتمع العربي ، وبين القيم التي تساهم التربية في ارسائها . وفي هــذا المجال نلفت نظر القارىء الى محاولة فريدة اخرى تتمثل بكتاب محمد احمد الغنام ، **تعليم الامة العربية** ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٦٩ حيث يتناول المؤلف البعد التربوي للتخلف العربي وبالتالي وسائل التغلب عليه. ونلفت النظر كذلك الى العدد « الممتاز » الذي اصدرته مجلة **الكاتب** المصرية للسنة التاسعة ، يونيو ١٩٦٩ ، وذلك لمعالجة ٥ يونيو ، الا ان ما جاء بهذا العدد كذلك كان اكثر عمومية واقل تفصيلا .

الشعب الفلسطيني وترسيخ الاستيطان الصهيوني وتحقيق بعض المكاسب الجغرافية لهذا الحاكم العربي أو ذاك . أو انها تآمرات بين بعض المسؤولين عن تسليح الجيوش العربية ورؤسائهم جريا وراء المنفعة المادية والشخصية مما أدى الى استيراد كميات فاسدة من السلاح لولا فسادها لانتصرت هذه الجيوش العربية . ولا نقول بأن كل التصورات التآمرية في نفس المستوى او تلتزم بهوية المتآمرين . فالشيوعيون آنذاك ، الذين ارتبطوا « بعصبة التحرر الوطني » ربطوا بين التآمر الاستعماري العربي — الصهيوني وبين النظم الاجتماعية الا أن تركيزهم في التحليل كان منصبا على التآمر المصلحي بين فئات وقوى عربية وصهيونية وامبريالية بينما ركز غيرهم من المسيسين غير الملتزمين بخط فكري معين على تآمرات ومتآمرين آخرين .

ومجمل الفكر التآمري يعزو الفشل العربي والنصر الصهيوني الى التآمر وبالتالي يطالب بتنحية المتآمرين والتخلص منهم بأي شكل من الاشكال دون أن يكلف نفسه الجهد والعناء بالبحث عن عوامل أخرى . وكان هناك القصور التكنولوجي المحدود الذي عزا الانتصار الى الامساك بالاسلحة الحديثة وحيازة أنواع معينة من هذا السلاح كالطائرات والمدافع ذات حجم معين ، والمدرعات ، وما شابه ، وان حيازة الصهيونية لهذه الاسلحة وعدم توفرها لدى الفلسطينيين والدول العربية أدى الى ترجيح كفة الصهيونية وانتصارها . ومن هذا المنطلق ، اتجه أنصار التكنولوجية الحديثة المحدودة الى الدعوة والتبشير بضرورة تكديسها ، وان هذا التكديس سيؤدي الى رجحان الكفة العربية مستقبلا .

وكل هذه التصورات افترضت بدرجات متفاوتة في الصراحة والالتزام بضرورة التعاون والتنسيق ان لم يكن التوحيد العربي ، وان المجابهة الحقيقية لقوى العدوان الصهيونية تتطلب حشد الطاقات العربية عن طريق هذا التنسيق والتعاون . والاتجاه الوحدوي الحقيقي والايمان بضرورته ميزه الانطلاق الفلسطيني بينما اكتفى معظم من تصدى لمعالجة النكبة من مواطني الدول العربية الاخرى بضرورة التعاون والتنسيق .

ومع احترامنا لوجهات النظر المختلفة الا اننا نستطيع أن نجزم بأن هذه التصورات المختلفة لم تتجاوز ما فكرت به القطاعات الشعبية العديدة ، ولم تتجاوز التفكير الرسمي — ان كان هنالك تفكير ، فكان رد الفعل متجانسا الى أبعد الحدود بين من فكر كثيرا وعبر عن تفكيره وبين من تكلم في مقاهي العرب وحوار الشباب . ولو حاول المجتمع العربي ان يستلهم مفكريه في الطريق الذي يسلكه لطال انتظاره وتفتتت بنياه وضل مسيره .

حتمية العمل للتغلب على النكبة

الا أن الرد الفعلي الحقيقي للنكبة « جاء شعبيا قبل أن يجيء فكريا » ، وما زال الوضع كذلك حتى يومنا هذا ، والفجوة التي تفصل الشعب عن مفكريه تزداد اتساعا بمرور الزمن بدل أن تضيق ، والشعب بمختلف طبقاته وأيا كانت رقعته في هذا المسطح العربي ، شعر بآثار النكبة وانتفض لها قبل ان يسترد المفكرون أقلامهم . فبدأت الممارسات الشعبية السلمية وغيرها تؤدي الى نتائجها المسلكية والتنظيمية وتولد من ضغوطها سلسلة الانقلابات العسكرية التي قامت باسمها ولتحقيق رغباتها في سوريا ومصر ، والقلقلات في الاردن والوثبات في العراق وغيرها من الاقطار العربية . وهذه التغييرات رغم جزئياتها وبعدها عن المطلوب حدوثه ، انما كانت أول رد فعل حقيقي للهزيمة الفلسطينية — العربية . فجاءت سلسلة من الاصلاحات في مختلف القطاعات لتعالج النقص الذي أحس به الشعب ، سواء من حيث تكديس الاسلحة واستمرارية التجييش ، أو من حيث بتر العلاقات المستأصلة بين الشعوب العربية ودول الاستعمار والمضي في سياسة استقلالية من شأنها ان تساعد على تحقيق الحلم العربي بالنصر على المستوطن الصهيوني وحلفائه ، ثم انفتاحا على الشعب والتسليم بشرعية ممارسة

الشعب لحقوقه في المواطنةوتمكينه من الاستفادة منخدمات الدولة التي رسى قواعدها.

وعلى الصعيد التنظيمي نشطت تلك الحركات التي كان الضعف حليفها قبل الثمانية والاربعين وجدت حركات أخرى حاولت أن تضع أطارا فكريا وحركيا للعمل العربي. وما محاولات البعث والقوميين العرب والحركات الاقل شأنا الا محاولات في نفس الطريق، آمنت بضرورة الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي بتفاوت فكري للتصور الذي يجب ان تؤول اليه الاوضاع العربية. ولا نغالي ان قلنا بأن جميع الحركات العربية مدينة «للنكبة» من حيث تهيئة المناخ اللازم لتحركها الانقلابي والاصلاحي، بما في ذلك تلك الحركات التي تأخر نجاحها حتى أواخر الخمسينات ـ مثلا العراق.

فمن حيث ادراك الشعب وقياداته المختلفة لاهمية الانتصار الصهيوني ومعناه الحقيقي نستطيع ان نقول بأن احساس الشعب بالنقص العربي كان فادحا ـ واحساسه بضرورة التحول التاريخي في المنطقة كان ماسا وحادا للغاية ومن حيث البرامج التي طرحها او تبنىَ من المطروح منها كانت كلها ظاهرة جذرية من شأنها ان تستأصل بذور الفساد المستوطن في العالم العربي وغرس بذور جديدة من شأنها بعد نبتها وحصادها أن تؤدي الى المجتمع التقدمي القوي العلمي التكنولوجي. ولهذا لم يكن مقدرا للحركات التي اعتقد بعدم جدواها رغم انتشارها وحوزتها على بعض الفئات الموالية، أن تتطور الى حركات شعبية ذات أصول مقبولة في الخمسينات مثل حركة الاخوان المسلمين في مصر والقوميين السوريين في منطقة الهلال الخصيب. ومن ثم تمكنت الحركات الاحتجاجية من السيطرة على الحكم وبدأت ممارساتها وانجازاتها. ونحن لا نقلل من اهمية الانجازات الاصلاحية التي قدمتها هذه الحركات ـ سواء تلك التي تمثلت بالبعث او الناصرية، ان قلنا بأنها أقدمت على سلسلة من الترقيعات الضرورية التي أدخلت تحسينات كمية وكيفية على الاوضاع العربية. فمن المنظور الداخلي، كان للاصلاح الزراعي والتحول الصناعي، والانفتاح التربوي وتوسعه الهائل آثار حسنة ولا شك في مصر وسوريا والعراق وحتى في الدول العربية الاخرى التي حاولت أن تنقذ نفسها من وثبات الشعب المتتالية عن طريق تبنيها لمشاريع تطويرية تهيأ لمسؤوليها بأنها تحول دون التحول الثوري. اما من المنظور الخارجي فقد تمكنت هذه الحركات من الانفتاح على المعسكر الاشتراكي لاول مرة سواء من ناحية التعاون العسكري أو الثقافي أو الاقتصادي، وكان من الطبيعي لها أن تتجه وتحتل مراكز طليعية في العالم الثالث، فحطمت بذلك تلك القيود الفكرية والسياسية التي فرضتها ظروف الاستعمار المباشر. وحدث ما حدث، تطور ظاهري حسن أدى الى التغلب على بعض مشاكل الفقر والتخلف، والمزيد من التكافل الاجتماعي والاقتصادي، والتقدم التكنولوجي وتوسع هائل في قطاعات الحرفيين مثل الاطباء والمهندسين وعلى صعيد العلاقات الخارجية، حدثت الوحدة والانفصال، ولكن بشكل عام ازدادت اواصر الاخوة بين العرب بغض النظر عن انظمتهم وبدا أن يوم الوحدة ليس ببعيد.

وكان لهذه التحولات السلوكية والفكرية أثر واضح على القضية التي كان لها الفضل في اخراجها لحيز الوجود، وهي القضية الفلسطينية. اذ بعد أن كانت القضية الفلسطينية قضية صراع بين الاوروبي والفلسطيني حول مستقبل فلسطين تحولت تدريجيا الى صراع اسرائيلي ـ عربي فتهيأ للمواطن العربي، ان المسؤولية الاولى لاحتواء اسرائيل، تقع على عاتق الدول العربية. وظهرت بلبلة فكرية واضحة حول مفهوم هذا الصراع، هل هو صراع في سبيل تحرير الوطن السليب وان كان كذلك فما هو البديل العربي؟ أو هل هو صراع بين دولة توسعية تحاول الاستيلاء على المزيد من الرقع العربية التي تقع ضمن سيادة الدول العربية؟ وهل تدافع هذه الدول في الواقع في مواجهتها مع اسرائيل عن سيادة حدودها وأمنها ام انها، في مزاولتها لاستمرارية الصراع، تدافع عن

قضية التحرير ؟ ازاء هذه البلبلة والفوضى الفكرية والرسمية نستطيع ان نلمس الشعور العفوي للشعب العربي الذي طالب بالتحرير الكامل ، وأصر في كل مواقفه السياسية والاجتماعية على ضرورة التحرير ، وكان بشعوره يتجه الى التساؤل عن تقاعس هذه الدول التي اختبرت الاصلاحات العديدة ، والتحولات التاريخية الاجتماعية التي أوحت بأن الضعف الذي أدى الى النكبة قد تحول الى قوة ضاربة قاضية . وكان لاجهزة الاعلام العربية دورها البارز في المزيد من خديعة الشعب بأن أكدت له جذرية هذه التحولات والانجازات ، وان الدول العربية أضحت على حال من القوة بحيث يمكنها استرداد حقوق الشعب الفلسطيني ، لولا الاعتبارات الدولية ولولا التدخلات الالهية التي دوما تحمي اسرائيل من الانقضاض العربي . وكانت الفجوة العميقة بين الواقع المرير والخيال . وللانصاف نقول انه باستثناء طرفين رئيسيين انطلقا من منطلقات مختلفة اعتقدا بأن المواجهة تتطلب المزيد من الاستعداد ، وان التحول اضاف الى القوة العربية الا انه لم يكف للتغلب على التفوق التكنولوجي الاسرائيلي ، ولهذا دعا فريق من انصار هذا الاتجاه الى التريث والصبر الى ان يكتمل اثر هذا التحول وبعدئذ يتسنى للمجتمع العربي ان يواجه بنجاح المجتمع الاسرائيلي . بينما انطلق الفريق الاخر من منطلق عدم جدوى هذا التحول وان المواجهة الحقيقية لاسرائيل تتطلب كيفا آخر ، ولهذا لن يجدي الانتظار والتريث والاستكمال ومن الافضل الدخول في مواجهة تحريرية شاملة الان من شأن هذه المواجهة ان تهيىء تلك الظروف الكفيلة بالتحول الجذري التي من شأنها في نهاية الطريق ان تؤدي الى تصدع جبهة الاستيطان الصهيوني . وكان اتجاه التريث يتمثل بموقف الرئيس عبد الناصر ، بينما تمثل الثاني بالموقف الذي تبناه انصار المقاومة الفلسطينية التي بدأت تنمو في النصف الاول من الستينات . الا ان منطق المقاومة والتحرير رغم استعداد البعض لقبوله وتبنيه ، بقي مسيطرا على فئة محدودة من الناس . ومنطق عبد الناصر تأرجح بين القبول من الجماهير التي آمنت بقيادته ، والرفض من الذين حاولوا التقليل من شأنه عن طريق المزايدات العلنية .

في أعقاب النكسة

وبقي الموضوع ، وهو موضوع المجابهة مع اسرائيل رهن التقدير العلمي للقدرة العربية التكنولوجية ، ولم يخرج عن الطريق او اسلوب استكمال هذه القدرة الذي شقته الحركة الناصرية والانظمة العربية الاخرى . وكان لهذا المنطق ان يصطدم بالواقع في حزيران وكانت النكسة . وقد تبين منذ اللحظات الاولى للقتال بأن الهزيمة العربية تفوق سابقتها في هولها وفداحتها واصالتها واندحار الجيوش العربية التي تكدس سلاحها وتحسن تدريبها ، واستؤصل فسادها ، مع التقدم الظاهر للوطن العربي اذهل الشعب العربي في كل اقطاره .

ولا نشك قط بان الشعب العربي في اعقاب الهزيمة قدر هذه الهزيمة تقديرا اختلف كليا مع ذلك التقدير الذي طرحه الرئيس عبد الناصر في التاسع من حزيران ، وكان لعبد الناصر ما اراد . فوضع الهزيمة في اطار نكسة . وحدد معالم واهداف المرحلة المقبلة بارتباطها بازالة اثار النكسة . فلجأ الرئيس الى اتخاذ الخطوات التي ارتآها لتحقيق هذه الاغراض ، فهادن الانظمة العربية التي عاداها بالامس ، ودعا الشعوب العربية التي تحركت عفويا لتسديد الضربات للمستعمر المتمثل في شركات النفط الامريكية الى استئناف العمل في السعودية وليبيا ومن ثم اتجه الى اعادة تسليح الجيش واستكمال تدريبه مع محاولات صادقة لاصلاح في الهياكل الفنية المرتبطة بأبواب الحرب .

ولا نغالي ان قلنا بأن ما تبع حرب حزيران من خطوات عملية اصلاحية بقيادة مصر — التي تمثلت بها الانظمة العربية المنتكسة الاخرى — انما تشكل امتدادا كميا وكيفيا للخط السابق من ناحية القدرة التكنولوجية والعلمية والكفاءة العسكرية ، اما على

الصعيد السلوكي في العلاقات والافكار ، فقد كانت المهادنة رجعة الى الوراء ، واعترافا ضمنيا بعدم جدوى حركة التحرير المعتدلة التي سيطرت على المنطقة العربية في العقدين الاخيرين ومن ثم نستطيع اعتبارها اعترافا اليما بأن ما نجح الاستعمار على خلقه من كيانات عربية وانماط عمل وبناء لا يمكن تغييره .

الا ان تصدي المقاومة الفلسطينية في أعقاب الهزيمة للكيان الصهيوني ، على ضعفها وحداثتها ، عبر عن تيار مخالف واصيل بآن واحد . ونحن لا يهمنا هنا شكل المقاومة تنظيميا وحركيا بقدر ما يهمنا افكارها واطارها النظري . فقدمت المقاومة اولا ولاول مرة منذ بداية الصراع الصهيوني ــ الفلسطيني اول بديل عاقل للمجتمع الذي تطمح الى اقامته في فلسطين ، وعلى بساطة هذا البديل الا اننا نستطيع اعتباره أول محاولة فكرية عربية جادة تدعو جميع الاطراف لقبولها. واكدت المقاومة ثانيا ان الطريق الى الوصول لتحقيق هذه الفكرة ، وترجمتها عمليا في مجتمع فلسطيني تقدمي لا بد وان تلتزم بالثورة الشعبية ، وان الكفاح المسلح المسيس هو اسلوب هذا التحرير والثورة. ثالثا ان تحقيق هذه الفكرة ، وعن هذا الطريق بالذات يعني فيما يعنيه ان الاصلاح والترقيع لاستكمال القوى التكنولوجية سوف لا تجدى مهما طال عليها الزمن ، بل ان الثورة الخلاقة لا بد وان تبطل مفعول التفوق التكنولوجي للعدو حين تنمي القدرة التكنولوجية للشعب الثائر . رابعا ان هذه الثورة لا بد وان تكون شاملة ، ليس لتثوير الفلسطينيين بل لتثوير المجتمع العربي ككل ، وان المقاومة رغم هويتها القطرية ، انما تشكل الطليعة الثورية للمجتمع العربي . خامسا ، ان الصراع الحقيقي في المنطقة العربية ليس صراعا بين اسرائيل والدول العربية ، انما هو صراع بين الشعوب العربية على اختلاف هوياتها القطرية ، وبين ما يرتكز اليه المجتمع الصهيوني والاسباب التي تحول دون تقدم هذه الشعوب بما في ذلك القواعد الاستعمارية وانصارها . ولهذا كان من السهل للتفكير المقاوم ان يربط عضويا بين اسرائيل ، والامبريالية العالمية والرجعية العربية ــ انظمة واسلوبا في العمل(٣).

وما الكتابات التي صدرت في اعقاب حزيران الا كتابات تعبر عن هاتين الوجهتين رغم التباين الظاهر والتناقض الواضح في كل من المعسكرين . فالذين قالوا بضرورة « حشد القوى » والمزيد من التعاون العربي ، واستغلال الطاقة العربية في المواجهة ، وتدعيم الجيوش ، واستكمال تدريبها ، وضرورة تقدم التكنولوجيا رغم انهم ظاهرا اخذوا على عبد الناصر تصديعه للجبهة العربية تصرفاته التقدمية الا انهم آمنوا بمنطقه . فأولئك الذين رأوا هجوم عبد الناصر على الحريات الداخلية ، والبرلمانات ، سببا رئيسيا للهزيمة ، انما اخذوا بمنطقه من حيث ضرورة الوحدة الوطنية على أدنى المستويات ، مع الابقاء على التقدم التكنولوجي عن الطريق السابق العهد . ومن قرأ كتابات اعداء عبد الناصر التي صدرت في بيروت وغيرها من العواصم العربية والذين حملوا عبد الناصر مسؤولية الهزيمة انما انتقدوه لان برامجه في نظرهم اضعفت تلك القدرة العربية التي كان بالامكان حشدها في سبيل المعركة . فهم اذن متفقون بضرورة القوة التكنولوجية ولكن اختلفوا معه في الأساليب السياسية والاجتماعية التي من شأنها ان تزيدها وتكثر من مفعولها(٤).

اما المنطق البديل،والذي طرحته المقاومة عمليا فقد وجد من يسانده فكريا جملة من الفئات

---

٣ ــ يدرك القارىء بأن هذا التلخيص صادر عن البيانات والوثائق العديدة المختلفة التي صدرت عن التنظيمات الفدائية التي اختلفت فيما بينها حول قضايا جزئية (رغم انها تعتبرها اساسية) .

٤ ــ وعلى سبيل المثال لا الحصر نشير الى بعض هذه المعالجات : اديب منصور ، **النكسة والخطا** ، دار الكاتب العربي ، بيروت ١٩٦٨ ، صلاح الدين المنجد ، **اعمدة النكبة** (دار الكاتب العربي ، بيروت ،

اليسارية والتقدمية الاخرى . ولا شك بأن الكتابات اليسارية والتي ظهرت وكأنها امتداد طبيعي للتفكير المقاوم ، كانت الكتابات الوحيدة التي تصدت للاسباب الحقيقية للهزيمة اذ ان هذه الكتابات تعرضت لجوهر الضعف العربي وليس لظواهره . فاثارت فيما اثارته الجذور التاريخية للتخلف العربي ، الاوضاع والمنظمات الاجتماعية والاقتصادية التي ما زالت تستند الى الاستغلال المحلي ، والى الاضطهاد الداخلي وغيرها من عوامل . وان هذا التخلف والاستغلال والتناقضات بمجملها لا بد وان تحول دون امكانية الحشد والتكديس للقوى العربية . وتقول هذه التشخيصات الواقعية ، بانه مهما حاولنا من اصلاحات وترقيعات تمليها الانظمة القومية العربية ايا كانت سوف تؤدي الى هزائم اخرى ، لان التحول المطلوب في المجتمع ، انما هو تحول جذري يهدم المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية التي تشكل الركيزة الاساسية لانظمة الحكم القائمة، وبالتالي للعقلية التي تسيطر على تسيير المعارك الخارجية تلك المتعلقة باسرائيل او غيرها المرتبط بالاستعمار الخارجي . وان هذا التحول الجذري ، لا بد وان يعيد تكوين المجتمع العربي علميا وعلى ضوء نظرية تاريخية واضحة المعالم ، وبذلك تنشأ تنظيمات اجتماعية اقتصادية تمكن الانسان العربي من الانطلاق وتحرره من القيود اللاعقلية التي فرضت عليه نظرا للاوضاع الاقتصادية والاجتماعية السابقة(٥).

والغريب حقا في امرنا ان تتطور امورنا بعد « النكسة » آخذة بالمنطق الاول وليس بمنطق المقاومة ، وان يكون لانصار هذا المنطق اليد العليا في تسيير دفة المواجهة الاسرائيلية . فكرست اجهزة الاعلام ، وهي الناطقة باسم الانظمة العربية ــ تعبئتها على المواجهة العربية ــ الاسرائيلية من ناحية تصور الصراع الدائر في المنطقة العربية

١٩٦٩) قدري قلعجي (تقديم) ، **من وثائق النكسة** ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ . وقد حاولت هذه الكتابات ان تعزي الضعف العسكري استنادا الى التحركات التقدمية التي قام بها النظام الناصري التي ، في نظر واضعي هذه الكتب ، اضعفت الاستعداد للمعركة . أما المعالجات التي صدرت عن التقدميين فقد انطلقت من نظرة اخرى ، اذ انها آمنت بالاتجاه الناصري ولكنها لم تعتقد بأن هذه الانجازات كانت لتكفي ، ولهذا لا بد من المزيد منها مع بعض التحول النوعي . انظر مثلا لطفي الخولي **٥ يونيو : الحقيقة والمستقبل** ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ ، والمقالات التي نشرت باعداد مختلفة في **مواقف** العدد ٨ ، خاصة تلك التي اكدت على العمق العربي للصراع الفلسطيني . انظر مثلا عبد الله عبد الدائم ، « من حركة المقاومة الفلسطينية الى حركة المقاومة العربية » ، **مواقف** ، العدد ٨ ، السنة الثانية ، نيسان ١٩٧٠ ص ٢٩ ــ ٤١ . (يحوى هذا العدد بعض المقالات الهامة الاخرى المتعلقة بالمنطق المقاوم للهزيمة ، ساهم في طرحها نخبة من المفكرين والمناضلين مثل شفيق الحوت ، وغسان كنفاني وناجي علوش وغيرهم). انظر كذلك شهادة منح الصلح «الهزيمة والثورة» في **مواقف**، العدد الرابع، السنة الاولى، حزيران ١٩٦٩ ص ١٥٣ــ١٥٧ . وعبدالله عبد الدائم: « الانسان العربي الجديد : رؤى جديدة ، مهمات جديدة » . وبسام طيبي ، « في الفكر العربي المعاصر » في **مواقف** ، العدد ٣ ، السنة الاولى ، نيسان سنة ١٩٦٩ ص ٨٦ ــ ١١٧ . وكذلك عبد القادر يوسف ، **عبرة النكسة** ، مكتبة الامل ، الكويت ، (دون تاريخ) .

٥ ــ تجدر الاشارة الى ان الدراسات اليسارية الجادة التي تصدت بنمط فكري جديد لهزيمة حزيران نادرة جدا . فبالاضافة الى ما كتبه صادق جلال العظم ، **في النقد الذاتي بعد الهزيمة** ، **ودراسات يسارية** ، يكاد يكون كتاب نديم بيطار ، **من النكسة الى الثورة** ، بيروت ١٩٦٨ ، وحيدا . الا ان اعدادا مختلفة من **الحرية ودراسات عربية** (البيروتيتان) نشرتا مقالات وبحوثا طيبة ذات طابع تقدمي شامل او قومي . انظر مثلا كتابات سعدون حمادى ، وصادق جلال العظم ، وبسام طيبي . انظر كذلك الدكتور جورج حنا ، « المثقفون والنكسة » ، **الاداب** ، السنة السادسة عشرة ، ايلول ١٩٦٨ ، ص ٣١ ، والعدد الممتاز **للاداب** نفس السنة ، العدد الرابع ، نيسان ١٩٦٨ ، المتعلق بأدب المقاومة .

ودعت فيما دعت اليه ان لا « صوت يعلو صوت هذه المعركة » دون ان تعي ابعادها ، ثم جاءت لتشعر الشعب العربي وتزيد من تخديره بأن الصراع القائم في المنطقة خاضع حقا وجذريا الى صراع عالمي امريكي — سوفيتي يتحكم فيه ضرورة ، اضافة الى الايمان بضرورة المزيد من التسليح والتدريب لتكفل النصر مستقبلا . وما آخر هذا التصور والذي لخص الاسباب الحقيقية للنكسة « بعدم كفيء ادارة الصراع »(٦) الا امتدادا طبيعيا لهذا التفكير الذي سيطر علينا منذ اكثر من قرن . فالامر كله مرهون بتقدم تكنولوجي في قطاعات مختلفة يمكن للزمن معالجته .

ويهمنا الان ان نقف لنقارن ما يجري في العالم العربي الان وما جرى بعوالم اخرى كانت اوضاعها شبيهة بأوضاعنا . فخبرات الشعوب الاخرى كلها تؤكد عدم جدوى الترقيع والاصلاح في معالجة التخلف والمواجهة التي تتعرض لها شعوب ذات حضارة عريقة .

وقد سار بهذا الطريق بطرس الاكبر في روسيا ، وحدّث ما طاب له من تحديث ، واعاد تدريب جيشه ، ثم غير « ادارته » واحدث اصلاحات فوقية اثارت اعجاب اعدائه ، ولكن سرعان ما انهزمت جيوشه امام جيوش اخرى اكثر حداثة ، وبقيت روسيا رغم مصادرها المادية والبشرية الهائلة عملاقا نائما ، لم يستفق الى ان حدثت الثورة الشعبية التي فجرت طاقاته منذ ثورة اكتوبر ، فحدث التحديث الحقيقي على مختلف المستويات ، واعيد بناء المجتمع ، وحدثت الوحدة الوطنية وتحققت امال الشعب الروسي بالعيش الكريم القوي . وسارت الصين في نفس الطريق ، واحدثت التغييرات منذ القرن التاسع عشر — ويجدر بالفكر العربي ان يدرس هذه الموازاة في عملية التغيير في المجتمعين العربي والصيني — الى ان جاءت الثورة الصينية بقيادة صن يات صن التي رغبت المزيد من الاصلاح والترقيع، فكان لها ما كان . الا ان جدوى هذه الاصلاحات وقيمتها الحقيقية انفضحت كاملا في الثلاثينات فكانت الصين من حيث علاقتها بالاستعمار العالمي في وضع اكثر سوءا من سابقها ، وكان الفساد يعمم قطاعات اكبر من سابقيها ، وكانت الفوضى الادارية اشد وطأ على مقدرات الشعب الصيني ، وبالتالي كانت هزائمهم على يد اليابانيين والدول الغربية اكثر الما منها قبل التحديث والترقيع الى ان انتصرت القوى الوطنية الثورية التي خططت وناضلت استنادا الى نظرية سياسية اجتماعية شاملة مغايرة للنظريات الغربية البورجوازية .

وما حدث بالمجتمع العربي منذ بداية « النهضة » سواء في المشرق او في المغرب جارى هذا التفكير واخذ به ، فعدل وبدل ، وغير وحسن واصلح ، دون ان يرتبط بنظرية سياسية اجتماعية شاملة تستند الى التاريخ او المستقبل ، ورغم التحسينات الظاهرة في هذا المجتمع ، الا ان الخامس من حزيران ١٩٦٧ اثبت مرة أخرى ان المرور بهذا الطريق ينفذ بنا الى شارع مقفل ، وبالتالي يؤدي بنا الى ضعف متزايد والى مجتمع مبتور لا يمكن لحمه ، والى سيطرة اجنبية واستعمار عالمي يمتص طاقات هذا الشعب لصالحه . وان كان للخامس من حزيران عبرة ، فهي التوكيد على الافلاس الفكري لنمط معين من التصور السياسي الاجتماعي الذي الهم التغير العربي منذ بداية النهضة. الا ان هذه العبرة الاساسية لم يقبلها الفكر العربي — الا اليساري الملتزم منه — وبالتالي لم يؤد الخامس من حزيران الى تلك التحولات الجذرية في الأنظمة العربية والمجتمع العربي الذي كان يجب ان يؤدي اليه . وبالتالي اصبح واضحا بأنه نكسة للانظمة ولم يكن نكبة لها . واصلاح نكسة الانظمة يكون بالابقاء عليها بعد محاولة تصحيحها ، أما النكبة فلها اساليب أخرى في المعالجة !

---

٦ — عالج محمد حسنين هيكل ارتباط الادارة الحسنة الحديثة بالصراع الناجح في مقاله الاسبوعي ، الجمعة، الانوار ، ٢ حزيران ١٩٧٢ .

الدور "الاكسترا ــ عسكري" للجنرالات المتقاعدين في اسرائيل

الدكتور اسعد رزوق

من المعروف ان الجيش في اسرائيل يقوم ، الى جانب وظائفه العسكرية الرئيسية ، بتأدية أدوار ومهام أخرى تطال حقول السياسة والاقتصاد مثلما تشمل مجالات الصناعة والادارة المدنية والتثقيف الايديولوجي الصهيوني . والموضوع الذي تستهدفه هذه المحاولة يكاد لا يخرج عن نطاق السؤال المتعلق بطبيعة الدور الذي يمارسه الجنرالات المتقاعدون من الخدمة النظامية في الجيش الاسرائيلي عقب تسريحهم وعودتهم الى ميدان الحياة المدنية . على ان انتهاج سبيل الحصر في التركيز على الدور « الاكسترا ــ عسكري »(١) لكبار الضباط المسرحين من الخدمة العسكرية في جيش اسرائيل ليس معناه تجاهل الدور المحوري الذي تمارسه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في كافة الميادين والقطاعات العائدة للنظام السياسي والحياة الاقتصادية والاجتماعية . فالجنرالات الذين يتناولهم البحث في اطار التسريح المبكر من الخدمة يصح اعتبارهم بمثابة « المتخرجين » من صفوف المؤسسة العسكرية في اسرائيل . اما الوظائف التي يقوم على تأديتها المتقاعدون والمسرحون فهي بمثابة مؤشرات تكشف عن جوانب بالغة الاهمية من اتساع رقعة النفوذ العائد للمؤسسة العسكرية . مثلما انها تبين لنا مدى التغلغل الذي وصل اليه الجيش الاسرائيلي داخل المؤسسات المدنية ومقدار السيطرة التي أخذ يبسطها ويمارسها على شتى مرافق الحياة العامة وفي مجالات السياسة والادارة وقطاعات الاقتصاد .

ثم نضيف الى ذلك كله : ظاهرة أخذت تتبدى بصورة جلية منذ حرب حزيران ، وكانت خلال الاشهر الستة الفائتة مثارا للجدل والتساؤلات. ونعني بها تلك الظاهرة من ازدياد اقبال العسكريين على العمل السياسي والدخول في معترك الحياة الحزبية . فهناك من جهة ، بادرة تطعيم الحكومة الحالية بمزيد من الرجالات العسكريين . ومن جهة ثانية ، تلك الانباء المتعلقة بالترشيحات المتوقعة للانتخابات العامة القادمة (١٩٧٣) بين عدد لا بأس به من الجنرالات « المتقاعدين » .

وبكلام آخر ، ان طرح الموضوع من الزاوية التي يتضمنها عنوان هذه المحاولة يرمي الى تحديد العلاقة الوثيقة بين القطاعين المدني والعسكري ــ هذا ان جاز الفصل بين الاثنين ــ من خلال التعرف الى طبيعة الادوار التي يمارسها كبار العسكريين في أعقاب تسريحهم من الخدمة .

أما طريقة المعالجة والتحليل الوصفي فانها تستمد نقطة انطلاقها من المفهوم الاسرائيلي عن « اتساع الدور »(٢) المنوط بالقوات العسكرية . ثم تعمد الى الربط بين هذه الواقعة ، من جهة ، وبين « النظام الدوراني » rotation of age-groups القائم على

تسريح الضباط من الخدمة في سن مبكرة ، من جهة أخرى . فالحديث عــن الدور « الاكسترا ــ عسكري » لكبار الضباط المسرحين من الجيش الاسرائيلي يتحرك ضمن اطاره الملائم بالنظر الى الامر من زاوية المفاهيم السائدة والمتعارف عليها في الكتابات والابحاث الاسرائيلية التي تشير الى الموضوع بصورة عابرة او تعكف على تناوله بشيء من التفصيل ومع كثير من التحفظ أحيانا . وهناك دلائل متوافرة على الاتجاه الاسرائيلي السائد في تفسير الظواهر المعاكسة للموقف الرسمي تفسيرا يتعمد ارجاعها الى حظيرة العلاقة العاملة بنجاح بين القطاعين المدني والعسكري . كما ازدادت في الآونة الاخيرة تلك التساؤلات التي تنطوي على شتى المخاوف والمحاذير ، لئلا يؤدي اتساع الدور الاكسترا ــ عسكري الى اضفاء المزيد من الصفات العسكرية على النظام السياسي والحياة المجتمعية في اسرائيل . وسوف نتناول هذه الامور في حينها من سياق البحث . على ان نعود الان للبدء من مفهوم « اتساع الدور » . محاولين تحديد انعكاساته ودلالاته بالنسبة للنظام الدوراني في التسريح المبكر من الخدمة العسكرية النظامية .

اتساع الدور

جاء في المجلة الاسبوعية « بامحانيه » التي يصدرها الجيش الاسرائيلي ، وفي معرض الاشارة الى الباعث الكامن وراء « اتساع الدور » المنوط بقوات ذلك الجيش وتعدد الوظائف الملقاة على عاتقه ، ما يلي نصه : « ان انهماك الجيش الاسرائيلي («تساهل») في ممارسة أنشطة ليست عسكرية في طابعها المحض ، لا يؤدي وظيفة تابعة لايديولوجية معينة . ولا هو انهماك تحدوه الرغبة الصادرة عن « تساهل » في القيام بدور المبتكر . بل انه حالة من حالات الواقع الاسرائيلي . فالظروف المحيطة باسرائيل تتطلب وجود الجيش الرائد ــ وليس جيشا موقوفا على تأدية الوظائف العسكرية الروتينية ، بل في القيام على وظائف منوطة ببناء الامة . انه الجيش في أمة الزمت نفسهــا بتجميع المهاجرين ، ومن واجبه المشاركة في مثل هذا المجهود »(٣).

ومما يتبادر الى الذهن فور قراءة هذا النص بتمعن ــ من جملة أمور اخرى ــ هو المحاولة المتعمدة في تبرئة الانهماك المقصود من كل الدوافع الايديولوجية وربطه بعجلة الواقع الاسرائيلي . فالالتزام بمسألة تجميع اليهود في اسرائيل يؤلف دون ريب احدى الركائز الاساسية لكل من العقيدة الصهيونية والمبادىء العليا لدولة اسرائيل . والجيش الاسرائيلي لا يعدو كونه أداة تنفيذية بيد القائمين على شؤون الحركة الصهيونية ومن خلال القابضين على مقدرات الدولة اليهودية .

لكن المسألة التي تعنينا قبل سواها في هذا الاطار تكاد تنحصر بحالة بارزة من التواقف بين اتساع الدور والواقع الاسرائيلي . فاتساع الدور المنسوب الى الجيش الاسرائيلي ينيط بالجيش المذكور تأدية وظائف ومهام اكسترا ــ عسكرية . ومن الملاحظ ان الاصرار على استخدام لفظة « اكسترا ــ عسكري » يتيح المجال أمام التهرب من الاقرار بوجود وظيفة سياسية للجيش في دوره المتسع . هناك استعداد لدى نفر من الباحثين لتكريس الوظائف الاقتصادية والمجتمعية التي يمارسها الجيش في اسرائيل . اما الدور السياسي المباشر فلا يؤلف وظيفة اكسترا ــ عسكرية من وظائف الجيش ــ على حد قولهم . ولنأخذ بعض الامثلة على سبيل الايضاح .

[ثمة مجموعة متزايدة من الابحاث والدراسات التي أخذت على عاتقها طيلة السنوات العشر الاخيرة مهمة ابراز الدور « الفذ » الذي تضطلع بممارسته المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في شتى القطاعات والمجالات . فهي تضع تركيزها على النواحي الملائمة ، ولا سيما تلك التي منها تتجاوز بطبيعتها حدود النطاق الروتيني والتقليدي لدور الجيوش في انحاء العالم قاطبة ــ أو ما يتمايز منها عن الادوار المرصودة والمنسوبــة للفئات

والطغمات العسكرية في بلدان العالم الثالث وداخل أنظمة الدول النامية . ومن الملاحظ ان معظم الدراسات المتوافرة تنهج سبيل التبرير والمقارنة على نحو غير متكافىء ، لكي تنتهي الى تبرئة ساحة الوضع الاسرائيلي من طغيان الصفة العسكرية على القطاع المدني ، وتجعل الضباط العسكريين في اسرائيل بمنأى عن السياسة منزهة اياهم عن كل نزعة ترمي الى الاستيلاء على السلطة او تحويل الدولة الى ثكنة عسكرية .]

١ ـ فالمساهمة التي قدمها الباحث الصهيوني بن هالبرن ـ على سبيل المثال ـ تحت عنوان « العسكريون في اسرائيل » ، ونشرها جون ج. جونسون في كتابه عن « دور العسكريين في البلدان النامية » تعتبر الوضع الاسرائيلي بمثابة الشاذ عن القاعدة ، اذ يأبى الاندراج تحت مقولات الفرضية القائمة على الربط بين الازمات ـ الخارجية منها والداخلية او البنيوية ـ وبين التحول نحو الانظمة العسكرية . واسرائيل لا تمثل في نظر هالبرن « أمة تحت السلاح فحسب ، بل ان الجيش الاسرائيلي هو بكل معنى الكلمة جيش من المدنيين . فالشق الثاني من العبارة يؤلف دون ريب لازمة ضرورية عن الشق الاول ، ومما يجب قوله ان اسرائيل ترحب بهذه اللازمة وتفعل الكثير لتوسيع مدى تطبيقها »(٤).

ثم يتابع هالبرن محاولته الرامية الى ابعاد الوضع الاسرائيلي « الفذ » عن مفعول نظرية العلاقة المرصودة بين الازمات وظهور الانظمة العسكرية حتى يصل به المطاف الى اطلاق التعميم التالي : « ان المواقف المدنية والمساواتية لا تعم حياة الجيش وتتخللها فحسب ـ الى ذلك الحد الذي يسمح به الانضباط ـ بل تؤلف المواقف العسكرية جزءا من حياة كل فرد اسرائيلي ، ومن جملتها أنشطته المدنية . والجندية الفعلية لا تنطوي على الالتزام بمجموعة جديدة وكاملة من القيم ، بل تنحصر فقط بالتدريب الخاص على تلك القيم والمهارات التي تؤثر في الحياة الاسرائيلية عبر المدى الشامل لكافة مؤسساتها »(٥).

٢ ـ اما يهوشافاط هركابي فانه يطرح المشكلة من زاوية الاحتمالات المتعلقة بتحول اسرائيل الى دولة منظمة على أساس عسكري فيما لو طال أمد حالة الحصار المفروضة على الدولة اليهودية . وبعد تأكيده على حقيقة أهمية الجيش في اسرائيل ، يعلن هاركابي انه « قلما توجد دلائل تشير الى طغيانه على الحياة العامة والعادات والثقافة او السياسة » . ثم يلجأ الى تقديم بعض العوامل التي يعتبرها اسهامية في الحفاظ على الوضع الموصوف بسيادة القطاع المدني ـ السياسي على مقدرات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية . فيأتي على ذكر العوامل التالية :

أولا ـ ما يسميه هركابي بـ « الروح المدنية البارزة للصهيونية » .

ثانيا ـ هناك تضافر بين القطاعين المدني والعسكري . فالتمييز العسكري لا وجود له، والضباط لا يؤلفون طبقة خاصة . كما أن القوات العسكرية تنتمي في معظمها الى فئة الاحتياط ، مما يجعلها قوات « مدنية » في طبيعتها .

ثالثا ـ انتماء العسكريين الى مختلف الاحزاب السياسية بحيث لا يشكل هؤلاء حزبا سياسيا منفصلا . فالضباط يتواجدون « في جميع الاحزاب ، على اساس قوتها النسبية في البلد » . ولا تقوم هناك محاولات « لاجتذاب الضباط الى أي من الاحزاب السياسية » . كما ان جنرالين متقاعدين ، مثلا ، « يستطيعان ان يجدا نفسيهما في حزبين متعارضين » .

رابعا ـ يتقاعد الضباط العسكريون في وقت مبكر نسبيا ، مثلما يتحقق اندماج المتقاعدين في القطاع المدني بسهولة .

خامسا ـ عامل القبول العام بالمؤسسات الديمقراطية في اسرائيل .

سادسا ـ الخضوع التام من جانب العسكريين للسلطات المدنية في اسرائيل(٦) (وهذه مسألة تحتاج الى اعادة نظر مع ابداء الكثير من التحفظات بشأنها . لكنها في صيغتها المطروحة أعلاه تقع خارج نطاق هذا البحث)(٧) .

فالملاحظ ان هركابي في حديثه أمام جمهور غير اسرائيلي يتحاشى الدخول في المضاعفات السياسية او الانعكاسات الاقتصادية التي ينطوي عليها مفهوم اتساع الدور بالنسبة للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، ولا سيما الوظائف الاكسترا ـ عسكرية التي يمارسها الضباط المتقاعدون . وهو ينسب الى الصهيونية ، مثلا ، ما يطيب له ان يسميه بـ « الروح المدنية البارزة » ، علما بأن جذور الدور الاكسترا ـ عسكري تمتد الى مجموعة رئيسية من الافكار والممارسات الصهيونية التي سبقت قيام الدولة . كما نجده يعترف ضمنيا باتجاه الجنرالات المتقاعدين صوب الاحزاب السياسية ، لكي يكتفي بالقول ان عملية اندماج الضباط المسرحين من الخدمة في وقت مبكر نسبيا تتم بسهولة داخل القطاع المدني ـ دون الاشارة الى مضاعفاتها السياسية والاقتصادية والادارية .

٣ ـ ربما كان عاموس برلموتر هو الباحث الاسرائيلي ـ حسب معرفتنا ـ الذي تناول في دراساته موضوع الوظائف الاكسترا ـ عسكرية التي يمارسها الجيش داخل اسرائيل . ففي دراسة له منشورة عام ١٩٦٨ يطالعنا برلموتر بالمحاولة الرامية الى (أ) تعريف المجالات التي يمارس فيها الجيش وظائفه الاكسترا ـ عسكرية، و(ب) تحليل النتائج السياسية التي تترتب عن ذلك(٨) . ويميز صاحب الدراسة بين نوعين من اتساع الدور : فالنوع الاول ، كما جاء في تحليله ، هو ذلك التوسيع الذي لا تؤثر نتائجه السياسية بشكل ملحوظ على العلاقة بين المدنيين والعسكريين . أي أن الوظائف التي يمارسها الجيش الاسرائيلي في حقول التثقيف والتعليم ومجالات التوجه المهني لا تنطوي على نتائج سياسية مؤثرة في علاقة المدنيين والعسكريين .

اما النوع الثاني من اتساع الدور ـ وهو الذي تشكل نتائجه السياسية مصدرا ممكنا للتقييدات على العلاقات المدنية ـ العسكرية ـ فيرتأي برلموتر نسبته الى تأثير القيادة العليا للجيش في مجال الشؤون الخارجية وميدان سياسة الامن . والنفوذ النابع من هذا الدور يتأثر بايديولوجية الجيش ، مثلما يتأثر بالعلاقة القائمة بين الجيش ووزارة الدفاع . (هذه العلاقة كانت بمثابة الخلفية لقضية لافون الشهيرة)(٩) .

ان برلموتر ينتهي من تحليلاته الى استبعاد قيام التدخل الفعلي من جانب الجيش والمؤسسة العسكرية في السياسة الاسرائيلية . فهو يعتبر العوامل والظروف السياسية التي تسهم في نشوء الدولة البريتورية (Praetorian State) ـ حيث يقوم النظام السياسي على تحبيذ تطوير الجيش وتنميته لكي يتبوأ مركز الفئة الحاكمة ـ بمثابة الشروط غير المتوفرة داخل اسرائيل . ويعدد من بين هذه الشروط السياسية ما يلي :
أ ـ ثقافة مدنية غير فعالة ، قوامها الجيش . ب ـ انخفاض في مستوى المؤسسات السياسية الراسخة ، ونقص في الدعم المستمر للبنيات السياسية . ج ـ ضعف الاحزاب السياسية وانعدام فعاليتها . د ـ عدم توافر الهدف المشترك والتوطيد الايديولوجي المتين . (وهنا يقول برلموتر : « في اسرائيل لا توجد عمليا اية هوة فاصلة بين ايديولوجية الجيش وايديولوجية الدولة او قواها السياسية الرئيسية ») . هـ ـ انعدام الاحترافية (Professionalism) او انهيارها ، لان الاعتبارات السياسية تنتصر على اعتبارات التنظيم الداخلي والاهتمامات العائدة للمهنة(١٠) .

اما العوامل التي تحول دون تدخل الجيش الاسرائيلي بصورة فعلية في السياسة، وتؤمن بالتالي استمرار السيطرة المدنية الفعالة على قطاعات المؤسسة العسكرية وتطلعات

عناصرها القيادية ، فان برلموتر يرصدها في خاتمة الفصل الذي يحمل عنوان « دولة منظمة على أساس عسكري : الحل الاسرائيلي » (A Garrisoned State) ، لكي يقوم بتعدادها على النحو الآتي : ١ ــ الدورة السريعة للضباط . ٢ ــ القدرة الاستيعابية في الاقتصاد . ٣ ــ الاندماج المتكامل على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي لقدماء الجيش الاسرائيلي . ٤ ــ اعتماد اسرائيل على نظام الاحتياط . ٥ ــ التطابق في الاهداف السياسية . ٦ ــ الاحترافية في الجيش . ٧ ــ المشروعية المؤسساتية للبنيات السياسية ــ المدنية المستقلة تقدم ضمانة فعالة من السيطرة المدنية(١١).

وخلاصة القول ، من زاوية التحليل الذي يقوم به عاموس برلموتر ، هو ان اتساع دور الجيش ليس بذلك الخطر الذي يتهدد السيادة المدنية على السياسة اكثر مما يتهددها دور الهستدروت او حركات الاستيطان ومنظمات الكيبوتز والموشاف . قد ينطوي توسيع الدور ــ باعتباره عملية تجري على قدم وساق منذ تأسيس اليشوف ، وتستند الى تراكم الوظائف المتعددة في سبيل انشاء الدولة اليهودية المستقلة ــ على بعض القيود والعوائق . لكن هذا التوسيع يعني بالطبع ايضا ــ كما يؤكد برلموتر ــ « ان كل جماعة سوف تعمد بطبيعة الحال الى الاستغلال السياسي لسلطتها ومركزها ونفوذها» . فالجيش الاسرائيلي يشهد ارتفاعا ملحوظا في نسبة الاحترافية وازالة التسييس من صفوفه (depolitization) . وهذه الظاهرة الاخيرة لا تعني بالطبع ، في نظر برلموتر ، ان النخبة العسكرية في الجيش لا تتمتع بنفوذ سياسي ، او ان الجيش لا يمكنه ان يستخدم كجادة للوصول الى سدة القيادة السياسية . بل هي تعني فقط ان وظائف الجيش لا تقررها اعتبارات السياسة الداخلية او الضيقة لدى حزب العمل او غيره من التنظيمات السياسية الاخرى في اسرائيل(١٢).

نعود هنا من جديد الى اطار موضوعنا الاصلي ، بعد التعرف الى النتائج التي يسفر عنها تحليل برلموتر لطبيعة اتساع الدور وتراكم الوظائف لدى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ولا سيما بالنسبة لكبار ضباطها . ولنتذكر ان تحليلات عاموس برلموتر عمدت الى تفسير التسريح المبكر من سلك الخدمة بصورة ايجابية وأناطت بـه الاسهام في الحيلولة دون اقبال العسكريين على التدخل الفعلي في السياسة . كما افسحت هـذه التحليلات امام المؤسسة العسكرية مجال الاستمرار في تشكيل قوة ضاغطة تتحدى القطاع المدني في حقلين بارزين : حقل الدفاع والامن ، وحقل الشؤون الخارجية .

وسوف ينصرف بحثنا الان الى متابعة ظاهرة « اتساع الدور » من زاوية نظام التسريح الساري على ضباط الجيش الكبار في اسرائيل .

التسريح المبكر من الخدمة

هناك تشريع قانوني في النظام العسكري الاسرائيلي يوجب على كبار الضباط في الجيش ان يتسرحوا من الخدمة بين سن الاربعين والخامسة والاربعين . ويقول هورفيتز عام ١٩٦٣ ان الضباط الستة الذين تولوا منصب رئاسة الاركان حتى ذلك التاريخ كانوا جميعهم ــ باستثناء الرئيس الاول لاركان الجيش ــ يصغرون سن الاربعين من عمرهم لدى التعيين . وفيما عدا رئيس الاركان حينذاك (تسفي تزور) جرت احالة هؤلاء على التقاعد ، فانتقلوا الى حقل الخدمة المدنية ، قبل بلوغهم سن الثانية والاربعين . كما يعرف هورفيتز ان الانتماء الحزبي للضباط الذين شغلوا منصب رئاسة الاركان حتى ١٩٦٣ يتوزع كالآتي : ٣ من اعضاء الماباي ، ٢ من المستقلين ، ١ من الصهيونيين العموميين . ويؤكد على سبيل التطمين ان الجنرالات المسرحين في هذه السن المبكرة من العمر يجري توزيعهم في الوظائف المدنية على مناطق القيادة الثلاث في البلاد « بحيث

يتسنى لهم في أوقات الطوارىء ان يضعوا تجاربهم القيادية في الموضع الافضل من الاستفادة الفعالة »(١٣).

ومن الملاحظ ان ظاهرة الاحالة على التقاعد في سن مبكرة ، ثم اندماج الضباط المسرحين من الخدمة في قطاعات مدنية واكسترا ــ عسكرية متنوعة لم تتناولها الابحاث الاجنبية عن دور الجيش الا في السنوات الاخيرة الماضية ، ولا سيما خلال الفترة التي أعقبت حرب حزيران ١٩٦٧ . هناك دراسة تحمل الحروف الاولى من اسم صاحبها (M.G.) يضمها الكتاب الصادر بالفرنسية عام ١٩٦٦ تحت عنوان « الدور الاكسترا ــ عسكري للجيش في العالم الثالث » . لكنها تقتصر في المعالجة على التدخلات العسكرية المنوطة بحقل الاستيطان واستيعاب المهاجرين وادماجهم ، بالاضافة الى مجالات التثقيف الايديولوجي الصهيوني داخل القوات المسلحة ، وتدريب التقنيين والعمال المهرة قبل احالتهم الى القطاع المدني . كما يتحدث صاحب الدراسة عن قيام المؤسسة العسكرية منذ اعلان الدولة « بتدخلات غير مباشرة » في المجال الاقتصادي ، حيث أدت تلك التدخلات الى القاء اعباء مالية ثقيلة على كاهل الدولة . ويؤكد الكاتب ان انجازات الجيش في حقول الصناعة والزراعة والمواصلات تمت لاغراض استراتيجية اكثر منها اقتصادية ، حتى انه لم تجر مراعاة اعتبارات الاقتصاد بصورة كافية على الدوام . فالجيش الاسرائيلي متورط في الحياة المدنية ، ونجاحه في الابتعاد عن الدور السياسي هو رهن بمقدار اقباله الشديد على ممارسة الوظائف الاجتماعية . اما تدخل العسكريين في الحياة السياسية فيصدق عليه المبدأ القائل بأن الجيوش تتجه صوب الانقلابات عندما تضيع الحروب(١٤).

ان برلموتر يشير في حاشية مقاله المنشور عام ١٩٦٨ الى دراسة أعدها بالاشتراك مع موشيه ليساك حول ظاهرة الدورة السريعة للضباط في الجيش الاسرائيلي . ثم يعود الى تناول الموضوع في كتابه الصادر عام ١٩٦٩ عن « العسكريين والسياسة في اسرائيل : بناء الامة واتساع الدور » . ويخبرنا صموئيل رولبانت في الفصل الذي عنوانه « سوسيولوجية الجيش » من كتابه عن « الجندي الاسرائيلي : صورة جانبية لجيش » (١٩٧٠) ان مشكلة استخدام الضباط في أعقاب تسريحهم « ازدادت بروزا في العقد الاخير ، ومع تسريح عشرات الضباط من الذين تتراوح مناصبهم ورتبهم بين رئيس هيئة الاركان ورتبة الميجور »(١٥). على ان المعلومات التي يوردها رولبانت في كتابه ملأى بالتناقضات والاستدراكات ــ وهو الذي شغل منصب ضابط في الاحتياط لشؤون التثقيف والتوجيه مدة ١٥ عاما في هيئة الاركان العامة لقوات الجيش الاسرائيلي . فلو صحت التقديرات الصادرة عام ١٩٧٠ لعدد الجنرالات المسرحين من الجيش ــ وقد بلغ العدد حسب معلومات مجلة « ديرشبيغل » الالمانية حوالي ١٤٠٠ مسرّح من اصحاب الرتب العالية الذين « استبدلوا بذلاتهم العسكرية خلال السنوات الماضية بالزي المدني. وهم يحتلون الان مقاعد المدراء في الشركات والمؤسسات الاقتصادية او يشغلون المناصب العليا في الادارة »(١٦) ــ لجاز للباحثين ان يركزوا جهودهم على دراسة هذه الظاهرة وتتبع نتائجها والوقوف على مغزاها .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : ماذا يعمل هؤلاء الجنرالات والضباط المتقاعدون بعد تسريحهم من الخدمة في تلك السن المبكرة ؟ ما هي المهن التي يمارسونها والادوار التي يقومون على تأديتها عقب خروجهم من سلك الخدمة العسكرية النظامية الى ميدان الحياة العامة في اسرائيل ؟ وقبل الدخول في ذلك يجدر بنا التساؤل عن الغاية الاسرائيلية من تحديد سن التقاعد للضباط في هذه المرحلة الباكرة من العمر . فما هي الاعتبارات ، الظاهرة والمستترة منها ، وراء الاقدام على خطوة من هذا النوع ؟

١ ــ النظام الدوراني يضمن التغيير المتواصل في الاشخاص المنتمين الى سلك الضباط ، ويؤمن حقن المؤسسة العسكرية بدماء جديدة تستطيع اظهار البطولات .

٢ ــ الحيلولة دون انتشار الروتين واستتباب الجمود في هيئة الاركان العامة للجيش .

٣ ــ الخوف لئلا تؤدي الحياة الطويلة في الثكنات الى تكوين طبقة محترفة من الضباط العسكريين الذين تجمع بينهم اعتبارات ايديولوجية او مصلحية قائمة بذاتها .

٤ ــ التقليل من عزلة العسكريين عن الجسم السياسي والنظام الاجتماعي ، وادماجهم المتواصل في جسد المجتمع .

وفي ذلك يقول برلموتر : « ان سلك الضباط كجماعة محترفة هو مبتعد عن السياسة ، لكنه غير منعزل عنها . فالمشاركة الفعلية في النشاط السياسي محظورة على الضباط ، ولم يصدر عن هؤلاء حتى الان اهتمام يستحق الذكر بالسياسة عقب تسريحهم . بيد ان هذا الامر لا يمنع النخبة العسكرية من المطالبة الملحة والسعي للحصول على مناصب في ادارة الاعمال والاقتصاد والادارة العامة »(١٧).

أي ان الطبقة الحاكمة تخشى نمو طبقة سياسية من الضباط العسكريين ، بحيث يستقل هؤلاء عنها ويقيمون لانفسهم كيانا ذاتيا . فهي تريد الجيش أداة في خدمة الدولة ، ولا ترى في اتساع دور القوات العسكرية خطرا يتهدد الحكم المدني . أو كما يقول برلموتر على سبيل التعميم النظري : « ان العزلة المجتمعية لطبقة من الضباط تتهدد سير العلاقات الناجحة بين النخبتين ، المدنية والعسكرية . وللحيلولة دون ذلك قام الجيش الاسرائيلي بتطوير نظام يسهل عملية الانتقال من دور الجندي الى المدني ، ويجعل من السهل نسبيا أمام الشخص المتعامل مع الجيش بالامس ان يصبح اليوم عميلا للحزب أو البيروقراطية أو الصناعة التي يقع اختياره عليها »(١٨).

فهل يؤلف هذا النظام أو « الحل الاسرائيلي » مخرجا من مأزق العلاقة بين القطاعين ، المدني والعسكري ، في الدولة ؟ والى أي حد يمكننا الفصل بين هذين القطاعين في اسرائيل ؟ ان النخبة العسكرية ، سواء كانت نخبة تقليدية ام على النمط الاسرائيلي في المداورة ، تعتمد في معظم الاحيان على النخبة الاجتماعية السائدة (الفئات اليهودية الاشكنازية والمتحدرة من بلدان أوروبا الشرقية)(١٩). وهي نخبة تعتنق ايديولوجية الدولة وتقوم على تنفيذ سياستها ، من خلال الانحياز الى جانب الوضع الراهن ــ هذا الوضع الذي ترغب الطبقات الحاكمة في الحفاظ عليه . وهناك اعتبارات مصلحية وتطورات على صعيد « المجتمع العسكري ــ الصناعي » تؤمن اللقاء والتضافر بين الطرفين .

وتقول مجلة « ديرشبيغل » في تقصيها للاسباب الكامنة وراء تحديد سن التقاعد لكبار الضباط والجنرالات العاملين في الجيش الاسرائيلي ان هناك اعتبارات أخرى تكمن خلف نظام التسريح المبكر من الخدمة : فالحسابات التي يجريها المسؤولون داخل اسرائيل تعتبر ان هؤلاء الجنرالات الذين بلغوا سن الخامسة والاربعين من العمر ، اذ يتم تسريحهم من الخدمة بكل مظاهر الجلال والاحترام والتكريم ، ما زالوا على قدر كاف من عنفوان العمر لكي يبحثوا لانفسهم عن وظيفة مدنية أو مهنة يتعاطونها خارج الجيش . ثم تضيف المجلة أياها قائلة : ان معاش التقاعد الضئيل ، والذي يكاد لا يكفي لسد الحاجات ، يجبر الذين منهم لا يشعرون برغبة تدفعهم الى العمل على التفتيش عن وظيفة عمل جديدة . وتبعا للرتب والمناصب العسكرية التي وصلوا اليها ، يبلغ المعاش التقاعدي الذي يناله الجنرال السابق في الشهر الواحد ما قيمته ١١٠٠ مارك (حوالي ١٢٠٥٠ ل.ل. اليوم) الى أقصى حد . وحتى العام ١٩٥٨ لم يتلق هؤلاء المسرحون اي معاش تقاعدي من الدولة(٢٠).

بعد الوقوف على تعدد الدوافع والاسباب في شتى مظاهرها ومدلولاتها ، القريبة منها والبعيدة ، ينبغي الانتقال الى ناحية أخرى في عملية اتساع الدور وتراكم الوظائف ـ بحيث يتسنى لنا التعرف الى آليات النظام الانتقالي من الثكنة الى مجلس الادارة في الشركات والمؤسسات والصناعات وغيرها مـن مراكز السياسة ومناصب الادارة والنفوذ . هناك ما لا يقل عن ١٤٠٠ ضابط تركوا الخدمة العسكريـة وانتقلوا الى ميدان الحياة العامة في القطاع المدني . كيف يتم استيعاب هؤلاء « الخريجين » وتأمين الوظائف لهم ؟ وما هي المجالات الرئيسية لاستخدامهم والاستفادة من خبراتهم وطاقاتهم التنفيذية ؟ هل تكفي السمعة التي يتمتع بها الجيش في اسرائيل ـ كما تحسب مجلـة « ديرشبيغل » ـ لكي تضمن لهم « قيمة تسويقية مرتفعة وجيدة » وتكفل لهم مكانة اجتماعية مرموقة ، بحيث لا يجد معظمهم أية صعوبة في العثور على وظيفة ملائمة ؟

« مدرسة رجال الاعمال »

ان النخبة العسكرية التي أنهت خدمتها في الجيش الاسرائيلـي تلعب ـ كما يؤكد برلموتر ـ دورا رئيسيا في مؤسسات اسرائيل الصناعية وجهازها البيروقراطي . فقد برز الكثيرون من الضباط المتقاعدين في سلك الخدمة المدنية،ولا سيما السلك الخارجي. مثلما انهم يلعبون دورا رئيسيا في برامج المساعدات الاسرائيلية في كل من افريقيا واميركا اللاتينية(٢١) . ويقدم لنا برلموتر في دراسته الصادرة عام ١٩٦٩ جدولا يبين فيه التوزيع المهني والوظيفي للمسرحين من كبار الضباط برتبة كولونيل فما فوق . لكن النسب المئوية في هذا الجدول موقوفة عند العام ١٩٦٦ . فالملاحظ من توزيع النسب ان حصة الاسد تستأثر بها الدوائر والشركات والوزارات الحكومية ، تليها نسبة العاملين منهم في قطاع الشركات الخاصة . هناك أكثر من خمسين في المائة من كبار الجنرالات يعملون في قطاعات حكومية ، مثل المؤسسة العسكرية وصناعاتها المتعددة والسلك الخارجي وبرنامج المساعدات الخارجية في بلدان افريقيا واميركا اللاتينية .

مجال العمل	النسبة المئوية من الجنرالات المتقاعدين
السياسة	٤،٤
وزارة الدفاع	٥،٢
وزارة الخارجية	٦،٩
وزارات حكومية أخرى	٢١،٧
شركات حكومية	١٢،٢
البلديات ودوائر الحكم المحلي	٢،٦
مؤسسات التعليم العالي (في حقلي الادارة والتدريس)	٥،٢
الشركات الخاصة	٢٢،٤
أعمال مستقلة	١٢،٢
العودة الى الكيبوتز	٥،٢
مجالات أخرى	٢،٠
المجموع	١٠٠،٠

ومن المؤكد ان هذا التوزيع الموقوف عند عام ١٩٦٦ قد طرأت عليه تغييرات جذرية(٢٢) . فالصناعات التابعة للمؤسسة العسكرية شهدت في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ توسعا لا مثيل له . وليس من قبيل التكهن ان المناصب الادارية العليا على أقل حد هي من حظ الجنرالات المتقاعدين . اذ يجري اعداد المرشحين للتسريح في أثناء الخدمة على اتقان مهارات معينة والتخصص في حقول مختارة . ونعرف من دراسة برلموتر ، مثلا ، ان

كبار الضباط يستطيعون الحصول على اجازة غياب بموافقة الجيش وتشجيعه لكي يدرسوا المهارات الاقتصادية ــ الادارية . فالاكثرية بين المجازين تركز جهودها على دراسة الاقتصاد أو ادارة الاعمال أو « بحوث الفعاليات » بمعنى «Operations research» (حقل البحث التفاضلي) . ويجري اتمام هذه الدراسات التخصصية في اسرائيل او الخارج (بريطانيا ، فرنسا ، والولايات المتحدة الاميركية) . كما ينصرف قسم من الضباط الى اعداد انفسهم للحصول على شهادة في الحقوق تؤهلهم ممارسة المحاماة ، او يختار نفر منهم مجالات العمل الاكاديمي في الجامعات(٢٣) .

ويخبرنا رولبانت ان الجيش الاسرائيلي ينظم برنامجا خاصا حيث يصار بموجبه الى ايفاد الضباط الذين يبشرون بمستقبل مرموق للخارج ، لكي يدرسوا علم الادارة كما الموضوعات العسكرية المتخصصة . والضباط الذين وصلوا الى رتبة البريغادير ينالون المساعدة لاكتساب المعارف العامة او لاجراء البحوث في مواضيع تتصل مباشرة بالوظيفة التي سوف يشغلونها في المستقبل . فالضابط في سلاح الطيران يمكن ايفاده لدراسة هندسة الطيران ، بينما ضابط المخابرات يعمل للحصول على شهادة في الدراسات الشرقية والعربية(٢٤) .

ان هذا الاقبال على التخصص في حقل الادارة العامة والاقتصاد وادارة الاعمال يوحي بوجود مجالات واسعة للعمل أمام الجنرالات المتقاعدين . ويقول برلموتر عن الضباط الكبار في الجيش الاسرائيلي ان الواحد منهم يقوم على تنمية مهنة بديلة وهو لما يزل في سلك الخدمة العسكرية . حتى ان مجلة « ديرشبيغل » اطلقت على الجيش الاسرائيلي تسمية « مدرسة تخريج مدراء الاعمال » Manager - Schule der Nation (٢٥) . فالقطاع المدني الاسرائيلي ، كما الشركات والمؤسسات الاجنبية التي لها فروع في اسرائيل ، تعتبر قدماء العسكريين عنصرا مرغوبا فيه الى اقصى حد . وبرلموتر يجد في ارتفاع الطلب على « المتخرجين من مدرسة تساهل » ــ حيث تسود متطلبات الفعالية والاستحقاق الى درجة عالية ــ نتيجة طبيعية للصفات التي يتحلى بها الجنرالات المتقاعدون : انهم يمثلون ذلك الطراز من مدراء الاعمال الذين يتجهون صوب الانجازات، ويتمتعون بالروح العملية الناجحة («برغماتيون»)، كما يمتلكون الخبرات والتجارب في الحقل المعني. فالقدرة على التنظيم والطاقة الكفيلة بالتنفيذ والطموح لدى المدراء الجدد ــ هذه كلها من الصفات التي تجعل أرباب العمل يتسابقون على الاستئثار بهم والاستفادة من خدماتهم. حتى ان أحد الجنرالات، وهو الذي ترك الخدمة لكي يصبح مديرا في مصنع للاواني المعدنية ، أوضح ما يلي : « ان الاتصال الوثيق والثقة المتبادلة بين الضابط والجندي هما السر الذي يفسر نجاح الجيش الاسرائيلي . وبهذه الوصفة اياها يمكن احراز التقدم والصعود في ميدان الحياة المدنية »(٢٦) .

ان التنافس على الاستفادة من خدمات الضباط الذين يصفهم برلموتر بــ « المحايدين » سياسيا والموجهين نشاطهم صوب الادارة وأعمالها ، هو تنافس تشارك فيه جهات متعددة بغية الاستئثار بأوفر عدد ممكن من الجنرالات وكبار الضباط المتقاعدين . ويعدد عاموس برلموتر الجهات المتنافسة على استقطاب « الخريجين » الجدد كالآتي : ــ الشركات والمؤسسات والمشاريع التابعة للهستدروت ، وهي على درجة عالية من المحسوبية والمحاباة في التوظيف . ــ المناصب العليا في سلك الخدمة المدنية ، حيث يتم التعيين وفقا لاعتبارات سياسية . ــ التعاونيات « الخاصة » التي تخضع لسيطرة الحكومة . ــ الكيبوتزات صاحبة التوجه السياسي(٢٧) .

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد ان المناصب الاقتصادية تحتل مرتبة رئيسية بين الوظائف التي يشغلها كبار الضباط والمسرحين من الخدمة في الجيش الاسرائيلي . فقد

تزايد عدد المتقاعدين على مر السنين ، ولا سيما في السنوات الماضية . كما ان الاقتصاد الاسرائيلي في أعقاب حزيران ١٩٦٧ شهد تطويراً واسعا في حقل الصناعات العسكرية التي سارعت بدورها الى استيعاب قطاع بارز من ذلك الاقتصاد . وازاء الاتساع في مجالات الصناعة العسكرية وحقل ادارة الاعمال ، ازداد الطلب على الضباط المتقاعدين وانفتحت أمامهم مجالات العمل والوظيفة حتى باتوا يشكلون في مجموعهم ما يشبه الطبقة المؤلفة من المدراء التنفيذيين . وهي طبقة لها مصالحها وتطلعاتها . فالخوف من تكتل الضباط العسكريين في زمر او عصبات داخل الجيش ، حيث تمتلك هذه الزمر تطلعات سياسية ، أفسح الطريق أمام ظاهرة جديدة . ولقد صاغ نفر من الباحثين هذه الظاهرة على النحو الآتي : حدث التقاء بين « نادي » المدراء التنفيذيين من قدماء الجيش وبين المجتمعات الاقتصادية ــ العسكرية ، فأوجد هذا اللقاء « نواة » جديدة يعتمد بقاؤها على قيد الحياة الاقتصادية والسياسية على استمرار الحرب»(٢٨). فالضباط المتقاعدون من الخدمة العسكرية والعاملون في القطاع المدني يمارسون الوظائف الاكسترا ــ عسكرية ، مثلما تؤلف أعمالهم وأنشطتهم استمراراً وتوسيعاً لامتداد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في سيطرتها على قطاعات رئيسية من اقتصاد البلاد وتنميتها الصناعية لاغراض الحرب وتأمين الاحتفاظ بالمناطق العربية المحتلة . ويبدو ان ادارات الاحتلال العسكري وبعض قطاعات الاعمال الاسرائيلية ــ التي تحاول مد سيطرتها الى المناطق المحتلة ــ تحظى بنصيب وافر من توظيفات الجنرالات المتقاعدين في ممارسة دورهم الاكسترا ــ عسكري .

ان القطاع العسكري في اسرائيل شهد توسعا كبيرا منذ حرب حزيران ١٩٦٧ . وهو يلعب دورا بارزا في النشاط الاقتصادي . فالمؤسسة العسكرية الاسرائيلية تسيطر على قطاع الصناعات العسكرية والحربية ، مثلما ان وزارة الدفاع تشرف بدورها على « الصناعات القائمة على العلوم » وهناك صناعات الكترونية في الكيبوتزات تتلقى مساعدة من وزارة الدفاع ، اذ تعمل في انتاج الاجهزة الالكترونية للأغراض العسكرية. كما لا يخفى ما للبحوث العسكرية في اسرائيل من أثر على قطاع الصناعة المدنية . والضباط المتخرجون من « مدرسة الجيش الاسرائيلي » هم الذين يتوزعون على ادارات هذه الصناعات ويديرون أجهزتها التنفيذية ــ بعد أن جرى اعدادهم وتدريبهم على الوظائف الجديدة في اثناء القيام بتأدية خدمتهم العسكرية النظامية .

أما الجدول الذي جرى اقتباسه عن دراسة برلموتر ، فقد رأينا ادراجه في خاتمة هذه المحاولة رغم ما يعتريه من نقص في المعلومات المتوافرة بعد ايقافه الزمني . ان قائمة الجنرالات الذين دخلوا الوزارة ، مثلا ، تتوقف عند السنة ١٩٦٨ . فلا يؤتى على ذكر الجنرال عيزر وايزمان ، القائد السابق لسلاح الجو الاسرائيلي والذي شغل حقيبة وزير المواصلات في حكومة التكتل الوطني ، ثم انسحب مع وزراء « غاحل » في شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ لكي يتسلم منصب رئيس ادارة حركة حيروت(٢٩). ومن الطبيعي ان تعيين الجنرال حاييم بارليف على رأس وزارة الصناعة والتجارة ــ وقد دار الحديث حول هذا التعيين قبل تسريح رئيس الاركان من منصبه ــ ما زال مسألة حديثة العهد. بيد اننا سوف ننقل الجدول على علاته ، ثم نزوده ببعض الاضافات والمعلومات التي أمكن الحصول عليها من مصادر مختلفة .

ملحق

كبار الضباط في المناصب العليا
من جهاز الخدمة المدنية (٣٠)

(١) وزراء حكوميون ١٩٦٨

الميجور جنرال موشيه دايان (رئيس الاركان سابقا)	وزير الدفاع	(البالماخ)
البريغادير ـ جنرال يغآل آلون	وزير العمل	(البالماخ)
البريغادير ـ جنرال موشيه كارميل	وزير المواصلات والنقل	(البالماخ)
اسرائيل غاليلي	وزير الانباء	(البالماخ)

* اضافات وتعديلات (١٩٧٢) :

ـ انتقل آلون الى وزارة التربية والتعليم ، بينما حصل يوسف الموجي على وزارة العمل . ولا يزال آلون نائبا لرئيسة الوزارة .

ـ خرج موشيه كارميل من وزارة المواصلات والنقل ، لكي يحل محله شمعون بيريز (وزير البريد ايضا) .

ـ وأصبح اسرائيل غاليلي (أشد المقربين من غولدا مئير) وزيرا بلا وزارة .

ـ انضم اللفتنانت جنرال حاييم بارليف الى الحكومة مؤخرا ليشغل منصب وزير الصناعة والتجارة .

ـ جرت أحاديث ـ على ما يبدو ـ بغية اسناد حقيبة وزارة التنمية الى الجنرال اسحق رابين (سفير اسرائيل الحالي في واشنطون) .

(٢) مدراء عامون (١٩٦٧)

الكولونيل عميعاد	وزارة الزراعة	(البالماخ)
الكولونيل أو. مسر (متقاعد)	وزارة العمل	(البالماخ)
البريغادير ـ جنرال افيدار (متقاعد)	وزارة العمل	(الهاغاناه)
الكولونيل ي. بونداك (متقاعد)	مدير دائرةفيوزارةالعمل	(الهاغاناه)
الكولونيل آ. بن ناثان	وزارة الدفاع	(الهاغاناه)
الميجور جنرال ز. تسور (رئيس سابق للاركان)	مساعد خاص لوزير الدفاع	
الكولونيل موشيه كشتي	الدفاع	(الهاغاناه)

* اضافات :

العميد (احتياط) ي. لافي	مدير عام لوزارة الدفاع
الميجور جنرال ز. تسور	كان مديرا عاما لشركة « مكوروت » للمياه (١٩٦٣) وهو حاليا برتبة بريغادير جنرال . كما شغل وظيفة المسؤول عن التنسيق في البرنامج الاسرائيلي لتحلية مياه البحر

(٣) مدراء كبار

البريغادير ـ جنرال م. ليمون ـ وزارة : عمليات المشتريات الاوروبية (الهاغاناه)

البريغادير ـ جنرال م. غورين (متقاعد) ـ المدير السابق لبعثة المشتريات في بريطانيا (الهاغاناه)

الكولونيل م. ماردور ـ قسم السلاح والعلم (الهاغاناه)

الكولونيل م. برات (متقاعد . خدم في الجيش البريطاني) : قسم المفاعلات الذرية

الكولونيل ش. يفتاح ـ مدير البحوث النووية في نحال سوريك (الهاغاناه)

*** اضافات وتعديلات :**

ـ انتقل الاميرال ليمون بعد طرده من فرنسا (عقب حادثة اختطاف الزوارق الحربية من ميناء شيربورغ) الى اسرائيل ، حيث صار يمثل (١٩٧٠) مصالح مجموعة من الشركات والمؤسسات التابعة لال روتشيلد .

ــ العميد الثاني يتسحاق يعقوب : نائب كبير العلماء في جهاز الامن (الصناعات العسكرية) .
ــ الجنرال عوزي ناركيس (قائد المنطقة الوسطى) : تسلم عام ١٩٦٨ منصب المدير العام لدائرة الهجرة والاستيعاب في الوكالة اليهودية ــ المنظمة الصهيونية العالمية .
ــ العميد احتياط مردخاي بار ــ عون (رئيس قسم التثقيف في الجيش ١٩٦١ ــ ١٩٦٨) جرى انتخابه عضوا في الادارة الصهيونية (صيف ١٩٦٨) وهو لما يزل في السلك العسكري . يشغل الان منصب رئيس دائرة الشباب والرواد في المنظمة الصهيونية العالمية ــ الوكالة اليهودية .

(٤) رؤساء دوائر في وزارة الدفاع (المجموع : ٣٠)

رتبة البريغادير ــ جنرال	٢
الكولونيلات	١٥
رتبة اللفتنانت ــ كولونيل	٨
ميجــور	٥

وزارة الخارجية (٢٨ منصبا)

الميجور جنرال يتسحاق رابين : سفير لدى الولايات المتحدة (البالماخ) .
البريغادير ــ جنرال أ. رميز (الجيش البريطاني) : سفير في لندن .
البريغادير ــ جنرال ي. أفيدار (متقاعد) : سفير في الارجنتين (الهاغاناه) .
الكولونيل آشر بن ناتان ــ سفير في المانيا الغربية .

اضافات وتعليقات :

ــ البريغادير ــ جنرال أ. رميز انتقل في تشريــن الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ الى منصب المديــر العام لسلطة الموانىء ، فحل مكان الجنرال حاييم هرتزوغ المستقيل من منصبه .
ــ آشر بن ناتان أصبح سفير اسرائيل في باريس .
ــ حل ميخائيل كوماي محل أ. رميز في بريطانيا .
ــ موردخاي غازيت (شقيق العميد شلومو غازيت : منسق النشاط الاسرائيلي في المناطق المحتلة) أصبــح نائب المدير العام لوزارة الخارجية .

(٥) الجامعة والحياة الاكاديمية :

الميجور ــ جنرال ي. يادين ــ استاذ علم الاثار (الهاغاناه) .
الكولونيل ي. نيمان ــ استاذ للفيزياء (الهاغاناه) .
البريغادير ــ جنرال ي. هركابي ــ استاذ دراسات الشرق الاوسط الحديث .
البريغادير ــ جنرال أ. بليد ــ دراسات الشرق الاوسط الحديث .
الكولونيل يفتاح ــ استاذ الفيزياء .
البريغادير ــ جنرال شوكن (الجيش البريطاني سابقا) مدير التسجيل في جامعة تل ابيب .

(٦) مؤسسات وشركات حكومية :

الميجور جنرال حاييم لاسكوف ــ مدير سلطة الموانىء .
الكولونيل ش. لاحال ــ شركة (العال) الخطوط الجوية الاسرائيلية .
الميجور ــ جنرال ماكليف ــ شركة البحر الميت .
البريغادير ــ جنرال ش . شامير ــ شركة الفوسفات .
الميجور ــ جنرال ز. تسور ــ شركة تحلية المياه .

ملاحظة : ان اعتبارات الامن هي التي تحول دون اقدام برلموتر على ايراد الاسماء .
الجنرال أ. ديوري (رئيس الاركان السابق) شغل منصب رئيس معهد التكنيون في حيفا .
والكولونيل يفتاح هو المدير العلمي في اللجنة الاسرائيلية للطاقة الذرية .

الكولونيل شامير ــ صناعة الطائرات .
الميجور ــ جنرال م. عميت ــ شركة « كور » (المؤسسة الاقتصادية والصناعية الرئيسية لدى الهستدروت) .

* **اضافات :**

ــ انتقلت ادارة مصلحة الموانيء الى أ. رميز .
ــ العقيد بنيامين جيبلي (المخابرات العسكرية سابقا) أصبح مديرا لشركة « شمن » التي تصنع زيوت الطعام ومستحضرات التجميل .
ــ الجنرال حاييم هرتزوغ (مدير المخابرات العسكرية سابقا ، والحاكم العسكري السابق للضفة الغربية) يقوم الان بتمثيل مجموعة الشركات التابعة لمؤسسة ولفسون البريطانية . وفي العام ١٩٦٨ انتقل هرتزوغ الى مصاف رجال الاعمال ، حيث أصبح مديرا لشركة غاسكو للتنمية .
ــ الجنرال ابراهام يوفى (أحد قادة الفرق الثلاث التي اشتركت في معركة سيناء عام ١٩٦٧) : يشرف الان على ادارة حماية المواقع الطبيعية في اسرائيل . ويوفى هو عديل الجنرال اسحق رابين !
ــ الضابط الكانا كاسبي (من سلاح الاشارة) يدير شركة « تديران » لصناعة الاجهزة الالكترونية العسكرية.
ــ الرائد دانيال كمحي (احتياط) : مدير مصنع غاز اسرائيل : « ميغل » .
ــ شركة « ماشاك » (Maschak) ــ « هولدينغ كومباني » ــ التي أسسها نفر من ضباط الجيش السابقين .

ولا بد لنا من اضافة اسمين الى هذه القائمة ، وهما :ــ

ــ اللفتاننت ــ كولونيل موشيه غات : الذي ترك الخدمة في الجيش بعد ١٧ عاما . لكي يتولى مهمة « ضابط النظام » داخل الكنيست خلال الفترة الممتدة من ١٩٦١ الى ١٩٦٥ .
ــ والكولونيل جوزيف ابتان (متقاعد من الجيش ، وميجور سابق في الجيش البريطاني) : اشترك في حملة سيناء (١٩٥٦) ، ثم احتل منصب المسؤول عن اتخاذ الترتيبات والاستعدادات لعقد المؤتمرات الصهيونية العالمية ، ولا سيما المؤتمر السادس والعشرين . ومن المهمات الموكولة اليه : تأمين انتقال المندوبين وتوزيعهم على أماكن اقامتهم في اسرائيل ابان انعقاد المؤتمرات الصهيونية العالمية .

الحواشي

(١) آثرنا استخدام عبارة « اكسترا ــ عسكري » مقابل اللفظ الاجنبي للدلالة على الوظائف التي تقع خارج الاطار العسكري ، التقليدي والمألوف : Extra-military functions فهي تفيد المعنى المتوخى من حيث دلالاتها المزدوجة ، ولا توحي بالانتقاص من الدور العسكري الاصيل .
انظر ، على سبيل المثال :
Le Role Extra-militaire de l'Armée dans le Tiers Monde, (Paris 1966).

(٢) « اتساع الدور » هي ترجمة للعبارة التي يستخدمها عاموس برلموتر في دراسته عن « العسكريين والسياسة في اسرائيل : بناء الامة واتساع الدور » ــ Role expansion . ولا بد من الاشارة هنا الى كون صاحب الدراسة ينفرد ، دون سواه من الباحثين الذين عالجوا الموضوع المتعلق بدور العسكريين في السياسة ، بتقديم بعض التفاصيل والمعلومات والتحليلات التي يمكن الرجوع اليها والاخذ بقسم منها .
انظر :
Amos Perlmutter, *Military and Politics in Israel : Nation-Building and Role Expansion* (Frank Cass : London, 1969).

(٣) وردت هذه العبارة في المجلة المذكورة بتاريخ ١٥ شباط (فبراير) ١٩٥١ ، ص ١٦ . واستشهد بها عاموس برلموتر في مقالته عن « الجيش الاسرائيلي في السياسة : استمرار السيطرة المدنية على العسكريين » . انظرصفحة ٦٢١ من : *World Politics,* Vol. XX, No 4, July 1968, pp. 606-43.

(٤) انظر ما يلي :
Ben Halpern, «The Role of the Military in Israel», in John J. Johnson (Ed.) *The Role of the Military in Underdeveloped Countries* (Princeton University Press, 1962), p. 350.

(٥) **المصدر نفسه** .

(٦) راجع نص الحديث الذي ألقاه يهوشافاط هركابي بتاريخ ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧٠ امام « لجنة دراسة الشرق الاوسط » التابعة لكل من « مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية » و « معهد ادلاي ستيفنسون للعلاقات الدولية » — وموضوعه «اسرائيل في مواجهة الفدائيين الفلسطينيين » : **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، ملحق العدد ٥ من السنة الاولى (١/٦/١٩٧١) ، ص ٥ — ٦ .

(٧) وفيما يتعلق بهذه الناحية من الموضوع يمكن الرجوع الى دراسة أسعد عبد الرحمن عن « العلاقات المدنية — العسكرية في اسرائيل » ، والمنشورة في مجلة **« شؤون فلسطينية »** ، العدد ٩ (أيار ١٩٧٢) ، ص ٤٤ — ٦٩ .

(٨) راجع مقالة عاموس برلموتر المشار اليها في الحاشية رقم ٣ .

(٩) **المصدر نفسه** . ص ٦٢١ .

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ٦٤٠ ، وانظر ايضا كتاب برلموتر عن « العسكريين والسياسة في اسرائيل » ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(١١) **المصدر نفسه** ، ص ١٢٦ .

(١٢) برلموتر : « الجيش الاسرائيلي في السياسة : استمرار السيطرة المدنية على العسكريين » ، **المصدر السابق** ، ص ٦٤١ .

(١٣) انظر

J.C. Hurewitz, «The Role of the Military in Society and Government in Israel», in *The Military in the Middle East,* ed. by Sydney N. Fisher, Ohio State University Press, Columbus 1963), pp. 89-104 (p. 98).

ومما يقوله هورفتز في معرض الاشارة الى خطر استيلاء العسكريين على الحكم المدني في اسرائيل او الاطاحة به ، هو ان هذا الخطر ليس مصدره تدخل العسكريين في السياسة ، بل التدخل الحزبي السياسي في ادارة شؤون المؤسسة العسكرية (ص ١٠٣) .

(١٤) M.G., «Etude sur Israel» *Le Role Extra Militaire de l'Armée dans le Tiers Monde,* (Paris, 1966), pp. 175-90.

(١٥) Samuel Rolbant, *The Israeli Soldier : Portrait of an Army,* (Thomas Yoseloff: New York, 1970), p. 190.

(١٦) *Der Spiegel,* Nr. 31 (27.7.1970) : «Israel - Generale als Wirtschaftsbosse », p. 92

(١٧) برلموتر ، **المصدر السابق** (العسكريون والسياسة في اسرائيل) ، ص ١٢٥ .

(١٨) **المصدر نفسه** ، ص ١٣٣ .

(١٩) كان يوسف نحمياس ، رئيس الشرطة العسكرية ، هو الضابط الاعلى الوحيد في وقت من الاوقات بين كبار الضباط غير المتحدرين من اصول يهودية اشكنازية . والى دافيد بن غوريون ينسب هذا القول : « لن نستطيع القول ان الوحدة الوطنية في اسرائيل قد تحققت بالفعل الا متى جاء ذلك اليوم الذي يحتل فيه يهودي سفاردي منصب رئيس الاركان العامة في الجيش الاسرائيلي » . انظر الدراسة التالية :
Bernard Vernier, *Armée et Politique au Moyen-Orient.* (Payot : Paris, 1966), p. 65

(٢٠) « دير شبيغل » ، **المصدر السابق** .

(٢١) راجع برلموتر ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٢ — ١٢٣ . وانظر مقالة الكاتب نفسه في مجلة *World Affairs* **المصدر السابق** ، ص ٦٣٩ .

(٢٢) أخذنا الجدول كما هو في دراسة برلموتر ، **المصدر السابق** ، ص ٧٦ .

(٢٣) **المصدر نفسه** ، ص ٧٥ — ٧٦ .

(٢٤) انظر رولبانت ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٤ .

(٢٥) ان تسمية « مدرسة الامة » Schule der Nation هي من العبارات التي تثير حساسيات شديدة في المانيا اليوم ، لانها تعيد الى الاذهان صورة الجيش النازي ، ومن قبله الجيش الالماني ، اذ جرى اعتبار هذا الجيش بمثابة مدرسة للامة بأسرها . ولا شك في ان تسمية دير شبيغل قد جاءت مخففة ومقرونة بـ « مدراء الاعمال » فحسب .

(٢٦) **المصدر نفسه** . ولقد علقت المجلة المذكورة على ذلك بقولها : « هذه الوصفة لا تنجح دوما وابدا . فالمدير العام لمصلحة الموانىء ، وهو رئيس سابق لهيئة أركان الجيش — الجنرال حاييم لاسكوف — يخوض نزاعا دائما مع عمال الموانىء الخاضعين لاشرافه وادارته . العمال يتهمون مديرهم ورئيسهم بانه يتطلب اليهم اطاعة الاوامر طاعة عسكرية عمياء ! » .

(٢٧) انظر برلموتر ، **المصدر السابق** ، ص ٧٥ .

(٢٨) راجع الدراسة التالية :
Rafael Rosenzweig and Georges Tamarin, «Israel's Power Elite» in *Transaction*, Vol. 7 / Nr. 9-10, July-August, 1970, p. 42.

(٢٩) تفيد مقالة نشرها شبطاي طبت في صحيفة هآرتس (١٩٧١/٩/١) عن عيزر وايزمان ان الجنرال السابق خلع لباس الجندية وارتدى الثياب المدنية بسرعة خاطفة ، حتى انه « صرف يوما واحد فقط في التدريب على مهنته السياسية — أي الوقت الذي احتاجه للاستقالة من منصبه كرئيس للعمليات العسكرية ... » ونعرف من تلك المقالة ان رئيس ادارة حركة حيروت يشغل بالاضافة الى منصبه الحربي وظيفة اقتصادية تتأرجح بين « شيء له علاقة بالسفن او ربما بانتاج الطائرات » .
انظر ما يلي :
TADMIT News letter (Review of Israeli Opinion), Vol. 2, No 9 (33), October 15, 1971, p. 6.

(٣٠) راجع برلموتر ، **المصدر السابق** ، ص ٧٧ .

قضية فلسطين والرواية العربية المعاصرة

فاضل عباس هادي

لم تعد أهمية الاعلام في العصر الحديث خافية على أحد وكذلك الدور الفعال الذي تمارسه وسائل الاتصال الجماهيري. وليس من الخيال القول بأن العمل الفني أو الادبي يلعب دوره في نشر الحقيقة وبالتالي المساهمة في ترويج الحس الانساني وتثبيت دعائم المجتمع البشري على أسس العدالة والمساواة . رغم ان هناك من يقول بأن الاسلوب المباشر في الاعلام أكثر فعالية من الاسلوب « الملتوي » وهو في هذه الحالة العمل الفني او الادبي المعقد والصعب على مدارك الانسان العادي . صحيح ان الادبيات السياسية منبع نستقي منه معلوماتنا عن مجريات الحياة السياسية اليومية . الا أنها قد تكون أحادية الجانب من حيث اهتمامها بالظاهرة السياسية وتركيزها عليها دون سواه . كما ان العمل الفني (اللوحة أو المنحوتة) او العمل الادبي (الشعر ، القصة ، الرواية) الذي يتناول، حسب قدرة الفنان او الكاتب وكل في مجاله، الظواهر الاجمالية او الحقيقة من أبعادها العديدة وما يمكن أن نسميه بالكلية totality يعتبر في نهاية التحليل الشهادة الكاملة على العالم المتعدد الجوانب ولظاهرة الانسان اجمالا . ان رصد الوضع الانساني من جوانبه المتعددة امتياز الابداع الحقيقي . والقضية الفلسطينية التي فرضت نفسها على العالم جزء لا يتجزأ من ظاهرة الانسان . وكل كاتب او شاعر او فنان عربي ينظر الى واقعه بمعزل عنها انما يحرم رؤياه من التكامل المنشود والرؤية المترابطة . ومن الملاحظ ان الكتاب والفنانين اخذوا يهتمون مؤخرا وبشكل واضح وأكيد ومركز بما يمكن ان نسميه « الجانب السياسي في الانسان » . وفي أوربا يعتبر بيتر فايس الكاتب المسرحي الالماني خير مثال . وفي اميركا نجد الروائية ماري ماكارثي تكتب عن فيتنام كتابا يفضح بربرية الساسة الامريكان وتضحيتهم بالانسان من أجل مثل زائفة ونورمان ميلر الراديكالي الذي نظم اكبر مسيرة احتجاج ضد الحرب الامريكية ضد الشعب الفيتنامي وأصدر كتابا مهما بعنوان « جيوش الليل » . الامثلة غفيرة ولا تحصى على مساهمة المبدعين ، ضمير الانسانية النابض الحي ، في الدفاع عن حقوق الانسان المغتصبة . فماذا قدم المبدعون العرب من مساهمة في قضيتهم الاولى . وهل يمنعهم الاستغراق الميتافيزيقي من التوجه الى اعتمالات البشر اليومية والحيف اللاحق بقطاع واسع ومهم من شعبهم العربي الفلسطيني ؟ لا نريد أن نكون من الجاحدين بمساهمات الكاتب العربي في القضية الفلسطينية الا أننا لا بد وان نشير الى ان مساهماتهم جاءت متأخرة الى حد كبير وفي المجالات الابداعية كافة من رسم ونحت وقصة وشعر .

فمن المتفق عليه ، تقريبا ، بين المهتمين بأصداء القضية الفلسطينية على الرواية العربية ان جورج حنا ، الطبيب اللبناني الماركسي كتب في سنة ١٩٥٢ اول رواية عربية عن محنة اللاجئين الفلسطينيين(١) . والرواية وهي بعنوان « لاجئة » تمتاز بالسذاجة . ونعتبرها ساذجة لعدم وجود وصف أكثر دقة يمكن ان يعطي نفس المعنى بدون ان يشير الى نية القارىء المتمعن الذكي في توجيه اصبع الادانة . والرواية على بساطتها وبساطة محتوى

التقديم الذي كتبه لها الدكتور جورج حنا تعتبر علامة مهمة على الطريق . وهي ذات نبرة ميلودرامية وعقلانية باردة في بنائها وتأثيرها . الا أنها لم تستقبل استقبال المكتشف المتعب لبقعة جغرافية جديدة وارض صالحة وجديدة للنضال من اجل العدالة الانسانية ولصالح بشر طيبين يعيشون بفزع تحت ظل الحراب . وقد تجاهل النقاد الرواية وان وجدت طريقها اللائق الى نفوس آلاف القراء العرب في كل مكان . وان لرواية « لاجئة » دورا رياديا واضحا والدور الذي لعبته ، وان كان عديم الاثر على تطور مستقبل الرواية العربية ، دور تبشيري وتعليمي نبه الروائيين العرب الى موضوع كانوا غافلين عنه وان كان تحت انوفهم .

وكان من الطبيعي ان تقطع الرواية العربية المكتوبة عن القضية الفلسطينية من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٦٧ شوطا لاهثا وبطيئا الى ان جاءت حرب الايام الستة فأحدثت في وجدان القصاصين العرب هوة لا تردم من الندم فأصبح من التقليدي جدا الحديث عن ادب ما قبل حزيران ١٩٦٧ وما بعد حزيران حيث كتبت روايات عديدة يمكن تسميتها بالروايات الحزيرانية . لقد شهدت العقلية العربية تطورا ملحوظا بعد صدمة حزيران وما صدر من اعمال فنية وأدبية خلال الفترة القصيرة التي تلت حزيران يشهد على القول السالف الذكر . وخلال أربع سنوات ونيف صدرت أعمال أدبية تضاهي في أهميتها النوعية مجمل ما صدر من سنة ١٩٥٢ حتى سنة ١٩٦٧ .

ولم يساهم الكتاب العرب بعد صدور رواية « لاجئة » في التاريخ المذكور الا مساهمة ضئيلة . فاحسان عبدالقدوس الذي كتب عشرات الكتب عن الغرام والوسادة الخالية لم يكتب الا قصة قصيرة او قصتين عن اللاجئين ومعاناتهم من الاحتلال الاسرائيلي . ويوسف السباعي ، وهو كاتب مشهور شهرة عبدالقدوس ، لم ينشر ، كما يبدو ، الا رواية واحدة(٢) تصور القضية بشكل عابر يفتقر الى المستوى الادبي الجدير والقادر على شق طريقه بجدارة الى نفوس القراء الاجانب . اما القصاصون المصريون الاخرون البارزون أمثال نجيب محفوظ ويوسف ادريس ومحمود تيمور والمسرحي — الروائي توفيق الحكيم فلم ينشروا أعمالا قصصية أو روائية من شأنها أن تعكس اهتمامهم بالقضية الفلسطينية. القسط الاكبر من الروايات والقصص التي تتناول القضية ، فنيا ، أنجزه كتاب فلسطينيون . وهذا رائع بقدر ما هو متوقع ومبرر ويبعث على الرضا والامتنان والفخر . ونخص بالذكر كلا من غسان كنفاني وسميرة عزام . أن يتصدى الكاتب الفلسطيني لقضيته ويأخذ على عاتقه حمل صليبه أمر يحمل في ثناياه ملحمية هوميروسية وبطولة هرقلية ومعاناة سيزيفية ما بعدها معاناة . وتصديه هذا رد حاسم على اللااكتراث العام والمضاربة بقضيته فيسوق السياسة وأروقة الدبلوماسية الزائفة. وليس عيبا أن تمتاز الروايات والقصص الفلسطينية بالحنين الى « الفردوس المفقود » و « الماضي الذي كان ولم يعد » ما دام الحنين حنينا ارضيا ما يزال في حيز الممكن والامكان وليس تمنيا طوباويا محضا ومجردا من الاساس المادي . ولمساهمات حليم بركات استاذ علم الاجتماع الذي رفضت الجامعة الامريكية مؤخرا تجديد عقده وقررت الاستغناء عنه مكان الصدارة في الكتابة عن القضية الفلسطينية . كما لا ينبغي ان ننسى مساهمة الناقد الادبي عيسى الناعوري في روايته القصيرة « بيت وراء الحدود » الصادرة في بيروت سنة ١٩٥٩(٣) الا ان المساهمة شيء والمساهمة الواعية شيء آخر . ولا بد ان الاولوية تسجل ليس للاعمال التي صدرت قبل غيرها من ناحية التسلسل الزمني وانما للاعمال الناضجة العميقة التي تصور وتؤثر عن وعي وبتمكن من الادوات الفنية وسيطرة عليها. فهناك الكثير من الاعمال الادبية القليلة القيمة الفنية بسبب عفويتها . وكمثل على هذا نذكر انه يكفي عقد مقارنة نقدية بين « لاجئة » لجورج حنا الصادرة سنة ١٩٥٢ وبين « عودة الطائر الى البحر » لحليم بركات الصادرة بعد سبعة عشر عاما ، ذلك لاننا

سنعتبر رواية بركات المذكورة(٤) شهادة اكثر معاصرة وعمقا وتمتاز بفن وهيمنة واضحة على حبكتها ومسار تطور احداثها وشخوصها . ولحليم بركات ، المعروف بدراساته الميدانية السوسيولوجية واهتمامه بحركة الطلبة ، مجموعة قصص قصيرة باسم « الصمت والمطر »(٥) وهي لا تخلو من القصص التي تتناول عذاب الفلسطيني وبحثه عن نفسه وسعيه للانتماء من جديد الى أرضه وتاريخه ، ورواية أخرى صدرت قبل حرب حزيران بست سنوات ومعنونة « ستة أيام »(٦) فكأنما كان يتنبأ بحرب الايام الستة قبل ست سنوات من وقوعها التراجيدي !

وبينما تصور « ستة ايام » تخلف القرية العربية واندحار العرب نتيجة هذا التخلف نرى ان « عودة الطائر الى البحر » تخرج عن نطاق القرية الى ما هو أعم وأشمل ، اي الى المدينة . ورمزي بطل الرواية المذكورة يشبه المؤلف الى حد ما . فهو شاب يحب السفر ومثقف غير متحزب ويعيش التأزم ويعاني من الانشطارات الوجدانية التي يعاني منها الكثيرون من ابناء البرجوازية الصغيرة وتأرجحهم بين ولائهم الطبقي وتطلعاتهم الى عالم دينامي وعادل في نفس الوقت . وهو ، كالعديد من المثقفين العرب ، موزع بين حبه للحرية وبين خوفه من اغتيال الحرية في المجتمعات التوتاليتارية واساءة فهمها في المجتمعات الرأسمالية الليبرالية . وهو ، مثلهم ايضا ، يعاني من عيوب المجتمع العربي وعلى قدر لا بأس به من التشخيص « ووضع الاصبع على الجرح الحقيقي » . ووجهات نظره السياسية بدون شك معادية للولايات المتحدة الامريكية ومتعاطفة مع بلدان العالم الثالث ونضال الشعب الفيتنامي . وعلاقة البطل مع باميلا الشابة الامريكية الرافضة (الهيبية) لا تعني تعاطفه مع أمريكا ، وباميلا ، كالعشرات من الامريكيين الرافضين لحضارتهم الرأسمالية ، يمكن ان تشكل نواة الثورة في امريكا او مرحلة الثورة الاولى : هدم أسس وقواعد العالم المتعفن . لقد اختارت باميلا حياة المنفى الاختياري والابتعاد عن الوطن ، وان كان اختيارها هذا يضعف من زخم الثورة ، حيث ان مهمة المثقف والانسان الواعي هي ان يناضل قدر ما يستطيع ضد قوى القهر واللاانسانية في وطنه . الا ان اختيار المنفى والترحال يمكن ان يعتبر احتجاجا سلبيا . فاذا كان المرء غير قادر على مجابهة السلطة القمعية والفاشية في وطنه فعليه على الاقل ان يغادر ذلك الوطن ليحافظ على نقائه وشرفه ويمنع ذاته من التلوث بممارسات السلطة القمعية واغراءاتها المادية .

ولقد أفلح بركات في روايته بتصوير المأساة العربية في فلسطين وخارجها واستعان بمقتطفات من الشعر والاغاني ليعزز من ثقل المادي المرهق بماديته ومباشرته برمزية الغنائي الموجز والمعبر والتقط من المفردات الموحي و« الطازج » الذي لم يلوث تماما بالاستعمال اليومي الرتيب . والرواية كما يراها بركات تعبير عن رؤيته الخاصة للواقع في حالة صيرورة دائمة لان الواقع هذا في حالة تناقض . وهو يعتقد بأن من الضروري ان نقرر الى جانب من نحن ؟ جانب الانظمة أم جانب الشعب . وعلاقته بالواقع علاقة نقدية : علاقة فعل بالواقع لا علاقة انفعال سلبي وقبول .

واذا كانت رواية بركات الاولى « القمم الخضراء » الصادرة سنة ١٩٥٦ « شبه سيرة ذاتية » فان رواية « ستة ايام » هي « سيرة المجتمع نفسه » وفيها توكيد على « ان المجتمع العربي في وضعه الحالي غير قادر على مجابهة التحديات » . اما « عودة الطائر الى البحر » فهي « وثائقية » وفيها أراد بركات « الارتفاع الى مستوى الرمز ووصل الرمز بالواقع ففيها يفقد الرمز تجريديته والواقع آنيته . انها رواية غير محايدة انها مطالبة بتغيير الواقع الحالي »(٧).

ولليلى عسيران مساهمتها الكريمة ايضا . وقد طرقت في روايتها « عصافير الفجر »(٨)

موضوعا لا بد من طرقه : الفدائيين الفلسطينيين وحياتهم وافكارهم . وابطال الرواية ثلاثة فلسطينيين ينتمون الى حركة المقاومة الفلسطينية كسبيل اوحد ومشروع لتحرير الاراضي العربية المغتصبة . فمريم تقرر الانضمام الى حركة المقاومة عقب الازمة حيث تبرز الشخصية الفلسطينية بوجه جديد بعد أن طمرتها سنوات المساومات والبلادة السياسية . اما سلمان ، شقيقها ، فيقرر ايضا ما قررته شقيقته فيغادر المانيا حيث كان يدرس . اما الشخصية الثالثة الرئيسية في الرواية فهي سهير .

و« عصافير الفجر » رواية جادة لا مجال فيها للكوميديا والاستخفاف . فقد قرر الابطال ان ينتقلوا من عالمهم الشخصي وهمومهم الذاتية ليكرسوا انفسهم لقضية جماعية مشرفة للنضال فيها مقام السبق ودرجة الاولوية . وغالبا ما تشير المؤلفة الى بيروت على انها « مدينة ملونة » لتشير ، بشكل مباشر ، الى عدم اكتراث سكانها للقضايا السياسية واستغراقهم في حضارة التبرج وتفضيلهم لقشور الحضارة الاوربية ونفورهم من القيم الروحية الاصيلة .

ومن الطبيعي ان يبحث العربي ، وقد أصيب بعصاب الفشل والتردد بعد النكسة ، عن تبرير جديد للوجود وقد وجده أبطال عسيران في ممارسة الفعل اليومي وتكريس انفسهم ونذرها نهائيا وبقداسة من اجل التحرير . فحينما يكتشف العربي بأنه كان نائما على أوهام العظمة التاريخية لا بد وان يلتفت الى الحاضر ليفتح عينيه على مواطن الوهن في كيانه ويعمل على تجديد خلاياه . وهذا ما اختاره ابطال روايتها . وما من اختيار أجمل وأصدق من اختيارهم : فما أخذ بالقوة ينبغي ان يسترد بالقوة . والمقاومة الفلسطينية اكليل غار على جبين العرب ، لقد رفعت رأسهم عاليا بين الامم ، وجعلتهم يدركون بأن العربي لم يعد ذلك الصحراوي او الريفي الساذج واجبرهم على ان يكونوا تصورا جديدا تماما عنه . انه ليس كما اوحت لهم أجواء « ألف ليلة وليلة » الخدرة . انه ساعة الحسم وترسانة من ترسانات البشرية التقدمية المسلحة بحب الحياة والقادرة على اثبات الوجود بجدارة ويقظة .

بعد هذا الاستطراد الذي قصدنا منه ان يكون تعبيرا عن لوعة و« ترنيما على قيثارة الامل » ننتقل الى غسان كنفاني أبرز الكتاب الفلسطينيين وأكبرهم شأنا . لقد عانى كنفاني ، وهو لما يزل صبيا يافعا ، من التشرد في اواخر الاربعينات بسبب الاحتلال الصهيوني وقاسى الامرين من شظف العيش واللاأستقرار . ونشأته وتنقله بين البلدان بحثا عن الخبز والكرامة والحرية نموذج ينطبق على العديد من الفلسطينيين وان كان يمتاز عن بعضهم بالوعي السياسي المقرون بالفعل والموقف المبداي وبمثابرته واصراره على ان يلتحم بقضيته بدون زوغان .

لقد كتب غسان كنفاني الذي شهد المأساة وخبر بعض فصولها عدة مجموعات من القصص القصيرة وعدة روايات منها « ما تبقى لكم » و« ام سعد » و« عائد الى حيفا »(٩) الى جانب ممارسته المستمرة للصحافة وعلاقته المباشرة بحركة المقاومة . وهو ، كما اشرنا ، من اوائل الذين كتبوا عن القضية الفلسطينية أعمالا ادبية ناضجة في محتواها وطريقة تناولها .

ومن مميزات تفكير غسان كنفاني ، الشمولية او الكلية التي اشرنا اليها في بداية مقالنا هذا . ففي ندوة عقدت في دار الفن والادب في الخامس عشر من مايو ١٩٧٢ عن الرواية والواقع(١٠) وعما اذا كان الادب تعبيرا عن الواقع ام هروبا منه الى الماضي او مجابهة الحاضر اشار كنفاني الى ان الروائي هو كل هذه المعالم مجتمعة . وأكد على ضرورة التسلح بالوعي وان الفن سلاح هدفه التغيير ، وان الفن نوعان : اما ان يكون خدمة للقيم السائدة او ثورة عليها . ومن الادلة على فكره الشمولي اعتباره الانسان كونا

مصغرا ومحركا للتاريخ . وقد أشار الى ان القضية الفلسطينية كانت محور أهتمامه منذ البداية وكان في بواكيره الكتابية يرمز لها ولا يتحدث عنها بالتفصيل او بالمباشرة ، الى ان نشر رواية « رجال في الشمس » حيث وجد في اطار القضية الفلسطينية الرمز والمسرح الانساني للبطل الذي يمثل الانسان في صراعه ضد قوى الشر والطغيان في كل مكان وان كان فلسطينيا ، جغرافيا . والانسان الفلسطيني ، بالنسبة له ، رمز للانسان وصراعه من اجل ان يكون سيد مصيره .

صحيح ان ابطال كنفاني مهزومون وصحيح ان رواياته تنتهي بهزيمة البطل . الا انها هزيمة تحمل في ثناياها بذرة المستقبل . ويشخص الكاتب سبب الهزيمة افتقار ابطاله الى الوعي ويشير الى ان الغضب وحده لا يكفي للانتصار ولا بد من اقتران الوعي بالغضب .

واذا كان الفلسطيني المغترب بالاكراه لا يستطيع العودة ، ابديا ، وجماعيا في الوقت الحاضر ، الى ارضه فلم لا يعود أفرادا . وهذا ما يفعله كل من بطلي الرواية « عائد الى حيفا » وزوجته. حيث يعبران الحدود ويواصلان طريقهما من رام الله الى بيتهما القديم في حيفا ، البيت الذي كانا يسكنانه قبل التهجير . وكانا طوال الطريق يفكران ويسترجعان الماضي فنعرف بأنهما كانا آنذاك قد ضيعا طفلا لهما وعمره عدة شهور وان اسمه خلدون . بعد ان يصلا الى بيتهما يجدان انه لم يتغير الى حد كبير وان عائلة يهودية ، بولونية الاصل ، تسكن فيه بعد ان قبلت بتبني طفل مجهول الابوين كشرط للسماح لها بسكناه .

بعد انتظار حافل بالتوتر وحديث لا يقل توترا يدخل رجل شاب يرتدي بدلة عسكرية اسرائيلية . الا انه يرفض فكرة العودة الى والديه الحقيقيين ويتمسك بيهوديته .

تثير الرواية قضية على جانب كبير من الاهمية وهي « عقدة الذنب » التي يشعر بها الاب لانه ترك وليده الصغير وهاجر بدون ان يعلم عن مصيره شيئا . واهمية موضوع « عقدة الذنب » تكمن في أن بالامكان تعميمه واعتباره حالة عامة بين الفلسطينيين العرب . الا يشعر الفلسطيني بتأنيب الضمير لانه هجر وطنه مكرها ؟ وما شعور بطلي كنفاني به نتيجة هجر خلدون الصغير الا نموذجا مصغرا ومثالا خاصا على حالة عامة ؟

بعد هذا « الجرد » السريع لاهم الروايات الفلسطينية(١١) من خلال أبرز اقطابها لا بد ان نشير الى ان الرواية الفلسطينية ما زالت ملحة ونابضة في حضورها وحيويتها . انها لم تتحول بعد الى تاريخ ، وان كان العديد منها سيتخذ طريقه الى حيث يصبح من كلاسيكيات الادب العربي وقممه البارزة . وعلينا ان لا نسمح للقضية أن تنام على رفوف التاريخ . لان بشرية المستقبل ستديننا . وعلينا ان لا نسمح لهذا ابدا . ولا يمكن ان يبرر ما نسميه « الحتمية التاريخية » التخلي و « ترك الحبل على الغارب » . فما من حتمية أكبر من اصرار الانسان . ان الانسان هو الذي يصنع التاريخ . وليس العكس . ولا بأس بأن تكون الممارسة اليومية في سبيل الوعي الهادف مقرونة بالابداع الادبي أو الفني . ولتصبح الرواية العربية شاهدا جديرا على القضية الفلسطينية ولتصور عيوب المجتمع العربي التى أدت الى اغتصاب فلسطين .

واذا كان الكتاب العرب قد ساهموا في ازاحة بعض ما تجمع من طين على الوجدان العربي وكتبوا روايات حزيرانية عديدة فلا بأس من ان نتوقع رواية « أيلولية » ، رواية واحدة فقط ، علها تكون الشهادة الكاملة على بطولة المقاومة واقدامها ومن ثم اندحارها البطولي في ايلول الاردني . ولا بأس من ان نتوقع مقدم ذلك اليوم الذي يشق الروائي الفلسطيني فيه طريقه الى قلوب القراء على جانبي الاطلسي وحتى بالاستفادة من اساليب الكتاب المتصهينين امثال آرثر كوستلر . ولا بأس من أن ننتظر كاتبا عربيا

يشتهر عالميا برواية واحدة ثم يحافظ اسمه ، وقد اقترن باسم روايته ، على شعبيته بين القراء في كل مكان ، كمـــا اقترن اسم كوستلر بروايته « ظلام في النهـــار » التي تصور الستالينية ولم يقترن بأية واحدة من رواياته التي كتبها عن شتات اليهود والصهيونية . ونحن بالانتظار !

---

١ ــ ج. ليكاسك في مقال حول الموضوع في **مجلة الشرق الاوسط** ، ١٩٧١ .

٢ ــ **أرملة من فلسطين** . القاهرة . الشركة العربية للطباعة . ١٩٥٩ .

٣ ــ منشورات عويدات . بيروت .

٤ ــ صدرت عن دار النهار للنشر ، ١٩٦٩ .

٥ ــ صدرت عن دار مجلة شعر ، ١٩٥٨ .

٦ ــ عن دار مجلة شعر أيضا ، ١٩٦١ .

٧ ــ العبارات المحصورة بين أقواس والعبارات التي سبقتها مقتطفات مما قاله بركات في ندوة عقدت في دار الفن والادب مساء الاثنين ١٩٧٢/٥/١٥ .

٨ ــ صدرت سنة ١٩٦٨ عن دار الطليعة للطباعة والنشر في بيروت .

٩ ــ صدرت الرواية الاخيرة سنة ١٩٧٠ عن دار العودة . ولكنفاني كتـــابان جديران بالقراءة : **الادب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال** وقد صدر سنة ١٩٦٨ عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، وفي **الادب الصهيوني** وقد صدر سنة ١٩٦٧ عن مركز الابحاث في منظمة التحـرير الفلسطينية (سلسلـة دراسات فلسطينية رقم ٢٢) .

١٠ ــ شارك في الندوة المشار اليها كل من حليم بركات وغسان كنفاني ويوسف حبشي الاشقر واميلي نصرالله ونور سلمان .

١١ ــ نقصد بالروايات الفلسطينية الروايات التي تتناول القضية الفلسطينية قبل حزيران وبعده ولا نقصد الروايات التي كتبها فلسطينيون . فكما هو واضح هناك العديد من الكتابات الادبية القصصية تصور جانبا معينا من القضية من تأليف عرب غير فلسطينيين .

دراسة تحليلية لدور القطاعين الخاص والعام في الاقتصاد الاسرائيلي

الدكتور يوسف شبل

الدراسة التالية حول التطور الذي طرأ على حجم القطاعين الخاص والعام في اسرائيل في العشرين سنة الماضية هي جزء من دراسة أعم وأشمل ينوي قسم الدراسات الاسرائيلية في مركز الابحاث الفلسطيني القيام بها حول بعض التحولات التي طرأت على مواقف بعض الاحزاب الاسرائيلية في الفترة التي أعقبت حرب الخامس من حزيران . وكما يلاحظ القارىء فان الدراسة اقتصادية بحتة اي انها لم تتطرق الى الجوانب السياسية المحيطة بالقطاع العام والعوامل السياسية التي تؤثر على القرارات الاقتصادية التي تتخذ اثناء توزيع عملية الموارد في هذا القطاع . لذلك فان هذه الدراسة هي جزء فقط من دراسة أشمل للموضوع المشار اليه . اما الاسلوب المتبع في البحث فيهدف الى ربط التطور الذي حصل في كل من القطاعين الخاص والعام الى الاهداف الاقتصادية وطبيعة المشاكل التي رافقت تطور الاقتصاد الاسرائيلي في العشرين سنة الماضية . وهذا الربط من خلال المؤشرات الاحصائية الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي يتيح للباحث فهم العوامل الرئيسية التي تكمن وراء ازدياد او تقلص حجم كل من القطاعين المشار اليهما على ضوء العوامل الاقتصادية البحتة او العوامل الاقتصادية التي لها علاقة مباشرة بالاستراتيجية السياسية والعسكرية لاسرائيل .

(١)

دور الدولة في النشاط الاقتصادي

بدأت الدولة تلعب دورا متزايدا في تحـريك النشاط الاقتصادي في البلدان التي يتميز نظامها الاقتصادي بملكية خاصة لوسائل الانتاج كاطار لمؤسساتها العاملة ، وعلى جهاز الاسعار كوسيلة لتوزيع الموارد الاقتصادية بين مختلف النشاطات الاقتصادية . وقد ازداد دور الدولة عن طريق ازدياد حجم الموارد المتاحة التي وضعت بتصرف القطاع العام وعن طريق استعمال وسائل السياسة المالية والسياسة النقدية للتأثير على حجم واتجاه النشاط الاقتصادي .

لقد بدأت بذور القطاع العام تنبت بعد « الكساد الكبير » الذي اجتاح الولايات المتحدة في عام ١٩٣٢ بعد ان وصل الاقتصاد الامريكي في نهاية عام ١٩٢٩ الى درجة كبيرة من البحبوحة . وعندما بدأت بوادر الانهيار في هيكل الاقتصاد الامريكي ، بدأ الشك يتسرب الى كثير من الاقتصاديين حول قدرة الاقتصاد الامريكي على خلق حالة عمالة كاملة ، وهو ما كانت تبشر به النظرية الكلاسيكية في الاقتصاد عبر قرن ونصف من الزمن . فقد سقط الاقتصاد الامريكي ضحية لظاهرة جديدة اطلق عليها فيما بعـد « الفقر وسط

الرفاه » . وكان يقصد بهذا التعبير وجود بطالة واسعة النطاق بين افراد القوى العاملة وانخفاض كبير في مستوى الانتاج الوطني رغم وجود المعامل والمؤسسات الانتاجية بوفرة كبيرة .

لقد أدى وجود هذه الظاهرة الى تفاعلات فكرية واسعة بين علماء الاقتصاد تبلورت فيما بعد بظهور النظرية الكينزية في عام ١٩٣٦ . ولكن ما هي الخطوط الرئيسية لهذه النظرية ؟ لقد جاءت النظرية الكينزية لتؤكد ان اي اقتصاد يعمل على اساس ملكية فردية لوسائل الانتاج لا يستقر بالضرورة على مستوى عمالة كاملة بل قد يحقق حالة من التوازن على مستوى أقل بكثير من ذلك المرادف للعمالة الكاملة . وكان الرأي السائد حتى ذلك التاريخ حسب مفهوم النظرية الكلاسيكية ان الاقتصاد اذا ما تركت له حرية التبادل التجاري فانه يستقر على مستوى العمالة الكاملة ، وان اي انحراف عن هذا المستوى سرعان ما يتبدد نتيجة لتفاعل عوامل العرض والطلب اثناء عملية البيع والشراء . وكانت كل ما تشترطه النظرية الكلاسيكية في هذا الصدد ان تكون الاسعار والاجور مرنة صعودا وهبوطا .

يمكن تلخيص النظرية الكينزية بالنقاط الرئيسية التالية : ١ — ان مستوى الانتاج والدخل والعمالة يقرره مستوى الاستهلاك ومستوى الاستثمار السائد في الاقتصاد . ٢ — مستوى الاستهلاك يقرره الدخل المتوفر للمستهلك والقابلية الحدية للاستهلاك وهي تشير الى النسبة التي تستهلك من كل وحدة اضافية من الدخل . ٣ — مستوى الاستثمار يقرره عاملان : الكفاءة الحدية لرأس المال ، وسعر الفائدة . ٤ — سعر الفائدة يقرره الطلب على الارصدة النقدية والكتلة النقدية المتوفرة . ٥ — ان زيادة حجم الاستثمار بمبلغ معين يؤدي الى زيادة اكبر في الدخل ، بمعنى ان زيادة حجم الاستثمار بليرة واحدة يزيد من الدخل برقم معين . وهذا الرقم تحدده القابليات الحدية لكل من الاستهلاك والادخار والاستيراد والضرائب في اقتصاد ما . وحيث ان الاقتصاد لا يستقر تقريبا على مستوى العمالة الكاملة ، فانه في حالة وجود بطالة وانخفاض في مستوى الانتاج فان القطاع العام مدعو لملء الثغرة عن طريق زيادة تثميراته الكلية لكي يعيد الى الاقتصاد نشاطه ودورة دخله الى سابق مستواها .

هذه هي الخطوط الرئيسية للنظرية الكينزية التي سادت الفكر الاقتصادي لمدة تزيد على الثلاثين عاما اذ أصبحت برنامجا يهتدي به كل نظام اقتصادي يريد الخروج من حالة الركود التي يعيشها . وعندما ظهرت اسرائيل الى الوجود في عام ١٩٤٨ كانت النظرية الكينزية في أوجها وكان أبرز الاقتصاديين مثل باتنكن ، ومايكل برونو ، ودافيد هورويتز من أشد المؤيدين للنظرية الكينزية وبالتالي كانت السياسة الاقتصادية في اسرائيل « كينزية » الاتجاه . غير ان هذا الاجماع الذي حصلت عليه النظرية الكينزية سرعان ما بدأ يتبدد في مطلع الستينات . ففي كثير من البلدان لم تؤد الزيادة في حجم الاستثمار الى زيادة في حجم الدخل كما كان متوقعا بل الى زيادة في مستوى الاسعار أدت الى حدوث تضخم مالي في أكثر من بلد . وقد جاءت هذه الظاهرة بمثابة تحد لمفاهيم النظرية الكينزية اذ وضعتها موضع الشك بالنسبة لكثير من توصياتها وصدق تحليلاتها .

انطلاقا من هذه التطورات ظهرت في الولايات المتحدة ردة فعل ضد النظرية الكينزية تزعمها اقتصادي مرموق اسمه ميلتون فريدمان وهو استاذ الاقتصاد في جامعة شيكاغو . وترتكز دعوة فريدمان على ادعاء مفاده ان الكساد الكبير الذي ضرب الاقتصاد الامريكي في أوائل الثلاثينات لم يسببه ضعف القطاع الخاص ووصوله الى حالة من التشبع ، بل يعود الى فشل السلطات الحكومية في اتباع سياسة نقدية حكيمة اذ عمدت سلطات البنك الاتحادي الى خفض كمية وسائل الدفع بما قيمته ٣٠ ٪ من مجموع النقد المتداول مما أدى الى تردي الاوضاع الاقتصادية وحدوث هبوط كبير في مستويات الدخل

والعمالة والانتاج . وقد بدأت المدرسة المشار اليها تكتسب انصارا عديدين ابتداء من منتصف الخمسينات بحيث اكتسبت الان موقعا لا ينكر في أوساط الفئة الحاكمة في الولايات المتحدة .

ولعله من المفيد ان نوجز الموقف الايديولوجي لهذه المدرسة من خلال تصورها لدور القطاع العام . وقبل ان نوجز النقاط الرئيسية نود التشديد على ان نظرة هذه المدرسة للقطاع العام هي نظرة الحكم الذي يراقب مجرى اللعبة على الساحة الاقتصادية دون أن يتدخل مباشرة في عملية توزيع الموارد باستثناء المشاريع التي لا يقدم القطاع الخاص عليها بسبب الصعوبة في تحديد وتنفيذ الملكية الخاصة والتي تتميز « بوفورات خارجية » Externalities لا يستطيع القطاع الخاص جبايتها .

ان القطاع العام المثالي في نظر هذه المدرسة هو الذي يعمل ضمن الخطوط التالية : ١ ــ تنفيذ التشريعات التي تكفل حرية المنافسة . ٢ ــ تمكين القطاع الخاص من ممارسة عملياته الانتاجية والاستهلاكية دون اي عائق . ٣ ــ الغاء كافة القيود على مستوى الاجور والاسعار والفائدة وجعل قانون العرض والطلب الاساس في عملية توزيع الموارد . ٤ ــ اطلاق حرية الاستيراد والتصدير والغاء القيود الكمية على الاستيراد . ٥ ــ الاتجاه نحو التخفيض في انتاج السلع المختلفة وعدم اعطاء اي دعم لسلعة دون غيرها لان ذلك يزيد في عملية تشويش الموارد .

ان أيا من هذه الشروط غير متوفر بالنسبة للقطاع العام في اسرائيل . فالقطاع المذكور يتدخل تدخلا مباشرا في عملية توزيع الموارد دون ان يترك زمام المبادرة للقطاع الخاص او للمستهلك ان يقرر نوع وحجم السلع التي ستنتج . ويرجع السبب في وجود هذه الظاهرة الى ترابط الوضع السياسي والعسكري مع الاهداف الاقتصادية التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها . ولكي تستطيع اسرائيل تنفيذ اهدافها السياسية في البقاء في المنطقة وترسيخ جذورها عن طريق استقدام المزيد من المهاجرين اليهود ، وكذلك تنفيذ أهدافها العسكرية عن طريق وجود جيش حديث مسلح بأحدث المعدات فانه لا بد من ان تلعب الدولة من خلال القطاع العام الدور الاساسي والاكثر اهمية في عملية توزيع الموارد الاقتصادية . وفي مثل هذه الظروف لا يمكن أن تترك السلطات الاسرائيلية للمستهلك أن يقرر نوع وحجم السلع والخدمات المنتجة كما هو الحال في معظم البلدان التي تعتمد الملكية الخاصة لوسائل الأنتاج اساسا لنظامها الاقتصادي . ويمكن القول بالنسبة لاسرائيل ان وجود القطاع العام سواء نظرنا اليه من خلال الوكالة اليهودية او الحكومة الاسرائيلية هو **سابق** لوجود القطاع الخاص بالاضافة الى انه كان ولا يزال يرسم الدور والمدى الذي يمكن ان يتحدد او يتقلص من خلالهما القطاع الخاص .

ان هذا التحليل لدور وأهمية القطاع العام لا يعني على الاطلاق حدوث تغييرات أساسية في هيكل الاقتصاد الاسرائيلي في العقدين الاخيرين ووضع المزيد من الموارد الاقتصادية في متناول القطاع الخاص خصوصا في القطاع الصناعي ، الا ان القطاع العام ، كما سنرى لاحقا ، ظل ممسكا بالخيوط الاساسية لعملية التحول هذه من خلال المساعدات والاعفاءات وغيرها من الاجراءات المؤسسية التي ظلت تكفل للقطاع العام مراقبة اعمال القطاع الخاص للتأكد من ان القطاعين يعملان لتحقيق الاهداف الرئيسية الاقتصادية . ويمكن تلخيص هذه الاهداف بما يلي: تحقيق معدل مرتفع للنمو الاقتصادي سنويا ، التأكد من عدم حدوث زيادة في مستوى الاسعار تفوق الزيادة في مجمل الناتج الوطني حتى لا يسلب التضخم المالي المكاسب الانتاجية ، وأخيرا تحقيق حد أدنى من « الاستقلال الاقتصادي » عن طريق تخفيف الاعتماد على المصادر الخارجية للتمويل وهذا يعني تحسين وضع الميزان التجاري عن طريق سد الثغرة بين الصادرات

والواردات . وقد حاولت اسرائيل دوما ايجاد موقع لها في الاسواق العالمية بسبب اغلاق الاسواق العربية في وجهها .

يقول هورويتز في معرض التحدث عن توزع الناتج القومي الاسرائيلي بين القطاعين العام والخاص ، ان « العلاقة بين القطاعين تكون في بعض الاحيان علاقة تعاون وفي بعض الاحيان متضاربة انما دائما في حالة تنافس »(١). ويقول ايضا ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية في اسرائيل هي التي أملت وجود قطاعين كبيرين يتقاسمان تقريبا الناتج الوطني . اما التنافس فيشير الى محاولة كل قطاع اجتذاب احسن الموارد البشرية كفاءة وهذا يعتمد على عوامل عديدة منها مستوى الاجور والمنافع الاخرى المرتبطة به مثل الخدمات الطبية والتعليمية والضمان الاجتماعي وغيرها . هذا من جانب العرض اما جانب الطلب فيدخل فيه عوامل عديدة أخرى بعضها متعلق بالانتاجية والبعض الاخر لا علاقة له بها .

ومن الامور المهمة التي يوضحها « ايزنستاد » عن علاقة القطاع العام والقطاع الخاص هو الجانب المتعلق بنوع الحوافز التي تكمن وراء عملية توزيع الموارد الاقتصادية المتاحة لكل قطاع(٢). فمثلا تعتبر العوامل الاقتصادية أهم الحوافز التي تملي قرارات القطاع الخاص على اعتبار ان تحقيق أكبر قدر ممكن من الارباح هو هدف المنتج الذي يعمل في هذا القطاع . وتحقيق هذا الهدف يأتي عن طريق خفض الاكلاف في عملية الانتاج وزيادة العائدات ومثل هذا الامر يتطلب الاسترشاد بالمبادىء الاقتصادية دون غيرها في عملية توظيف عوامل الانتاج وفي عملية التسويق اذا ارادت مؤسسات القطاع الخاص ان تزدهر وتعيش .

اما القطاع العام فانه يأخذ الى جانب عوامل الكفاءة الاقتصادية ، عدة عوامل سياسية واجتماعية في اتخاذ قراراته المتعلقة بعملية توزيع الموارد . فهو بطبيعة تكوينه أقل تأثرا بعوامل المنافسة نظرا لان مشاريعه لا تهدف الى تحقيق الارباح بقدر ما تهدف الى توفير السلع والخدمات الاقتصادية والاجتماعية الضرورية لعملية النمو الاقتصادية . وتدل الدراسات الاختبارية على ان توظيف اليد العاملة في القطاع العام تدخل فيه عوامل شخصية مثل الاتجاه السياسي والوساطات والعوامل العرقية وغيرها . وقبل ان نشرح الاسباب التي تكمن وراء مثل هذا السلوك على ضوء مبادىء النظرية الاقتصادية نورد ما ذكره « ايزنستاد » في كتابه حول العوامل السياسية والاقتصادية التي تتحكم بنوع القرارات المتخذة في كل قطاع . يقول المؤلف : « ... هنالك فروقات اساسية بين التنظيمات الاقتصادية لكل قطاع . ففي الحكومة والهستدروت هنالك تأكيد كبير على السيطرة السياسية والاعتبارات السياسية الداخلية في حين ان هذه العوامل في القطاع الخاص لها دور اقل شأنا . وفي هذا المجال هنالك فروقات بين الحكومة والهستدروت حيث تعتمد الاخيرة **أكثر** على الرقابة السياسية في الداخل منها على الاعتبارات الاقتصادية . لذلك فان طبيعة التوجه السياسي في الهستدروت تحجب عوامل الربح الاقتصادي لصالح الاعتبارات السياسية الداخلية والخارجية . على ان اتساع نشاط الهستدروت له جانب آخر ، فمع تطور وظهور المشاريع العديدة اصبح المدراء المسؤولون يميلون الى تحقيق استقلال ذاتي والى دفع مصالحهم الشخصية تحت ستار استقلال الدعم السياسي الذي توفره الهستدروت »(٣).

١ — David Horowitz, *The Economics of Israel* (London: Pergamon Press, 1967) p. 39.

٢ — S. N. Eisenstadt, *Israeli Society* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1967), p. 104-105.

٣ — *Ibid.*, p. 104

وفي هذا الصدد نورد التحليل التالي الذي أوردته النظرية الاقتصادية عن الاسباب التي تكمن وراء اختلاف سلوك مدراء القطاع العام عن مدراء القطاع الخاص . وهذا التحليل يمكن تطبيقه على اي مستوى من مستويات اتخاذ القرارات في اي مؤسسة : يمكن القول بأن عامل **الربح** هو العامل الاساسي وراء القرارات التي يتخذها مدير ما في القطاع الخاص ، أي انه يحاول زيادة العائدات وتخفيض النفقات لكي يحقق اكبر فرق ممكن بهدف تضخيم ارباحه . وهو في سبيل تحقيق ذلك لا يسترشد بسوى العوامل الاقتصادية البحتة في توظيفه لليد العاملة وشرائه المواد الاولية والمعدات الانتاجية . اما في القطاع العام فان المدير يهدف عادة الى **تعظيم المنفعة** اي مجموعة العوامل المادية وغير المادية . فالى جانب الارباح يولي المدير أهمية خاصة لموضوع السلطة الشخصية، والنفوذ ، والعلاقات الشخصية نظراً لان كفاءته كمدير لا تقاس فقط بما يحققه من أرباح . لذلك نشاهد في معظم الاحيان وجود عناصر من القوى العاملة والوظيفية على قدر ضئيل من الكفاءة يتسلمون مراكز حساسة في الشركات والمؤسسات التي تدار من القطاع العام في ظل اقتصاد مختلط . والمدير في القطاع العام يمارس « عملية استبدال» مستمرة بين العوامل المادية والعوامل غير المادية بشكل يوفر له اقصى منفعة ممكنة . وكلما اشتدت أجواء المنافسة مع شركات أخرى كلما كان الاخذ بالعوامل غير المادية **أكثر تكلفة** . فمثلا نجد الشركات التي تتمتع بوضع احتكاري تحت رقابة الدولة مثل شركات الكهرباء والمياه وبعض السلع الحيوية لا تتقيد كثيرا في قراراتها بالنسبة لمفهوم الكفاءة الاقتصادية نظرا لان هدف الشركة هو تغطية الاكلاف الرئيسية دون محاولة تحقيق أكبر قدر ممكن من الارباح . من هنا نجد ان الجهات المسؤولة عن هذا النوع من المشاريع تقوم بتوظيف اليد العاملة على ضوء عدد من العوامل الى جانب عامل الكفاءة منها الاتجاه السياسي واللون والدين وغيرها من العوامل الاجتماعية والسياسية التي لا ترتبط بمفهوم الكفاءة الاقتصادية . ويمكن تعريف الكفاءة الاقتصادية في الانتاج على انها تهدف الى الحصول على **أقصى انتاجية ممكنة** من عوامل الانتاج المتوفرة ، او **تخفيض** كلفة الانتاج المرادفة الى حجم معين من الانتاج .

وقد أثبتت الدراسات الاختبارية حول هذا الموضوع في قطاع الشركات في الولايات المتحدة ان التمييز العنصري والديني والسياسي في توظيف اليد العاملة موجود في الشركات الاحتكارية سواء التي تعمل في ظل القطاع العام او الخاص بينما هو يكاد يكون معدوما في الشركات التي تعمل في ظل منافسة قوية . فالمدير الذي يريد ان يشبع منفعته الشخصية عن طريق توظيف أولئك الذين يدينون بمذهب سياسي او ايديولوجي او عرقي او حتى ديني معين سيجد ان تحقيق هذه الاشياء لها كلفة اقتصادية قد تؤدي الى خسارة المؤسسة التي يديرها . وتزداد قيمة هذه الكلفة كلما ازدادت حدة المنافسة بين المؤسسات التي تنتج سلعا متماثلة .

(٢)

الفرضية ومنهج البحث

القصد من دراسة دور القطاع الخاص والدور الذي لعبه في تحقيق المنجزات الاقتصادية في اسرائيل هو معرفة الاثر الذي تركه على التركيب البنيوي للاقتصاد الاسرائيلي من ناحية توطئة لمعرفة الاثر الذي تركه على تركيب وايديولوجية الاحزاب الاسرائيلية وتحولها في الفترة الاخيرة نحو مواقف سياسية تتسم بشيء من اليمينية . ويمكن الاسترشاد بمؤشرات عديدة لمعرفة حجم القطاع الخاص ونسبة مساهمته في النشاط الاقتصادي . والى جانب المؤشرات لا بد من سرد أهم القوانين التي صدرت بهدف زيادة دور القطاع الخاص . وتهدف هذه التشريعات الى خلق جو اكثر ملاءمة مما يسهل توسيع نشاط القطاع المذكور . وتشمل هذه التشريعات عادة تسهيلات اجرائية ،

واعفاءات جمركية واعطاء منح مالية مباشرة ، واتباع سياسة دعم الاسعار بالنسبة لبعض السلع حتى يمكن انتاجها بكميات وافرة وبأكلاف منخفضة . والهدف من وراء جميع هذه الاجراءات هو التأثير على عملية توزيع الموارد في الاقتصاد الاسرائيلي بحيث تتجه صوب القطاع او القطاعات التي تريد الحكومة تشجيعها لتحقيق هدف اقتصادي معين . وتلعب المساعدات الحكومية دورا هاما في جعل بعض المشاريع ممكنة التنفيذ من الوجهة الاقتصادية نظرا لصغر السوق المحلي وندرة عوامل الانتاج في اسرائيل .

لذلك فاننا سنسترشد بالمؤشرات التالية لمعرفة الحجم النسبي للقطاع الخاص : أ ـ التغيير الهيكلي الذي طرأ على الاقتصاد الاسرائيلي من خلال تفحص نسبة مساهمة كل قطاع الى مجمل الناتج الوطني في العشرين سنة الاخيرة . ب ـ نسبة الاجور والرواتب الى مجمل البند المذكور ، اي الدخل القومي بالمقارنة الى عوائد عوامل الانتاج الاخرى وتوزع القوى العاملة في اسرائيل بين مختلف القطاعات. ج ـ نسبة حجم رأس المال المستثمر في القطاع الخاص الى حجم الاستثمارات الكلية في الاقتصاد الاسرائيلي . د ـ التغير النوعي الذي طرأ على نوع الاستثمار واتجاهه اكثر فأكثر صوب الاستثمارات الانتاجية المباشرة بدلا من صرفها على ما يسمى بالتجهيزات الفوقية Infrastructure هـ ـ الملامح الرئيسية لما ستكون عليه السياسة الاقتصادية في السنوات العشر القادمة . ومثل هذا الاستطلاع مفيد لمعرفة التوزيع المرتقب لعوامل الانتاج في اسرائيل. و ـ توزع القوى العاملة في اسرائيل بين مختلف قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي والتغيير النسبي الذي طرأ على نمط التوزيع . وفي هذا المجال يمكن ربط حجم القوى العاملة في كل قطاع على حدة الى القيمة المضافة Value Added لكل قطاع ، اي مساهمة كل قطاع في حجم الناتج الوطني . ز ـ نسبة الميزانية العامة للدولة بشقيها **العادي والانمائي** الى مجمل الناتج الوطني والموارد المتاحة للاقتصاد الاسرائيلي في العشرين سنة الماضية مع ملاحظة اي تغير طرأ على ابواب الميزانية .

ان اي تغيير قد طرأ على حجم كل من القطاع الخاص والقطاع العام في اسرائيل في العشرين سنة الاخيرة لا بد وانه قد انعكس من خلال بعض او جميع المؤشرات المشار اليها وان كان من الصعب احيانا رسم خط فاصل بين القطاعين . فهنالك عدد من المشاريع المختلطة بين القطاعين التي ساهم بها رأس المال الخاص بالمؤازرة مع اموال الدولة وخصوصا في قطاع الصناعة والنقل . كما ان هنالك حالات عديدة قام فيها القطاع الخاص باستثمار الموارد المتاحة له بتشجيع من القطاع العام . وهذا التشجيع قد يأخذ اشكالا متعددة منها الاعفاءات الجمركية والحسومات الضرائبية والمساعدات النقدية المباشرة وغيرها من اشكال المساعدات . لذلك فان المؤشرات المعتمدة في هذه الحالة لا تعكس الوضع الدقيق لحجم كل من القطاعين . ولا نبالغ اذا قلنا ان حجم القطاع الخاص ظل في الحدود التي رسمتها الدولة له ، وان ازدياد الموارد الاقتصادية التي اصبحت في حوزته هو نتاج مباشر للسياسة الاقتصادية التي رسمتها الدولة في مطلع الستينات والتي كانت تهدف الى دفع عجلة التصنيع وخلق حوافز انتاجية في القطاع المذكور .

بالاضافة الى تحليل المؤشرات السالفة الذكر لا بد من دراسة التطورات الهيكلية المرتقبة للاقتصاد الاسرائيلي خلال فترة السبعينات حتى نهاية العقد الحالي في عام ١٩٨٠ . اذ ان مثل هذا التحليل يكشف لنا الطريقة التي ستتوزع فيها الموارد الاقتصادية في اسرائيل مستقبلا . ولا بد من تأكيد الحقيقة العلمية التالية : ان الاهداف الاقتصادية والسياسية والعسكرية التي رسمتها اسرائيل لنفسها داخل البلاد وفي المنطقة لا يمكن تنفيذها دون تآزر القطاعين الخاص والعام سواء نظرنا اليها من حيث حجم الموارد التي يجب ان تتوافر او من حيث المستوى التكنولوجي والتقني المطلوب على مستوى اليد

العاملة لجعل تنفيذ هذه الاهداف ممكنا .
وبما ان الاهـداف السياسية والعسكرية تحتل المرتبة الاولى من حيث اهميتها نظرا لارتباطها بوجود اسرائيل نفسه فان الاهداف الاقتصادية المرسومة تصبح جزءا لا يتجزأ من استراتيجية اسرائيل الشاملة في المنطقة التي تقوم الحكومة الاسرائيلية بتنفيذها . من هنا فان الدور المرسوم للقطاع العام يجمع بين المشاركة والمراقبة في عملية مسح وتوزيع موارد اسرائيل المتاحة من مصادر داخلية وخارجية بين مختلف النشاطات الاقتصادية .
هنالك أربعة اهداف اقتصادية رئيسية ثابرت عليها الحكومة الاسرائيلية في العقدين الاخيرين وان كان الاهتمام ينصب على هدف اكثر من غيره في فترات زمنية مختلفة . وهذه الاهداف هي : **اولا** : تحقيق معدل النمو الاقتصادي في حدود ١٠٪ سنويا بالاسعار الثابتة . اي ان الزيادة **الحقيقية** في مستوى الناتج الوطني تساوي ١٠٪ بينما الزيادة النقدية تفوق ذلك والفرق بين الاثنين يمثل الارتفاع في مستوى الاسعار العام . **ثانيا** : استيعاب كافة المهاجرين وتوفير فرص العمل لهم حسب كفاءاتهم وقدراتهم الانتاجية . **ثالثا** : تحقيق اكبر قدر ممكن من الاستقلال الاقتصادي ، وهو ما اصطلح البعض على تسميته « بالاكتفاء الذاتي » . ورغم انه من الصعب علميا تحديد ماهية « الاكتفاء الذاتي » نظرا لارتفاع مستوى المعيشة ورغبة الجمهور في الحصول على المزيد من السلع الاستهلاكية والانتاجية ، فان اسرائيل كانت تضع مقاييس معينة للوصول الى هذا الهدف مثل اعتماد نسبة معينة في الصادرات الى الواردات او تحديد العجز في الميزان التجاري بمبلغ معين . **رابعا** : تقديم خدمات عامة على نطاق واسع لجميع المواطنين .
الى جانب هذه الاهداف كانت السلطات الاسرائيلية تحاول دوما منع مستوى الاسعار من الازدياد بنسبة تفوق الزيادة في الناتج الوطني ، كما انها كانت تحاول دوما تعزيز القدرة التنافسية للسلع الاسرائيلية في الاسواق العالمية . لذلك فان اي دراسة تحليلية لدور كل من القطاعين الخاص والعام في اسرائيل لا يمكن فصلها عن الاهداف الاقتصادية . فهذه القطاعات هي الاطار المؤسسي الذي تعمل من خلاله وسائل الانتاج المختلفة في اسرائيل .

(٣)
استعراض تاريخي للاقتصاد الاسرائيلي

من أجل الالمام بكافة التطورات الاقتصادية التي مر بها الاقتصاد الاسرائيلي في العشرين سنة الاخيرة وبالتالي تحديد الدور الذي لعبه كل من القطاع الخاص والقطاع العام ، فانه من الضروري أن نستعرض الفترات الرئيسية التي مر بها الاقتصاد المذكور ونوع المشاكل التي واجهها ودور كل قطاع في حل هذه المشكلات . وان المتتبع لسير الاقتصاد الاسرائيلي على ضوء اهدافه ، وامكانياته ومشاكله يمكن ان يقسم الفترة التي مضت من عمره الى خمس فترات رئيسية هي على الوجه التالي : ١ ــ فترة التقشف الاقتصادي ما بين عامي ١٩٤٨ ــ ١٩٥٢ . ٢ ــ فترة النمو السريع ما بين عامي ١٩٥٣ ــ ١٩٥٩ . ٣ ــ فترة الاندماج في الاسواق العالمية وتوجيه مزيد من الموارد صوب القطاع الصناعي خلال الفترة ما بين ١٩٦٠ ــ ١٩٦٤ . ٤ ــ فترة الركود الاقتصادي ما بين ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧ حيث ظهرت مشاكل البطالة . ٥ ــ فترة ما بعد الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ ، وهي فترة تميزت بنمو سريع لقطاع الدفاع والتسلح اذ وصلت اعتمادات وزارة الدفاع الى ارقام قياسية لم تبلغها من قبل حيث بلغت حوالي ٢٥٪ من مجمل الناتج القومي .
وخلال هذه الفترات المتعاقبة كان دور القطاع العام يتحدد وينكمش تبعا للظروف

السياسية والاقتصادية داخل اسرائيل وفي المنطقة بأسرها . وسيلاحظ القارىء من خلال تفحص دور القطاعين الخاص والعام لكل مرحلة زمنية من المراحل الخمس ان دور كل قطاع كان يتحدد على ضوء الاهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية لكل مرحلة . وقد اثبت الاقتصاد الاسرائيلي قدرته على التكيف من خلال المؤسسات السياسية والاقتصادية القائمة لمواجهة كافة المشاكل الطارئة التي واجهها وهي ميزة قل ان يشاهدها المراقب في البلدان النامية وفي حالات نادرة في البلدان المتقدمة اقتصاديا . ولا شك ان طبيعة نشأة الاقتصاد الاسرائيلي قد ساهمت الى حد بعيد في خلق هذا التكيف بالاضافة الى استعداد المواطن الاسرائيلي لتقبل التغيير اذا كان في مصلحة الاهداف التي يعمل من أجلها . وقبل ان نستوفي كل مرحلة نورد الجدول التالي الذي يبين نسبة الميزانية العامة للدولة الى مجمل الناتج الوطني بالاسعار الجارية خلال الفترة ١٩٤٩ — ١٩٧٠ .

حجم الميزانية للناتج الوطني

(١٩٤٩ — ١٩٧٠)

السنة المالية	الناتج الوطني (الاسعار الجارية) (مليون)	الميزانيةبالاسعارالجارية (مليون)	النسبةالمئوية
١٩٤٩/٥٠	٤٧٥	٩٤	١٩،٨
١٩٥٠/٥١	٦٩٠	١٤٩	٢١،٦
١٩٥١/٥٢	١٠٦٣	٢٠٩	١٩،٧
١٩٥٢/٥٣	١٣٤٩	٢٨٧	٢١،٣
١٩٥٣/٥٤	١٨٢٩	٣٩٦	٢١،٧
١٩٥٤/٥٥	٢١١٤	٦٣٥	٣٠،٠
١٩٥٥/٥٦	٢٥٤٣	٨١٦	٣٢،٠
١٩٥٦/٥٧	٣١٠٣	١٠٤٩	٣٣،٨
١٩٥٧/٥٨	٣٥٣٠	١١٣٢	٣٢،١
١٩٥٨/٥٩	٣٩٥٤	١٢٩٨	٣٢،٨
١٩٥٩/٦٠	٤٥٦٥	١٥١٤	٣٣،٢
١٩٦٠/٦١	٥٤٧٩	١٧٢٨	٣١،٥
١٩٦١/٦٢	٦٥٨٦	٢٢٧١	٣٤،٤
١٩٦٢/٦٣	٧٩٥٥	٢٤٧٦	٣١،١
١٩٦٣/٦٤	٩٢٥٢	٣٦١٣	٣٣،٦
١٩٦٤/٦٥	١٠٩٣٣	٣٦٧٦	٣٣،٦
١٩٦٥/٦٦	١١٨٦٣	٤٣٩٧	٣٧،٠
١٩٦٦/٦٧	١١٩٣٤	٤٨٥٥	٤٠،٨
١٩٦٧/٦٨	١٢١٢٧	٦٥١٦	٥٣،٧
١٩٦٨/٦٩	١٤٢٩٣	٦٣٦٢	٤٤،٥
١٩٦٩/٧٠	١٦٤٢١	٧٨٥٠	٤٧،٨

Source : ***Statistical Bulletin*** and ***Quarterly Economic Review Annual Supplement, 1971.***

ان تصنيف التاريخ الاقتصادي لاسرائيل حسب المراحل المشار اليها يرتبط الى حد بعيد بالاهداف الاقتصادية للاقتصاد الاسرائيلي من ناحية وبباقي الاهداف السياسية

والعسكرية والاجتماعية التي قامت على اساسها اسرائيل والتي سعت الى تحقيقها في العشرين سنة الماضية . كما انها تعكس مدى ارتباط الاقتصاد الاسرائيلي بمصادر المعونة الخارجية ومصادر التسويق في كل من اوروبا وافريقية والولايات المتحدة . ويلاحظ في تصنيف المراحل على الشكل الذي اوردناه ان كل مرحلة تمثل اما تحولا اساسيا في طبيعة الاهداف الاقتصادية التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها او نتيجة لعوامل سياسية وعسكرية أملت عملية التحويل فيما بعد .

وهنا لا بد من ايضاح نقطة هامة وهي ان هذا التصنيف هو الاكثر فائدة فيما يتعلق بالموضوع الذي نحن في صدده وهو الحجم النسبي لكل من القطاعين العام والخاص والدور القيادي الذي لعبه كل قطاع ، في حين ان هذا التصنيف قد لا يكون الاكثر فائدة لو كان الموضوع المطروح على بساط البحث غير الموضوع الذي نحن في صدده . فالموضوع الذي نعالجه له صفة « مرقبية » macro-nature بمعنى انه مرتبط الى حد بعيد بالمؤشرات الرئيسية للاقتصاد الاسرائيلي كمستوى العمالة والنمو الاقتصادي وحجم المساعدات الخارجية ، واستقراء هذه المؤشرات يتطلب تقسيم الفترة الزمنية موضع الدراسة الى مراحل متعددة حتى يمكن ربط التطورات بطريقة منطقية وسلسة. ان الملاحظة التي يستطيع ان يكونها الباحث من استعراض المراحل المختلفة هو ان اسرائيل كانت تمارس عملية مبادلة مستمرة بين جملة اهدافها الاقتصادية عن طريق التركيز على هدف اكثر من غيره ولكن دون ان تسقط من حسابها أيا من الاهداف الرئيسية التي رسمتها لنفسها منذ ظهور اسرائيل . كما انه يلاحظ ان القطاع العام رغم التقلص النسبي في بعض الفترات في حجم الموارد المتوفرة له ظل يلعب الدور الرئيسي من حيث تصميم السياسة الاقتصادية ورسم معالمها الاساسية . وهذه الظاهرة عكس ما نشاهده في اقتصاديات البلدان النامية التي تتميز بملكية خاصة لوسائل الانتاج . ففي معظم هذه البلدان يقوم القطاع الخاص بدور الرائد والمرشد في عملية توزيع الموارد الاقتصادية بين مختلف النشاطات في حين يقوم القطاع العام بدور المساندة والتشجيع واحيانا في التثمير المباشر غير ان المنحى الرئيسي يظل يتقرر بواسطة القطاع الخاص . اما في اسرائيل فان طبيعة تكوينها ونشأتها والظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية التي رافقت انشاء الدولة وكذلك الاهداف البعيدة للحركة الصهيونية كل هذه العوامل اعطت القطاع العام وزنا وثقلا سواء في عملية توزيع الموارد او في رسم معالم الاقتصاد الاسرائيلي لم يتوفر لاي قطاع عام في أي بلد اخر .

ولا بد من ايضاح نقطة اخرى وهي ان القطاع العام في اسرائيل قد يمتد ليشمل السلطات المحلية والبلديات والهستدروت وقد يتقلص لكي يقتصر على الحكومة المركزية واجهزتها التنفيذية خصوصا التي تتمثل بالميزانية العامة للدولة بشقيها العادي والانمائي . ولقد آثرنا ان نعرف القطاع العام بنطاقه الضيق في هذه الدراسة نظرا لان مثل هذا التعريف يأخذ بعين الاعتبار ان الجهة التي تتخذ قرارات توظيف الموارد وتوزيعها بين مختلف قطاعات الاقتصاد تتركز في اجهزة الحكومة المركزية والتي تعمل بوحي سياسة محددة في حين ان تعريف القطاع العام بشكل موسع يزيد من عدد العوامل المتغيرة وبالتالي يصعب على الباحث ربط الاحداث والتطورات بطريقة منطقية . وعلى اي حال فان الجزء الرئيسي من الموارد العامة هو في متناول وحوزة الحكومة المركزية لذلك فان استثناء البلديات والسلطات المحلية لن يغير من النتائج التي توصلت اليها الدراسة .

وفيما يلي عرض لكل من المراحل الخمس وحجم كل من القطاعين اثناء كل مرحلة على ضوء الاهداف والمشاكل والتحديات التي واجهت كل مرحلة على حدة .

فترة التقشف الاقتصادي ١٩٤٨ — ١٩٥٢

لعب القطاع العام في اسرائيل دورا رئيسيا في تحريك وتحديد مستوى ونـوع النشاط الاقتصادي في اسرائيل خلال فترة التقشف الاقتصادي ما بـين عام ١٩٤٨ و ١٩٥٢ . فقد تميزت تلك الفترة بتدفق عدد هائل من المهاجرين الى اسرائيل بعد توقيع اتفاقيات الهدنة بين الدول العربية واسرائيل في نهاية عام ١٩٤٨ ومطلع عام ١٩٤٩ . وكان على القطاع العام ان يوفر المأكل والمسكن والعمل لهؤلاء المهاجرين الذين وفدوا من بلـدان مختلفة والذين كانت مهاراتهم الفردية في العمل تتفاوت بدرجة كبيرة . ولم يكن امتصاص المهاجرين الجدد العمل الاساسي الوحيد للقطاع العام . فقد كان عليه ايجاد المؤسسات التي سيرتكز عليها النظام الاقتصادي في اسرائيل وتشمل المؤسسات المالية والنقديـة والقطع الاجنبي . وبما ان معظـم المهاجرين لم يكونوا في حالـة مادية حسنة فقد وقع عبء ايجاد الطعام والمأوى لهم لحين عثورهم على عمل . وقد اضطـرت الحكومة الى تقنين الاغذية الضرورية والعملات الاجنبية . وكان القصد من ذلك توفير حد أدنى من الاستهلاك لكـافة السكان . أمـا الوظيفة الثانية التي قام بها القطاع العام فهي توفير الاستثمارات الضرورية لامتصاص اعداد المهاجرين . وقد تركز معظم الاستثمار في تلك الحقبة من الزمن في توسيـع المستوطنـات الزراعية ومرافق الاسكـان . وكـانت المستوطنات الزراعية تشكل المجال الحيوي لامتصاص المهاجرين نظرا لتوفر الاراضي الزراعية التي تخص النازحين العرب وضرورة التوسـع في الانتاج الزراعي لاطعـام المهاجرين واخيرا الرغبة في خلق ترابط وثيق بين المستوطنين والارض الزراعية .

وخلاصة القول فان نوع المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وحدتها أدى الى تدخل القطاع العام على نطاق واسع . ويقول باتنكن ان القطاع العام قام بتنفيـذ الدور المرسوم له على مستويات عديدة منها المساهمة في عملية الانماء مباشرة عن طريـق التثميرات في بناء الطرق والري وغيرها من المشاريع وكذلك في اعطاء معونات مباشرة وغير مباشرة الى القطاع الخاص بحيث وصلت الى ذروتها في عام ١٩٥٤ حين بلغت ٨٠٪ من مجموع الاستثمار الكلي(٤). ويقول « ايزنستاد » ان ظهور اسرائيل قد اوجد قطاعا عاما يختلف تماما عما كـان عليه الوضـع في فترة الانتداب . فالاهـداف الاقتصادية والسياسية لاسرائيل تختلف تماما عن اهداف وسياسة حكومة الانتداب حيث لم يكن للقطاع العام سوى دور ثانوي صغير . ويمكن تقسيم القطاع العام حسب رأي ايزنستاد الى الاقسام الرئيسية التالية : أ — المشاريع التي أوجدت لخدمة الحكومة نفسها . ب — المشاريع التي تهدف الى ايجاد الخدمات الاقتصادية في البلاد والى ادارة ممتلكـات الغائبين من العرب . وهذه المشاريع لهـا ميزانيات مستقلة تمامـا عن الميزانية العامة للدولة . ج — التعاونيات الحكومية التي تعمل كشركات حكومية مستقلة حيث تملـك الحكومة جزءا من اسهمها . د — الهيئات الاخـرى المستقلة كالمؤسسة العامة للتأمين وادارة الموانىء والمطارات وغيرها .

وفي عام ١٩٦٠ مثلا بلغ عدد الموظفين في القطاع الحكومي حوالي ٥٨،٠٠٠ وهو يوازي ٨٪ من مجموع القوى العاملة . ولا يدخل في هذا الرقم العمال المؤقتون وعمال البلدية والقوات المسلحة .

ان الدور المتزايد للقطاع العام في عملية توزيع الموارد الاقتصادية في الاقتصاد الاسرائيلي جاء نتيجة لوجود مشاكل رئيسية يمكن تلخيصها بمـا يلي : **اولا** : امتصاص المهاجرين القادمين من بلدان مختلفة وبدرجات متفاوتة من المهارات المكتسبـة ، وايجـاد فرص

---

٤ — Don Patinkin, *The Israeli Economy: The First Decade* (Jerusalem: Falk Project Publications, 1960), p. 85.

عمل لهم مع توفير الخدمات الاجتماعية من صحية وتعليمية وغيرها . **ثانيا** : محاولة تحقيق نوع من الاستقلال الاقتصادي بغية تحقيق الاعتماد على مصادر التمويل الخارجية . على انه يمكن القول بأن هذه المشكلة لم تكن في نفس المدة التي اصبحت عليها الان . **ثالثا** : احداث تغيير تكنولوجي في قاعدة الاقتصاد الاسرائيلي يمهد لعملية الانطلاق نحو نمو اقتصادي سريع . وهذا الدور يخصص عادة للقطاع العام نظرا لان هنالك عددا من المشاريع الحيوية التي لا يقدم القطاع الخاص على التثمير فيها اما لانخفاض المردود المادي لها أو بسبب الصعوبة في تحديد وحماية الملكية الخاصة في مثل هذه المشاريع .

ويورد باتنكن في هذا المجال مجموعة من الاحصاءات خلال الفترة المشار اليها تثبت أهمية الدور الذي لعبه القطاع العام . فقد بلغ معدل مساهمة القطاع المذكور في عملية التكوين الراسمالي حوالي ٤٥٪ كما بلغت جملة القروض الممنوحة من القطاع المذكور حوالي ٥١٪ من جملة القروض الممنوحة الى الاقتصاد الاسرائيلي . وفي هذا المجال يورد باتنكن الملاحظة الهامة التالية : « ان حصة الاستثمارات الحكومية التي نفذت من خلال القطاع العام ارتفعت في عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٥٦ ولكنها ما لبثت ان بدأت تتناقص بعد ذلك التاريخ . وفي نفس الوقت بدأت الاستثمارات المباشرة التي كانت تشرف عليها الحكومة في التناقص ايضا . وبالمقارنة مع ذلك فان نسبة مساهمة القطاع الخاص كانت تزداد دوما باستمرار »(٥) .

ويتابع باتنكن تحليله مؤكدا ان دور القطاع العام بدأ يتحول تدريجيا صوب منح المساعدات والقروض الى القطاع الخاص مفسحا بذلك المجال امام القطاع المذكور لكي يساهم في عملية الانماء . والهدف من تقديم هذه المساعدات هو خلق حوافز مشجعة لدى المنتجين لكي يزيدوا من سرعة انتاجهم لمواجهة الزيادة الكبيرة في السكان ولايجاد فائض يمكن تصديره الى الاسواق العالمية . وحتى ذلك التاريخ لم يكن القطاع الصناعي قد تطور الى درجة كبيرة كما حدث في فترة الستينات . والمعروف انه في فترة الخمسينات اتجهت السياسة الاقتصادية في اسرائيل نحو تنمية القطاع الزراعي . وخلال فترة من الزمن لا تزيد على العشر سنوات ازداد الانتاج اربعة اضعاف ووصلت رقعة الارض الزراعية الى اربعة ملايين دونم (هذه المساحة لا تزيد كثيرا عن مثيلتها ايام الانتداب) والاراضي المروية الى ١٦٣ مليون دونم ووجهت استثمارات مكثفة الى الري والالات والمعدات الزراعية كما ازداد عدد المستوطنات الزراعية الى ٧٣٠ وعدد الوحدات الزراعية الى ٨٠ الفا . وفي جميع هذه المراحل لعب القطاع العام دورا قياديا في هذا المجال حيث كان القطاع الزراعي يشكل المجال الحيوي لاستيعاب المهاجرين الجدد وتوفير فرص العمل لهم .

وفي احدى الدراسات حول توزيع الناتج القومي بين المؤسسات الانتاجية المختلفة في عام ١٩٥٣ اتضح ان حوالي ٥٥٪ من صافي الناتج الوطني جاء عن طريق القطاع الخاص ، وان ٢٠٪ جاء عن طريق الهستدروت والـ ٢٥٪ الباقية من باقي اجهزة القطاع العام. غير ان هذه النسب هي معدلات لمختلف القطاعات اذ ان القطاع العام كان سائدا في قطاعات الزراعة والنقل ومواد البناء بينما سيطر القطاع الخاص على التجارة والصناعة في حين ان الخدمات العامة مثل الكهرباء والماء كان يخضع معظمها للقطاع العام .

٢ ــ فترة النمو السريع ١٩٥٣ ــ ١٩٥٩

ظل القطاع العام محافظا على دوره القيادي خلال ست السنوات التي تلت فترة

---

٥ ــ *Ibid.*, p. 88

التقشف ، وان كانت نسبة مساهمته المباشرة قد بدأت في الانخفاض كما سبق وأكدنا ذلك . وكان هدفه في هذه المرحلة تخفيض حجم البطالة وتحقيق نمو سريع . ولما كانت الميزانية العامة بشقيها العادي والاستثنائي (اي الميزانية الانمائية) هي من اكثر الوسائل فاعلية في التأثير على النشاط الاقتصادي ، فقد وقع العبء الاساسي على القطاع العام لتحقيق المعطيات التي تكفل حدوث نمو اقتصادي سريع . فقد استمرت الحكومة في بناء التجهيزات الاساسية للاقتصاد الاسرائيلي فبدأت في شق الطرق ، وانشاء المطارات ومد الكهرباء ووسائل الري الى جميع انحاء اسرائيل .

وقد بدأت الحكومة في اتباع سياسة ديمغرافية جديدة تهدف الى توزيع السكان بين مختلف انحاء البلاد لاسباب سياسية وعسكرية محددة تتعلق بالوضع العسكري والسياسي بين اسرائيل والبلدان العربية . فالمعروف ان معظم السكان اليهود كانوا يقطنون الشريط الساحلي الضيق والممتد بين حيفا وتل ابيب . لذلك قررت الحكومة تشجيع الاستيطان في النقب واماكن متفرقة من الجليل الاعلى خصوصا الحدود الملاصقة لسوريا ولبنان . لذلك ظل القطاع العام مسيطرا على معظم التثميرات في قطاع السكن والخدمات الصحية والتعليمية الضرورية لتنشيط هذه المناطق .

وخلال هذه الفترة بدأ قطاع الزراعة على ضوء موارد المياه المتاحة يتعرض اكثر فأكثر الى « قانون الغلة المتناقصة » ، وبدأ القطاع الصناعي بالتالي يلعب دورا متزايدا في ايجاد فرص عمل للمهاجرين خصوصا في المناطق التي بدأ توطينهم فيها . وازاء المعطيات الجديدة لحجم الموارد الزراعية بدأ التفكير جديا في تنفيذ مشروع نهر الاردن وتحويل روافده لري مساحات اضافية جديدة وجعلها صالحة للزراعة . وكان العمل قد تأخر قليلا عن موعده بسبب محاولة الولايات المتحدة حل الموضوع عن طريق اقناع العرب باقتسام مياه نهر الاردن على اساس مشروع « جونستون » وهو المشروع الذي رفضته الدول العربية آنذاك . وعندما تعثرت المفاوضات سارعت اسرائيل الى انجاز المشروع بسرعة واستطاعت اتمام التحويل نهائيا في عام ١٩٦٤ .

والجدول رقم (١) يلخص توزع صافي الناتج المحلي في اسرائيل بين القطاعين الخاص والعام مع افراد الهستدروت كبند مستقل خلال الفترة ما بين ١٩٥٣ — ١٩٦٠ .

جدول رقم (١)

صافي الناتج المحلي حسب القطاع

(نسبة مئوية)

السنة	(١) القطاع العام	(٢) الهستدروت	(٣) مجمل القطاع العام	(٤) القطاع الخاص	(٥) المجموع
١٩٥٣	١٩،٤٤	١٨،٠٠	٣٧،٤٤	٦٢،٥٦	١٠٠،٠٠
١٩٥٧	٢٠،٦٩	٢٠،٥٦	٤١،٢٥	٥٨،٧٥	١٠٠،٠٠
١٩٥٨	٢٠،٠٠	٢٠،٠٠	٤٠،٠٠	٦٠،٠٠	١٠٠،٠٠
١٩٥٩	٢١،٢٦	٢٠،٤٣	٤١،٦٩	٥٨،٣١	١٠٠،٠٠
١٩٦٠	٢١،٢١	٢٠،٤٤	٤١،٦٥	٥٨،٣٥	١٠٠،٠٠

Source : Halevi and Malul, *The Economic Development of Israel* (New York: Praeger, 1968), p. 113.

وهنالك تساؤل عما اذا كان من الممكن زيادة التثميرات عن طريق القطاع الخاص اكثر مما كانت بالفعل . ويجيب باتنكن على هذا التساؤل بقوله بأن معظم الموارد التي كانت بحوزة القطاع العام لم تأت من الضرائب المفروضة على القطاع الخاص او عن

طريق تحويل الموارد الاقتصادية من القطاع الخاص الى القطاع العام ، وانما حصلت على هذه الموارد من مصادر لم يكن بأمكان القطاع الخاص الوصول اليها . وهذه المصادر تشمل المساعدات من حكومة الولايات المتحدة الامريكية ، والقروض من بنك الاستيراد والتصدير الامريكي والتعويضات الالمانية . وهنالك شك ايضا بالنسبة لقدرة القطاع الخاص في بيع سندات الحكومة الاسرائيلية في الخارج ، لذلك يمكن اعتبار مصدر التمويل هذا نتيجة لجهود القطاع العام دون غيره . لذلك يؤكد « باتنكن » أن **أحد أسباب** اقدام القطاع العام على ممارسة الاستثمار المباشر هو طبيعة مصادر التمويل وانه من غير الممكن ان تحل الرساميل المتدفقة من الخارج مكان المساعدات والتعويضات التي حصلت عليها الحكومة الاسرائيلية . لذلك عندما بدأت الحكومة الاسرائيلية في تشجيع الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل انما كانت تنظر الى ذلك اليوم الذي ستخف فيه المساعدات الحكومية الى اسرائيل وستنتهي فيه التعويضات من المانيا الغربية . ففي هذه الحالة لا بد من توفير مصادر مالية بديلة اذا ارادت الحكومة الاسرائيلية الحفاظ على معدل مرتفع للنمو الاقتصادي وعلى تقديم خدمات اقتصادية واجتماعية واسعة النطاق .

تشجيع الاستثمار في القطاع الخاص

ان حجم الاهداف الاقتصادية التي وضعتها الحكومة الاسرائيلية والتي تتلخص في امتصاص المهاجرين ، وزيادة الطاقة الانتاجية للاقتصاد وتخفيف الاعتماد على مصادر التمويل الخارجي ورفع مستوى المعيشة دعا الحكومة الى محاولة تشجيع الاستثمار بواسطة القطاع الخاص . ومن اجل تحقيق هذا الهدف تم اصدار قانون تشجيع الاستثمار في آذار من عام ١٩٥٠ . وقد جاء في فذلكة المرسوم المشار اليه ان هدف القانون هو تشجيع قدوم رؤوس الاموال الى اسرائيل وتحريك المدخرات المحلية للتوجه نحو القطاع الصناعي بقصد تحسين وزيادة الطاقة الانتاجية للبلاد وتحسين وضع ميزان المدفوعات وامتصاص مزيد من المهاجرين .

وقد تم ادخال تعديلات عديدة على القانون المشار اليه وكان اولها في عام ١٩٥٥ . وكانت التعديلات تهدف الى زيادة معدل العائد في بعض الصناعات التصديرية القديمة والحديثة بحيث تبدأ الصناعات القائمة في التوسع وزيادة طاقتها الانتاجية فيما تبدأ صناعات جديدة في الظهور في نفس الوقت .

ووضعت الحكومة جداول مختلفة عن معدلات المساعدات التي ستحظى بها المؤسسات التي تتمتع بمثل هذه المساعدات . والجدول التالي يبين حجم المساعدة الممنوحة معبرا عنه بنسب مئوية من مجمل الاستثمار في الموجودات الثابتة .

الجدول رقم (٢)

المنح والمساعدات كنسبة مئوية من الاستثمار

نوع الاستثمار	مناطق النقب والجليل الشمالي والشرقي	شمال النقب وغربي الجليل	مناطق اخرى
المعدات والآلات	٣٣٫٣٪	٢٥٪	٢٠٫٠٪
البناء وتطوير المناطق	٢٠٫٠٪	١٥٪	١٠٫٠٪

Source : Economic Planning Authority, *Israel Economic Development* (Jerusalem, March 1968), p. 113.

أما القروض فانها تختلف باختلاف المنطقة التي سينشأ فيها الاستثمار حسب الجدول التالي :

الجدول رقم (٣)

	المنطقة أ	المنطقة ب	بقية المناطق
القرض كنسبة مئوية من الموجودات الثابتة	٥٥،٠٠٪	٥٠،٠٠٪	٤٥،٠٠٪
معدل الفائدة	٦،٥ ٪	٨،٠٠ ٪	١٠،٠٠٪
الحد الاقصى للمنح والقروض كنسب مئوية من الاستثمار الثابت	٨٠،٠٠٪	٧٠،٠٠٪	٦٠،٠٠٪

Source : *Ibid.*, p. 114.

كما شملت المساعدات تخفيض ضريبة الدخل من ٥٣،٥٪ الى ٢٨٪ للسنوات الخمس الاولى التي تظهر فيها المؤسسة ارباحا مع اعفاء كامل من رسوم الجمارك وضريبة المشتريات وبقية الالات والمعدات وادوات البناء المستعملة في المشروع .

وخص القانون رأس المال الاجنبي بمساعدات كثيرة اهمها السماح لاصحاب المصانع بتحويل ارباحهم الى الخارج . كما قررت الحكومة تقديم قروض **اضافية** عن طريق المصارف التجارية الى المؤسسات الصناعية التي تثبت كفاءة في الانتاج . وتصل هذه القروض الى ٥٠٪ من رأس مالها العامل بفائدة قدرها ٩٪ . اما الصناعات التي تصدر انتاجها الى الخارج فان الفائدة هي في حدود ٦٪ .

والسؤال الذي قد يتبادر الى الاذهان هو : ما علاقة قانون تشجيع الصناعة بدور وحجم القطاع العام أو القطاع الخاص . والرد على ذلك هو ان هذه الاجراءات تساعد على تحول الموارد الاقتصادية والانتاجية نحو القطاع الخاص والقطاع الصناعي على وجه التحديد باشراف القطاع العام . وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقا من ان هنالك تحولا كبيرا في كمية الموارد الاقتصادية صوب القطاع الخاص وان كانت المؤشرات الاحصائية لا تبين بوضوح مثل هذا الاتجاه . والسبب في ذلك هو ان القطاع العام بقي قادرا على ايجاد مصادر تمويل خاصة به مكنته من متابعة نشاطه في قطاعات اخرى خارج القطاع الصناعي وقطاع الخدمات .

ولكي نوضح دور القانون المشار اليه في تحويل مزيد من الموارد الاقتصادية الى القطاع الصناعي نذكر انه في عام ١٩٦٣ حددت الحكومة مقاييس جديدة لمنح المساعدات والقروض المبينة في الجداول اعلاه على النحو التالي : ١ ــ لا يسمح بانشاء صناعات جديدة الا اذا كانت هذه المؤسسات قادرة على تصدير ٥٠٪ من انتاجها أو انها شيدت في المناطق التي تريد الحكومة الاسرائيلية تطويرها . ٢ ــ بالنسبة للصناعات القائمة لا تمنح المساعدات الا اذا كانت تنوي هذه المؤسسات زيادة طاقتها الانتاجية بما لا يقل عن ٥٠٪ على ان تكون نصف الزيادة المقترحة مخصصة لتصدير سلع الى الخارج . وعلى أثر الكساد الذي حصل في اسرائيل في عام ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧ قامت الحكومة باجراء تعديلات اضافية على قانون الاستثمار بقصد تشجيع الاستثمار في الصناعة وقطاع السياحة خصوصا الفنادق . وتراوحت المساعدات الجديدة بين اعفاءات ضرائبية وبين اعطاء منح نقدية مباشرة للصناعة فقط . ولعله من المفيد ان نورد الاحصائيات التالية حول كمية الاموال المستثمرة في مختلف قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي خلال الفترة ما بين ١٩٥٠ ــ ١٩٦٧ ، اي حتى حرب الخامس من حزيران لانها توضح أثر التشريعات التي اصدرتها الحكومة الاسرائيلية على عملية توزيع الموارد في اسرائيل .

ان الجدول المشار اليه يوضح النقص الذي حصل في قطاع الزراعة ، والزيادة الكبيرة في قطاعي الصناعة والاسكان .

الجدول رقم (٤)

توزيع الاستثمارات بين القطاعات المختلفة

(مليون ليرة اسرائيلية)

	١٩٥٠—٥٤	١٩٥٥—٥٩	١٩٦٠—٦٤	١٩٦٥—٦٧
الزراعة	٦٢٨	١٠٦٥	٨٩٤	٤٢٨
المياه والري	٤٠٥	٢٦٦	٥٢٦	٢١٩
الصناعة	١٠٥٥	١١٩٢	٢١٣١	١٠٩١
الكهرباء	١٧٨	٤٤٠	٣٤٦	٢٩٢
النقل	٦٢٦	٨٧٤	١٩١٢	١٤٨٥
السياحة	١٧١	١٦١	٤٢١	٢٧٣
الخدمات العامة	٣٩٥	٨٠٠	١٦٣٠	١٣١٦
السكن	٢١٩٨	٢٤٣١	٣٧٤٨	٢٢٧٦

Source : Economic Planning Authority, *Israel Economic Development* (Jerusalem, March 1968), p. 101.

واذا ما نظرنا الى الفترة ١٩٥٠ — ١٩٦٧ كوحدة زمنية فاننا نجد ان مجمل الاستثمارات في الموجودات الثابتة قد توزعت بين القطاع الخاص والقطاع العام على النحو التالي :

الجدول رقم (٥)

توزيع الاستثمار (باستثناء قطاع السكن)

(بالنسبة المئوية)

	١٩٥٢	١٩٥٤	١٩٥٨	١٩٦٠	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦
القطاع العام	٣٤	٥٠	٤٥	٤١	٤٨	٤٣	٤١
القطاع الخاص	٦٦	٥٠	٥٥	٥٩	٥٢	٥٧	٥٩
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

Source : *Ibid.*, p. 103.

يبدو من الجدول اعلاه ان حصة القطاع العام وصلت الى ذروتها في عام ١٩٥٤ ثم ما لبثت ان بدأت في الهبوط (باستثناء عام ١٩٦٢) حتى وصلت الى ٤١٪ . بينما ارتفعت نسبة مساهمة القطاع الخاص ١٩٪ بين عام ١٩٥٤ — ١٩٦٦ . اما اذا نظرنا الى جملة الاستثمارات بما فيها قطاع السكن فان ازدياد دور القطاع الخاص يصبح اكثر وضوحا كما هو مبين في الجدول السادس :

الجدول رقم (٦)

توزيع استثمارات قطاع السكن

	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٦٧	المعدل* ١٩٥٥—١٩٦٧
القطاع العام	٤٢	٤٠	٣٦	٣٠	٤٤
القطاع الخاص	٥٨	٦٠	٦٤	٧٠	٥٦
	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

Source : *Ibid.*, p. 103.

* المعدل هنا يشير الى الفترة الزمنية **باكملها** وليست للسنوات المذكورة في الجدول فقط .

ان تراجع دور القطاع العام يبدو واضحا فقد هبط بمعدل ١٢٪ خلال عشرة اعوام بينما ارتفعت نسبة مساهمة القطاع الخاص من ٥٨٪ الى ٧٠٪ ، فاذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان معظم التثميرات توجهت الى قطاعي الصناعة والسكن لاتضح لنا الاهمية المتزايدة التي بدأ القطاع الخاص يمارسها في عملية الانماء .

٣ ــ فترة العمالة الكاملة والتوجه نحو التصنيع ١٩٦٠ ــ ١٩٦٤

ابتداء من عام ١٩٦٠ كان الاقتصاد الاسرائيلي قد وصل الى حالة من النضوج بحيث لم يعد للقطاع العام دور رئيسي في عملية توزيع الموارد مباشرة اذ ان موجات الهجرة من الخارج بدأت بالانحسار كما أن معظم الاستثمارات الرئيسية كانت قد اكتملت وكان اخرها مشروع تحويل نهر الاردن الذي انتهى العمل فيه عام ١٩٦٤ حيث تم ضخ المياه عند مصب البحيرة للبطوف ثم جنوبا لري مساحات جديدة من الاراضي الزراعية .
وخلال هذه الحقبة من الزمن كان على اسرائيل ان تقوى قاعدتها الصناعية حتى تستطيع اختراق السوق الاوروبية المشتركة . ففي غياب المجال الحيوي للسلع الاسرائيلية وهي الاسواق العربية بطبيعة الحال ، فان السوق الاوروبية ظلت محتفظة بالمكان الاهم كمصدر لتسويق السلع الاسرائيلية لذلك اتجهت السياسة الاقتصادية في اسرائيل نحو تشجيع الصناعات التي تتمتع « بميزة نسبية » في انتاجها معتمدة في ذلك على تكنولوجية متقدمة ، وعمال على مستوى رفيع من المهارة وكثافة في المعدات والالات الانتاجية .
فقد رفعت التكتلات الاقتصادية التي بدأت تظهر في العالم ، الاقتصاد الاسرائيلي نحو التخصص في انتاج بعض السلع التي تستطيع المنافسة في الاسواق العالمية . والمعروف ان ضيق السوق المحلية ، وارتفاع نفقات الشحن الى الاسواق العالمية ، وعدم وجود انتاج وفير يساعد على تخصيص كلفة الانتاج قد وضع الاقتصاد الاسرائيلي في مأزق صعب .

وهنا لا بد من التأكيد بأن الجهود التي بذلتها اسرائيل لاختراق اسواق اسيا وافريقية والنجاح الذي خصصته في هذا السبيل في اكثر من بلد افريقي لم يكن كافيا لكي يجعل اسرائيل في غنى عن الاسواق الاوروبية والامريكية فقد ظل القسم الاكبر من تجارة اسرائيل الخارجية مرتبطا بهذه الاسواق . ازاء هذه المعطيات لم يكن هنالك مفر من دعم وتشجيع القطاع الخاص في اسرائيل خصوصا القطاع الصناعي اذ ان هذا القطاع أقدر من غيره على الالتزام بمقاييس الكفاءة الاقتصادية نظرا لوجود المعطيات الاساسية لعملية التصنيع مثل الالات والمعدات والعمال المهرة . كما ان العوامل غير الاقتصادية لا تدخل في حساب القطاع الخاص فهو مدفوع اولا واخيرا نحو تحقيق اكبر قدر ممكن من الارباح . لذلك بدأ القطاع العام يلعب دورا يختلف تماما عن الدور الذي لعبه في فترة الخمسينات اذ اصبحت مهمته توفير الاجواء الملائمة والتسهيلات الضرائبية والجمركية والمالية الضرورية لتطوير القطاع الصناعي ولايجاد سلع صناعية برسم التصدير الى الاسواق الاوروبية والامريكية . وكما سبق لنا ان أكدنا سابقا ان تناوب الادوار قد تم من خلال تنسيق كامل بين القطاعين .

وقد مهدت الحكومة الاسرائيلية لهذا الدور في فبراير من عام ١٩٦٢ عندما اعلنت السياسة الاقتصادية الجديدة والتي شملت تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية من ١،٨٠ الى ٣،٠٠ ليرات لكل دولار ، كما حددت طبيعة المساعدة التي ستقدمها للصناعة بحيث جعلتها مالية اكثر منها ادارية بحيث اعتمدت تقديم مساعدات مالية للمؤسسات القادرة على التصدير الى الاسواق العالمية .

ولا شك ان تقلص دور القطاع العام عن الدور القيادي الذي لعبه خلال فترة الخمسينات جاء نتيجة لعوامل عديدة اهمها اكتمال الاستثمارات الفوقية من طرق ومدارس

ومستشفيات وشبكات مياه ومحطات كهرباء وغيرها من الخدمات العامة الى جانب ظهور التكتلات الاقتصادية والحواجز الجمركية التي زادت من عزلة اسرائيل اقتصاديا. على أن التوجه صوب القطاع الصناعي أملته اعتبارات اقتصادية عديدة تتلخص فيما يلي : **اولا** : وصول القطاع الزراعي الى درجة من الاستثمار المكثف تقرب من حد الاشباع ، بحيث لم يعد من الممكن تحقيق قفزات كبيرة في انتاجيته . فالمعروف ان القفزة الاخيرة تمت في عام ١٩٦٤ عندما انتهت اسرائيل من تحويل مجرى نهر الاردن بحيث استطاعت ري مساحات اضافية في صحراء النقب وزيادة الانتاج على الاراضي المزروعة منذ أمد . **ثانيا** : النقص في اليد العاملة الذي بدأ يتعرض له القطاع الزراعي بسبب ارتفاع مستوى الاجور وعدم حاجة القطاع المذكور الى مهارات عالية كما بدأ قطاع البناء يعاني من نفس المشكلة . **ثالثا** : ظهور السوق الاوروبية المشتركة الامر الذي هدد الميزان التجاري الاسرائيلي بأوخم العواقب . ومنذ اللحظة الاولى لاعلان ظهور السوق المشتركة بدأت اسرائيل حملة سياسية واعلامية بمساعدة الولايات المتحدة لاقناع دول السوق بمنح السلع الاسرائيلية معاملة خاصة حتى تستطيع اختراق الجدار الجمركي الذي فرضته دول السوق على تجارة الدول غير الاعضاء . وكان هدف اسرائيل قبولها كعضو مشارك له نفس الامتيازات التي حصلت عليها بعض الدول الافريقية التي كانت مرتبطة ببعض البلدان الاوروبية .

ويقول هورويتز في هذا الموضوع « ان هذا العصر هو عصر التكتلات والوحدات الاقتصادية لذلك لا يستطيع شعب ما ان يعيش منعزلا . وهذا هو السبب في محاولة اسرائيل بناء جسر فوق السوق الاوروبية المشتركة . وهنالك مشكلة اخرى تواجهها اسرائيل وهي نوع البنية الاقتصادية والاجتماعية في اسرائيل والتي تظهر فروقات واضحة بين اجزائها . فالقطاعات الحكومية والتعاونية والخاصة تعيش في اقتصاد يتوجه نحو اهداف وطنية محددة . ثم يقول في مكان اخر ان هذه الظاهرة تتميز بها اسرائيل اذ انه من النادر ان نجد قطاعا عماليا تعاونيا بحجم الهستدروت وحتى اذا وجد فانه ذو حجم ضئيل(٦).

وفي هذا المجال نورد توزيع القوى العاملة في مطلع الستينات بين القطاع العام والقطاع الخاص والهستدروت واهمية هذا التوزيع أنه بالاضافة الى التغير النسبي الذي حصل على حجم التثميرات في كل قطاع فانه يوضح تماما عملية التحول التي طرأت على حجم الموارد وتوزعها بين قطاعات الاقتصاد المختلفة .

الجدول رقم (٧)

القوى العاملة موزعة بين القطاعين (نسب مئوية) لعام ١٩٥٩

	(١)	(٢)	(١ + ٢)		
القطاعات	**القطاع العام**	**الهستدروت**	**مجموع القطاع العام**	**القطاع الخاص**	**المجموع**
الزراعة	١،٤	٤٧،٦	٤٩،٠	٥١،٠	١٠٠،٠
الصناعة	٢،٤	١٧،٥	١٩،٩	٨٠،١	١٠٠،٠
البناء	٦،٣	٢٦،٦	٢٩،٩	٦٧،١	١٠٠،٠
الخدمات العامة	١٠٠،٠	—	—	١٠٠،٠	١٠٠،٠
النقل والمواصلات	٣٢،٤	٢٢،٣	٥٤،٧	٤٥،٣	١٠٠،٠
المصارف	٣٠،٤	١٥،٧	٤٦،١	٥٣،٩	١٠٠،٠
جميع القطاعات	١٧،٦	٢٢،٦	٤٠،٢	٥٩،٨	١٠٠،٠

Source : David Horowitz, *Ibid.*, p. 40.

٦ — David Horowitz, *Ibid.*, p. 38.

٤ ــ فترة الكساد الاقتصادي ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧

في منتصف العام ١٩٦٥ بدأ الاقتصاد الاسرائيلي يعزز اثارا انكماشية اذ ان قدرة هذا الاقتصاد على امتصاص حجم كبير من التثميرات بدأت في الهبوط وان كان جزء من ذلك هو نتيجة لسياسة اقتصادية معتمدة . ويلاحظ في هذا الصدد ان هذه الاثار الانكماشية ظهرت في وقت بلغ العجز النقدي في الميزانية العامة حوالي ٤٠٠ مليون ليرة اسرائيلية اقترضتها الحكومة من البنك المركزي في اسرائيل . وتعتبر هذه اسوأ ظاهرة يقع فيها اقتصاد ما فعندما تجتمع سياسة « الانفاق بعجز » مع الركود الاقتصادي فان ذلك يعني حدوث خلل اساسي في هيكل الاقتصاد المذكور . وقد وقع القطاع العام في اسرائيل في مأزق ، فهو لا يستطيع زيادة حجم التثميرات في قطاعات الاقتصاد خوفا من حدوث آثار تضخمية (اي ارتفاع كبير في مستوى الاسعار والاجور) ومن ناحية ثانية يريد معالجة البطالة بين القوى العاملة في اسرائيل لان لها ذيولا سياسية واجتماعية خطيرة. ولم يستطع القطاع العام من خلال السياسة المالية (اي التلاعب بحجم الانفاق ومستوى الضرائب) وكذلك السياسة النقدية (التلاعب بكمية النقود المتوافرة) من أن يخرج الاقتصاد الاسرائيلي من ورطته فقد بقيت المشكلة الاساسية في ايجاد فرص عمل للعاطلين عن العمل في ظل اجور مرتفعة نسبيا ولا تعكس باي حال الندرة النسبية لعوامل الانتاج . ازاء هذا الوضع لم تجد الحكومة الاسرائيلية طريقة سوى تحقيق زيادة كبيرة في رأس المال الموظف توازي الزيادة في حجم اليد العاملة ، وهذا الاجراء بدوره لن يكون الا اذا اعتمد الانتاجية مقياسا له . من هنا قررت الحكومة تشجيع القطاع الخاص في اسرائيل على توجيه المزيد من الاستثمارات نحو الصناعات التصديرية .

وقررت لذلك سلسلة من الاجراءات تتلخص بما يلي : ١ ــ توزيع القطع الاجنبي لاستيراد المعدات والآلات الانتاجية بأسعار صرف منخفضة . ٢ ــ توفير قروض طويلة الاجل وبفائدة منخفضة . ٣ ــ منح اعانات تصدير حسب جداول مقررة .

وكان المنطق وراء اعتماد هذه الاجراءات هو مجابهة نفقات الاجور المرتفعة في الاقتصاد بنفقات رأسمالية منخفضة . ومثل هذا الاجراء ضروري لمجابهة الحالة الشاذة التي أوجدتها مطالبة الهستدروت بأجور لا تعكس الحقيقة الاقتصادية الماثلة وهي ان اليد العاملة وهي أكثر عوامل الانتاج غزارة تتقاضى أجورا كما لو انها نادرة ومستحيلة في حين ان عنصر رأس المال وهو العنصر الانتاجي الشحيح قد اصبح ارخص عوامل الانتاج .

على ضوء هذا التحليل يمكن الاستنتاج بأن ازدياد دور القطاع الخاص في اسرائيل لم يكن مجرد صدفة وانما هو نتيجة مباشرة لطبيعة المشاكل التي كانت تواجه الاقتصاد الاسرائيلي وبالتالي لطبيعة الحلول التي طرحت لحل هذه المشاكل . ان التوجه والتركيز على الصناعات التصديرية أملته مبادىء التخصص في الانتاج وتحويل الموارد الاقتصادية نحو أكثر المجالات انتاجية في وقت بدأ الاقتصاد الاسرائيلي يعاني من عدم وجود مصادر كافية للمياه وخضوع أكثر الاراضي الزراعية « لقانون الغلة المتناقصة » ، وكذلك انخفاض المهاجرين الجدد ، وبالتالي تقلص الطلب على المأكولات والمنتجات الزراعية ومواد البناء وهي عوامل على جانب كبير من الاهمية لتحريك النشاط الاقتصادي . يضاف الى ذلك ازدياد نسبة البطالة المقنعة في قطاع التجارة والخدمات نتيجة لنجاح الهستدروت في الحصول على اجور تفوق الانتاجية الحدية للقوى العاملة . وقد أدى هذا الوضع الى انخفاض حركة انتقال اليد العاملة من قطاعات الاقتصاد ذات المردود المنخفض الى القطاعات ذات المردود المرتفع .

بناء على جميع العوامل المشار اليها اتجهت السياسة الاقتصادية في اسرائيل نحو توسيع دور القطاع الخاص على ان يقوم القطاع العام بدور المراقب والموجه والحكم اذ ان المعطيات الاقتصادية الجديدة لم تعد تسمح له بأن يلعب دوره السابق . غير ان حدوث حرب حزيران ١٩٦٧ لم يسمح بتنفيذ هذه السياسة كليا كما سنرى .

(٤)

فترة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧

لقد رأينا من الانسب ان نفرد فصلا خاصا عن كل من القطاع العام والقطاع الخاص والاتجاه الذي سار فيه كل قطاع فيما يتعلق بالفترة التي بدأت بعد حرب الخامس من حزيران من عام ١٩٦٧ . فقد تغيرت كثير من المعطيات الاقتصادية البشرية والمادية وبالتالي تم تعديل الاهداف الاقتصادية للاقتصاد الاسرائيلي . فبعد ان اتجهت السياسة الاقتصادية نحو تشجيع القطاع الخاص لاستثمار مدخراته في القطاع الصناعي جاءت حرب الخامس من حزيران لتعيد للقطاع العام مركز الثقل في الاقتصاد الاسرائيلي . وتدل الاحصائيات حول هذا الموضوع ان مخصصات الدفاع تساوي وحدها ٢٥ ٪ من مجموع الناتج الوطني و٤٢ ٪ من مجموع الميزانية العامة . ولا يدخل في هذا الرقم الانشاءات الدفاعية في المستعمرات وبناء الملاجيء ونفقات وحدات الحدود وشراء اجهزة الدفاع المدني وغيرها . فاذا ما اضيفت الى جملة المعتمد لوصلت الى حدود ٥٠٪ من الموازنة العامة . ولا يمكن فصل السلع والخدمات التي يمونها القطاع العام وتلك التي يوفرها القطاع الخاص ، اي انه لا يمكن ان ننسب جملة المبلغ المعتمد على انه ينتج في القطاع العام . فمواد البناء والملابس وكثير من الاجهزة الفنية والالكترونية ينتجها القطاع الخاص عن طريق الصناعات المدنية ويقدمها لوزارة الدفاع عن طريق مناقصات كما هو الحال في معظم بلدان العالم . وكان من نتيجة هذا الترابط بين القطاعين ان ازدهرت الصناعات الحربية ومشتقاتها حتى ان بعض الصناعات اضطرت الى تعديل في تصاميمها لكي تنتج بعض المواد التي تدخل في الجهد الحربي .

ولا شك ان زيادة معدلات الضريبة وعقد القروض الداخلية والخارجية قد زاد من حجم الموارد التي تحت تصرف القطاع العام الا ان معظمها ينفق على تمويل الجيش الاسرائيلي وشراء الاسلحة والمعدات له من الخارج . وهذا يعني ان جزءا كبيرا من الانفاق الحكومي لا يدخل « دورة الدخل » داخل الاقتصاد الاسرائيلي واذا دخل فانه يصبح جزءا من دورة الدخل التي يكون القطاع الخاص طرفا فيها . فمثلا عند انشاء خط « بارليف » الذي أقيم على جبهة قناة السويس والذي بلغت تكاليفه ملايين الدولارات انفقت معظم المبالغ المرصودة على شراء الاسمنت والحديد والرادار واجهزة الانذار من شركات اسرائيلية هي جزء من القطاع الخاص .

هذا فيما يختص بنفقات الدفاع ، أما الانفاق على المشاريع الانمائية فانه ينعكس على حجم الطلب على اليد العاملة خلال الفترة ١٩٦٦ — ١٩٧٠ وفيهـا يبدو التركيز على قطاعي الصناعة والنقل أكثر من غيرهما ، في حين ان قطاع الزراعة ثابر على الهبوط النسبي للاسباب التي شرحناها سابقا .

ان الزيادة الكبيرة في النفقات العسكرية لم تغير من أسس السياسة الاقتصادية التي رسمتها الحكومة الاسرائيلية قبل حرب الخامس من حزيران بالنسبة للقطاعات التي تريد اعطاءها الاولوية في عملية التنمية انما الشيء الوحيد الذي حصل هو **انخفاض** الموارد المتاحة لعملية الانماء دون حدوث تغيير اساسي في السياسة الانمائية .

الجدول رقم (٨)

الطلب على اليد العاملة

القطاع	١٩٦٦ ٪	١٩٧١ ٪
الزراعة	١٢،٦	١٠،٨
الصناعة	٢٥،٣	٢٦،٧
البناء	٨،٧	٨،٤
الكهرباء والمياه	٢،١	١،٩
التجارة والقطاع المدني	١٣،٠	١٢،٩
النقل	٦،٦	٧،١
الخدمات العامة	٣١،٧	٣٢،٢
المجموع	١٠٠،٠	١٠٠،٠

Source : Michael Bruno, *Economic Development Problems of Israel 1970-1980*, (Santa Monica, Rand Corporation, 1970).

والجدول التالي يبين نسبة مساهمة الحكومة (أي القطاع العام) في عملية التكوين الرأسمالي خلال الفترة ما بين ١٩٦٥ — ١٩٦٩ :

الجدول رقم (٩)

نسبة مساهمة الحكومة في التكوين الراسمالي

العام	مساهمة الحكومة (ملايين الليرات)	مجموع التكوين الراسمالي (ملايين الليرات)	النسبة المئوية لحجم القطاع العام
١٩٦٥	٩٨٩	٢٢٤٤	٤٤،١
١٩٦٦	٨٩٧	١٩١٣	٤٦،٨
١٩٦٧	٨٥٢	١٦٢٣	٥٢،٤
١٩٦٨	١.٠٧٥	٢٣٢٩	٤٦،١
١٩٦٩	١٣١٩	٢٧٧٦	٤٩،٢

Source : *Statistical Abstract of Israel*, 1965-1970 (Extracted from Various Tables).

ولقد استطاع المسؤولون في اسرائيل ان يستفيدوا الى اقصى حد من توفر اليد العاملة الرخيصة في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة لاجتذاب ما تحتاجه القطاعات الاسرائيلية من هذه القوى العاملة لدفع عجلة الانتاج في قطاعين اساسيين : القطاع الزراعي الذي ظل محتفظا بأهميته رغم التركيز على القطاع الصناعي وقطاع البناء الذي كان أحد الاسباب الرئيسية وراء الركود الاقتصادي الذي ضرب الاقتصاد الاسرائيلي في منتصف عام ١٩٦٥ وحتى بداية حرب حزيران في عام ١٩٦٧ . وهكذا نرى ان حرب حزيران وذيولها السياسية والعسكرية ساهمت في حل بعض مشاكل اسرائيل الاقتصادية اولا من حيث تخفيف حجم البطالة الذي وصل الى ١٠ ٪ من مجموع القوى العاملة في ١٩٦٦ وهو أعلى رقم في تاريخ الاقتصاد الاسرائيلي . وقد كان السبب الرئيسي في تخفيض حجم البطالة يعود الى الانفاق الهائل على التسلح وبناء الاستحكامات وانتاج الاسلحة والذخيرة والمعدات الاليكترونية وغيرها من السلع والخدمات التي يحتاجها الجيش الاسرائيلي ، وثانيا من خلال سد النقص في اليد العاملة في قطاعي الزراعة والبناء عن طريق اجتذاب حوالي (٣٥) ألف عامل من قطاع غزة والضفة الغربية .

والسؤال المطروح الان هو اثر هذه التطورات على حجم كل من القطاعين الخاص والعام وعلاقتهما ببعضهما . لقد ظلت السياسة الاقتصادية في اسرائيل رغم العبء الكبير الذي تتركه نفقات التسلح ثابتة بالنسبة لتشجيع القطاع الصناعي خصوصا وان العجز في الميزان التجاري قد بدأ يزداد بنسبة كبيرة . ذلك ان استمرار تشجيع الصناعات التصديرية هو بدون شك احد الوسائل لتخفيض العجز في الميزان المذكور . ومن ناحية أخرى قررت الحكومة تنشيط الصناعات الحربية ومحاولة انتاج معظم ما تحتاجه القوات الاسرائيلية من ذخائر ومهام ومعدات توفيرا لرصيد اسرائيل المتناقص من العملة الصعبة . وتدل المعلومات المتوفرة في هذا الصدد ان اسرائيل ستصبح من الدول المصدرة للاسلحة على نطاق واسع خلال العامين القادمين .

رغم هذه التطورات التي زادت من أهمية القطاع العام في اربع السنوات الماضية فانها لم تحجب الانعطاف الذي حصل في مطلع الستينات نحو مزيد من الاعتماد على القطاع الخاص وبالتالي دعمه بكافة اشكال المساعدة . ومما يؤكد هذه الظاهرة الدراسة التي كتبها الاقتصادي الاسرائيلي «مايكل برونو»(٧) حول الملامح الرئيسية للاقتصاد الاسرائيلي خلال عشر السنوات القادمة والتي افترض بها استمرار الوضع السياسي الراهن على حاله ، أي بقاء الوضع مجمدا بين العرب واسرائيل مع انخفاض نسبي طفيف في حجم الاموال المعتمدة لقطاع الدفاع .

وقبل ان نوضح الملامح الرئيسية لهيكل الاقتصاد الاسرائيلي خلال عشر السنوات القادمة نذكر ان حاكم البنك المركزي في اسرائيل اكد بأن مجموع التثميرات ستصل الى ٦٦ بليون ليرة اسرائيلية خلال الفترة المشار اليها . وهذا الرقم هو ضعف حجم التثميرات التي وجهت الى مختلف قطاعات الاقتصاد خلال الستينات حيث كان نصيب قطاع البناء ٣١ ٪ من المجموع والتجارة ٢٠ ٪ والنقل والمواصلات ٣٠ ٪ والصناعة ١٥ ٪ .

وفي محاولة التنبؤ عما سيكون عليه حجم الناتج الوطني خلال عشر سنوات (١٩٧٠ — ١٩٧٥ — ١٩٨٠) قام برونو باحتساب الناتج الوطني من خلال معادلة مجموع الانفاق في الاقتصاد وهي تساوي الاستهلاك الشخصي + الاستهلاك العام + مجمل الاستثمارات + الصادرات — الواردات على النحو التالي :

الجدول رقم (١٠)

الناتج الوطني ١٩٧٠ — ١٩٨٠

(ملايين الليرات الاسرائيلية : اسعار ١٩٦٨)

	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
استهلاك شخصي	١١٣٠٨	١٥٨٠١	١٩٨٣٤
استهلاك القطاع العام	٥٤٣٦	٧٩٨٥	٩١٦٣
مجمل الاستثمارات	٤٢٤٢	٥٥٢٥	٧٠٩١
الصادرات	٤٧٤٦	٩٠٩٣	١٧١٧٠
الواردات	٨٣٦٨	١٢٤١٠	١٦٤٥٠
الناتج الوطني	١٧٣٦٤	٢٥٩٩٤	٣٦٨٠٨

Source : *Ibid.*

٧ — Michael Bruno, *Ibid.*

قام « برونو » باحتساب الناتج الوطني على ضوء دالة الانتاج التي كانت سائدة في العشرين سنة الاخيرة . ويقصد « بدالة الانتاج » مجموع الانتاج المتحقق نتيجة لمزج اليد العاملة ورأس المال بنسب متفاوتة . وقد أخذ « برونو » بعين الاعتبار مجمل السياسة الاقتصادية في اسرائيل الى جانب العوامل الاقتصادية الرئيسية مثل توفر الموارد ، وحجم السوق المحلي ، وندرة المياه ، وسياسة استيعاب المهاجرين والوضع السياسي والعسكري في المنطقة .

وفيما يلي التغييرات الهيكلية المرتقبة معبرا عنها بنسب مئوية :

الجدول رقم (١١)

التغيرات الهيكلية المرتقبة في الاقتصاد الاسرائيلي

معدلات النمو (نسبة مئوية)

القطاع	١٩٧٠ — ١٩٧٥	١٩٧٥ — ١٩٨٠
الزراعة	٦٫٥	٥٫٥
الصناعة	١٢٫٠	١٠٫٠
البناء	٧٫٠	٥٫٠
النقل	١٠٫٠	٩٫٠
الخدمات العامة	٥٫٠	٥٫٠
السكن	٦٫٠	٥٫٠
التجارة والخدمات	٧٫٢	٤٫٧

Source : *Ibid.*

تعكس التغيرات المرتقبة في الاقتصاد الاسرائيلي خلال العقد القادم السياسة الاقتصادية الراهنة وهي توجيه مزيد من الموارد صوب قطاع الصناعة والتعدين ، ووصول القطاع الزراعي الى درجة من التشبع والتركيز أكثر على تطوير قطاع النقل لاهداف اقتصادية واستراتيجية معا . وجميع هذه التطورات تضع مزيدا من الاعباء على اكتاف القطاع الخاص نظرا لان معظم وسائل الانتاج في قطاعي الصناعة والنقل محكومة من قبل افراد وشركات ومؤسسات خاصة تعمل بحافز الربح . ويؤكد « برونو » ان الحكومة الاسرائيلية تحاول عن طريق المساعدات المختلفة ان توجد صناعات بديلة للسلع المستوردة من الخارج رغم ان هنالك صعوبات كبيرة في هذا السبيل نظرا الى ان معظم المواد الاولية والمواد الوسيطة غير متوفرة في السوق المحلي ولا بد من استيرادها من الخارج .

والجدول الثاني عشر يبين نسبة الملكية الخاصة الى الملكية العامة في مختلف قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي . ورغم أن هذه المعلومات تشير الى فترة الخمسينات فان المعلومات المتوفرة الان تؤكد أنه لم يحصل أي تغيير جذري في وضع الملكية .

كما يبين الجدول ذاته توزع الناتج الوطني بين مختلف القطاعات حسب نوع الملكية . وقد قسم « ايزنستاد » الملكية لوسائل الانتاج بين الهستدروت ، والتعاونيات ، والقطاع الحكومي واخيرا القطاع الخاص . ويبدو في الجدول المشار اليه سيطرة القطاع الخاص على القطاع الصناعي وقطاع الخدمات التجارية في حين ان القطاع العام يسيطر على الخدمات العامة من كهرباء ومياه وغيرها . وبهذه المناسبة نذكر ان هنالك ظاهرة مهمة بالنسبة لتوزيع القوى العاملة في مختلف القطاعات . فقطاع الخدمات والتجارة يمتص حوالي ٤٤٫٥ ٪

من مجموع القوى العاملة في اسرائيل في حين ان مجموع ما يمتصه القطاع الزراعي والصناعي معا لا يزيد عن ٣٨ ٪ ، فاذا أخذنا بعين الاعتبار ان قطاع الخدمات والتجارة يساهم بـ ١٩ ٪ من مجموع الناتج الوطني وان القطاعين الزراعي والصناعي يساهمان بـ ٣٠ ٪ من نفس الناتج لاتضح لنا ان هنالك خللا في هيكل الاقتصاد بسبب توزيع رديء للقوى العاملة . لذلك يعاني الاقتصاد الاسرائيلي من بطالة مستترة في قطاع الخدمات قد يكون العامل الاساسي فيه ان مستوى الاجور لا تقرره الانتاجية الحدية وانما القوة التنافسية للعمال في مواجهة اصحاب العمل . وقد خلف ذلك جمودا في حركة انتقال اليد العاملة من القطاعات ذات المردود المنخفض الى القطاعات ذات المردود المرتفع .

الجدول رقم (١٢)

توزيع الناتج الوطني حسب ملكية وسائل الانتاج

(نسب مئوية)

القطاع	الهستدروت	القطاع الحكومي	التعاونيات	القطاع الخاص	
الزراعة	٢٦٠	٠٦٨	٦٣٦٥	٣٥٦٧	
الصناعة	١٢٦٦	١٦٤	٧٦٠	٧٩٦٠	
البناء	١٨٦٩	٩٦٥	—	٧١٦٦	
الخدمات العامة	—	١٠٠٦٠	—	—	
تجارة الجملة	٢٠٦٦	١٦٢	—	٧٨٦٢	
تجارة المفرق	٥٦٥	٢٦١	٥٦٨	٩١٦٦	
البنوك وشركات التامين	٢٠٦٣	٣٦٥	—	٧٦٦٢	
المؤسسات التي لا تعمل للفرع	٨٦٨	٩١٦٢	—	—	
الاقتصاد باسره	٧٦٨	٢٤٦٧	١٣٦٦	٥٣٦٩	١٠٠٦٠

Source : S. N. Eisenstadt, *Ibid.*, p. 90.

(٥)

خلاصة واستنتاجات

يمكن لنا بعد هذا العرض والتحليل لدور القطاع العام والقطاع الخاص في الحياة الاقتصادية في اسرائيل في العقدين الاخيرين [على ضوء عدد من المؤشرات الاحصائية وعلى ضوء مبادىء النظرية الاقتصادية وآخذين بعين الاعتبار الاهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية لاسرائيل] ان نخرج باستنتاجات رئيسية قد تساعد على تفهم أية تطورات حدثت في مواقف بعض الاحزاب الاسرائيلية نتيجة لعوامل اقتصادية بحتة وعلى افتراض ثبات العوامل السياسية والاجتماعية الاخرى .

أولا : في الفترة ما بين ١٩٤٨ — ١٩٥٦ قام القطاع العام بالدور الاساسي والحاسم في عملية النمو الاقتصادي وفي تطوير قطاع الزراعة والري وتوفير الخدمات الاقتصادية والاجتماعية لامتصاص الاعداد الكبيرة من المهاجرين الذين وفدوا من مختلف انحاء العالم . وكان من الطبيعي في المراحل الاولى لانشاء اسرائيل أن يتسلم القطاع العام زمام المبادرة في عملية الانماء وتحقيق الاهداف الاقتصادية التي رسمتها الحكومة الاسرائيلية لتلك المرحلة . فاختلاف درجات المهارة المكتسبة ، واختلاف المستويات الصحية والثقافية ، وحاجة الاقتصاد الى الانشاءات الاساسية لكي يستطيع ان ينمي طاقته الانتاجية دفع بالقطاع العام الى مكان الصدارة والتوجيه وحتى النفوذ في الوقت

الذي كان القطاع الخاص يحاول فيه معرفة دوره وحدوده في النمو .

ثانيا : خلال الفترة ما بين ١٩٥٦ — ١٩٥٩ وهي الفترة التي سجل فيها الاقتصاد نموا سريعا بلغ حوالي ١٠ ٪ بالاسعار الثابتة حافظ القطاع العام على دوره الرئيسي في توجيه الاقتصاد اذ أن امتصاص المهاجرين كان لا يزال مستمرا كما ان التعويضات الالمانية التي تسلمتها الحكومة الاسرائيلية مكنت الاخيرة من البدء في تنفيذ مشاريع انمائية على نطاق واسع في قطاعات الزراعة والري والكهرباء والمواصلات . كما ان ذيول حرب سيناء عام ١٩٥٦ والزيادة الكبيرة التي طرأت على حجم الانفاق العسكري كانت لا تزال موجودة .

ثالثا : في بداية فترة الستينات وعلى وجه التحديد خلال الفترة الممتدة ما بين عامي ١٩٦٠ — ١٩٦٥ بدأت السياسة الاقتصادية في اسرائيل تتجه نحو التركيز على تحسين وضع الميزان التجاري بعد ان ايقنت الحكومة الاسرائيلية ان الاعتماد المستمر على المصادر الخارجية للتمويل يعرض الاقتصاد الاسرائيلي الى مشاكل عديدة وهزات لا يمكن السيطرة عليها . يضاف الى ذلك ان الزيادة في كمية وسائل الدفع نتيجة لتراكم الاحتياطي من العملات الصعبة هدد الاقتصاد بذيول تضخمية خطيرة لا يمكن حلها الا بزيادة الواردات او زيادة الانتاج المحلي . وحيث ان زيادة الواردات تزيد من العجز المزمن في الميزان التجاري،فقد استقر رأي الحكومة الاسرائيلية على زيادة الانتاج المحلي وخصوصا السلع القابلة للتصدير . وفي هذا الوقت ظهرت السوق الاوروبية المشتركة التي هددت بانخفاض كبير في حجم الصادرات الاسرائيلية الى دول السوق بسبب ارتفاع التعرفة الجمركية عليها . لذلك قررت السلطات الاسرائيلية تطوير القطاع الصناعي بسرعة ومده بكافة المساعدات المباشرة وغير المباشرة بحيث يصبح هذا القطاع أكثر القطاعات حيوية وانتاجا .

رابعا : خلال الفترة ما بين ١٩٦٥ — ١٩٦٧ وهي الفترة التي سبقت عدوان الخامس من حزيران والتي تميزت بانكماش اقتصادي في قطاعي الزراعة والبناء ، لم يستطع القطاع العام ان يعالج الموضوع بالطرق والوسائل التقليدية وهي زيادة الانفاق العام لتنشيط الدورة الاقتصادية . فقد وقع الاقتصاد فريسة لميزانية عامة تعاني من عجز كبير وانخفاض في مستوى العمالة والانتاج والدخل. ولم تجد الحكومة الاسرائيلية مفرا من دعم القطاع الخاص ليزيد من حجم استثماراته حتى يستطيع امتصاص الفائض من اليد العاملة. والجدير بالذكر ان الانخفاض الذي طرأ على مستويات العمالة والانتاج والدخل كانت نتيجة لسياسة مرسومة في بادىء الأمر ، غير انها ما لبثت ان خرجت عن ارادة وتحكم السلطات الاسرائيلية اذ وصل معدل البطالة الى أعلى مستوى له خلال فترة الخمسة عشر عاما التي مضت على انشاء اسرائيل . وقد ادى فشل السياسة الاقتصادية المرسومة الى قيام تذمرات اجتماعية وعمالية على نطاق واسع .

خامسا : الفترة التي تلت حرب الخامس من حزيران تميزت بسيطرة القطاع العام على مزيد من الموارد الاقتصادية لتمويل العمليات العسكرية وشراء الاسلحة وبناء خطوط دفاعية على مختلف الجبهات العربية . لكن رافق هذه الزيادة ترابط أوثق بين القطاعين الخاص والعام فقد أصبح الاول يمد الثاني بما يحتاجه من سلع وخدمات لتمويل الجهد العسكري في حين قام القطاع الثاني بتوفير كافة المساعدات المباشرة وغير المباشرة لكي يدفع عجلة التصنيع الى الامام . ويبدو ان هذا هو محور السياسة الاقتصادية الاسرائيلية في عشر السنوات القادمة كما يتضح من الدراسة التي اجراها « مايكل برونو » استاذ الاقتصاد في الجامعة العبرية والتي أوردناها بالتفصيل .

بقيت ملاحظة أساسية أخيرة حول هذا الموضوع . ان هذا البحث قد ارتكز اساسا على

المؤشرات الاحصائية والتطورات الاقتصادية والاهداف الاقتصادية التي مر بها وعمل لها الاقتصاد الاسرائيلي خلال العقدين الاخيرين وقد حاولت هـذه الدراسة معرفـة التحولات الاساسية التي حصلت بالنسبة لدور القطاعين الخاص والعام وأثرهما على مستوى النشاط الاقتصادي . وهذه المعلومات **ضرورية** ولكنها **غير كافية** لربط التغيير الذي حصل في كل قطاع وأثره على السلوك الايديولوجي والسياسي لبعض الاحزاب الاسرائيلية . فمثل هذه الدراسة تتطلب معرفة أوسع وأكثر تفصيلاً بالنسبة لتركيب « الوحدة التي تتخذ القرارات » في مؤسسات القطاعين الخاص والعام . وليست هنالك معلومات متوفرة لدينا حول هذا الموضوع حتى ان المصادر الاسرائيلية نفسها تقر بأن الدراسات قليلة جداً في هذا الشأن ولا تمكن الباحث من استخراج نتائج موثوقة . ان الاطار النظري الذي أوردناه في القسم الاول والذي يعتمد التمييز بين تعظيم الارباح وتعظيم المنفعة كمقياسين في اتخاذ القرارات في كل من القطاع الخاص والقطاع العام يمكن ان يفسر نوع التوظيف البشري في كل قطاع على ان ذلك يتطلب معرفة تفصيلية بخصائص القوى العاملة في كل قطاع . لذلك يجب اعتبار هذه الدراسة كمدخل الى بحث الموضوع ريثما يتم استكمال الجوانب الاخرى منه .

مجلة اسرائيل

ف. المنصور

في غمرة الاحتفالات الصهيونية التي جرت على نطاق عالمي اثر انتصار اسرائيل في حرب حزيران ، قررت القيادة الصهيونية اصدار مجلة شهرية في الولايات المتحدة باسم مجلة اسرائيل * تتولى الدعاية للدولة اليهودية. لهذه المجلة حشدت المنظمة الصهيونية جميع طاقاتها ، وحرصت على ان يكون الكتاب فيها من ذوي الاسماء الرنانة . فظهر العدد الاول في ١٩٦٧ (دون تعيين للشهر) تزينه صورة ملونة لفتاة اسرائيلية جميلة ترتدي البزة العسكرية . وكما سيتوقع القارىء العارف بدرجة الحماس العسكري الذي انتاب الصهاينة في اعقاب حرب حزيران ، فالعدد الاول كان مكرسا « للدفاع » ، ويتضمن مقالات باقلام نجوم الحرب في اسرائيل ، وبين هؤلاء الجنرال موشي ديان ، وزير الدفاع، والبريغادير جنرال حاييم هيرتزوغ ، رئيس الاستخبارات السابق والمعلق العسكري في اذاعة اسرائيل ، بالاضافة الى مساهمات من موشي بريليانت ، مراسل التايمز اللندنية المقيم في اسرائيل ، ومن الفيكونت صاموئيل ، ابن هيربرت صاموئيل ، اول مندوب سام بريطاني في حكومة الانتداب بفلسطين . ولم ينس محررو المجلة الجانب الثقافي ، فاحتوى العدد على حديث مع عجنون ، الاديب الاسرائيلي الحائز على جائزة نوبل ، وعلى قصة لاسحاق باشيفيز سنغر، من مشاهير كتاب القصة اليهودية في العالم، بالاضافة الى اشعار مترجمة عن العبرية الحديثة . وكانت هناك ايضا اعلانات للويسكي الاسكتلندي وايت ليبل ، ولقهوة ماكسويل ، ولخطوط العال ، ولسيارات امبريال — كرايزلر ، ثم الصفحة المعهودة التي تدعونا الى زيارة اقليم مارلبرو حيث النكهة الاصلية. كل ذلك لقاء دولار واحد هو سعر المجلة في الولايات المتحدة ، وثلاث ليرات ونصف سعرها في اسرائيل . وليس هذا السعر مرتفعا اذا ادخلنا في اعتبارنا فخامة المجلة المتناهية . فالورق الصقيل من افخر الانواع ، والصور الملونة وغير الملونة ممتازة ، والتبويب والاخراج على اعلى درجة . كل شيء بالمجلة ينبض بالحياة العصرية وعلى احدث طراز ، فالمنظمة الصهيونية تريد ان تبرز وجه اسرائيل الافضل للناس . ولما كانت التبرعات الامريكية والسندات المباعة لمصلحة اسرائيل غير خاضعة للضرائب ، فلم التقتير ؟

في صدر العدد الاول نعلم ان مجلة اسرائيل هي ثمرة لجهود امريكية — اسرائيلية مشتركة . في امريكا ، مقر مؤسسة النشر هذه يقع في فيلادلفيا ، وفي اسرائيل بتل ابيب . وهناك ايضا مجلسان للمدراء ، في اسرائيل وامريكا ، ولكن الفرع الامريكي اكبر بكثير . اما رئيس التحرير فهو الصهيوني القديم موريس كار الذي كان سابقا مراسل الجيروساليم بوست في باريس ، تساعده مجموعة من الكتاب واساتذة الجامعات ، علاوة على موشي بريليانت واسحاق باشيفيز سنغر . ان كلمة الناشر في العدد الاول هي التقدمة التي تلخص اهداف المجلة . وهي ايضا اللوحة الدعائية التي نجد فيها جميع

---

* Israel Magazine

الخطوط الرئيسية للدعاية الاسرائيلية ، بكل كليشيهاتها وترديداتها القديمة المعهودة .
وفيما يلي عرض لهذه الخطوط العريضة العامة كما تظهر في كلمة الناشر : ١ — ان الحاجة كانت منذ زمن بعيد ملحة لاصدار مثل هذه المجلة . (مغزى ذلك ان اسرائيل كانت حتى ذلك الحين قد اهملت الدعاية لقضيتها) . ٢ — من بين جميع الدول التي حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية ، ولا دولة نالت اهتماما بقدر ما نالته اسرائيل . (هنا نجد اصداء لنظرية الشعب المختار في صياغة جديدة . فاذا جاز لنا هنا ان نقارن العالم بممارس اليوغا ، فاسرائيل هي بمثابة صرة الرجل ومحور تأملاته في نظر الصهاينة) . ٣ — وعجيب ، كما هو التاريخ اليهودي الذي يرجع الى اربعة الآف عام خلت ، فهذا التاريخ لم يحقق قدرا من الدراما اعظم ، ولا درجة من التراجيديا اعمق ، كما حقق في العهود القريبة . (مزيد من النرجسية وعبادة الذات) . ٤ — . . . صراع الحياة والموت بالنسبة لشعب اسرائيل في حرب الايام الستة. (اسرائيل تعرف جيدا ان حرب حزيران لم تكن مطلقا صراع حياة أو موت بالنسبة لها ، بل كانت حرب غزو واحتلال ، ولكن الستينات في القرن العشرين هي ليست كالستينات في القرن التاسع عشر عندما كان يمكن الافتخار بالغزو والاحتلال) . ٥ — اسرائيل هي البوتقة التي تجمع بين القادم من منطقة جبال الاطلس المتأخرة على الصعيد الحضاري ، وبين خريج هارفرد واوكسفورد . الجميع هم مواطنون متساوو الحقوق في اسرائيل . (ومعاملة اليهود الشرقيين وكأنهم مواطنون من الدرجة الثانية ؟ ومنظمة الفهود السود ؟ والفلسطينيون الذين يعيشون في ظل الحكم العسكري ؟) . ٦ — اسرائيل هي من ادناها الى اقصاها محطة بحوث ونشاط بشري يساهم في تقدم الانسانية . (خاصة البحوث العلمية لانتاج وتطوير الاسلحة في مصانع اسرائيل) . ٧ — . . . الصحراء التي اصبحت تنبت وتثمر . (هذه هي الكليشيه المعهودة عن فلسطين التي كانت صحراء قاحلة قبل ان « يعود » اليها الشعب المختار ليعمرها) . ٨ — فوق كل شيء ، اسرائيل هي مسقط راس الاديان التوحيدية الثلاثة ، ارض الحج والسياحة ، حيث تغني بلاد صهيون المزامير . (بعد الدعاية السياسية ، تأتي الدعاية السياحية . ثم ان فلسطين ليست مسقط راس الدين الاسلامي) . ٩ — ليس بالمستغرب اذا كانت اعداد لا تحصى من غير اليهود ، بالاضافة الى الاثني عشر مليون يهودي في الشتات ، ونصفهم امريكيون ، يشعرون باهتمام عميق حيال اسرائيل . ولكن كثيرا ما يكون اهتمامهم مبهما على صعيد الحقائق ، وعابرا على صعيد العواطف . ولهذا فمهمة مجلة اسرائيل ان ترسم لهم صورة حقيقية لاسرائيل . اننا سنذير ظهورنا للدعاية التي من شأنها ان تقدم صورة نموذجية زائفة لاسرائيل ، وسنتفادى توجيه الاتهامات التي يخاض بها من اجل تحقيق الاثارة . اننا لا نحقد على احد . كما ان مجلة اسرائيل هي مشروع صحفي مستقل تماما ، سياسيا وماليا . (في هذه الفقرة نجد تحذيراً مستتراً لليهود في «الشتات» الذين يكتفون ببذل العواطف . اي المطلوب هنا هو اكثر من ذلك . ولكن ماذا بالضبط ؟ المزيد من التبرعات ؟ المزيد من التأييد السياسي ؟ الهجرة الى ارض الميعاد ؟ المهم في الوقت الحاضر وكخطوة اولى على صعيد الدعاية هو اعطاء اليهود في الشتات الانطباع بان اهتمامهم المبهم على صعيد الحقائق ، والعابر على صعيد العواطف ليس كافيا . المطلوب هو التحام اعظم بالدولة الصهيونية . وفعلا نجد في سياق الاعداد القادمة من المجلة تأكيدا قويا على وجوب الهجرة الى ارض الميعاد . اما الذي لا يستطيع « العاليه — الهجرة » في الوقت الحاضر ، فيجب ان يدفع الدية في شكل المزيد من التبرعات والمزيد من التأييد السياسي النشيط . اما زعم رئيس التحرير ان مجلته ستبتعد عن الاسلوب الدعائي ، فهذا مثل قول مارك انتوني في بداية مرثيته ليوليوس قيصر فيمسرحية شكسبير الشهيرة ، بانه ليس خطيبا مفوها ولن يحاول التأثير على الجماهير) . ١٠ — سنوجه الاضواء على جانب من جوانب اسرائيل في كل عدد . وسنبدأ بالدفاع . التركيز على

القدس سيأتي في العدد الثاني الذي لاسباب فنية سيظهر في شباط (١٩٦٨) وبعد ذلك ستظهر المجلة كل شهر دون تأخير. اننا لن نفتقر الى المواضيع مطلقا، فاسرائيل غنية بها. وهذه المجلة تريد ان تكون جسرا بين اسرائيل والشتات.

هذه العبارة الاخيرة تبين لنا ان وظيفة مجلة اسرائيل والدور الذي وضع لها لتؤديه يختلف عن وظيفة شقيقتها نيوميدل ايست. فتلك المجلة الشهرية التي بدأ صدورها بلندن في خريف ١٩٦٨ كان المطلوب منها ان تصبح جسرا — اذا جاز لنا ان نحمل هذا التعبير فوق ما يحتمله — بين النظام الاسرائيلي وشعب فلسطين. كانت بمثابة الجزرة في نهاية الخيط، مدلاة امام انظار الشعب الفلسطيني، لاستمالته الى اسرائيل وابعاده عن منظماته المقاومة. ولكن سرعان ما ظهر ان الجسر هو فخ، فتضاءل تأثير المجلة وقلت اهميتها، ثم باتت على وشك الانهيار عندما قدم مؤسسها ورئيس تحريرها جون كمشه استقالته من منصبه، معترفا ضمنيا بفشل النيوميدل ايست في اداء الدور الذي أسند اليها من قبل المنظمة الصهيونية. اما مجلة اسرائيل، فهدف المنظمة الصهيونية من تأسيسها هو واضح في كلمة العدد الاول الافتتاحية. فالمطلوب منها ان تكون جسرا بين اسرائيل واليهود في الشتات. انها تتوجه الى القارىء الغربي وحده، ودعايتها ليست للاستهلاك العربي او الفلسطيني، وانما للقارىء الغربي، ولا سيما اذا كان يهوديا.

وفي العدد الاول المكرس للدفاع، يلقي رئيس التحرير موريس كار خطبته المتوقعة عن حرب حزيران، وفيها الترديد المعهود عن عظمة المعجزة الاسرائيلية، ثم لا ينسى ان يعرج على قاعات الغاز النازية، فيذكر القارىء بالملايين الستة من اليهود الذين افنوا فيها. واخيرا يصل الكاتب الى اوج الحماس والغضب الحقاني عندما يقول: ان الموقف العربي هو خرق لميثاق الامم المتحدة وللمناقبية في ابسط اصولها، الى درجة ان حتى الاتحاد السوفياتي نفسه شعر بالحرج. هذه العبارة تبين بجلاء الاسلوب الذي ستتبعه المجلة في اعدادها القادمة، فالصهيوني الذي تبلغ به الوقاحة المتناهية حد التظاهر بالشعور بالغثيان من جراء «خرق العرب لميثاق الامم المتحدة وللاخلاقية في ابسط اصولها» هذا الرجل لن يرعوي عن ترجمة جميع اساليب هتلر وغوبلز في تشويه الحقائق وقلبها رأسا على عقب، ليبني اسس دعايته الصهيونية عليها. واخيرا ينهي موريس كار مقاله بالعبارة العبرية: اين بريره، اي لا مناص، لا مناص من النصر الاسرائيلي، لان البديل الوحيد له هو ابادة الشعب اليهودي. بعد هذه الحجة التبريرية التي لا يكاد يخلو منها مقال صهيوني كتب بعد حرب حزيران، يعين رئيس تحرير المجلة هدف الحرب الاسرائيلية للقارىء: انه السلام بالطبع.

اما صاحب النشيد الرئيسي في العدد الاول فهو طبعا عسكري اسرائيل الاشهر، موشي ديان، اذ من يحق له التحدث عن «دفاع اسرائيل» اكثر منه؟ عنوان المقال هو: السلاح الاعلى، ومن جملته الافتتاحية: «دولة اسرائيل ولدت في الحرب ...» يعلم القارىء انه مدعو من جديد لخوض غمار الملحمة الاسرائيلية، على الاقل كمستمع معجب طبعا. وكأن عشرات الروايات البطولية من طراز ايكسودس لم تف بالغرض، يأتي الجنرال ليضيف روايته الجديدة القديمة الى القائمة الطويلة. ومرة اخرى يتضمن مقال بقلم صهيوني احصاء لعدد النفوس العرب في الاقطار العربية، مع المقارنة طبعا بعدد سكان اسرائيل. النتيجة الحتمية للمقارنة: العرب متفوقون. وهنا يعلم القارىء الخبير بالدعاية الصهيونية ما ينتظره، فالمقارنة في الحجم والعدد لا يمكن الا ان تكون التمهيد لسرد حكاية الصهاينة المفضلة في التوراة، حكاية داود وجوليات، باعتبار ان الحديث عن اسرائيل الجديدة يفتقر لا شك الى نكهته المميزة اذا خلا من ذكر التوراة. وكلنا طبعا نعلم ان التوراة ما هي الا سجل لانتصارات اليهود العسكرية الباهرة، اذ

من قال انها كتاب دين ؟ اذن فالجنرال ــ المؤرخ مصمم علــى اعادة رواية الاسطورة العتيقة ، اسطورة داود الخفيف التسلح ، السريع المناورة ، الصغير السن والحجم ، الشديد الذكاء والاقدام . وجوليات العملاق الغبي ، الذي لا يستطيع الحركة من ثقل الاسلحة التي يحملها ، والذي يسعى الى حتفه بظلفه . مسكين جوليات ! فما دامت اسرائيل قائمة ، لن يتمكن من الرقاد في قبره بهدوء وراحة !

بعد المرحلة التوراتية ، يطير الجنرال الى عصرنــا الحــاضر ، فيرسم للقارىء صورة حماسية مثيرة للجيل الشاب المحارب في اسرائيل ، الجيل الجديد الذي يشعر بانتمائه الى نخبة الشعب . ولا بأس اذا اخبرنا ديان في نتفة هامشية (متذكرا لا شك ايام كان وزيرا للزراعة) عن ملكة البقر في اسرائيل ، المقيمة في مستعمرة سريد ، التي تمنــح في العام ٣١٢٠ غالونا من اللبن (حتى البقر الاسرائيلي متفوق) . ولا بــأس ايضا اذا تحدث الجنرال الصبرا عن الرواد الذين خلقوا الدولة الجديدة ، فهذا لا ريب سيذكر القارىء الامريكي برواد الغرب الذين ساهموا في خلق ولايات متحــدة جبارة تمتد من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادىء ، ملحقين بها اقاليم شاسعة اقتطعت من المكسيك بقوة السلاح . ويستمر ديان في نحت تمثال الشعب المتفوق ، فيضمن مقاله النــادرة التالية : مرة شاهد طائرا كبيرا ، فصوب اليه بندقيته ليصطاده ، فاذا برقيب في الجيش يمس كتفه ويقول له : ماذا تفعل ؟ ان الذي تريد اصطياده هو نسر ، وهو واحــد من ثلاثين نسرا فقط هي كل ما بقي من نسور في اسرائيل . مغزى الحكاية : حتــى الرقيب في اسرائيل يستطيع ان يمنع الجنرال من الاتيان بعمل لا يتفق مع مصلحة البلاد ، كأن يقتل احد نسورها الثلاثين مثلا ، فجيش اسرائيل هــو جيش مواطنين تسودهم روح المساواة التامة . ثم ان العطف على الحيوان والرغبة في حمايته هو شيء يشترك فيه الجميع بالبلاد . ويجب ان نتذكر هنا ان هذا المقال كتب في عهد كثر فيه الحديث بامريكا عن تلويث البيئة وانقراض الحيوانات النادرة ، فلا مانع اذن اذا استعاض الجنرال عن اصطياد النسر باصطياد عصفورين وهميين بحجر واحــد ، باعتبار ان نــادرته تبين المساواة التامة السائدة في جيش الدفاع الاسرائيلي ، من جهة ، ومن الجهة الاخرى ، ففيها الدليل على ان اسرائيل حريصة على الحيوانات النادرة فيها .

وينهي ديان مقاله بفقرة شاعــرية عن النسر الذي يحلــق عاليا في الاجــواء ، وعن الاسرائيلي الذي يراقب طيرانه ، يريد ان يتعلم منه كل شيء ، كيف يحلق وكيف ينقض على فريسته ، لانه هو الاخر محترف مثله تماما ، اي مثل النسر .

بعد هذه الكريشيندو الفاغنرية يتساءل القارىء عما بقي للبريغادير حاييم هيرتزوغ ؟ ولكن هيرتزوغ ، مثله في ذلك مثل ديان الذي يقدمه رئيس التحرير على انه سيد السيف والقلم ، لا يخيب الظن عندما يتحدث في مقاله المعنون « اسرائيل الجديدة » عن الحدود الجديدة ، فيصفها بانها آمنة ، وتضع اسرائيل في مركز استراتيجي متفوق ، وليس في الامكان ابدع مما كان .

بعد نظرة ديان البانورامية الى تاريخ اسرائيل ، من داود اليه ، وتكهنات هيرتزوغ عن العصر الذهبي في الشرق الاوسط الذي سيحل بالمنطقة بعد اعتراف العرب بالدولــة الصهيونية ، يأتي دور موشي بريليانت ليقدم نشيدا اخر : هذه المرة عن المواطنين في البزة العسكرية . فيفتتح مقاله بالنادرة التالية (جعبة الاسرائيليين لا تفرغ من النوادر) : طالبة جميلة (في النوادر الاسرائيلية جميع الاسرائيليات جميلات) في الجامعة العبرية تجد في صباح اليوم الذي تلى اعلان الرئيس عبد الناصر اغلاق مضائق تيران رسالــة قصيرة من زميلها في الكلية ، معلقة على باب غرفتها . في هذه الرسالة يخبرها الطالب بانه قد أستدعي ، ويطلب منها ان تأخــذ له نسخة كاربونية عن المحاضرات ... ثم

« سأراك الساعة السادسة بعد الحرب » . ويلي ذلك رقمه ورتبته واسمه وعنوانه: القاهرة .

مغزى القصة : هكذا يذهب الاسرائيلي الى الحرب ، فالجيش الاسرائيلي جيش بدون رسميات او اتيكيت . ثم يذكر لنا بريليانت نادرة الهليوكبتر الاسرائيلية التي نفد وقودها ، فهبطت على ظهر حاملة طائرات امريكية تابعة للاسطول الامريكي السادس. الضابط الامريكي المسؤول ، بغضب : كيف تجرؤ على الهبوط على باخره تابعة لنا ؟ ويجيب الاسرائيلي بابتسامة جذابة ذات خبث محبب : من الجو حسبتها احدى سفننا . وحتى لا يفوت مغزى النكتة على القارىء ، يتبرع راويها باضافة حاشية فحواها ان الاسطول الاسرائيلي كله يمكن وضعه على سطح حاملة طائرات امريكية .

نادرة ثالثة : صحفي يبحث عن عقيد اسرائيلي يعرفه ، فيذكر اسمه في المكتب ، ولكن لا احد ممن يفترض فيهم ان يكونوا زملاء هذا العقيد في الوحدة يبدو انه يعرفه . واخيرا يتضح للصحفي ان العقيد الذي يرغب في ملاقاته معروف من قبل الجميع باسم غير اسمه الحقيقي ، فاسم الدلع الذي ينادي به الجميع هذا الضابط الكبير هو : صرصور . وهناك نوادر اخرى بالمقال تلتقي جميعا في المغزى بأن الجيش الاسرائيلي يتألف من رجال يحاربون كالاسود ، ولكنهم في الاساس مواطنون عاديون ، متواضعون (!) ، دمهم خفيف جدا ، حاضرو البديهة ، سريعو النكتة ، الخ .. الخ .. وكدلالة على ذلك ، تنشر صور الجنود والضباط في اعداد المجلة ، فنجدهم يعتمرون القبعات التكساسية العريضة التي احيانا تميل الى الجانب في زاوية توحي بالتحدي الظريف ، واحيانا تهبط على جباههم وتغطي عيونهم ، بينما تطل من شفاههم السيكار الضخمة . وهناك ايضا صورة لايغال الون في قبعة من هذا النوع ويمتطي حصانا . والمطلوب هنا ان يفسر لنا عالم نفساني لماذا يصر الاسرائيليون على التشبه بالمثل الهوليوودي جون واين في افلامه الويسترن المعروفة .

والمقال الاخر الذي يستحق الاهتمام في العدد الاول هو بقلم الفيكونت صاموئيل ، فيسرد للقارىء قصة حياته التي قضى الشطر الاكبر منها بفلسطين حيث كان ضابطا في الجيش البريطاني ، ثم موظفا بحكومة الانتداب . وقبل ذلك ، يروي بعض تجاربه في انجلتره التي ولد ونشأ فيها ، وكيف كان يعاني من خشونة التلاميذ الانكليز في المدرسة بسبب يهوديته . ولكن سعادته الحقيقية بدأت في اسرائيل التي استقر فيها نهائيا ، ما عدا ثلاثة اشهر من كل عام ، يقضيها في بريطانيا ليحضر جلسات مجلس اللوردات بحكم كونه عضوا فيه . ولا ينسى صاموئيل ان يذكر حفيدته الشابة (المولودة في اسرائيل طبعا) والتي تنتظر على احر من الجمر استدعاء الجيش الاسرائيلي لها للخدمة العسكرية فيه . والذي يثير الاهتمام بصفة خاصة في ذكريات صاموئيل ، هو كونه عضوا في الاسرة التشريعية بالدولة البريطانية بالرغم من اقامته الدائمة في اسرائيل ، علما بان لقبه الوراثي سيتيح لابنه بعده ، ولاحفاده ايضا ان يجلسوا في مجلس اللوردات . فهل يا ترى سيسمح هذا المجلس لضباط اسرائيليين ان يكونوا اعضاء به في المستقبل ؟

ويحتوي العدد الاول ايضا على مقال بعنوان مذكرات حرب لرجل غير محارب بقلم رئيس التحرير موريس كار ، ومقال اخر عن سياسة الحافة التي يتبعها الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ، على حد راي الكاتب . ثم يأتي دور الثقافة ، باعتبار ان الاسرائيلي هو مثقف محارب (او لعله محارب مثقف ؟) فتطالع القارىء مجموعة من القصص والاشعار وبعض الفلسفة والفنون . وبعد ذلك يصل الى الصفحة الاخيرة حيث يجد ثلاثة كوبانات للاشتراك ، له ولاصدقائه ، في انتظاره ، مع مناشدة المجلة له بأن : « اسرائيل تحتاج الى كل واحد منكم ، ونحن نحتاج الى اسرائيل والى كل واحد

منا » . وكي يطمئن القارىء الى ان المجلة حائزة على بركات الجهـات العليا ، فهذا الاعلان يتضمن ايضا توصيةبالمجلة من لا أقلشخصيةمن السفيرالاسرائيلي في واشنطن. اما العدد الثاني فيبدأ بمقال بقلم رئيس التحرير موريس كار عنوانه : خيانة ديغـول لنفسه . ولما كان كار هو مراسل الجيروساليم بوست السابـق في باريس ، فهـو في موقف يسمح له بان ينبىء القارىء بان ديغول لم يكن ابدا معاديا للسامية (وكأن كـل منتقد لاسرائيل هو معاد للسامية) ، ولكن كار سرعان ما يفقد اعصابه ، عندما يستبد به الحقد على فرنسا في جملة عرضية ، فيقول ان فرنسا لم تسقط عـام ١٩٤٠ فقط ، بل انها ارتمت بوضاعة تحت جزم النازيين . ويدهش القارىء لهذا الانفجار في مقـال يستهدف النيل من ديغول نفسه ، وليس من الشعب الفرنسي ككـل ، الذي عرف عن اغلبيته تأييدها لاسرائيل ، ولكن الكاتب ينتهزها فرصة سانحة « لنبش فضائح حكومة فيشي وتواطئها مع النازيين ، وتصديرها لليهود الفرنسيين بالجملـة الى معسكـرات الاعتقال وقاعات الغاز » . واخيرا يتضح للقارىء ما يرمي اليه الكـاتب الصهيوني ، فهو بكشفه النقاب عن « الماضي المخجل » لفرنسا ، يحاول تهديدها وابتزازها ، علـى أساس انها يجب ان تكفر عن ذنوب الماضي بمساعدة اسرائيل ، وباعتبار اذا كان هذا الاسلوب قد نفع مع المانيا ، فقد يكون فعـالا مع فرنسا ايضا . ويتضمن هذا العدد ايضا منولوغا « لعربي » اسمه احمد بن حكيم (لا يتضمن جدول المساهمين في نهايـة العدد معلومات عنه كبقية الكتاب ، ولا توجد اشارة يستفاد منها ان الاسم مستعار) وبالاضافة الى غرابة الاسم ، نظرا الى ان العرب في فلسطين لا يستعملون « الابن » في اسمائهم ، فهذا المنولوغ هو عبارة عن هذر وهذيان يخلوان من اي منطق ، وفيما يلي نصـــه .

يقول ابن حكيم هذا : « اني من المعتدلين ، وقد انقذت حياة يهودي في شغب ١٩٢١ وكنت متزوجا من امرأتين. بعد سقوط القدس في حرب حزيران نهب الجنود الاسرائيليون بيتي وسرقوا نقودي ولكني لا احقد عليهم بسبب ذلك ، فالحرب هي الحرب . اني الوم نفسي لانه كان يجب ان افر الى عمان عندما اندلعت الحرب . بعـد الحرب جاءنا ضابط اسرائيلي وقال انـه قد عين لي راتبا شهريا لاعيش عليـه . كما جاءني عـربي هددني بالقتل . اني لا اخاف من الموت فقد سئمت الحياة . ولكني لا اريد ان أقتل بتهمة الخيانة . اني لا استطيع النوم في الليل ، وعقلي في انهيار . ماذا كنت انا افعل في الاعوام التسعة عشر منـذ قيام اسرائيل ، انـا الخطيب المفوه ، المحامي ، السياسي ؟ اقر باني طالبت وتنبأت بتدمير الدولة الصهيونية ، ولكني كنـت لا اؤمن بما اقوله . غريبة هي الفصاحة التي ينطق بها الفرد عندما يكـون اسير الاوهام . فالواقع اني انـا والجميع كنا قد اعتدنا على وجود اسرائيل . ولم اتوقع ان تختفي ، فالمعجزات لا تحدث . لكني ايضا لـم اتوقع ان تتوسع اسرائيل . ثم جاء اغلاق مضائق تيران واتفاق ناصر مع الملك حسين . كله خداع وبلـف ، قلت لنفسي . لقد سمعنا مثله الكثير في الماضي . في صبيحة الحرب وضع الجيش الاردني بطارية هاون خارج بيتي . قال الجنود انهم يريدون قصف مستشفى هداسا . فانتقلت الى الفندق ، وهناك رفعنا الاعلام البيضاء. كنا نظن ان اليهود سينسحبون قريبا . هذه مشكلتنا نحن العرب ، نحيا في عالم التخيلات (...)وعندما توحدت القدس من جديد ، بكيت انا واكثر العرب ، من الفرح ، وسرت كالتائه في شوارع القدس الجـديدة اعانق اصدقائي القدامى . عندئذ تحدثت عن الصلح والاخوة . ولكن المؤسف له اننا اهل القدس نمتلك قلوبـا لئيمة وآذانا طويلة . عندما عدت الى القدس القديمة ووجدتها تعج باليهود وبالفتيات في الميني جوب ، شعرت بالغثيان ، ولم تتحسن حالتي عندما دعتني عائلة يهودية اعرفها منذ ثلاثين عاما لازورها في تل ابيب . فقـد ارتقينا في مصعد متجر شالوم الى الطابق الاعلى ومن هناك رأيت مدينة ضخمة تنبسط تحتي حيث لم تكن ايام شبابي الا الصحراء والرمال . اني اسمع بان بئر السبع التي اتذكرها قرية صغيرة ، قد اصبحت مدينـة تعج بالنشاط . ولكني اضع اصابعي في اذني عندما يريد الناس ان يخبروني بذلك . وارتني العائلة اليهودية ثلاجتها . سألتهم : هل تصنعوها في اسرائيل ؟ قالوا : نعم . قلت لهم : انكم تسبقونا بثلاثة قرون . صحيح ان العبقرية العربية لم تزدهر في السنوات الاخيرة ، ولكـن هذه غلطة اليهـود . فقد انشغلنا بالعـداء والكراهية الى حد ان قابليتنا على الخلق اصابها العقم . الذي نريده هو ان تتركونا لوحدنا ، لنعيش حياتنا

بطريقتنا . لا اقول ان احتلال اسرائيل لاراضينا هو تاس ، اذ لا ادري ما كان سيحصل لو انقلبت الادوار ، لو اننا نحن العرب هزمنا اليهود . في يوم الاربعاء ذاك ، عندما رأينا دبابة تدخل القدس ، لم نظن ابدا انها اسرائيلية . اعتقدناها عراقية وهتفنا لها . كنا على ثقة من النصر . لا اظن اننا كنا سنعاملكم برفق لو كنا انتصرنا . تعلمون ما حدث للفتاتين اليهوديتين المقاتلتين قبل سنوات . فقد اسرهما شيخ عربي . فقالا له: اقتلنا ولكن لا تغتصبنا . فقال لهما : ساغتصبكما وساقتلكما » .

هذا الهذيان الفريد الذي لا ريب قد طبخه احد محرري المجلة هو البروفيل الذي ترسمه الدعاية الصهيونية للعربي . فصاحبنا ابن حكيم (الظاهر ان معرفة كاتب « الحديث » بالعرب متأتية من كتب المؤلف الالماني كارل ماي الذي كان يكتب عن الشرق للاطفال) هو من المعتدلين . وهو بطبيعة الحال متزوج من امرأتين ، فصورة العربي لا تصبح كاملة دون ذكر لتعدد الزوجات . وهو كأي عربي اخر نـادم لانه لم يفر من القـدس اثناء الحرب . ولكننا اذا اعتقدنا من بداية حديثه انه رجل أمي ، فاننا نغير رأينا بعد ذلك عندما نعلم من سياق حديثه انه محام وسياسي ، فهذا يضعه بين افراد الطبقة المثقفة . أما مغزى وضع هذا الهذر في فم رجل مثقف فهو ان الاميين والمثقفين العرب متساوون في ضعف العقل . ثم انه « خطيب مفوه » ، اي هو كأي عربي اخر يحترف صناعة الكلام ويقول ما لا يؤمن به . انه أسير الاوهام ، باعترافه هو . الاسرائيليون يكافئونه بالمال لانهم طيبون والعرب يهددونه بالقتل لانهم غدارون . الجيش الاردني يريد قصف مستشفى اسرائيلي . عندما « توحدت » القدس بكـى مـن الفـرح ، ولكنه عندما شاهد الاسرائيليات في الميني جوب ثارت في نفسه العصبية الاورينتالية . في تل ابيب يفاجأ برؤية مدينة حيث سابقا كانت توجد الرمال فقط (صدى آخر لاسطورة تعمير اليهود لفلسطين) ثم يستغرب صاحبنا ان يرى ثلاجة مصنوعة في اسرائيل ، مع انه توجد على الاقل ثلاثة اقطار عربية تصنع الثلاجـات حاليـا . ويقول ابن حكيـم للاسرائيليين : انكم تسبقونا بثلاثة قرون ، ولكنه في الجملة التي تلي ذلك يقول لليهود : حضارتكم ليست افضل من حضارتنا ، مما يدل على الدوامة التي يظل العقل العـربي غارقا فيها على الدوام ، حسب رأي كاتب المقال . ثم ان ابن حكيم يعترف بان العداء العربي لاسرائيل هو الذي وضع لعنة العقم على قابلية العرب للخلق ، وهذا هو ايضا ترديد لاسطوانة صهيونية قديمـة . وتأتي بعد ذلك الكـذبة الشنيعة عن الفتاتين اليهوديتين ! هل يا ترى سيصدق قارىء المجلة غير الصهيوني هذه الصورة المضحكة ؟

في الاعداد التالية نصادف في المجلة اسماء معروفة، بينها مايكل ايلكنز مراسل البي‌بي‌سي المقيم في اسرائيل ، وفرانسيس اوفنر ، مراسل الاوبزرفر اللندنية ، والاديب التشيكي لاديسلاف مناكو (الذي غادر تشيكوسلوفاكيا الى اسرائيل استنكـارا لموقف بلاده من اسرائيل بعد حرب حزيران) ، بالاضافة الى أسماء اعلام السياسة في اسرائيل ، وبين هؤلاء ليفي اشكول وابا ايبان وميناحيم بيغن ويعكوف تسور ، مما يدلنا عـلى الاهمية التي تسبغها المنظمة الصهيونية على مجلة اسرائيل . ومن الجدير بالذكر ان رئاسة التحرير تكرس سبعة أسطر لتقديم الارهابي بيغن الى القراء ، وسبعـة اسطر أخـرى لاشكول رئيس الوزراء وستة فقط لايبـان وزير الخـارجية . أمـا الصورة المرافقة لمقال بيغن ، والتي تحتل صفحة كاملة ، فهي لجندي اسرائيلي يحمل طفلين عربيين في نقطة جسر اللنبي ! ومقال بيغن هو خلط بين الخطر العربي على اسرائيل وبين الاضطهاد الذي تعرض له اليهود على أيدي النازيين . ولكن الفكرة الرئيسية فيه هي التحذير من النسيان . حتى لا ننسى ما حدث لنا ، يقول بيغـن ، قاصدا بذلك معسكرات الاعتقال النازية ، وايضا الخطر الذي كانت اسرائيل هدفا له قبل ٥ حزيران . وقضية النسيان هذه تعيد الى الاذهان النقاش الحاد الذي جرى قبل مدة على صفحات مجلة لندنية بين الصهاينة وبعض الانكليز الذين يتفهمون وجهة النظر العربية . فقد كتب

انكليزي ردا على رسالة صهيوني اتهم فيها العرب بالارهاب والتخريب ، مذكرا هذا الصهيوني بالتاريخ القريب وبالارهابي السابق ميناحيم بيغن . فرد عليه الصهيوني قائلا ان البشر يتغيرون على مدى الزمن ، وانه بعد عشرين عاما على « حرب الاستقلال الاسرائيلية » تحول المقاتلون الى ساسة ورجال دولة ديمقراطيين ، فأصبح قائد الهاغاناه موشي سنيه زعيما للحزب الشيوعي ، وميناحيم بيغن ، زعيم عصابة الارغون تسفائي ليئومي ، أسس حزب حيروت ودخل الكنيست نائبا ثم اصبح وزيرا ، وان امثال كاتب الرسالة (أي الانكليزي المدافع عن العرب) يسيئون الى العرب بتذكيرهم الدائم لهم بما حدث في الماضي ، فالماضي قد ذهب واندثر ويجب نسيانه ، كما ينبغي فتح صفحة جديدة في العلاقات ، الخ.. الخ..

جميل ان يطلب احد زعماء المنظمة الصهيونية (فصاحب الحديث هو رئيس تحرير الجيويش كرونكل اللندنية) من العرب النسيان في الوقت الذي يصر فيه بيغن على القول بأنه فخور بالدور الذي لعبه في « حرب الاستقلال » ، وبأنه يطالب اليهود في داخل اسرائيل وخارجها بعدم النسيان ، لان الماضي حـي لا يموت . كيف اذن ، ينسى الفلسطينيون مذبحة دير ياسين اذا كان بطلها ما زال فخورا بها ، لا سيما وانه اليوم احد ابرز قادة اسرائيل ؟ ثم ان بيغن لا يحذر قومه من نسيان الاضطهاد النازي لهم فحسب ، انه ايضا يقرن ذلك بالتهديد العربي قبل ٥ حزيران ، فهذا التهديد ايضا يجب ان ينحفر في ذاكرة الصهيوني ، على حد رأيه .

وما دمنا نتحدث عن النسيان ، فهناك مقال آخر في مجلة اسرائيل عنه . فبعنوان : « النسيان ؟ ابدا ! » يحدثنا الكاتب عن الاسرائيلي الذي فقد أقاربه في اوشفتز ، ولا يخفي نبرة الاعجاب في صوته عندما يصف لنا معارضة هذا الرجل العنيفة لكل بادرة تقارب بين اسرائيل والمانيا . فحتى عندما اشترك فريقا البلدين في مباراة لكرة القدم ، وزع هذا الاسرائيلي مناشير كتب فيها : « نتيجة المباراة بين فريقي تل ابيب وهيدلبرغ : ستة ملايين لقاء لا شيء . لن ننسى . لن نغفر » . وعندما زار اديناور (الذي اعتقله هتلر طوال الحرب) اسرائيل ، تزعم هذا الاسرائيلي مظاهرة خرجت تنادي بطـرد «الخنزير الالماني» من اسرائيل. ويقضي هذا الرجل وقته في توزيع صور الفظائع النازية على اليهود الشرقيين ، ويشعر بالراحة عندما يشاهد دموعهم . وعندما اندلعت حرب حزيران ، كلف بحفر الخنادق لاطفال مستعمرة اسمها كيبوتز ياد موردخاي ، على اسم يهودي قاد الثورة ضد النازيين في الحي اليهودي بوارسو . فأخذ يحفر الخنادق وهو يقول لنفسه : قد يقع لاطفالنا نفس المصير الذي وقع آنذاك في وارسو . ولكنه بعـد انتهاء الحرب ، وقف على ضفة قناة السويس وقال : « هذا هو عهد جديد . ان تذكر الماضي هو المفتاح لكل شيء سيحدث لنا في المستقبل » .

اغتنمت مجلة اسرائيل حلول الذكرى العشرين لقيام دولة اسرائيل ، فنشرت في عددها الرابع لسنة ١٩٦٨ نص ندوة ترأستها الارهابية السابقة جئولا كوهين وضمت ستة اشخاص كلهم في العشرينات . وكانوا : عضو كيبوتز يساريا صبرا ، وراقصة باليه جاء بها والداها من اليمن وهي طفلة صغيرة ، وكاتبا مسرحيا هو ايضا معلم في القدس ، ومقدما في الجيش ، صبرا ايضا ، وعضو كيبوتز متدينا ، وطالب دكتوراه يحضر رسالة في الفيزياء . وما عدا راقصة الباليه ، فقد سبق للجميع ان اشتركوا كجنود او ضباط في حرب حزيران . اما الاسئلة التي وجهتها اليهم جئولا كوهين ، فكانت : ١ ــ هل تعتبر نفسك محررا للاراضي التي حصلت عليها اسرائيل في حرب حزيران ، ام غازيا ؟ ٢ ــ ما هو شعورك تجاه اليهود في الشتات ؟ ٣ ــ هل يهمك ان يجتمع شمل اليهود جميعا في اسرائيل ؟ ٤ ــ ما هو نوع السلام الذي تتمناه ؟

المقدم : « ان الحدود الجديدة هي نموذجية وانا اشعر بالانتماء الى الاراضي الجديدة ،

فهي ملكي وحقي . حتى رفاقي الذين لا يبالون كثيرا بالتاريخ اليهودي ، يشاركونني هذا الشعور . اما بالنسبة ليهود الشتات فيؤسفني انهم ليسوا معنا هنا . وفي وقت نتخلى نحن فيه عن القيم والتقاليد القائمة بسرعة ، قد يأتي اليوم الذي يصبح فيه اليهودي في بروكلين ، مثلا ، الحارس الاصيل لديننا . نعم ، ان اليهودي في الشتات هو اخي . اما عن مفهومي للسلام ، فأنا اقول انه يرتكز على القوة العسكرية والحدود الآمنة . في نطاق هذه الحدود أريد ان ارى دولة يهودية موحدة . اما كيف يتم تحقيق ذلك ، فأتركه للساسة . »

عضو الكيبوتز اليساري : « حتى عندما اتى اجدادنا الى أرض الميعاد في التاريخ القديم ، كان بها مستوطنون اصليون . كما ان الارض التي استولينا عليها في الحرب الاخيرة كان بها مستوطنون كذلك . اذن لا يمكننا ان نعتبر انفسنا محررين . وبرأيي ، يجب ان نمتنع عن تشييد القرى في المناطق المحتلة . اني أكره ان اقول ذلك ، ولكن من اجل السلام انا مستعد حتى للتخلي عن القدس (القديمة) » .

يسأله احد المشتركين بالندوة : « لماذا لا تتخلى عن تل أبيب كذلك ؟ » فيجيبه : « لان تل ابيب هي حقيقة واقعة . اما عن يهود الشتات ، فنحن جميعا في نفس القارب ، ولذا فعلى كل يهودي يعتبر نفسه يهوديا ان يأتي الى اسرائيل ، فلدينا مساحات كافية لاستيعاب الجميع . ان معاداة السامية قد تنفجر من جديد في الخارج . وفي الولايات المتحدة تجابه المشاكل اليهود . مثلا ازدواج الولاء . ان الذي يجمعنا ويهود الشتات هو الايمان بأن ايريتز اسرائيل هي وطننا وان ديننا واحد . اقول ذلك بالرغم من اني لست متدينا » .

وعندما يأتي دور راقصة الباليه للحديث فهي تعتبر الاحتلال تحريرا ، وتريد الاحتفاظ بالقدس والضفة الغربية ، وتستنكر بشدة ما قاله زميلها عن التخلي عن القدس : « فالقدس هي تاريخنا كله ، من بدايته الى نهايته » . وهي تأسف لاي يهودي يفضل البقاء في الشتات على الهجرة الى اسرائيل ، لانها تشعر بالرابطة التي تربطها بيهود الشتات .

ثم يقول عضو الكيبوتز المتدين : « ان موقف الامن بحد ذاته يحتم علينا عدم الانسحاب من شبر واحد ، فالضفة الغربية هي الوطن ، والعقيدة الصهيونية ستظل تشد اليهود الى تحقيق الوطن الموعود ، ولذا قد يأتي الوقت للزحف من اجل احتلال او تحرير شرق الاردن » .

وهنا يسأله زميله اليساري عما اذا كان جادا في حديثه عن تحرير شرق الاردن ، فيجيب المتدين : « قبل سنة واحدة ، لم يكن احد ينظر جديا الى من يأتي على ذكر تحرير الضفة الغربية . اني في الدرجة الاولى أتكلم عما هو مرغوب فيه . ثانيا : يوجد عدد كبير من الناس يعتبر ذلك امكانية واقعية . واتذكر انه على مدى اعوام كثيرة ، ظل رئيس اليشيفاه(١) الذي أنتمي اليه يتحدث عن هذه الامور بوضوح ، فكان يقول ان الزمن سيأتي عندما يتوجب علينا الزحف الى الامام . الكثيرون كانوا يبتسمون عند ذاك . هذه الحركة الى الامام ، يجب ان يقوم بها الشعب . الشعب اليهودي كله . وكل يهودي في العالم لا بد ان يكون معنا هنا . اما اليهودي المصاب بمرض الشتات ، فاني لن اتخلى عنه ، فالانسان لا يتخلى عن المريض لانه مريض ، لا سيما اذا كان يشاركه في المصير . هذا المصير المشترك ليس من اختيارنا ولن ينتهي باختيارنا . بعض الناس يريد السلام من اجل الراحة والاخلاقية . شخصيا لا ابحث انا عن الراحة . اما الاخلاقية فهي مفهوم

١ — مدرسة دينية .

يفتقر الى الاهمية اذا لم يرتكز على الدين . وانا ارتكز على الدين . اما الحب والسلام والعدالة والرحمة فهذه الفاظ تصبح ذات معنى فقط عندما تستمد نفسها من القاعدة المطلقة التي هي مشيئة الله . السلام بالنسبة الي هو السلام الذي يشاءه الرب . لا اريد سلاما ينقض حقائق التوراة . واسرائيل متكاملة في أمة موحدة هي بين حقائق التوراة . لا يهمني السلام اذا كان لا يحقق هذا الهدف . قولي هذا قد يبدو غير لطيف ، ولكنها ليست قضية للمساومة » .

ويأتي بعد ذلك دور الفيزيائي فيقول : « ان الكلمتين ، تحرير ام استيلاء ، لا تهماني على الاطلاق ، فعقلانيا تنطبق علي كلمة منهما ، ولاعقلانيا تنطبق علي الكلمة الاخرى . ففي حياة الفرد او الجماعة يوجد تمازج مبهم الحدود بين العقلاني واللاعقلاني ، لان هذه هي طبيعة الاشياء . »

ثم ينتقد زميله اليساري لانه يستنكر عمل رجال الدولة بينما هو يتمتع بثمرات انجازهم ، فيقول : « باسم الاخلاقية يصبح المرء لا أخلاقيا . فمن ميزان القيم الذي يبدو من خلال حديث زميلنا اليساري ، تبدو لنا حتى الاراضي التي كانت بحوزتنا قبل ٥ حزيران وكأنها ثمرات ممنوعة . اما بالنسبة لزميلنا المتدين ، فالقضية في نظره بسيطة لان الله هو الذي يحل مشكلتي الخير والشر . ولكن الامور بالنسبة ليهودي غير متدين مثلي هي أبعد من ان تكون بسيطة . فالسؤال عما اذا كنا محررين أم غزاة لم يبدأ في ٥ حزيران، وانما في اللحظة التي غادر بها ابناء اسرائيل مصر الفراعنة ، او حتى قبل ذلك ، لحظة مغادرة ابراهيم لدار أبيه . واذا أردتم اهمال الماضي البعيد جدا ، فالسؤال اذن يبدأ بدخول بيليوم هذه البلاد قبل حوالي مئة عام . ان ما شعرت به بعد انتصارنا في الحرب وعندما كنت جريحا في المستشفى ، لم يكن عما اذا كنت محررا ام غازيا ، وانما مجرد الحبور لاننا كسرنا طوق الحصار حولنا واستطعنا ان نتنفس الصعداء . اما عن قضية الحدود ، فان ميلا اكثر ام اقل ليس هو بيت القصيد . المهم ان نعيش بأمان . يقول زميلنا اليساري انه لا يمانع اذا أعدنا كل ما استولينا عليه من اجل السلام ، ولكن المشكلة هنا ان العرب لم يفكروا بالسلام حتى عندما كانت هذه الاراضي بحوزتهم . السلام سيعم فقط عندما يرتفع المستوى الحضاري في صفوف العرب . امـا العرب الذين كانوا بفلسطين عند قدومنا ، فهم كانوا اقل عدداً من ان يشكلوا أمة . ولم يبدأوا في التكاثر الا بعد ان جعل الاستيطان اليهودي الارض اكثر اغراء . العالم قد شوه الموقف الاسرائيلي حينما وصفنا بأننا فاتحون ، مع أننا لم نفعل اكثر من البقاء على قيد الحياة . « اين بريره » . اما بالنسبة لليهود في امريكا ، فليست من مصلحتنا ان نقول انهم اقلية غريبة في الولايات المتحدة ، فالقرار عائد لهم اذا ارادوا « العاليه » . ثم ان مجيئهم الينا سيعني وجوب اجرائنا لتغييرات اقتصادية اجتماعية وشاملة في اسرائيل نحن بحاجة اليها » .

ثم يتحدث بعد ذلك عن تضاؤل اهمية الدين في اسرائيل ، وعن الحاجة الى ارساء قيم في المجتمع الاسرائيلي تساهم في تقدم البشرية ، على ان تكون مرتكزة علـى التراث اليهودي الضخم عبر القرون . ثم يأتي دور المعلم والكاتب المسرحي ، فيقول ان الحديث عن **العودة** الى الاراضي بعد حرب حزيران يجب ان يكون قياسه شعور الفرد وليس الجماعة . فانه مثلا قد ولد في القدس القديمة ، ولذا فانه الان قد عاد اليها . امـا الجولان فالوضع هناك يختلف ، لانه لم يسبق له ان اقام في تلك المنطقة . ويركز هذا المتحدث على اهمية شعور الفرد في مواجهة شعور الجماعة .

بالمقارنة مع مواقف الاخرين ، نجد ان المتحدث الاكثر اعتدالا بين المشتركين في الندوة هو اليساري . وتوجد في حديثه نقطتان تثيران الاهتمام بصفة خاصة . فهو أولا يعترف

كصهيوني اسرائيلي بشيء يتحاشى الصهاينة ذكره عادة : ازدواجية الولاء عند يهود الشتات ، ولا سيما بين يهود امريكا . فهل يمكن اعتبار هذا الاقرار بمثابة اشارة الى استراتيجية صهيونية بعيدة المدى هي الان في طور التنفيذ ، وستعتمد على اثارة هذا الموضوع الحساس جدا في نقطة بالمستقبل من اجل ان يؤدي ذلك الى انفجار من شأنه ان يحرق جسور عدد كبير من يهود امريكا ، ويدفعهم بالتالي الى الهجرة لاسرائيل ؟ اما النقطة الاخرى ، فهي اعترافه بأن الدين المشترك ، اي اليهودية ، يظل عنصرا هاما من عناصر القومية حتى بالنسبة لليهود غير المتدينين . وعلى كل حال ، فحديثه لا يخلو من التناقض . فهو من ناحية يؤيد الانسحاب من الاراضي المحتلة ، ومن الناحية الاخرى يريد من يهود العالم القدوم الى اسرائيل لان فيها « مساحات كافية لاستيعاب الجميع » على حد قوله ، فهل في اسرائيل ما قبل الخامس من حزيران اراض تكفي لاستيعاب اثني عشر مليون يهودي ؟ ثم ان كلامه عن الحقائق الواقعة ليس مقنعا ، باعتبار ان اسرائيل اشتهرت دائما بقدرتها على **خلق** هذه الحقائق الواقعة ، اي ان الذي قاطعه بقوله : لماذا لا تتخلى عن تل ابيب ايضا ؟ كان على حق ، اذ كما تمكن اليهود من خلق حقيقة واقعة من تل ابيب وغير تل ابيب ، فهم حسب المنطق نفسه يستطيعون ان يحولوا القدس العربية ايضا الى مدينة صهيونية بحتة لا يمكن التفكير في اعادتها للعرب، لانها حقيقة واقعة .

أما الفيزيائي فيدل حديثه على سيطرة البراغماتية الصهيونية على تفكيره ، ولذا يمكن اعتباره بمثابة الشخص الذي يمثل وجهة النظر الغالبة في اسرائيل . فبقدر ما يتعلق الامر به ، لا مجال هناك للتحدث عن الاخلاقية ، فالقضية هي قضية أمن في الدرجة الاولى ، ولذا لن يضيع البراغماتي وقته في الجدل حول ما اذا كان محررا أم غازيا . انه في الاراضي العربية ليبقى .

أما المتدين ، فهو على الارجح يمثل أقلية كبيرة في البلاد ، وهي على الارجح اقلية واسعة النفوذ والتأثير ، ولا سيما أن المؤسسة العسكرية تساندها . وعلى كل ، فالفرق بينه وبين بقية المجتمعين هو في نسبة الحماس المنبثق عن التراث اليهودي القديم . فقد رأينا ان حتى غير المتدينين هم متأثرون تأثرا عميقا بالتوراة . اذن فتطرفه الديني هو ليس بالتطرف الذي من طبيعته ان يجلب اليه استنكار بقية المشتركين . بالعكس ، فان اعتدال اليساري صادف استهجانهم ولكن ليس حديث المتدين عن حقائق التوراة التي ترفض السلام والاخلاقية ، والرحمة الخ ..

والطريف ان السؤال النهائي الذي توجهه جئولا كوهين الى المشتركين هو : هل تكرهون الرجل (أي العربي) الذي ظل صباحا وظهرا ومساء يعلن عن نيته في افنائنا وقذف الدولة في البحر مع جميع آمال الشعب اليهودي ، ام ماذا ؟

ويتفق الجميع (ما عدا المتدين) على انهم لا يشعرون بكراهية تجاه العربي . ولا يمكن معرفة جواب المتدين على هذا السؤال لانه لم يذكر في النص ، فهل كان ذلك لان تطرف هذا الجواب اجبر حتى رئيس التحرير الصهيوني على ازالته من النص المنشور ؟

أما الندوة التي تفوق هذه اهمية فهي تلك التي نشرت مجلة اسرائيل نصها الكامل في حوالي تسعين صفحة ، في عددها الصادر في آب ١٩٦٨ بعنوان : «عدد خاص — الحرب ام السلام ؟ نص محادثة عربية اسرائيلية — خاص بالمجلة » . وقد اعتبرت المجلة هذه المحادثة هامة جدا وذلك لاشتراك مجموعة من الشخصيات الفلسطينية والاسرائيلية الهامة بها ، فخصصت لها العدد بأكمله . اما الاشخاص الذين اشتركوا في المحادثة فقد قدمتهم المجلة على النحو التالي :

انور نسيبه: محام ينتمي الى عائلة من أقدم العوائل العربية في القدس وأكثرها استحقاقا

للاحترام . شخصية بارزة جدا في العالم العربي . وزير دفاع اردني أسبق ، وسفير اسبق في لندن ، وحاكم اسبق للقدس . سافر بعد حرب حزيران الى العواصم العربية في مهمات لم ينكشف النقاب عن ماهيتها وقام باتصالات مع مراجع عالية . كثيرا ما يشترك في ندوات مع المسؤولين الاسرائيليين ، ومنها ندوة تلفزيونية مع رئيس الوزراء ليفي ايشكول . احد اقربائه التي عليه القبض لالقائه قنبلة في تل ابيب أدت الى مقتل أسرائيلي وجرح الكثيرين .

حازم خالدي : ولد في القدس عام ١٩٢٢ ، وخدم في الجيش البريطاني، واشترك بالحرب العالمية الثانية ووصل الى رتبة مقدم . دخل الجيش السوري بعد ذلك وتدرج حتى رتبة عميد ، واشترك في حرب ١٩٤٨ . ثم اصبح قبل حرب حزيران مديرا عاما للسياحة في الاردن .

ابراهيم خالدي : ولد في القدس عام ١٩٣٢ ودرس الطب في اوربا . صاحب عيادة خاصة في القدس .

عزيز شحاده : محام عربي مشهور وحامل راية الحركة التي تطالب بانشاء دولة فلسطينية عربية تتعايش مع اسرائيل . ولد في بيت لحم عام ١٩١٢ . كان سكرتير مؤتمر اللاجئين العرب وعضوا في الوفد الفلسطيني الى لوزان عام ١٩٤٩ . واشترك في مؤتمر اريحا عام ١٩٤٩ حيث عارض ضم الملك عبدالله للضفة الغربية . اثار ضجة في العالم العربي عندما حصل لموكله الدكتور الحسيني وشقيقه على البراءة من تهمة اغتيال الملك عبدالله . وقضية شهيرة اخرى فاز بها هي نجاحه في تخليص ارصدة اللاجئين العرب من التجميد في فروع البنوك الاجنبية باسرائيل .

محمود ابو الزلف : ولد في يافا عام ١٩٢٤ وكان الناشر ورئيس التحرير لصحيفة الجهاد اليومية الصادرة في القدس حتى حرب الايام الستة . حصل مؤخرا على رخصة اسرائيلية لاصدار جريدة عربية جديدة تدعى القدس .

شموئيل تمير : عضو الكنيست . ولد في القدس عام ١٩٢٣ . كان المسؤول عن قيادة منطقة القدس في الارجون تسفائي ليئومي ، منظمة المقاومة اليهودية السرية . نفته الحكومة البريطانية الى كينيا . اشترك كمحام في قضايا شهيرة مدافعا عن الحقوق المدنية . وهو نقيب المحامين ، وأحد مؤسسي حزب حيروت الذي انفصل عنه مؤخرا ليؤلف حزب المركز الحر الذي انضم اليه نائبان في الكنيست .

بيرتز ميرحاف : ولد في فيينا عام ١٩١٣ وجاء الى اسرائيل عام ١٩٢٨ . أحد زعماء مابام ، ومن محرري مجلة نيو اوتلوك . الف كتابا عن الحركة العمالية الدولية ، وآخر عن تاريخ الحركة العمالية في اسرائيل .

امنون كوهين : ولد عام ١٩٣٣ في اسرائيل . مساعد في معهد الدراسات الاسيوية والافريقية التابع للجامعة العبرية . متخصص في شؤون الشرق الاوسط .

موشي شمير : قصاص عبري وروائي ومسرحي وصحافي بارز جدا . ولد في صفد عام ١٩٢١ . نال عدة جوائز ادبية . كبتن سابق في البالماخ . ترجمت ثلاث من رواياته الى الانكليزية . ناشر في دار النشر العبرية بمكتبة معارف .

الدكتور موشي سنيه : ولد في بولنده عام ١٩٠٩ . تخرج في الطب من جامعة وارسو وعمره ٢١ سنة . هاجر الى اسرائيل في ١٩٤٠ . من ١٩٤٠ الى ١٩٤٦ كان قائدا عاما للهاغاناه ، وعضوا في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . انضم الى مابام ورأس جناحها أليساري المتطرف الذي اندمج بالحزب الشيوعي الاسرائيلي عام ١٩٥٤ . عضو سابق

في الكنيست ، ورئيس تحرير الصحيفة اليومية العبرية كول هاعم . يتزعم الجناح المعادي للستالينية الجديدة في الحزب الشيوعي باسرائيل ، ويعارض ما يدعى بالقائمة الشيوعية الجديدة النيو ستالينية التي يرأسها يهودي ناصري هو مئير فلنر .

وادار الندوة يوسف بارايل ، المولود في القاهرة عام ١٩٣٥ حيث تخرج من جامعة القاهرة وهاجر الى اسرائيل في ١٩٥٧ ليعمل بالصحافة ، وتحرير الاخبار في القسم العربي من راديو كول اسرائيل . ان المشتركين بالندوة من الجانب الاسرائيلي هم جميعا اعضاء في المؤسسة الصهيونية . مثلا سنيه الذي يدعي الماركسية كان قائدا عاما للهاغاناه وليس أقل تطرفا في صهيونيته من شموئيل تمير ، الارهابي في الارجون تسفائي لنومي وزميل بيغن في حزب حيروت . اما الجانب العربي ، فيضم ثلاثة رجال هم محمود ابو الزلف وعزيز شحاده وانور نسيبه ممن يمكن وصفهم بانهم من دعاة الحوار مع النظام الاسرائيلي . فان محمود ابو الزلف كان يحرر صحيفة يومية في القدس تصدر بمباركة موشي ديان . وعزيز شحاده الذي يكتب في هذه الصحيفة ، يكتب ايضا في مجلة جون كمشه ، نيو ميدل ايست ، مدعيا التحدث بلسان حال الشعب الفلسطيني ، مطالبا باجراء محادثات ثنائية بين اسرائيل وسكان الضفة الغربية . وتقدر فيه السلطات الاسرائيلية هذه الخدمة ، فترقيه من مجرد محام مغمور الى رئيس محكمة الاستئناف . كما تقدمه مجلة اسرائيل بهذه العبارة : « محام عربي مشهور وحامل راية الحركة المطالبة بانشاء دولة عربية فلسطينية تتعايش سلميا مع اسرائيل ، والرجل الذي حصل على البراءة لموكله الدكتور الحسيني واخيه من تهمة التواطؤ على اغتيال الملك عبدالله»، مع ان موسى الحسيني اعدم طبعا . اما انور نسيبه ، رجل النظام الاردني ، الذي تصفه مجلة اسرائيل بانه شخصية سياسية بارزة جدا في العالم العربي ، فهو ايضا من دعاة الحوار ، وقد سبق له ان اشترك في ندوة تلفزيونية مع وزير الداخلية الاسرائيلية، كما رثى اشكول في الاذاعة الاسرائيلية ، وصدرت له كذلك بعض المقالات في مجلة كمشه .

ماذا جرى في المحادثة ؟ حازم خالدي بدأ حديثه بالقول انه اذا ثبت ان اسرائيل هي كيان توسعي وعدواني فيجب مقاومتها . اما انور نسيبه فقال ان المشكلة تكمن في دعاية الفريقين ، فكل فريق قد صور الاخر في صورة الوحش وبذا خدع نفسه . ثم جاء دور ابراهيم خالدي ليصف هذه المحادثة بانها لقاء تاريخي من شأنه ان يؤدي الى تفاهم افضل بين العرب والاسرائيليين . ولكنه روى بعد ذلك كيف انه بعد حرب حزيران مباشرة شاهد جنديا اردنيا اسيرا تصوره كاميرات التلفزيون وهو يحمل صورة مقلوبة للملك حسين . وبعد ان انتهى التصوير ، تقدم جندي اسرائيلي وطعنه بالخنجر ، ثم تركت جثته ثلاثة ايام ملقاة في الشارع . ثم عاد انور نسيبه للحديث ، فقال انه لا يؤمن بان حل النزاع يكمن في استخدام القوة ، فالعرب لا يريدون الحرب ، اذ توجد لديهم قضايا اجتماعية كثيرة يجب حلها . اما بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، فذكر حازم خالدي ، الضابط السابق في الجيشين البريطاني والسوري ، بأنه قد كبر على اساليب فتح ، اي المقاومة المسلحة ، الا انه يتفهم دوافع رجال المقاومة . ثم ختم عزيز شحاده الحديث الصادر عن الجانب الفلسطيني في المحادثة قائلا ان الفلسطينيين في الارض المحتلة يجدون انفسهم في مأزق ، فاذا قاموا بمبادرة سلام ، فقد يتهمهم البعض بانهم كويسلنغ (عملاء للمحتل) .

في مقدمة المجلة ، يؤكد رئيس التحرير على ان النص المنشور هو ما قيل في المحادثة دون زيادة او نقصان ، ودون تحريف . الا ان خشيته من ان تنال وجهة النظر الفلسطينية عطف القارىء المحايد تدفعه الى ان يلحق بنص المحادثة هامشا تعليقيا يرافق النص من بدايته الى نهايته . كما انه ينشر بالعدد صورا ورسوما كاريكاتورية

الغرض منها دحض ما يقوله الفلسطينيون في الندوة . الصورة الاولى هي لوحة تمثل العرب وهم يدفعون بالاسرائيلي في البحر . ويقول رئيس التحرير في تعليقه تحت الصورة انه عثر على هذه الصورة في القنيطرة اثناء الحرب ، وهي اليوم تزين جدار مقهى في حيفا . وهناك ايضا صورة فوتغرافية كتب تحتها انها تمثل محادثات رودس وتوقيع اتفاقية الهدنة بين المصريين والاسرائيليين « في اعقاب محادثات مباشرة بين الفريقين » . ولعل افضل مثال على اسلوب مجلة اسرائيل هو الوصف المنشور تحت صورة فوتوغرافية يظهر فيها الرئيس الراحل عبد الناصر جالسا بجانب الباندين نهرو في مؤتمر باندونغ . النص : « في الشكل المضحك لتمثال السلام الذي يشهر سيفا ، حضر جمال عبد الناصر مؤتمر باندونغ الذي يعبد السلام والحياد في ١٩٥٥ ، مرتديا بذلة الكولونيل التي تزينها اوسمة الحرب . أما نهرو الجالس بجانبه ، فكان مرتديا ملابس هي اكثر لياقة بالمناسبة » . وهناك ايضا صورة عن الحرب الاهلية في اليمن ، كتب تحتها ان ناصر يقتل اخوانه العرب بالغازات السامة . وايضا صورة فوستات لخطة عسكرية اردنية يقول اليهود انهم عثروا عليها ، وهذه الخطة تستهدف الاغارة على مستعمرة وقتل من فيها . ولا تنسى المجلة الجغرافية والتوزيع العرقي في المنطقة ، ولذا فهي تنشر خريطة للشرق الاوسط تبين المناطق التي يسكنها غير العرب . وبالاضافة الى تركيا وايران واسرائيل والمناطق الكردية في العراق وسوريا ، نجد المجلة قد ادخلت ضمن غير العرب ، المناطق التالية : الجولان ، جبل العرب ، وجبل العلويين في سوريا ، وجبل لبنان . وطبعا هناك ايضا الصور المعهودة من البوم الحرب والفتح : القوات الاسرائيلية على ضفة قناة السويس ، المدافع المصرية الصامتة في شرم الشيخ ، بيوت الفلسطينيين المهدمة ، محاكمة فدائي ، اسرائيليون يبكون حول قبر رجل وقع ضحية « للمخربين العرب » ، اسرائيليون يزورون قريبا لهم في المستشفى كتبت له النجاة من « الارهابيين » . دبابة سوفيتية تحترق في براغ (كدليل على الفاشستية الستالينية) ، ثم طبعا الكاريكاتور الذي لا مناص منه عن العربي الذي يظل يعتدي على اليهودي ، وعن رجل الامن (الامم المتحدة) الذي دائما يضع اللوم على اليهودي المجنى عليه . ولكن التعليق الاهم الذي يبين موقف المجلة من بعض ما قاله الفلسطينيون المشتركون في الندوة ، هو الوارد في الهامش . فتعليقا على حادث مقتل الجندي الاردني الذي رواه الدكتور ابراهيم خالدي ، تقول المجلة ان هذا الحادث كذب في كذب لان الخنجر هو سلاح العربي وليس اليهودي . كما ان قول حازم خالدي انه يخشى ان يذبحه الاسرائيليون وهو نائم في سريره لا يمكن ان يؤخذ جديا باعتبار ان طريقة القتل هذه هي عربية قحة . ويعرج موريس كار (رئيس التحرير) بعد ذلك على حادثة قال انها وقعت اثناء « حرب الاستقلال » ، عندما رفض ضابط بريطاني ان ينقذ بعض الاسرائيليين الذين وقعوا في كمين عربي ، قائلا انهم يستحقون القتل بسبب ذبحهم للعرب في دير ياسين ، فيقترح كار ان تكتب مسرحية تدور حوادثها حول « اضطهاد اليهودي عبر العصور » من قبل الفراعنة والفلسطينيين القدماء والرومان والصليبيين ومحاكم التفتيش وهتلر وستالين والواعظين المزيفين للحب المسيحي ، وتتضمن قول اليهودي لمضطهديه الغويم ، « نعم انا ارتكبت الفظائع في دير ياسين لانكم أنزلتم بي عبر القرون فظائع أسوأ . . » ويشتد الحماس بالمستر كار ، ولكنه يتذكر اخيرا انه شط في الابتعاد عن الموضوع الراهن ، فيقول : « حسنا ، لنعد الان الى المحادثة » ويحاول بتعليقه المستمر على ما يقوله حازم خالدي وابن عمه ابراهيم خالدي ، ان يسخر منهما ويهدم حججهما ، ولا يغفل ان يذكر القارىء بالديمقراطية الاسرائيلية التي تسمح لهذين الرجلين ان يصفا الاسرائيليين بانهم نازيون في وجوههم . ثم بعد ذلك يبدأ في تحليل النفسية العربية كما تبدو من خلال منطق هذين الرجلين ، فيقول انها تعتمد على اربع طبقات من الوعي . فالعربي هو كالرجل الذي يريد ازالة جسم غريب من عينه (اي

اسرائيل) فيفركها الى ان يفقأها ، وهنا تأتي الطبقة الثانية من وعيه عندما يقـرر ان يستسلم للقدر ويتعايش مع هذا الجسم الغريب في عينه التي فقأها . اما الطبقة الثالثة فتحل عندما يحاول العربي ان يتصالح مع اليهود . ولكن الطبقة الرابعة من الوعي هي التي تحمل معها الخوف من الاغتيال ، اغتيال الارهابيين العرب لمن ينـادي بالصلـح والتفاهم .

ان المعروف عن اليهود ، ولا سيما الذين ينتمون منهم الى اصل جرماني ، تفوقهم في علم النفس . ولكن لا ريب ان فرويد سيهتز في قبره لو قيض له ان يقرأ هذا الهذر السخيف الذي لا يختلف في مستواه المضحك عن اعترافات صاحبنا ابن حكيم . وعلى كل حال ، فاذا كان حازم خالدي قد جلب على نفسه غضب رئيس التحرير ، فان انور نسيبه وعزيز شحاده ينالان ثناءه . وفي خاتمة التعليق ، يقدم موريس كار مشروع مجلة اسرائيـل للسلام : « سيناء والجولان تظلان في حوزة اسرائيل كعقاب للمصريين والسوريين على ما فعلوه بالفلسطينيين واليهود ، اما الضفة الغربيـة فتمنح للفلسطينيين ليقيموا فيها دولة فلسطينيـة ، او لينضموا في اتحاد فدرالي مع اسرائيـل ان شاءوا . السلام في اعتقادنـا اصبح على مـدى النظر في الافـق ، وعلى اليهـود الاسرائيليين والعرب الفلسطينيين ان يتجهوا نحوه بسوية وبثبات » .

هـذا هو تعليق موريس كار ، رئيس تحرير مجلـة اسرائيل ، وهـذه هي امنياته . والسؤال الذي يجب ان نطرحه على الفلسطينيين الذين اشتركوا في المحادثة (كما تصر المجلة على تسميتها) او على الاقل ، على الخالديين بينهم ، هو : اي هدف يمكن تحقيقه من وراء مثل هذه اللقاءات ؟ هل يمكن حقا الزعم بان رجال النظام الاسرائيلي لا يعرفون وجهة النظر الفلسطينية ، ولذا لا بد من لقاء مباشر لاحاطتهم بوجهة النظر هذه ؟ هـل يمكن القول بان الخلاف الاسرائيلي العربي هو ناتج عن سوء تفاهم فقط ، فاذا ما تبادل المجتمعون الرأي بصراحة وفتحوا قلوبهم وتحاوروا بحسن نية ، كان ذلك المبشر بالخير والاتفاق ؟ ان الذي يقرأ النص يدرك فورا خطل هذا الرأي ، فالمقابلة كان يسودها جو مماثل لجو المقابلات النازية ، عندما كان هتلر يملي ارادته على زعماء تشيكوسلوفاكيـا بشراسته وغطرسته المعروفة ، فقد استخدم الجانب الصهيوني جميع الاساليب النازية الارهابية في سبيل اخـافة الفلسطينيين المشتركين بالنـدوة . ومرة اخـرى ، طرح الاسرائيليون على مائدة النقاش سؤالهم العتيد : ماذا كان سيحدث لو انتهت حرب الايام الستة بانتصار العرب ؟. فان مثل هذا السؤال من شأنه ان يضعهم في اطارهـم الفكري المفضل ، فالظاهر ان الصهيوني لا يشعر بالراحة ، ولا يستمد حماسه وشعوره بالغضب الحقاني التوراتي ، الا عندما يتصور نفسه ضحية مذبوحة غارقـة بالدماء . انه يلتذ بهذا الشعور ، ولا سيما عندما يكون هو الذي يمسك بالسكين الملطخة بالدماء، اي هو الذابح وليس المذبوح .

ومن هذا السؤال يستمد شاموئيل تمير ، الارهابي السابق في الارجون تسفائي ليئومي ، وعضو حيروت ، حقده المقدس ، فيرغي ويزبد ويتوعد بشن حرب جديدة على العرب اذا لم يتوقف الارهاب ، الى ان يقاطعه حـازم خالدي بقوله : هـل يتحدث بريجنيف باسلوب مخالف لاسلوبك هذا مع التشيكيين ؟ وهذا السؤال هو طبعا في محله ، لان تمير وسنيه كانا قبل ذلك بقليل قد اتهما الكرملين بالفاشستية والستالينية ، متناسين طبعا مساهمة ستالين في خلق اسرائيل ، والبرقية العاطفية جـدا التي كانت تل ابيب قد طيرتها اليه واعدة اياه بأن الشعب الاسرائيلي لن ينسى جميله ابدا . ان قراءة نص المناقشة لا يمكن الا ان تجعل القارىء يشعر بالاسف ، لان مجموعة من العرب اختارت ان تدخل في حوار مع صهاينة عرفوا بغوغائيتهم الفاشستية ، فعرضوا انفسهم بذلك للاهانة والاذلال ، ووضعوا انفسهم في موقف اجبروا فيه عـلى التنصل من المقاومة

الفلسطينية المسلحة بعد ان عجز الصهاينة عن الضغط عليهم ليستنكروها . هذه لم تكن جلسة النقاش الوحيدة التي جمعت بين الفلسطينيين والاسرائيليين على صفحات مجلة اسرائيل ، ففي العدد الثامن الصادر في ١٩٧٠ كانت هناك ندوة اخرى . الا ان تلك كانت ندوة طلابية اشترك بها ثلاثة عشر اسرائيليا وثلاثة عرب هم محمد مرعي ووليد الفاهوم وسمير عبساوي . في هذه الندوة تحدث محمد مرعي ووليد الفاهوم بصراحة تامة ، فرسما صورة مؤثرة لحالة الفلسطينيين في الاراضي التي احتلت بعد حرب ٤٨ ، صورة زاخرة بانواع الاضطهاد ، كالقاء القبض الاعتباطي ومصادرة الاراضي ، الى التفرقة بين اليهودي والعربي ، وما يترتب على ذلك من مشاكل للطالب العربي ، كمشكلة ايجاد غرفة مع احدى العوائل في المدينة التي تقع بها جامعته .

يقول مرعي : « كعربي يعيش في ظل نظام غير عربي ، انا لا اشعر بالراحة مطلقا ، لاني لا انتمي الى هذا النظام ، فقط جغرافيا انا جزء منه . ان اسرائيل تطرد العرب من اراضيهم ، ويقول اصحابي اليهود ان المصلحة العامة تأتي فوق الاعتبارات الفردية ، ولكن لماذا العرب هم دائما ضحية هذه المصلحة العامة ؟ اننا لا نشعر بان الحكومة الاسرائيلية تهتم بمساعدة العرب او بادخال الصناعة بينهم . قبل مدة حاول احدهم ان ينشىء مصنع تعليب في القرية العربية باقا الغربية ، ولكن الحكومة منعته بلؤم . نعم ان مجتمعنا متخلف وأجب جيلنا الجديد ان ينتشله من هذا التخلف ، ولكن لا احد يريد ان يساعدنا . واذا حاولنا نحن ان نساعد انفسنا ، تحوم الشكوك حولنا ونتهم بالقيام بنشاط هدام . اني لا ارى حلا ، فالامور ساءت بعد حرب الايام الستة وأنا لا ابالغ فيما اقوله . تعالوا الى قريتي . ستجدون عميل أمن يقتفي اثر كل شخص فيها ، اذ هكذا تجري الامور بدولة اسرائيل ». ويسأله مدير الندوة عن الاندماج ، فيجيب مرعي : « الاندماج صعب جدا ، فهناك الصراع القومي بين العرب واليهود . عندي اصدقاء يهود علاقتي بهم طيبة شريطة الا نتناقش في السياسة ، اذ ما ان نتناقش في السياسة حتى يصبح الواحد منا لا يطيق مشاهدة الاخر » .

اما وليد الفاهوم فيقول : « اني لن أنسى أصلي مطلقا ، ابدا ، فقومي يجتذبونني اليهم وواجبي الاول هو تجاه مواطني العرب في اسرائيل . ان المستقبل والتفكير به هو الذي يسبب للعربي في اسرائيل الصداع الشديد ، فاذا كان يريد ان ينتمي الى مهنة حرة ، فبامكانه عند ذاك ان يدلي بدلوه في السياسة ، اما اذا كان ينوي الانخراط في سلك التعليم ، حيث لا يستطيع الحصول على وظيفة الا بواسطة وزارة التعليم ، فالافضل له ان يبتعد عن السياسة . لدي صديق يحمل الليسانس ، ولكنه لا يستطيع الحصول حتى على وظيفة معلم في مدرسة ابتدائية لانه يرفض ان يكون عميلا للشرطة السرية الاسرائيلية » .

اما سمير عبساوي فقال : « قضيت أيام تلمذتي في مدرسة يهودية ، ولكني كنت ادرس في صف جميع تلاميذه من العرب ، الا اني اثناء الفرص كنت العب مع الاطفال اليهود ، وكنا نذهب الى نفس النوادي . ولكنا كنا نتناقش في السياسة ايضا وذلك جر الغيوم فوق علاقاتنا . بعد حرب الأيام الستة وجدت اصدقائي اليهود يتهربون مني . اني اسكن في دار الطلبة وزميلي في الغرفة هو يهودي . ولكنه كان شخصا مختلفا قبل الحرب . كنا سابقا كالاخوة ، أما بعد ذلك ، فالتوتر ساد علاقاتنا . اني عربي فلسطيني ولدت هنا وابي ولد هنا ولنا أرض نمتلكها ومع ذلك لا نقف على قدم المساواة مع اليهود في الحقوق . لدي صديق هو احد العرب القلائل الذين قبلهم معهد حيفا للعلوم . انه قلق على مستقبله ويفكر في مغادرة البلاد . كثير من الطلاب العرب يهاجرون بعد اكمال دراستهم الجامعية لانهم لا يستطيعون الحصول على عمل هنا . اذا كانت اسرائيل تريد السلام ، فعليها اولا ان تهتم بمواطنيها العرب » .

ويعود محمد مرعي الى الحديث فيقول : « انتم دائما تتحدثون عن تهديدات ناصر بتدمير اسرائيل . دعوني اخبركم بالحادثة التالية : دبلوماسي اجنبي جاء الى بن غوريون وقال له : ناصر يخبرني بان لديكم في الكنيست خارطة على الحائط تمتد فيها دولة اسرائيل المستقبل من النيل الى الفرات . فأخذه بن غوريون في جولة ببناية الكنيست وهو يقول له : انظر ! أين هي الخارطة التي يتحدث عنها ناصر ؟ انها غير موجودة ! والان ما رأيك بناصر ؟ فأجابه الدبلوماسي : انه كذاب ! فرفع بن غوريون يده وقال : لا تتسرع في الحكم . نحن لا توجد لدينا هنا خارطة معلقة على الجدار . الخارطة هي داخل رؤوسنا . في المرة التالية عندما تتحدثون عن تهديدات ناصر لكم ، تذكروا كلمات بن غوريون هذه . وهناك حادثة ثانية اريد ان ارويها لكم . فتاة يهودية اعرفها ، مرة وجهت لي السؤال التالي : اسمع يا محمد . لقد أتيت من تشيكوسلوفاكيا لاني وجدت ان هويتي ليست تشيكية ، ولذا فقد هاجرت الى اسرائيل لاعيش مع قومي . كنت على ما يرام في تشيكوسلوفاكيا ، لكني كنت اشعر باني هناك غريبة ولذا انتقلت الى اسرائيل . الا تفضل انت ان تذهب لتعيش في مصر حيث يوجد قومك ؟ هذه الفتاة القادمة حديثا ، تريد ان تدفعني الى الخارج ، انا المولود هنا . ان جذوري هنا . هنا سأبقى . هنا تشبثت بالاقامة خلال العشرين سنة الماضية التي حرمت خلالها من حقوقي . حتى لو كان بامكان الجيش الاسرائيلي ان يحتل العالم كله ، فانكم لن تملوا علينا السلام بهذه الطريقة » .

في هذه النقطة ، يلجأ الاسرائيليون الى تكتيكهم المعهود في اثارة الضجة ليخيفوا العرب، فيقول الفاهوم : « اني لن استمر . اذا كان هذا هو أسلوبكم في مهاجمة الواحد في ندوة ، فانا انسحب . كل هذا الهيجان لاني قلت ان اسرائيل هي قاعدة استعمارية . كيف تفسرون اذن حملة سيناء عام ١٩٥٦ عندما تحالفت اسرائيل مع الامبريالية الفرنسية والبريطانية ؟ اتنكرون موقف اسرائيل من الاستعمار الفرنسي في الجزائر ؟ وماذا عن انغولا والاستعمار البرتغالي ؟ وماذا عن روديسيا ؟ لقد ذكرتم اليمن واطماع مصر الاستعمارية فيه ، على حد رأيكم ، فما هو موقفكم من عدن ؟ »

محمد مرعي : « يلوح لي اننا أجتذبنا الى فخ . اطلبوا من المصور ان يتوقف عن اخذ الصور والا سأنسحب . انا آسف ، ولكني ارجو الا يحاول احد هنا ان يحرف كلماتي ، او كلمات صديقي وليد فاهوم ، لاسباب خبيثة » .

المصور (الاسرائيلي) : لماذا تريدني ان اتوقف عن التصوير ؟

محمد مرعي : « لان لدي احساسا غريبا . اني اتحمل مسؤولية ما قلته ، ولكني ارجو ان تفسر اقوالي بالروح التي تحدثت بها . دعوني افسر ما احس به . اننا في نقاش وكل واحد يقول ما يدور بخلده . ثم نختلف ونتهيج بعض الشيء ، والنتيجة ان المصور يصورنا وكأننا في مظاهرة » .

هذا هو ملخص الندوة التي استوعبت ، كالندوة الاخرى ، عددا كاملا من مجلة اسرائيل . ويجب الاقرار هنا بان الطالبين الفلسطينيين تكلما فيها بجراة تفوق جراة الوجهاء الفلسطينيين في الندوة الاولى . اما في الجانب الاسرائيلي فالموقف سيان ، وليس هناك اختلاف بين ابناء الخمسين من اركان النظام الاسرائيلي وبين طلاب الجامعة الشبان . نفس الايديولوجية الصهيونية ، نفس التعصب العرقي ، نفس الاساليب الغوغائية في ادارة الندوة ، ولذا لا عجب اذا خشي محمد مرعي من المصور ، فاذا كانت الندوة حرة يقول فيها المشترك ما يشاء ، تنشر اقواله دون تحريف في الصحف بعد ذلك ، فالمشاكل تقع للعربي فيما بعد ، كالمراقبة والحرمان من العمل والاعتقال بتهمة الانتماء الى منظمة تخريبية ، ثم هناك ايضا الاغتيالات التي تقع احيانا ، فتزيل اثر العربي دون ضجيج .

باستثناء هاتين الندوتين ، فالعرب في هذه المجلة كالهنـود الحمر في افلام هوليوود : دائما في الخلفية ، ولا يظهرون الا ليقتلوا او يفروا ، او هم انفسهم يقعون قتلـى في لقطات سريعة خاطفة ، ثم تشيح الكاميرا بعدستها الى الابطال الرئيسيين ، الذين هم في حالة مجلة اسرائيل شعب اسرائيل . ومع ذلك ، فالمجلة تتكرم بين الفينة والاخرى بالقاء نظرة عابرة على شيء عـربي ، فقد تضمن احد الاعـداد عرضا سريعا للادب الفلسطيني وكان رأي الكاتب في كلمة الختام انه ادب نصف مطبوخ . كما كانت هنـاك مقابلة مع فدوى طوقان قامت بها الارهابية السابقة جئولا كوهـين . وقد نشر « نص » المقابلة بعنوان « سآكل من اكباد الجنود الاسرائيليين » ، فهذا ، تخبرنا جئولا ، هو بيت شعر من قصيدة لفدوى طوقان . وفي الواقع لم تكن هذه مقابلة صحفية بقـدر ما كانت تساجلا بين الارهابية صاحبة التعصب الاعمى ضد العرب ، وبين الشاعـرة الفلسطينية . وعلى كل حال ، فقد حرصت جئولا على ان تنقل ردود فدوى مشوهة ، حتى تبدو وكأنها هي المنتصرة في هذا التساجل .

وايضا عن العرب ، كان هناك مقال بقلم رستم بستوني ، النائب العربي في الكنيست ، وهو رجل معروف بعمالته للاسرائيليين ، ومقال عنه بقلم اسرائيلي صدر بعد ذلك بمدة ، وفيه يأسف كاتبه لان بستوني قد اختفى من المسرح السياسي ويأمل ان يكـون هـذا الاختفاء مؤقتا . ثم مقال ثالث عن احمد التاجي الفاروقي ، وهو رجل يقوم الصهاينة بالدعاية له على صفحات مجلة نيو ميدل ايست ايضا ، باعتبار انه قد ضم صوته الى صوتي انور نسيبه وعزيز شحاده في المطالبة بانشاء حركة فلسطينية هدفها التفاهم مع اسرائيل . اما المقال الرابع في سلسلة المقالات المكتوبـة عن فلسطينيين يستظلـون بالحنان الصهيوني ، فيدور حول مسرحية كتبها بالعبرية صحفي فلسطيني يدعى محمد وتد ، يرئس تحرير مجلـة تصدر بالعـربية هي المرصاد . اسم المسرحية هـذه هو « التعايش » ويقول مؤلفها انها مسرحية وثائقية يرتكز حوارها على ملاحظات سمعها من الناس . و « التعايش » هي عبارة عن « حوار ايجـابي وحسن النية بين اليهود والعرب ، فحواه ان الخلاف كله بين الطرفين عائد الى سوء التفاهم » .

اما عن المقاومة ، بعبع اسرائيل ، فلا يوجد الا مقال واحد صدر في عدد ايـار ١٩٧١ ويتضمن بروفيلين لياسر عرفات وجورج حبش ، وبامكان القارىء ان يحـزر ما جاء في هذين البروفيلين . والطريف ان الكاتب ركز اهتمامـا كبـيرا على ما وصفه ببشاعة وجه ياسر عرفات ، ولا شك ان الذي شجعه على ذلك هو الجمال الذي عرف به بن غوريون وربيبته غولدا وغيرهم من زعمـاء اسرائيـل . وبالاضافة الى بغضاء المجلة للعرب ، فهي ايضا حاقدة على اليسار الجديد في اوروبا الغربية وامريكا لموقفه المضاد لاسرائيل . وقد نفث احد كتاب المجلة سموم كراهيته على كوهن بنديت وجماعته في مقال نشرت بجانبه صورتان : احدهما لمراسل الموند في القاهرة ، اريـك رولو ، وقد كتب تحتها : يهودي ناصري . والاخرى لايلمر بيرغـر ، كتب تحتهـا : الحاخام المعادي لاسرائيل . (الغريب ان المجلة لم تتهم هذا الحاخام بمعاداة السامية) .

اما الموضوع الذي يمكن مقارنته في درجة الاهمية ، مع ندوة الوجهاء ، وندوة الطلاب ، فهو النقد الذي ظهر في العدد الاول من عام ١٩٧٠ لمسرحيـة « ملكة البانيو » ، وهي المسرحية التي اثارت ضجة عنيفة في اسرائيل . ودليل اخر على عنف هذه الضجة ، هي الصفحات العشر التي خصصتها مجلة اسرائيل لهذه التمثيلية . فان هذه التمثيلية كانت قد اثارت الضجة حتى قبل ان تعرض ، عندما تسرب نص بعض مشاهدها الى الجمهور ، مما ارغم الرقابة على التدخل عدة مرات لحذف بعض المشاهد ، وعبارات القذف الموجهة

ليست فقط لرب اسرائيل ، وانما ايضا ضد القوات المسلحة مما يشكل كفرا لا مثيل لفظاعته في تاريخ الدولة الصهيونية . وتكونت لجنة حكومية من ثمانية عشر شخصا لفحص المسرحية ، وكان القرار الذي توصلت اليه هو وجوب حذف مشهدين نظرا الى انهما سيثيران اغلبية المشاهدين .

وفي الليلة الافتتاحية ، ازدحمت القاعة بالناس الذين كانوا قد سمعوا الكثير عن المسرحية حتى قبل عرضها ، فجاءوا ليروا فيما اذا كانت فعلا زاخرة باللعنات على رب اسرائيل والتوراة (العلم الديني) والاموات .

وابتدأت سلسلة المفاجآت المثيرة من المشهد الاول الذي تضمن النشيد التالي :

نحن الذين نعيش في انفراد
نحن الشجعان
نحن الاقوياء ، الصامتون ، الصلدون
نحن الغيورون
والاروع من اي شيء اخر ، نحن على حق
دائما على حق ، حتى الدموع .
كم هو عظيم ان ترتدي حقك كانه لباسك التحتاني
حتى لا يعلم احد كيف تبدو الاشياء من الداخل .
نحن المقاتلون ، الفاتحون ، الفائزون
نحن المهشمون ، نحن القاذفون
نحن المحررون
نحن الطيبون
نحن الوسيمون ، الطاهرون ، الفخورون
المتفوقون
المختارون
الاسياد

ثم تتتابع المشاهد وسط صيحات المشاهدين وصفير الاستهجان ، وايضا هتاف البعض . ويصل « الكفر » الى ذروته ، عندما ينشد الممثلون نشيد الوصايا العشر :

وفي صباح ربيع مشرق وجميل
نهضنا وكأننا واحد
كلنا اصدقاء مقربون ، كلنا شجعان
وسيمون ونظراتنا صافية .
نهضنا وتسلقنا جبل سيناء
حيث كنا سابقا قد استلمنا الكلمة[1]
تسلقنا بفخر ونحن ننشد
من أجل ان نرد الكلمة .
وكنتيجة اولى لمتطلبات الامن
رمينا في السماوات الوصية الاولى
وبعدها رمينا الوصية الثانية
هذه ايضا كاجراء أمن
وبعد الثانية جاء دور الثالثة .

---

١ — كلمة الرب .

وبعد ذلك يأتي مشهد تتحدث فيه رئيسة الوزراء عن نفسها ، فتقول انها بعد الرجوع الى نفسها ، وبعد اختبار رأيها ، وجدت انها دائما على حق ، على حق ، على حق . وينهض وزير الخارجية ليلقي كلمته ويقول : وانا لا استطيع الا ان اختتم حديثي بلهجتي الاوكسفوردية ، واذا برئيسة الوزراء تمسكه من عورته ، فيخمد .

ويقوم وزير الدفاع ، فيقول :
اعدكم بالدماء والدموع
فكلمتي واحدة
واذا وعدتكم بالدماء والدموع
فعلى الدماء والدموع ستحصلون
طبعا بالاضافة الى العرق .

اما المشهد الذي يبدو انه حطم اعصاب المؤسسة الاسرائيلية واستفزها الى الصراخ ، فهو الذي يظهر فيه النبي ابراهيم مع ابنه اسحاق . هذا هو منظر تقديم القربان الى الرب .

ابراهيم : ابني اسحاق ، هل تعلم ما سأفعل الان ؟

اسحاق : نعم ، يا ابي . ستذبحني .

ابراهيم : الله هو الذي امرني بذلك .

اسحاق : اني لست متذمرا يا ابي . اذا كان عليك ان تذبحني ، فاذبحني .

ابراهيم (بتهكم مرير كالذي جرح شعوره) : جميل ، جميل جدا يا اسحاق . نعم ، اجعل الامور صعبة علي ، فمن السهل وضع الذنب علي عاتقي .

اسحاق : لماذا اضع الذنب على عاتقك ؟ ألست انت نبي الله ؟ اذا امرك الله بذبح ابنك وكأنه كلب ، فاذبحه .

ابراهيم : لطيف ، جدا لطيف ، هذا الذي أستاهله في شيخوختي . ضع اللوم كله على عاتقي ، اذا كان ذلك يناسبك . ضعه على ابيك ، الشيخ الكسير القلب الذي تسلق جبلا وهو بهذه السن ليربطك الى وتد ويذبحك . ثم الاسوأ من ذلك ، ابوك الذي عليه بعد ذلك ان يخبر امك بكل ما حدث .

اسحاق : ابي ، انصت . اكاد اقسم اني سمعت صوتا من السماء .

ابراهيم : وشو يعني ؟

اسحاق : سمعته مئة بالمئة . انت تعلم انه بقدر ما يتعلق الامر بي فاني على استعداد لان اذبح . ولكنني سمعت صوتا لا شك .

ابراهيم : اني الان افكر بالاجيال القادمة . افكر ماذا سيحدث عندما يبعث آباء اخرون بابنائهم ليقتلوا . ما الذي سينقذهم عند ذلك ؟

اسحاق : بامكان الله دائما ان يأتي ويقول : ارفعوا ايديكم عن الصبي .

ابراهيم : ولكنك تعلم ان الله غير موجود .

بأي قياس ادبي ، هذا المشهد الساخر المرير الذي يضع المأساة الصهيونية كلها في اسطر قليلة ، هو رائع ويستحق كل اعجاب وتقدير . ان ابراهيم هنا هو جيل الرواد الصهاينة ، جيل الشيوخ امثال بن غوريون واشكول ومائير ، الجيل القديم الذي يذبح الجيل الجديد قربانا لاله لا يؤمن به . انها ادانة المؤلف للتفكير الغيبي الخرافي الذي يسيطر على عقول الصهاينة ، كما انها كشف لزيف العبارة: «اين بريره» ، التي اصبحت اليوم بمثابة الفلسفة الصهيونية الرسمية . لا مناص من الحرب والنصر ، لا بديل للقتال ، لا خيار لنا الا في خوض غمار المعركة ، هذه جميعا هي اطارات فكرية يريد المؤلف ان يفضح دلالتها الوحشية .

ثم تنحدر المسرحية الى الوقت الحاضر ، الى مشهد « ابي العزيز » ، عندما ينشد شاب

طالبا من ابيه الا يفخر ويزهو كثيرا ، فهذا هو وقت البكاء . ويقول له : « لا تكن صامتا من اجلي . هناك شيء اهم من الشرف ملقى عند اقدامك يا ابي (اي ابنك القتيل) . لا تقل انك قمت بتضحية ، فالتضحية كانت انا . عزيزي ابي ، عندما تقف عند قبري ، شيخا متعبا جدا ووحيدا ، وعندما تشاهدهم بدفنوني في الارض ، فاطلب صفحي يا ابي » .

واخيرا يأتي المشهد الذي حذف بعد ذلك ، اذ انه تضمن قمة الكفر وذلك لتطاول المؤلف على السلاح الجوي الاسرائيلي . في هذا النشيد يقول الممثل : ستموت انت ولكن السلاح الجوي سيعيش .

فيما يلي بعض الملاحظات التي سمعتها ناقدة مجلة اسرائيل من المتفرجين اثناء العرض :

— عار على الدولة ان تسمح بمثل هذه المسرحية !

— يجب ابادتهم ! (اي الفرقة)

— احدى المرات النادرة التي يجهر فيها احدهم برايه صراحة في وجهك !

— يجب ارسالهم الى القنال !

— لقد شتمتم الله !

— ولكنك سمعت الان بأن الله غير موجود !

— ان الجمهور الذي يتقبل هذه المشاهد هو حثالة الارض !

وعلى كل حال ، فان مشهد السلاح الجوي حذف من المسرحية بعد الليلة الاولى(١). الا ان سيل المشاهدين ظل في تدفق ، كما ارتفع عدد افراد الشرطة حول بناية المسرح وداخل القاعة . ومع ذلك استمرت المشاجرات تندلع كل ليلة ، كما القيت قنابل الروائح الكريهة ، وتلقت الفرقة انذارات تليفونية عن قنابل حقيقية . وكتبت ناقدة مجلة اسرائيل تقول : « وقد أرسلت متسبين ، وهي منظمة اشتراكية متطرفة في عطفها على العرب ، عصابات من الرعاع الى دار المسرح . ولكن هؤلاء لم يكونوا ممن يفهم المسرح ، ولذا فقد بكوا عند المشاهد المضحكة ، وضحكوا عند المشاهد المبكية ، وصفروا كل مرة جرى فيها ذكر كلمات مثل « طيارون » ، « جنود » ، « اموات » على المسرح .

« كما قيل ان عضو كنيست من راكح ، وهو حزب شيوعي متطرف في تأييده لموسكو ، صفق بحماس ، مع رفاقه العرب في الحزب . وبعد ثلاثة اشهر من البروفات قدم عازف البيانو استقالته قائلا انه اكتشف أن المسرحية معادية للسامية . وقد ارسل ممثلون عن الاباء الذين كانوا قد فقدوا ابناءهم في الحرب رسالة الى وزير التربية والثقافة يغال الون ، يطالبونه بازالة ما أسموه كومة قذارة وكفر شرير بالقيم المقدسة للامة . كما اشترى اربعون مشوه حرب بطاقات للمسرحية ، معتزمين اظهار احتجاجهم بالظهور جميعا على خشبة المسرح اثناء التمثيل ، وذلك على العكازات وكراسي العجلات .

« وقد دعا مدير المسرح الى مؤتمر صحفي أعلن فيه انه ليس صحيحا ما تردد انه يبيع تذاكره باسعار مخفضة لمؤيدي التمثيلية ، كما اكد ان الفرقة لا تمنح التمثيلية المذكورة تأييدا ايديولوجيا ، بل انها اخرجت فقط بسبب قيمتها الفنية ولا لسبب آخر . ثم قال ان المسرحية سيستمر عرضها ما دام هناك جمهور يريد مشاهدتها . وفي هذه الاثناء بدأ بعض كبار الممثلين الاسرائيليين ينظمون انفسهم في كتلة بغية الضغط لرفع التمثيلية عن المسرح . وفي مجلس بلدية تل ابيب ، تقدم الاعضاء في حزب جاحال ، مطالبين بايقاف المعونة المالية للمسرح الذي تعرض فيه ملكة البانيو . كما بدأ الحديث يدور حول ازمة محتملة في الوزارة » .

---

١ — ولكن مشاهد « الكفر » الاخرى بقيت .

واستمرت الضجة في اسرائيل بين انصار التمثيلية ومعارضيهـا ، بين مؤيدي الحرب ومناصري السلام . وعبرت انباء الضجة حدود اسرائيـل ، فخصصت مجلة شبيغل الالمانية عمودين لملكة البانيو، وتحدثت عنها ايضا مجلة تايم الامريكية. ووصلت اكياس من رسائل الاحتجاج الى بلدية تل ابيب تعلن عزم مرسليها على عدم دفع ضرائب للبلدية لمدة ستة اشهر استنكارا لهذه التمثيلية التي «تركل اغلى شيء عندنا ، ارواح ابنائنا» .

وزاد الطين بلة نشر اعضاء لجنة الرقابة لاجزاء النص التي كانت الرقابة قد امرت بحذفها قبل الليلة الافتتاحية . وعلاوة على ذلك هاجمت « معاريف » ملكة البانيو بعنف، وكذلك انتقدها بشدة اشهر كاتب كوميدي في اسرائيل : ايفرايم كيشون ، الذي يمكن اعتباره بمثابة الفكاهي الرسمي للنظام الاسرائيلي . الا ان احد الكتاب في صحيفة كول هاعم الشيوعية ، تصدى له وذكره بانه الف كتابه الفكاهي المعروف عن حرب حزيران « آسف لاننا انتصرنا » وبدأ يقبض مكافأته الضخمة عليه في الوقت الذي لم تكن به دموع الاباء الذين فقدوا ابناءهم في الحرب ، قد جفت . وقال هذا الكاتب ان السخرية المريرة في ملكة البانيو هي ذات طابع اشفائي ، اما فكاهة كيشون فهي من النوع الذي يجلب النعاس . والقت هاعولام هازيه ، مجلة اوري افنيري ، بدلوها في النقاش ، فكتبت ان ملكة البانيو هي احتجاج حاد على الشوفينية الاسرائيلية التي هي شقيقة الفاشستية . ولكن رأي موشي ديان في ملكة البانيو ، كان يختلف . ففي تصريح اذاعي قال : « اي سرور مدهش سيشعر به المصريون لو اتيحت لهم فرصة مشاهدة هذه المسرحية التي نعرض في دار تمولها الحكومة والبلديـة . لا اظن ان اي شيء اخر سيشجع الجيش المصري اكثر من ذلك . ان هذه التمثيلية هي شيء يقع بين المراحيض والحمام ، ففيها نتانة التواليت ولا داع لذكر اسلوب الكلمات ... » ويجب هنا مقارنة غضب الجنرال وتعثره بالكلمات من جراء هيجانه ، بالصورة التي حاولت ان ترسمها الدعاية الصهيونية الرسمية قبل ذلك ، عندما ذكرت ان الجنرال حضر المسرحيـة وقهقه كثيرا وخرج مبسوطا . فالظاهر ان وزير الدفاع ليس هو بالرجل السبور ، وصاحب روح الدعابة ، كما تصوره هذه الدعاية ، وتراوحت تعليقات الصحف على ملكة البانيو ، فان صحيفة الشباب « معاريف لنوعر » مثلا ، كتبت : « هل شاهدتم كيف يجري تدريب كلب تبرز في صالون البيت ، من اجل تخليصه من هذه العادة ؟ ان مدربه يأخذ رأسه ويغطسه في قاذوراته . محظوظ هو الشخص الذي يغطس كاتب المسرحية بقاذوراته » .

اما ناقد يديعوت احرونوت فكتب ان التجريح كان دائما اسلوب كتاب السخـرية امثال رابيليه وسويفت واريستوفانيس . بينما المنع والرقابة هما عوارض لتجمـد الفكـر والمرض في المجتمع ثم قال : « يجب ان نفخر بأن مسرحا مهما قد عرض تمثيلية تبرز مواطن ضعفنا في وسط حرب مريرة . فلو سمعنا بتمثيلية مماثلة في الدول العربية ، لاعتبرنا ذلك دليلا على الشفاء الروحي والواقعية » . ولكن دوش ، راسم الكاريكاتور الذي تحلي رسومه الصحف الاسرائيلية المقربة من المؤسسة القائمة ، والـذي تنشر اعماله مجلة اسرائيل بانتظام ، لم يتمالك اعصابه ، وطالب الجمهور برفع التمثيلية عن المسرح . والعجيب انه استند على حجة غريبة جدا في طلبه ، اذ كتب : « ان هذه الخطوة الخطيرة يجب القيام بها استنادا على مبدأ لا يقل شرعية عن المبدأ الذي يتضمنه ميثاق الامم المتحدة ، وهو : حق الدفاع ضد الاستفزاز للقتل الجماعي . »

وفي مثل هذا الهذيان ، ظهر اعلان دفع اجرته رجل اسمه آريه غيلبلوم بعنوان : ايهـا الاسرائيليون ، انضموا الى فتح ! هذا الاعلان الذي نشرته هارتس تضمن ما يلـي : « لانه طبقا لما ورد في ملكـة البانيو ، من اننا شعب من الفاتحين والاسياد ، اعمالنـا كلها حق في نظرنا . ولما كنا نرسل ابناءنا بصورة مستمـرة الى الموت ، مع سبـق الاصرار ، وبدون سبب معقول . ولاننـا نتمتع حتى عندمـا يخبرنا وزير دفاعنـا

بابتسامة على شفتيه بأن من لم يمت البارحة او اليوم سيموت حتمـا غدا . ولاننا مزقنا ورمينا الوصايا العشر ، فلم يبق لدينا شيء ، وبذا فنحن اكثر الدول انحرافـا اخلاقيا في المجتمع (البشري) ، فالوقت قد حان لان نصل الى الاستنتاج بأن مثل هذه الدولة لم يعد لها حق في البقاء ، ولذا يجب هدمها حتى الاساس . اني اناشد كل مـن تمتع بمشاهدة البانيو لينضم دون تأخير الى صفوف فتح وغيرهم من المقاتلين في سبيل العدالة والحرية ، من أجل السعي وراء الهدف المشترك . » ان كاتب المسرحية هـو حـانوخ ليفن الذي يبلغ السادسة والعشرين من العمـر . وفي مقابلة مع ناقدة مجلة اسرائيل ، قال : « ان العالم هو مبني على الرفض وان هدف الساخر هو الكشف عـن قوات الشر في العالم . لقد تحولنا في هذا البلد الى فرع في السلاح الجوي مـن فرط اعجابنا به وعبادتنا له . اننا سلاح جوي يمتلك دولة . ان الذي فعلته في تمثيليتي هو اني حولت صراعنا مع العرب كله الى موقف عائلة تمتلك حمامـا ولكنها لا تسمح لابن عمها باستعماله . »

بعد ثلاثة عشر عرضا فقط ، ومع ان سيل المشاهدين لم ينقطع ، أمرت الحكومة بوقف المسرحية ، وقيل أن هيئة التحرير في صحيفة معاريف اقامت حفلة شربت فيها الانخاب بمناسبة انهاء التمثيلية . اما المؤلف ، فقد وقف امام دار المسرح وهو يحمل شكـلا مضخما لحرف Z دلالة على خنق حرية الرأي ، ثم نشر اعلانا دفع ثمنه في هارتس بعنوان : النقد الذاتي ، وفيه قلد ليفن اسلوب المؤلفين في العهد الستاليني عندما كان النظام يجبرهم على انتقاد انفسهم امام الجميع .

كتب ليفن : معالي وزير الدفاع ، رؤساء المجالس البلدية ، محررو الصحف والراديو والتلفزيون ، اساتذتي وسادتي : كلي خجل وتواضع واعتراف بجميلكم ، اقف أمامكم اليوم . فان جهودكم المخلصة التي لم تعرف الكلل لرفع ملكة البانيو عن المسرح قـد فتحت عيني وجعلتني اعيد النظر في كل ما كتبته . الان وقد ازيلت مسرحيتي ، فأنـي احني رأسي واعترف بخطأي . فقد استغليت مبادىء الدمقراطية من اجـل ان اهد المعنوية العامة ، وكي العن معارك اسرائيل ، وحتى انشر الكراهية والارتباك فـي صفوف امة متحدة . وكل ذلك بواسطة كلمات تافهة تدل على خبل عقلي . اني اسحب كل كلمة وكل رمز كتبته . واتوسل اليكم في صوت ضعيف ان تعزوا اخطائي الى عدم نضوجي والى التربية الفاسدة التي حصلت عليها في دار والدي . وبهذه المناشدة مـن أجل الصفح ، سأواصل الامل بأن اعطى فرصة ثانية لابرهن على نفسي في العمـل المنتج ، وكمواطن مفيد في صفوف الشعب ، من أجل مجد الدولة والامة . التوقيع : حانوخ ليفن ـــ شبه كاتب مسرحي .

هذا الاعتراف الساخر « بالخطأ » فجر النقاش حول حرية الرأي في الدولة الصهيونية واشترك حتى الجنود في خط بارليف بالنقاش . وحاولت الجامعة العبرية ان تخـرج المسرحية من جديد ، الا انها دفنت مـرة اخرى تحت قنابل الروائح الكريهة والزجاج المهشم والحجارة ، وكان رأي الاغلبية ان حرية التعبير جميلة لا شك وضرورية ، ولكن الحرب التي تخوضها اسرائيل لا تسمح بالحرية المطلقة . الا ان الاراء لم يعبـر عنها كلها بهذا الوضوح ، فالنحات داني كارافان ، مثلا ، قال : « ان الدمقراطية قد تدمـر نفسها اذا سمحت بالاستهتار ، كما أنها تعرض نفسهـا للتدمير اذا حـاولت قمـع الحريات . » وللقارىء ان يفهم من هذا التخبط عما اذا كان صاحب الحديث يحـذر من الحرية ، ام من قمعها .

المهم انه في الفترة التي كتبت فيها هذه المسرحية وعرضت ، كانت اسرائيل تجد نفسها في خضم صراع دموي بدأ يستنزف قواها . وكما أن الضمير الامريكي لم يستيقظ ويطلب

وقف الحرب الفيتنامية الا بعد أن سقط عشرات الالاف من الامريكان قتلى وجرحى في ادغال الهند الصينية ، فان الاسرائيليين لم يجدوا عقم « اين بريره » الا بعد ان اخذت الحرب على ضفتي الاردن والقناة تلتهم شبابهم كل يوم . ولذا فالضجة التي احدثتها المسرحية كانت كبيرة ، وبحجم الضجة التي اثارها جون كمشه عام ١٩٦٧ (قبل الحرب بأشهر معدودة) عندما نشر في مجلته « جيويش اوبزرفر » بأن مئة الف اسرائيلي هم عاطلون عن العمل . وكما في تلك المشكلة ، فان الدوي الذي احدثته ملكة البانيو كان اكبر من ان يخنق داخل جدران اسرائيل . فتناولته مجلة اسرائيل ، وكتبت عن المسرحية وردود الفعل الناتجة عنها مقالا طويلا مستفيضا كان على كل حال بعيدا عن الموضوعية ، باعتبار أن المجلة اعتبرت الامر كله بمثابة زوبعة في الفنجان مع أنه طبعا لم يكن كذلك ابدا . ولكن المجلة ظنت أنها باستخدامها الاسلوب الساخر في الكتابة عن المسرحية الساخرة ، ستعيدها الى حجمها الحقيقي . وشاء سوء حظ المجلة ان تكون ناقدتها باولا هيرت صاحبة اسلوب متحذلق يحاول ان يبدو خفيف الدم دون جدوى ، فكانت النتيجة ان الاستخفاف ، بل والاحتقار الذي أظهرته هذه الكاتبة للمسرحية وكاتبها ظل دون مبرر . فالكاتب الشاب حانوخ ليفن هو من غير شك مؤلف موهوب ويتقن فن السخرية اللاذعة .

اما صفحة النكات في مجلة اسرائيل ، فالفكاهات فيها كلها تتضمن المديح لاسرائيل ، أي أنها من النوع الذي لا يبغي الاضحاك وانما الدعاية السافرة ، علما بأن النكتة هي ليست الواسطة المثلى للدعاية لشعب او دولة . اما كاريكاتورات دوش ، فهي باردة الروح ولا تخرج هي الاخرى عن نطاق حرق البخور لكل ما هو اسرائيلي . وبقدر ما هي ايجابية في مديحها للنظام القائم ، فانها سلبية وشديدة الذم للعناصر اللامنتمية في المجتمع الاسرائيلي . فمثلا نجد في احد الرسوم رجلين ، احدهما جندي اسرائيلي متوجه الى ساحة القتال وهو يحلم بحمامة السلام التي تحمل غصن الزيتون في منقارها، والاخر هيبي طويل الشعر واللحية ، يحمل القيثار ويحلم بالمظاهرات .

ان مجلة اسرائيل هي ببساطة منشور دعائي صهيوني لاسرائيل . ولما كانت اغلبية صحف العالم الغربي تؤيد اسرائيل ، فبامكان هذه المجلة ان تركز على أمر عظيم الاهمية بالنسبة للصهاينة ، وهو تشجيع الهجرة الى « ارض الميعاد » . فانها مثلا بصراحة كتبت على غلاف احد اعدادها : مطلوب لاسرائيل مهاجرون **غربيون** على قيد الحياة . ولهذا الغرض ، عبأت المنظمة الصهيونية افضل كتابها ومحرريها ومصوريها لاخراج صورة جذابة مشرقة تستهوي قلوب اليهود في المهجر . فلا يكاد القارىء ينظر في صفحة من صفحات المجلة الا ويشاهد وجها فتيا وسيما يبتسم له ، لكنه لا يملك الا أن يلاحظ بأن هذه الابتسامات هي عموما سطحية ولا تنبعث عن غبطة حقيقية ، وكأن أصحابها لا يريدون التعبير عن سعادة غامرة بقدر ما يريدون الرد على أية شماتة محتملة ، وكأنهم يقولون : نحن **سنكون** سعداء رغم انوفكم .

وفي كل سطر ونادرة، يريدنا المحررون ان نعتقد بأن الحتسباه (وهي كلمة عبرية معناها الجرأة) هي اختصاص اسرائيلي بحت ، لا يشاركهم فيه شعب اخر على وجه الارض . ولكن القناع لا يظل ثابتا على الوجه طوال الوقت ، ففي احد الاعداد نجد صورة لشاب اسرائيلي ، ثم من عبارات الرثاء تحت الصورة نفهم انه ابن البروفسور فلان ، احد اعضاء الاسرة التحريرية في المجلة ، وان الاب سيكتب مقالا عن ابنه القتيل في الحرب متى استطاع التغلب على حزنه . وهكذا تستمر العجلة في الدوران . ويظهر العدد بعد العدد من مجلة اسرائيل وهو يحمل الصور الجميلة المشرقة ، ولكن بين كل صورة وأخرى نجد العبارة : « اين بريره » ، « اين بريره » ، « اين بريره » .

ملاحظة : كتبت هذه الدراسة في اواخر العام ١٩٧١ .

الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل

خليل ابو رجيلي

تعمدت الحركة الصهيونية منذ نشأتها التركيز على ان فلسطين هي ارض صحراء لا يقطنها بشر ، وكان شعار الحركة : « ان فلسطين ارض لا شعب فيها هي ملك لشعب لا أرض له » . وقد تجاهل معظم الكتاب الصهيونيين عن تصد وعمد ذكر السكان العرب القاطنين في فلسطين والعاملين فيها منذ مئات السنين ليخدعوا الراي العام العالمي حتى يبرروا اغتصابهم بالقوة والعنف لاراضي العرب . وعندما كان أحد الكتاب الصهيونيين يشير الى وجود السكان العرب في فلسطين كان يتمعن في ابراز انتماء هؤلاء السكان الى عدة طوائف غير متجانسة ، متباينة في الراي ومتنابذة ، ليبين انعدام وجود شعب عربي فلسطيني موحد واع لحقوقه ووطنه . وقد شدد هؤلاء الكتاب على ان سكان فلسطين العرب لا يحتلون الا جزءا من ارض فلسطين التي لا تزال صحراء تنتظر من يقطنها ويستثمر الخيرات الدفينة في أرضها(١) . وبعد قيام دولة اسرائيل واجلاء السكان العرب من الجزء المحتل من فلسطين وتدفق الهجرة الصهيونية اليها ، أخذت ابواق الدعاية الصهيونية تشيد بمفاتن « الصحراء التي ازهرت » ، متجاهلة عن عمد وقصد الشعب العربي الفلسطيني الذي كان يعيش في هذه « الصحراء »(٢) والذي عمل بجهد وكد طوال العصور لاستثمار اكبر مساحة ممكنة من الاراضي الصالحة للزراعة ليقيم عليها زراعة مزدهرة لسد حاجاته الى المواد الغذائية وتصدير الفائض من الانتاج . لذلك كان هدفنا في هذا البحث تبديد رواسب الدعاية الصهيونية من الاذهان بتبيان وضع الزراعة العربية في فلسطين قبل قيام دولة اسرائيل في الاجزاء المحتلة منها . وللوصول الى هذا الغرض سنقسم بحثنا هذا الى ثلاثة أجزاء تتناول أوضاع الزراعة العربية الفلسطينية منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى قيام دولة اسرائيل .

الزراعة الفلسطينية قبل دخول الاستعمار الصهيوني الى فلسطين

ان فلسطين بلاد زراعية وقد عمل سكانها منذ القدم على زراعة سهولها الخصبة وبناء « الجلول » في الجبال لحفظ التربة واستعمالها للزراعة . وكان معظم سكانها في القرن التاسع عشر لا يزال يعمل في الزراعة باستثناء بعض سكان المدن الساحلية والقدس الذين كانوا يتعاطون التجارة أو بعض الاعمال الحرفية . وكانت هذه المدن صلة اتصال البلاد مع الخارج ومركز تفاعل التأثيرات الخارجية التي كانت تنتقل الى المناطق الاخرى من البلاد لا سيما المناطق المحيطة بالمدن حيث كانت الزراعة مزدهرة نسبيا وتقوم بدور تزويد سكان المدن بالمنتجات الزراعية التي تحتاج اليها من حبوب وخضار وثمار والبان وبيض . اما الزراعة في المناطق الداخلية والجبال فكانت زراعة اكتفاء ذاتي قوامها زراعة الحبوب . ولا نعرف نسبة الاراضي المزروعة من مجموع مساحة فلسطين

الاجمالية في تلك الفترة كما لا نملك معلومات عن نسبة السكان العاملين في الزراعة ولا عن كمية الانتاج الزراعي وقيمته وذلك لعدم توفر الاحصاءات ولكون فلسطين في ذلك الحين ترزح تحت الحكم العثماني ، وترتبط اداريا بولاية سوريا وبيروت . لكن رغم انعدام الاحصاءات والمعلومات نعرف بأن نسبة الاراضي المزروعة سنويا كانت ضئيلة نسبيا لان الفلاح في ذلك الحين غالبا ما كان يترك أرضه دون زراعة سنوات متتالية لترتاح ثم يعود ويزرعها من جديد(٣) . كما ان كمية الانتاج الزراعي وقيمته كانتا ضئيلتين أيضا بسبب تدني مردود الزراعات نتيجة للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعانيها العاملون في الزراعة ، وكان هؤلاء مقسمين الى ثلاث فئات(٤) :

١ ــ **فئة كبار الملاكين** : يعيش اصحاب هذه الفئة في المدن الفلسطينية أو خارجها ، ولا يهتمون بالارض أو بزراعتها فكانوا اما يؤجرونها الى فلاحين فلسطينيين لقاء قيمة سنوية ثابتة واما يعمل فيها الفلاحون بصفة شركاء لقاء نسبة معينة من المواسم الزراعية التي تنتجها الارض تتراوح نسبتها بين ٣٠ و٧٠ ٪ . ولا يزور هؤلاء الملاكون أرضهم الا نادرا . ويوكلون ادارتها الى وكيل مختص يحوز ثقتهم ، وكان هذا الوكيل يبذل اقصى جهده لاستغلال الفلاحين العاملين في الارض حتى ينال ثقة كبار الملاك ويكدس الاموال في خزائنه ، فيهابه الفلاحون ويكنون له البغض والكراهية لكن لا يستطيعون عمل شيء للتخلص منه لانه كان صديقا للحكام ويعرف كيف يستغل صداقته ليمعن في الاستغلال والاستبداد . ولعبت هذه الفئة دورا كبيرا فيما بعد لتثبيت جذور الاستعمار الصهيوني في فلسطين لانها كانت أول من باع الاراضي للمهاجرين الصهيونيين الاول .

٢ ــ **فئة الفلاحين الشركاء** : لا يملك اصحاب هذه الفئة اي شبر من الارض التي مضى على وجودهم فيها وقت طويل ، والتي يملكها كبار الملاكين ، يعيشون في خوف دائم ويرضون بأقسى شروط الاستغلال والاستبداد لينالوا رضى كبار الملاكين ووكلائهم حتى لا يطردوا من الارض التي يزرعونها . يعملون بكد وجهد مع عائلاتهم لاعطاء الملاكين الكبار حصتهم من المواسم ولتسديد الضرائب الى مأموري الدولة ولا يبقى لهم الا القليل القليل من أتعابهم ليعيشوا مع عائلاتهم ، وغالبا ما يكونون فريسة للمرابين الذين يسلفونهم بعض الاموال لقاء فوائد عالية جدا الى حد لا يستطيع الواحد منهم وفاء ديونه التي تتكدس عليه سنويا وقد يموت قبل وفاء ديونه التي تنتقل الى ورثته وهكذا دواليك . . . وقد تضررت هذه الفئة فيما بعد تضررا كبيرا من جراء الغزوة الصهيونية لفلسطين لان المهاجرين الصهيونيين بعد شراء الاراضي من كبار الملاكين عمدوا الى طردهم من الاراضي التي كانوا يزرعونها لعدم وجود تشريع يحفظ لهم حقوقهم بالبقاء في الارض .

٣ ــ **فئة الملاكين الوسط والصغار** : يملك اصحاب هذه الفئة أرضهم ويزرعونها لكنهم يرزحون تحت أعباء الضرائب والديون ، وقد استغل المرابون وضعهم أبشع استغلال واستولوا على أراضيهم لاستيفاء أموالهم . وهكذا وقعت أراض كثيرة من أراضيهم في أيدي المرابين واصبح الفلاحون الملاكون بلا أرض وشركاء في الاراضي التي كانوا يملكونها سابقا .

ما هي نسبة كل فئة من هذه الفئات من مجموع العاملين في الزراعة ؟ وما هي نسبة المساحة التي تملكها كل فئة وتعمل فيها من مجموع مساحة فلسطين الاجمالية ؟ لا نملك احصاءات تبين لنا مدى أهمية كل فئة وملكيتها بالنسبة للفئات الاخرى لكن هناك بعض التقديرات تبين بأن فئة الملاكين الوسط والصغار كانت تملك ٢٥ ٪ من اراضي الجليل و٥٠ ٪ تقريبا من أراضي فلسطين الجنوبية(٥) . ونعرف من جهة اخرى بأن القانون العقاري العثماني الصادر سنة ١٨٥٨ ساعد كثيرا على تجميع الاراضي في ايدي الملاكين الكبار لان نتائجه المباشرة كانت(٦) : ١) مصادرة الاراضي المتروكة التي تخص الملاكين

الوسط والصغار وقبائل البدو وبيعها الى كبار الملاكين . ٢) تمنع بعض الملاكين الوسط والصغار وقبائل البدو من تسجيل اراضيهم بأسمائهم لانهم لا يملكون رسوم التسجيل الباهظة ولا يستطيعون دفع الضرائب السنوية على الارض البالغة ٤ ٪ من ثمن الارض سنويا ، فكان أن استولت الدولة علـى هذه الاراضي ايضا وباعتها للملاكين الكبـار الذين استحصلوا عليها بأثمان بخسة جدا نتيجة لتواطئهم مـع موظفي الحكومـة . ٣) امتناع بعض الملاكين الوسط والصغار من تسجيل أراضيهم بأسمائهم ووقفها الى بعض المؤسسات الدينية تهربا من رسوم التسجيل ودفع الضريبة السنوية على الارض، لان أراضي الاوقاف كانت معفاة من الضرائب ، وساعد هذا التصرف على زيادة املاك الاوقاف زيادة كبيرة وحرم الفلاحين تدريجيا من أراضيهم .

نرى اذن بوضوح بأن كل التطورات كانت تسير ضد مصالح الفلاحين ، سواء أكانوا مالكين لارضهم أم شركاء فيها . لقد اجتمع على استغلالهم كبـار الملاكين والمرابين المتواطئين مع موظفي الدولة العثمانية والسلطات المحلية وذلك لمنعهم من تحسين طرق استغلالهم للارض ليبقوا طيعين تحت رحمتهم ويضغطون عليهم كلما رأوهم جادين في التفلت من نفوذهم . لكن هذا الفلاح رغم هذه الحالة الزرية التي يعيش فيها « وبفضل الذكاء الطبيعي الذي يتميز به »(٧) استطاع ان يحسن بعض أساليبه الزراعية بالقليل القليل الذي يملكه من المال بعدما شاهد نجاح الاساليب الزراعية الحديثة التي دخلت الى فلسطين بواسطة الارساليات الدينية في بيت جالا واللطرون وعمواس التـي عمل أفرادها في الزراعة ، وبواسطة المهاجرين الألمان (١٨٦٨) الذين استقروا في مستعمرات زراعية قرب يافا وحيفا والناصرة . وقد كان ذلك قبيل الغزوة الصهيونية للاراضي الفلسطينية . وهذا الوضع يدحض النظرية السائدة التي تقول بأن الفلاح الفلسطيني بدأ بتحسين أساليبه الزراعية بعد احتكاكه بالمهاجرين الصهيونيين(٨)، والواقع يبين بأن الفلاح الفلسطيني بدأ بتطوير اساليبه الزراعية قبل وصول المهاجرين الصهيونيين لان تاريخ انشاء بساتين الحمضيات الحديثة في السهل الساحلي وزراعة الخضار المكثفة في السهل الساحلي ووادي الاردن يعود الى سنة ١٨٧٠ أي قبـل دخول المهاجريـن الصهيونيين الى فلسطين باثنتي عشرة سنة تقريبا . وسنرى في الجزء الثاني من هذه الدراسة بأن انتاج الفلاح الفلسطيني كان أفضل من انتاج المهاجـر الصهيوني خلال الاربعين سنة الاولى من تاريخ دخول الاستعمار الصهيوني الى الاراضي الفلسطينية .

الزراعة الفلسطينية من دخول الاستعمار الصهيوني سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٢٠

كانت بعض فروع الزراعة العربية في فلسطين (بساتين الحمضيات وزراعة الخضار) قد بدأت تتحسن فعليا وتتحدث نتيجة توظيف رؤوس الاموال فيها وذلك قبل ان تطـأ اقدام المهاجرين الصهيونيين الاراضي الفلسطينيـة في سنة ١٨٨٢ . لكننـا لا نملك احصاءات عن هذه الفترة التي تلت مباشرة دخول الاستعمار الصهيوني الى فلسطين ويجب الانتظار حتى سنة ١٨٩٥ لنحصل على احصاءات عن الزراعة في متصرفية القدس فقط التي كانت مساحتها ٢٢٠٠٠ كلم٢(٩) اي ما يوازي ٨١ ٪ من مجموع مساحة فلسطين ، وتبقى المعلومات ناقصة عن الجليل وقضاء نابلس التي كانت تابعة آنذاك لولاية بيروت . ثم تنقطع الاحصاءات عن الزراعة في فلسطين الى سنة ١٩٠٩/١٩١٠ حيث نقع على احصاءات عن متصرفية القدس باستثناء قضاء الخليـل ، لكن طبيعة الاحصاءات المتوافرة لا تمكننا من المقارنة الكاملة بينها لان مصادرها وتبويبها مختلف الواحدة عن الاخرى كما سنرى فيما بعد . لكن قبل ان نستعرض الاحصاءات المتوفرة لنا لا بد من عرض لوضع الفلاح الفلسطيني التقني في تلـك الفترة الذي كان يملك أساليب زراعية متطورة ومنسجمة مع طبيعة الارض والمناخ والظروف السياسية التي يعيشها(١٠) وكان مستواه التقني لا يقل عن مستوى المزارع الاوروبي في ذلك العصر كما

يقول هيفنز بنجامين عندما يتكلم عن شعوب آسيا والشرق الاوسط لدى دخول الاستعمار الاوروبي اليها(١١). وسنتحقق من هذا الواقع في الصفحات اللاحقة عندما نقارن بين مردود الهكتار لدى الفلاح الفلسطيني والمهاجر الصهيوني .

ان الاحصاءات المتوفرة لنا عن الزراعة الفلسطينية ما بين سنة ١٨٨٢ و١٩٢٠ والتي ذكرناها سابقا تبين لنا المساحات المزروعة ونوعية الزراعات السنوية والدائمة وانتاجها ومردود الهكتار وأوضاع الملكية وسنعرض لها كما يلي(١٢):

١ ــ **المساحات المزروعة** : كانت نسبة المساحة المزروعة في متصرفية القدس سنة ١٨٩٥ ١٠ ٪ من مجموع مساحتها باستثناء الاراضي المتروكة ، التي كانت تزرع سنة بعد اخرى ، والاحراج والمراعي الطبيعية . وكانت مساحة الاراضي المزروعة بالحبوب تبلغ ١٦٠ . . . هكتار ، والمساحة المزروعة بقولا وخضارا ٣٧ ألف هكتار ومساحة الاشجار المثمرة ٢٣ الف هكتار منها ٦٦٠. هكتارا من الحمضيات . اما نسبة المساحة المزروعة سنة ١٩٠٩/١٠(١٣) فقد كانت ٨ ٪ من مجموع المساحة أي أقل ٢ ٪ عن سنة ١٨٩٥ ، ويتبين بأن مساحة الحبوب والبقول والخضار قد انخفضت الى ١١٨ ٨٤٢ هكتارا بينما زادت مساحة الاشجار المثمرة الى ٢٥ ألف هكتار وكانت الزيادة في مساحات الاشجار الحمضية التي ارتفعت مساحتها الى ثلاثة آلاف هكتار .

جدول رقم ١ ــ توزيع الاراضي سنة ١٨٩٥ بالكيلومترات

القضاء	اراض مزروعة	اراض قابلة للزراعة	احراج	مراع طبيعية وجبال	اراض صحراء	المجموع
القدس	٩٠٠	٣٠٠	١٠٠	٥٠٠	٤٠٠	٢٢٠٠
يافا	٩٠٠	٥٥٠	٢٥٠	٥٠٠	٤٠٠	٢٦٠٠
غزة	٢٠٠	١٩٠٠	١٠٠	٢٤٠٠	٦٨٠٠	١١٤٠٠
الخليل	٢٠٠	١٩٥٠	٢٥٠	٨٠٠	٢٦٠٠	٥٨٠٠
المجموع	٢٢٠٠	٤٧٠٠	٧٠٠	٤٢٠٠	١٠٢٠٠	٢٢٠٠٠

٢ ــ **انواع الزراعات** : تقسم الزراعات التي كانت تنمو في الاراضي الفلسطينية الى زراعات سنوية موسمية كالحبوب والخضار والى زراعات دائمة كالاشجار المثمرة . وأهم الزراعات السنوية الموسمية التي كانت تزرع في فلسطين ولا تزال الى أيامنا هذه هي زراعات الحبوب على أنواعها لا سيما القمح والشعير والخضار . كانت زراعة الحبوب مزدهرة في مرج ابن عامر وسهل غزة وبئر السبع وبعض السهول الداخلية اما زراعة الخضار فكانت في السهل الساحلي حول يافا والرملة وفي وادي الاردن . ونعرض فيما يلي الى أهم انواع الحبوب والخضار التي كانت مزروعة في فلسطين سنة ١٩٠٩/ ١٩١٠ :

القمح : كانت زراعة القمح منتشرة في معظم الاراضي الفلسطينية الا أنها كانت مركزة بنوع خاص في مرج ابن عامر ، وكانت الانواع المزروعة هي نوع القمح البلدي ثم القمح المصري ، وكانت المساحة المزروعة سنة ١٩٠٩/١٩١٠ ٤٦١٠٠٠ دونم انتجت ٣٣٩٥٠ طنا ، أما المعدل العادي لانتاج القمح السنوي في متصرفية القدس فقد كان ٥٠ ألف طن، وقد انخفض سنة ١٩٠٩/١٩١٠ الى ثلثي معدل الانتاج السنوي العادي لان الموسم في تلك السنة كان رديئا(١٤).

الشعير : كانت زراعة الشعير منتشرة كزراعة القمح في معظم الاراضي الفلسطينية الا انها كانت مزدهرة في سهل غزة وهضبة بئر السبع وكانت ميزة هذه الزراعة في هذه المناطق بانتاج موسم مبكر ، في أواخر شهر أيار ، ذي جودة مرغوبة جدا لا سيما في

صناعة الويسكي لذلك كان يصدر منه سنويا نحو ٨ آلاف طن الى انكلترا لاستعماله في صناعة الويسكي(١٥). كانت مساحة الاراضي المزروعة شعيرا سنة ١٩٠٩/١٩١٠ ٣٢٨٤٠٠ دونم انتجت ٢٠٧٧٢ طنا اما المعدل العادي لانتاج الشعير السنوي في متصرفية القدس فكان ٣١ ألف طن .

الذرة : تأتي زراعة الذرة من حيث الاهمية بعد زراعة القمح والشعير ، وكانت تزرع في موسم الصيف بعد حصاد هذه الزراعات. كانت المساحة المزروعة سنة ١٩٠٩/١٩١٠ ١٩١٢٥٠ دونما انتجت ١٨٥٠٠ طن اما المعدل العادي لانتاج الذرة السنوي فكان ٢٧ ألف طن . وكان يصدر من مرفأ حيفا الى جزيرة مالطا ومدينة الجزائر ليصنع منه كحول الايتيلين(١٦) .

السمسم : كان يزرع السمسم في فصل الصيف في السهل الساحلي الممتد من حيفا حتى غزة وفي مرج ابن عامر ، كانت المساحة المزروعة سنة ١٩٠٩/١٠ ١٢٤٠٠٠ دونم انتجت ٥٩٠٢ طن اما المعدل العادي لانتاج السمسم السنوي فقد كان ضعفهذا الانتاج، وقد كان يصدر منه سنويا من مرفأ حيفا ٩٠٠٠ طن الى فرنسا وايطاليا بسعر ٤٠٠ فرنك للطن الواحد(١٧) .

الخضار : كانت أنواع الخضار المزروعة : البطيخ في الاراضي الرملية في السهل الساحلي ، والكوسى والخيار والملفوف والبندورة والباذنجان والبصل والبامية والثوم والقرنبيط والبطاطا ... ، وكان الفلاح الفلسطيني بارعا جدا في زراعتها اذ يحسن استعمال الاسمدة ويحفر الآبار ويضخ المياه لري مزروعاته . وكانت أحسن حقول للخضار هي حقول منطقة يافا والرملة والقدس التي كانت تنتج أصنافا جيدة ، وقد كانت الخضار المبكرة تصدر الى أسواق أوروبا حيث كانت تلاقي رواجا كبيرا(١٨). لا نعرف المساحة التي كانت مزروعة خضارا ولا نملك معلومات الا عن كمية الانتاج لسنة ١٨٩٥ اذ بلغت ١٠٢٠،٧٧١ طنا(١٩) وقد ازداد الانتاج بعد ذلك التاريخ زيادة كبيرة نتيجة اقبال الفلاحين على زراعة الخضار . وتعتبر زراعة الخضار من الزراعات الحديثة التي حاول الفلاح الفلسطيني ان يطورها ويتقن زراعتها قبل أن يباشر المهاجر الصهيوني بزراعتها في الاراضي الفلسطينية .

اما الاشجار المثمرة التي كانت تنمو في الاراضي الفلسطينية فهي الاشجار الحمضية والزيتون والعنب والتين والرمان والمشمش والتفاح واللوز وسنعرض لاهم هذه الاشجار فيما يلي(٢٠):

الاشجار الحمضية : تعتبر الاشجار الحمضية من اهم الاشجار المثمرة التي تنبت في الاراضي الفلسطينية ، وقد كانت زراعتها بطرق حديثة جدا ومتقنة واقتصرت على العرب وحدهم في البدء ، وقد نمت نموا سريعا ما بين سنة ١٨٩٥ و١٩١٥ فارتفعت المساحة المزروعة من ٦٦٠٠ دونم الى ٣٠٠٠٠ دونم وارتفع الانتاج من ١٨١٩٩٤٥٠ كلغ الى ٦٤٠٠٠٠٠٠ كلغ في تلك الفترة . كانت البساتين في السهل الساحلي بين حيفا وغزة وفي وادي الاردن ، وكان البرتقال اليافاوي (نسبة الى يافا) من أجود الاصناف التي تنتج في فلسطين نظرا لسماكة قشرته ورائحته العطرة وخلوه من البذور مما جعله مرغوبا جدا في الاسواق الخارجية . كان يصدر الى دمشق وشرق الاردن والسعودية وانكلترا وفرنسا والنمسا وكانتصادراته سنة (١٩١٣ــ١٩١٤) ١٥٥٣٨٦١ صندوقا(٢١) اما انتاج غزة ووادي الاردن وقضاء عكا فكان قليلا نسبيا ويستهلك داخل الاراضي الفلسطينية .

الزيتون : من أقدم الاشجار التي عرفتها الاراضي الفلسطينية يعود تاريخها الى آلاف السنين وهي منتشرة في منطقة القدس ونابلس والجليل وكان عدد الاشجار في سنة ١٩٠٩/١٩١٠ في متصرفية القدس ٣٥٩٣٥٧٠ شجرة انتجت ٧٤٣٨٤٩٠٠ (اقة)(٢٢)

ثمار زيتون ، وكان لشجر الزيتون أهميته لانه يوفر المادة الاولية لمصانع الصابون التي كانت مزدهرة في فلسطين .

العنب : كانت المساحة المزروعة عنبا سنة ١٩١٣ ‎.٣٧٣٦ دونما انتجت ٢١٢٨١٠٠٠ كلغ ، وكان المهاجرون الصهيونيون قد توجهوا في بداية الاستعمار الى زراعة العنب . وكانوا يملكون ١٢ الف دونم اي ما يقارب ثلث بساتين العنب الموجودة في متصرفية القدس .

اما أهم الزراعات الصناعية(٢٣) المزروعة في فلسطين فكانت الدخان وقد كان يزرع بكثرة ولا يزال في قضاء عكا ولا تتوفر لنا معلومات عن مساحته وكمية انتاجه وقيمته اما المساحة التي كانت تزرع في متصرفية القدس فتكاد لا تذكر (٥٦ دونما سنة ١٩٠٩/ ١٩١٠) ولا يتعدى انتاجها ١٧٥ كلغ ، ويليه قصب السكر الذي كان مزروعا في السهل الساحلي ومنطقة القدس .

٣ ــ **الثروة الحيوانية**(٢٤): في سنة ١٩١٤ ــ ١٩١٥ كان عدد الماشية في متصرفية القدس كما يلي : أبقار ٤٣٧٥٩ ، خراف ٤٣٩٨٤ ، نعاج وحملان ١٦٣١١ ، ماعز ٨٣٦٩٢ ، حيوانات جر ٢٤٧٨١ ، جمال ١٥١٦٧ . وكان الفلاح يدفع سنويا ٤ قروش على كل رأس من الاغنام والماعز و١٠ قروش على كل رأس من بقية الحيوانات . اما تربية الدواجن فكانت مزدهرة في جوار المدن الكبرى لتوفر أسواق لها وكان فلاحو غـزة والخليل وأريحا يأتون بصورة منتظمة بمنتجاتهم الى مدينة القدس حيث يبيعونها بأسعار تدر لهم أرباحا لا بأس بها(٢٥) .

٤ ــ **الملكية الزراعية**(٢٦): لا يوجد معلومات أكيدة عن الملكية الزراعية في تلك الفترة لكن الخبير « أوهاجن » قدر بأن ٢٠ ٪ من مساحة فلسطين الشمالية يملكها الفلاحون كما انهم يملكون ٢٠ ٪ ايضا من فلسطين الجنوبية(٢٧) اما الاراضي الاخرى فقد كانت لكبار الملاكين لا سيما بساتين سهل عكا ويافا والاراضي الزراعية الخصبة في السهول الداخلية لا سيما مرج ابن عامر .

نلاحظ بوضوح التطور الذي طرأ على ملكية الفلاحين اذا ما قارنا هذا الوضع مع المرحلة السابقة حيث كان يملك الفلاحون ٥٠ ٪ من فلسطين الجنوبية و٢٥ ٪ مـــن فلسطين الشمالية . واسباب تقلص ملكية الفلاحين وتجمع الملكية في أيدي كبار الملاكين يعود الى مساوىء القانون العقاري العثماني الذي صدر سنسة ١٨٥٨ والذي : أباح للسلطة العثمانية مصادرة جميع الاراضي التي تبقى بورا ثلاث سنوات متواصلة، وأجبر الفلاحين على تسجيل املاكهم ، وقد تمنع كثيرون منهم عن تسجيل أراضيهم لانهم لا يملكون رسوم التسجيل ولا يستطيعون تسديد الضرائب التي تتوجب عليهم من جراء ذلك . وهكذا استولت السلطات العثمانية على أراض شاسعة كانت تخص الفلاحين والبدو وباعتها فيما بعد بالمزاد العلني فأقبل المتمولون (المرابون) من سكان المدن الى شرائها بأسعار زهيدة جدا يراوح سعر الدونم بين ٥ و٢٥ قرشا ، وقد شرحنا هذا الوضع شرحا وافيا في الجزء الاول من هذا البحث ولن نعود اليه ثانية .

٥ ــ **مردود الزراعات**(٢٨): سنعرض على التوالي الى مردود زراعات الحبوب والاشجار المثمرة في المزارع العربية واليهودية ، سنشير بالرقم (١) الى المردود في مزرعة أرضها متوسطة ، وبالرقم (٢) الى مردود في مزرعة أرضها خصبة ، وبالرقم (٣) الى مزرعة كبيرة تخص أحد كبار الملاكين ويقوم بزراعتها أحد الفلاحين الشركاء .

مردود زراعات الحبوب : يبين الجدول رقم ٢ قيمة مردود الهكتار الخام والربح الصافي منه ، المزروع حبوبا في مختلف المزارع العربية واليهـودية التي اشرنا اليها سابقا ،

ويتضح من المقارنة بأن مردود الفلاح العربي في الهكتار وربحه كانا أفضل من مردود المهاجر الصهيوني ويفوقه قيمة ونسبة ، لان الفلاح العربي كان يتقن هذه الزراعة افضل من المهاجر الصهيوني في تلك الحقبة من الزمن .

جدول رقم ٢

المزرعة	قيمة مردود الهكتار الخام (بالفرنك) في المزارع العربية	في المزارع اليهودية	الربح الصافي في الهكتار في المزارع العربية	في المزارع اليهودية
(١)	١٧٦،٦٦	١٣٩،٧٢	٨٣،٣٥	٤٢،٨٢
(٢)	٢٩٧،٧٧	١٧٣،٣١	١٦٥،٠٢	٦٣،٠٣
(٣)	١٧٧،١٧	١٣٩،١٢	٣٨،٧٠	٢٢،٧٥

مردود زراعات الاشجار المثمرة : يبين الجدول رقم ٣ قيمة مردود الدونم الخام المزروع بالاشجار المثمرة في المزارع العربية واليهودية قرب يافا ، ويتبين بأن انتاج الفلاح العربي قد كان يضاهي انتاج المهاجر الصهيوني ويفوقه احيانا ، كما ان زراعة الاشجار المثمرة كانت أربح بكثير من زراعة الحبوب لكن العمل فيها كان يتطلب توظيف أموال كبيرة . فالمال كان متوفرا للمهاجر الصهيوني أفضل وأكثر مما كان متوفرا للمزارع العربي . رغم هذا كانت زراعات الاشجار المثمرة التي كانت بحوزة المزارعين العرب أكثر بكثير من الزراعات التي كانت بحوزة المهاجرين اليهود .

جدول رقم ٣

الاشجار	قيمة مردود الدونم الخام في المزارع العربية (١)	(٢)	(٣)	متوسط مردود الدونم الخام في المزارع اليهودية
حمضيات	٢٢٠	١٦٢،٥٠	١٣٧،٥٠	٢٢٠
لوز	٦٢،٥٠	٥٠	٣٧،٥٠	٤٨
مشمش	٦٥	٤٥	٣٠	٤٨
الزيتون	٤٨	٣٦	٢٤	٤٥
الكرمة	٥٠	٤٠	٣٠	٣٨

٦ ــ **تقييم هذه المرحلة من الزراعة العربية** : أولا ، هناك اتجاهان في الزراعة العربية : أ ــ اتجاه لزراعة الحبوب يحتل ما يقارب ٧٥ ٪ من المساحة المزروعة ، وهو متخلف نسبيا وتقليدي لكن المردود فيه أفضل من مردود المهاجر الصهيوني الذي يزرع الحبوب . ب ــ اتجاه لزراعة الاشجار المثمرة والخضار ، أخذ يشق طريقه في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر ثم أخذ ينمو بسرعة ويتطلب توظيف أموال . وقد قام الفلاح الفلسطيني بتطوير هذا الاتجاه رغم مداخيله القليلة والقروض الخفيفة التي كان يوفرها له البنك العثماني الزراعي (١٨٨٥) والتي لا تتجاوز قيمتها ٣٠٠ فرنك للفلاح الواحد ، وقد لعب هذا البنك دورا ايجابيا في تطوير الزراعة العربية في فلسطين .

ثانيا ، ان الفلاح الفلسطيني الذي كان لا يقل تقنية وذكاء عن المزارع الصهيوني لم يتمكن من تحديث أساليبه كما يرغب لأنه كان يفتقر الى رؤوس الاموال والارشاد الزراعي المرتكز على البحث العلمي والتعليم الزراعي ، فلو توفر له ما كان متوفرا للمزارع الصهيوني لما كان يقل عنه تقنية وانتاجا فيما بعد .

ثالثا ، لما بدأ المهاجرون الصهيونيون بشراء الاراضي من كبار الملاكين ، عمدوا الى طرد الفلاحين الشركاء منها ومنعوا الفلاحين في القرى المجاورة من حقوق الرعي المكتسبة

في هذه الاراضي . فأدت هذه التصرفات الى بداية نزاع مرير ودموي بين الفلاح الفلسطيني والمهاجر الصهيوني(٢٩). وذلك النزاع لا يزال مستمرا حتى الان، واستمراره هذا هو أكبر دليل لدحض الدعاية الصهيونية التي تدعي بأن فلسطين كانت أرضا صحراء، لا يقطنها أحد . ان كانت أرض فلسطين صحراء حسب ادعاء الدعاية الصهيونية فكيف تفسر ظاهرة مقاومة الفلاح الفلسطيني لهم ؟ ذلك الفلاح الذي رأى بأن الغزوة الصهيونية لارضه هي خطر على وجوده وكيانه . ولما اشتدت مقاومة الفلاحين الفلسطينيين اضطر المهاجرون الصهيونيون الى انشاء فرق خاصة لحمايتهم بعدما اخذوا موافقة السلطات العثمانية المحلية لانشاء مثل هذه الفرق(٣٠).

رابعا، ومما يجدر بالذكر بأن الزراعة العربية في نهاية هذه المرحلة عانت كثيرا من الحرب العالمية الاولى لان الدولة العثمانية، التي كانت طرفا في هذه الحرب، الغت قروض البنك العثماني الزراعي وصادرت الرجال العاملين في الزراعة بغية تجنيدهم في جيوشها كما انها صادرت حيوانات الجر والنقل لاغراض عسكرية وقامت بقطع الاشجار ومنها بساتين الحمضيات لاستعمالها في الوقود . فتراجع الانتاج وتكاثرت الديون على الفلاحين بسبب سوء المواسم التي زادتها سوءا الكوارث الطبيعية خاصة الجراد الذي دمر قسما من المواسم الزراعية في سنة ١٩١٦ .

الزراعة الفلسطينية من سنة ١٩٢٠ حتى قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨

تمتد هذه المرحلة طيلة فترة الانتداب البريطاني على فلسطين حتى قيام دولة اسرائيل في ١٥ أيار ١٩٤٨ . توحدت الاراضي الفلسطينية تحت ادارة واحدة اذ ضمت اليها الاجزاء التي كانت تابعة لولاية بيروت واصبحت مساحتها ٢٧٠٢٧ كلم . لكن فلسطين لم تعرف الهدوء طوال تلك الفترة التي تتميز بالانتفاضات العربية لمقاومة الهجرة الصهيونية المتدفقة على البلاد بغية تحقيق وطن قومي لليهود فيها، وكانت الدولة المنتدبة ترعى هذه الهجرة وتساعد على ترسيخ قواعد الصهيونية في فلسطين . ورغم هذا الوضع المضطرب الذي لا يساعد على التطور الاقتصادي والاجتماعي فقد خطت الزراعة في فلسطين خطوات كبيرة وحاسمة وسنعرض فيما يلي لاهم التطورات التي طرأت على الزراعة ما بين سنة ١٩٢٠ و١٩٤٨ .

الاراضي الزراعية: قدرت مساحة الاراضي الصالحة للزراعة في فلسطين بـ ١٠٥٠٠٠٠٠ دونم اي ٣٧ ٪ من مجموع مساحتها وكانت مساحة الاراضي المزروعة فعليا في سنة ١٩٤٧ ٨٥٠٠٠٠٠ دونم اي ما يعادل نسبة ٨٥ ٪ من مجموع مساحة الاراضي الصالحة للزراعة . وكانت كل المنطقة الشمالية والوسطى من فلسطين مزروعة فعليا ولم يعد فيها أراض صالحة للزراعة وغير مزروعة فعليا الا في منطقة النقب(٣١). الا ان تقديرات مساحة الاراضي الصالحة للزراعة تختلف من مصدر لآخر، فلجنة التحقيق الانغلو ــ امريكية قدرتها بعشرة ملايين دونم(٣٢) بينما اعتبرها كتاب احصاء القرى لسنة ١٩٤٥ ٩٢٠٥٥٣٨ دونما(٣٣). لكن مهما اختلفت التقديرات من مصدر لآخر فمن المعروف بأن العرب الفلسطينيين كانوا في سنة ١٩٤٨ عند قيام دولة اسرائيل يملكون نسبة ٨٤٫٧٠ من هذه الاراضي(٣٤) ويزرعون القسم الاكبر منها . كانت نسبة المساحة المزروعة في الثلاثينات ٨٠ ٪ من المساحة القابلة للزراعة الا ان هذه النسبة بدأت بالانخفاض اثناء الحرب العالمية الثانية وبلغت أدنى نسبة لها سنة ١٩٤٤ (٦١ ٪) لكن بعد ذلك التاريخ عادت الى الارتفاع وبلغت ٨٥ ٪ سنة ١٩٤٧ كما ذكرنا سابقا(٣٥). وكانت نسبة المساحة التي يزرعها العرب تتجاوز ٨٠ ٪ من مجموع المساحة المزروعة وقد بلغت سنة ١٩٤٥ ٨٩٪(٣٦). اما المساحة المروية فقد كانت تقدر سنة ١٩٤٥ بـ ٥٠٠٠٠٠ دونم اي ٨ ٪ من المساحة المزروعة وكانت مملوكة تقريبا بالتساوي بين العرب واليهود(٣٧)، وكانت أهم الزراعات المروية، الاشجار الحمضية والخضار، والزراعات العلفية وبعض

الاشجار المثمرة كالدراق والتفاح والمشمش والموز . ويبين الجدول رقم ٤ تطور المساحات المزروعة بمختلف الزراعات بين سنة ١٩٣١ وسنة ١٩٤٥ .

جدول رقم ٤ – تطور المساحات المزروعة بمئة آلاف الدونمات

الانتاج	١٩٣١	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٩	١٩٤٥ المجموع	١٩٤٥ منها للعرب
الحبوب والقطاني والحبوب الزيتية	٥٤٧٥	٦٥٢٥	٦٣٥٧	٦٢٦٦	٥٤٨٥	٤٣٦٨	٤١٥٢
الخضار	٣٤	١١٦	١٤٦	١٥١	١٣٧	٢٩٨	٢٤٠
الزراعات العلفية	— (أ)	١٠٠	١٠٠	٧٦	— (أ)	١٤٣	٢٤
الاشجار المثمرة	— (أ)	٢٠١	٣٥٢	٣٥٤	٣٧٧	٣٩٣	٣٥٥
الزيتون	— (أ)	٤٧٤	٥١٠	٥٣٥	٥٧١	٦٠٠	٥٩٣
الحمضيات	١٢٥	٢٩٨	٢٩٩	٣٠٠	٣٠٠	٢٤٤	١٢٦
البطيخ	١٢١	١٢٦	١٧٧	١٦٦	١٢٢	١٢٦	١٢٠
التبغ	١٣	٢٢	٣٠	٥٥	١٥	٢٢	— (أ)
المجموع	—	٧٩٧٢	٧٩٧١	٧٩٠١	٧٠٠٧	٦٣٩٤	٥٧١٠

(أ) غير متوفر .

المصدر : سعيد حماده ، **النظام الاقتصادي في فلسطين** ، جامعة بيروت الامريكية ، بيروت ١٩٣٦ ، ص ١٥٥ ، للعمود الاول والثاني والثالث والرابع .

La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٧٤ و٧٥ ، للعمود الخامس والسادس والسابع .

قوى الانتاج : كانت نسبة السكان العرب سنة ١٩٤٤ التي تعيش من الزراعة ٦٥ ٪ من مجموع سكان فلسطين العرب(٣٨)، وكان دخل الفرد منهم ٢٨ جنيها فلسطينيا(٣٩) وقد هبطت نسبة السكان التي تعيش من الزراعة تدريجيا بسبب الهجرة من الريف والطرد الذي مارسه الصهيونيون ضد الفلاحين العرب من الاراضي التي اشترتها المؤسسات الصهيونية من الملاكين الكبار . الا ان دخل الفرد ارتفع من ٧ جنيهات فلسطينية سنة ١٩٣٦(٤٠) الى ٢٨ جنيه فلسطيني كما ذكرنا سابقا . الا ان هذا الارتفاع في الداخل خلال ثماني سنوات كان نتيجة تضخم الاسعار ولم يزد فعليا الا الثلث تقريبا بالاسعار الثابتة(٤١) مما يعني ان ارتفاع الدخل لم يحسن أوضاع العائشين من الزراعة الذين كانت تثقل كاهلهم الديون التي يبلغ متوسطها للعائلة الفلاحية نسبة متوسط دخلها تقريبا(٤٢). لذلك لم تساعد هذه الزيادة الفلاح العربي بأي حال من الاحوال على تحديث أساليبه الزراعية رغم رغبته في ذلك ، لان التحديث يتطلب توظيف رؤوس أموال مكثفة لم تتوفر للمزارع العربي المرهق بالديون ، وقد زادت حالته سوءا نتيجة تصرف الدولة المنتدبة ، المتواطئة مع المهاجرين الصهيونيين ، التي وضعت يدها على البنك الزراعي العثماني الذي كان يسلف المزارعين فيما مضى ، والغت الاقتراض منه ولم يبق أمام الفلاح العربي الا الاقتراض من المرابين بفوائد مرتفعة جدا او من البنوك التجارية لا سيما بركليس بنك ، حيث وضعت أموال البنك الزراعي العثماني ، الذي ساهم في خراب الفلاحين والاستيلاء على أراضيهم لتسليمها الى المؤسسات الصهيونية(٤٣).

لم تكتف الدولة المنتدبة بتضييق الخناق على الفلاح العربي بمنع القروض الزراعية عنه بل تركته لوحده ولم تساهم الا فيما ندر ، وبجهد يكاد لا يذكر ، لرفع مستواه الفني كارشاده على استعمال البذور المؤصلة والسماد ، والادوية الزراعية ، وتنظيم التعاونيات الزراعية لتحسين الانتاج وتسويقه ، فكان الفلاح يهتدي اليها بعد خبرات

طويلة ويصطدم دائما بعقبة توفير الاموال التي تخوله الاستفادة من هذه الوسائل العلمية التي تحسن الانتاجية وتزيد الدخل(٤٤).

ويتبين لنا بان التحديث الذي طرأ على الزراعة العربية في فلسطين قد توصل الفلاح العربي الى تحقيقه بجهده الخاص ، ولو توفرت له الظروف المادية والفنية التي توفرت للمهاجر الصهيوني لكان اتقن الزراعة افضل منه ، خاصة ان الفلاح العربي كان ، في الاربعين سنة الاولى التي مضت على دخول المهاجر الصهيوني الى فلسطين ، افضل منه تقنية وانتاجا كما بينا ذلك سابقا .

ملكية الاراضي : ان جميع المعطيات عن اوضاع الملكية الزراعية تعود الى السنوات الاولى لعهد الانتداب البريطاني على فلسطين ، ولا نملك معلومات عن الفترة التي سبقت مباشرة قيام دولة اسرائيل ، ومن المرجح ان يكون طرأ بعض التغيير عليها في بداية الاربعينات لان ارتفاع اسعار المنتجات الزراعية اثناء الحرب العالمية الثانية قد ساهم في توظيف المزيد من رؤوس الاموال في الزراعة وبالتالي على تجميع الملكية اكثر فأكثر بين أيدي كبار الملاكين لا سيما في السهل الساحلي والسهول الداخلية حيث التربة خصبة وتتوفر لها امكانيات الري . لكن من أجل تكوين فكرة عن اوضاع الملكية الزراعية لدى الفلاحين العرب سنعرض فيما يلي لثلاثة تقديرات عن اوضاع الملكية الزراعية لدى الفلاحين العرب الاول في العشرينات والثاني سنة ١٩٣٠ والثالث سنة ١٩٣٦ .

التقدير الاول(٤٥) جرى لاوضاع الملكية الزراعية في العشرينات وتبين منه بأن هناك : ١٤٤ ملاكا يملكون ٣١٣٠٠٠٠ دونم ، وكان بعض هؤلاء الملاكين تفوق ملكيتهم ١٠٠٠٠٠ دونم . وان مجموع ٢٥٠ عائلة تملك ما مجموعه ٤١٤٣٠٠٠ دونم اي ما يوازي مجموع ما يملكه سائر الفلاحين في فلسطين . **التقدير الثاني**(٤٦) وكان نتيجة دراسة احصائية قام بها جونسون — كروسبي (Johnson-Grosbie) في سنة ١٩٣٠ ، وكانت نتائجه : ان ٦٥،٩٪ من الفلاحين يملك ارضه ، وان هناك منهم نسبة ٥٤٪ لا تتجاوز ملكيته فدانا . وان ٢٩،٤ من الفلاحين هم شركاء او عمال زراعيون ولا يملكون اي شبر من الارض . وان نسبة ٦٥،٩ ٪ من الاراضي التي يزرعها الشركاء تخص ملاكين كبارا ساكنين في المدن او خارج الاراضي الفلسطينية . **التقدير الثالث**(٤٧) جرى سنة ١٩٣٦ وهو كناية عن تحقيق بالعينة تناول ٣٢٢ قرية فلسطينية بلغت مساحتها ٣٢٥٢٧٣٥ دونما وبلغ مجموع قطع الارض التي جرى التحقيق فيها ٧١٧٨٩ قطعة موزعة كما في جدول رقم ٥ . وان ما يلفت النظر في هذا الجدول كون ١٣ قطعة من الارض تتجاوز

جدول رقم ٥

فئة الاراضي	عدد قطع الارض	٪ من قطع الارض	٪ من مساحة الارض
أقل من ١٠٠ دونم	٦٥٩٣٣	٩١،٨	٣٦،٧
١٠٠ الى ١٠٠٠ دونم	٥٧٠٦	٨،—	٣٥،٨
أكثر من ١٠٠٠ دونم	١٥٠	٠،٢	٢٧،٥
منها تتجاوز ٥٠٠٠ دونم	(١٣)	(٠،٠١)	(١٩،٢)
المجموع	٧١٧٨٩	١٠٠،٠٠	١٠٠،٠٠

مساحتها اكثر من نصف مساحة ٦٥٩٣٣ قطعة من الارض تقل مساحتها عن ١٠٠ دونم ، مما يدل على ان الملكية في فلسطين كانت موزعة توزيعا غير عادل بين الفلاحين وان الظروف السياسية ساعدت على تجميع اكبر عدد ممكن من الملكيات في أيدي فئة قليلة من الناس ، هذا ما تظهره التقديرات الثلاثة التي استعرضناها . ومن الواضح ان مثل هذا الوضع لا يساعد على ازدهار الزراعة لان قوى الانتاج المتمثلة في الفلاحين

والشركاء والعمال الزراعيين لا تتوفر لها الظروف التي تمكنها من بذل كل ما تملـك من طاقات مادية وفنية لانها مستقلة من قبل كبار الملاكين .

الانتاج الزراعي : كانت نسبة انتاج الزراعة العربية في فلسطين سنة ١٩٤٤ ٧٠٪ من مجموع انتاج الزراعة الفلسطينية(٤٨) وهـذه النسبة هي ادنى من نسبة الاراضي التي كان يزرعها العرب والمتراوحة بين ٨٠ و٨٩ ٪ مما يدل على ان الانتاجية لدى المزارعين العرب كانت ادنى من الانتاجية لدى المزارعين الصهيونيين باستثناء المـزارع الحمضية وزراعة الخضار والبطيـخ حيث كان انتاج المزارعين العـرب يضاهي انتاج المزارعين الصهيونيين . وقد كـانت الزيادة في بعض المنتجـات كالحمضيات والاشجار المثمـرة والزيتون والخضار كبيرة جدا بين سنة ١٩٣٥ و ١٩٣٩ ، و ١٩٤٥ . اما انتاج الحبوب والقطاني والحبوب الزيتية فبعد ان عرف نمواً كبيرا في الثلاثينات بدأ يتراجع منذ سنة ١٩٣٩ لأن المساحة المزروعة انخفضت الثلث تقريبا عما كانت عليه في السابق . (راجع جدول رقم ٤ و ٦) .

وكان الفلاحون العرب ينتجون : ٩٢٪ من الحبوب والقطاني والحبوب الزيتية و٩٩٪ من الزيتون و ٩٠ ٪ من البطيخ و ٧٧ ٪ من الاشجـار المثمرة منها ٨٦٪ من انتـاج الكرمة و ٧١٪ من الخضار(٤٩) و ٥٠ ٪ من الحمضيـات و ٥٢ ٪ من الحليـب(٥٠) و ٦٢٪ من البيض(٥١) .

جدول رقم ٦ ـ تطور الانتاج بمئات الاطنان

الانتـاج	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٩	١٩٤٥ المجموع	١٩٤٥ منها للعرب
الحبوب والقطاني والحبوب الزيتية	٢٤٨٤	١٨١٠	٣١٣٠	٢٤١٦	٢٠٩٩	١٩٣٤
الخضار	٦٨٧	٧٠٣	١٢٠٣	١٢٩٤	٢٤٤٨	١٨٩١
الزراعات العلفية	—	—	٧٥٣	—	١٩٧٣	٢٠٨
الاشجار المثمرة	٥٣١	٨٦٦	٥٩٤	٩٥٨	٩٤٧	٧٣٣
الزيتون	٤٥٠	١٥٧	٤٧٢	٣٥٢	٧٩٥	٧٨٣
الحمضيات (أ)	٧٣٩٧٣	١٢٧٨٦٣	١٣٨٩٣٣	١٥٢٦٤٨(ب)	١٤٧٣٧(ب)	—(ج)
البطيخ	٦٨٨	٨١٣	١٢٠٨	٨٦٩	١٤٢٨	١٣٥٦
التبـغ	١٠	١٢	٢٤	٥	٨	—(ج)

(أ) بمئات الصناديق .
(ب) فقط الصناديق المصدرة .
(ج) غير متوفر .

المصدر : سعيد حماده ، **المصدر السابق** ، ص ١٥٥ .
La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٧٤ و ٧٥ .

أهم المنتجات الزراعية : لن نعرض فيما يلي الا لاهم المنتجات الزراعية التي حققت نموا كبـيرا واستعملت الاساليب الزراعيـة الحديثـة لتطوير ذاتهـا والانتقـال مـن زراعة اكتفـاء ذاتي الى زراعة للتسويق ، وقد ظهر هذا الاتجـاه واضحا في زراعـة الحمضيات والخضار وبعض الاشجار المثمرة خاصة الموز . واختيارنا هذا لا ينفي بان كافة المزروعـات الفلسطينية العربية قد عرفت تطـورا واصبح ضمن كل فرع منهـا زراعتان ، تقليدية وحديثة ، لكن اخترنا الزراعات التي كان فيها اتجاه التحديث قد عم واعطى نتائج ايجابية ومحسوسة .

أ ــ **الحمضيات** : ان الحمضيات هي من اهم المنتجات الزراعية في فلسطين ، وكانت هذه الزراعة في البدء ، كما بينا سابقا ، زراعة عربية صرفة ولما رأى نجاحها المهاجرون الصهيونيون لدى المزارعين العرب اقبلوا على زراعتها منذ بداية العشرينات ووظفوا فيها اموالا ضخمة ، واصبحت مساحة الاشجار الحمضية سنة ١٩٣٨ ٣٠٠٠٠٠ دونم يملك منها المزارعون العرب ١٤٤٠٠٠ دونم ، لكن هذه الزراعة عرفت تراجعا اثناء الحرب العالمية الثانية واتلف عدد كبير من البساتين حتى اصبحت المساحة المزروعة سنة ١٩٤٥ ٢٤٤ الف دونم يملك العرب منها ١٢٦ الف دونم . وكان انتاج البيارات العربية يعادل ٥٠٪ من انتاج الحمضيات في فلسطين ، وكان يقدر انتاج الدونم الواحد بمئة صندوق منها ٨٠ صندوقا صالحة للتصدير(٥٢) الا ان معدل الانتاج هذا قد تدنى اثناء الحرب بسبب فقدان الاسمدة الازوتية ووصل الى ٣٥ صندوقا ، وكان يعمل في بيارات الحمضيات العربية ١٥٠٠٠ عامل(٥٣). وكانت الحمضيات ولا تزال من أهم الصادرات الفلسطينية وبقيت حتى سنة ١٩٣٩ تشكل ٨٠٪ من مجموع الصادرات الفلسطينية(٥٤). الا ان صادراتها تراجعت اثناء الحرب العالمية الثانية بعد ان كانت بلغت ذروتها في نهاية الثلاثينات ، لكن عادت الى الارتفاع بعد نهاية الحرب ولم تبلغ مستواها السابق حتى بعد قيام دولة اسرائيل الا في سنة ١٩٦٤ .

ب ــ **زراعة الخضار** : تطورت زراعة الخضار تطورا كبيرا وواسعا بعد الحرب العالمية الاولى وتضاعفت المساحات المزروعة وارتفعت من ١١٦ الف دونم سنة ١٩٣٥ الى ٢٩٨ الف دونم سنة ١٩٤٥ ، كان منها ٢٤٠٠٠٠ دونم ملكا للمزارعين العرب . (راجع جدول رقم ٤) . وكان اهتمام المزارعين العرب ينصب على تأمين الخضار في الاسواق على مدار السنة فقاموا بزراعة الاصناف المبكرة والمتأخرة . وكانت هذه الزراعة تحتل المساحات المروية في الجليل الاعلى ووادي الاردن . وكانت أهم اصناف الخضار المزروعة البندورة والملفوف والبصل والثوم ، وكان المزارعون العرب يولون زراعة البطاطا اهتماما خاصا(٥٥). وتعد زراعة الخضار من الزراعات التي حاول المزارعون العرب اتقانها بادخال اساليب الزراعة الحديثة اليها ، الا ان ضيق المساحات المروية وفقدان القروض الزراعية وعدم تنظيم التسويق ومضاربة الانتاج الصهيوني ومقاطعته للانتاج العربي لعب دورا قويا في عرقلة نمو هذه الزراعة وحرمانها من بلوغ المستوى الذي كانت تطمح اليه .

ج ــ **الموز**(٥٦): كانت زراعة الموز منتشرة في اريحا وطبريا والسهل الساحلي . وكان العرب يملكون ٦٠٪ من مجموع المساحة المزروعة وكانت كلها مروية ، الا ان قضية تصريف الانتاج قد حدت من زيادة المساحات المزروعة ، وكان الموز سلعة معدة للتصدير لكن اهميتها كانت اقل بكثير من الحمضيات .

مشاكل الزراعة العربية : يبين تاريخ الزراعة الفلسطينية بانها كانت تنقسم الى زراعتين منفصلتين انفصالا تاما : الزراعة العربية والزراعة الصهيونية . وكانت هذه الاخيرة تملك مؤسساتها الخاصة بها التي توفر لها مختلف الخدمات المالية والفنية والتي تملك مخططا زراعيا واضح المعالم تقوم بتنفيذه تحت اشراف المؤسسات الصهيونية وكان من بين اهدافه القضاء على الزراعة العربية والاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة . اما الزراعة العربية فقد كانت زراعة مفككة تشق طريقها لوحدها بمعزل عن كل تنظيم وتخطيط الا ارادة الفلاح العربي على تحسين اساليبه الزراعية لمجاراة الاوضاع والظروف الجديدة ، لذلك كانت طريقها صعبة ، شاقة ومكلفة لانها يقع عليها وحدها مجابهة المشاكل السياسية والفنية والمالية والطبيعية التي تعترض سبيلها والتي كانت تحد من تطورها ، « رغم قدرة الفلاح العربي على التغيير ورغبته في ذلك »(٥٧). وتختصر مشاكل الزراعة العربية بما يلي :

المشاكل السياسية : الناجمة عن الغزوة الصهيونية لارض فلسطين ومـا نتج عنها من مقاومة فلاحية عربية ابرزها ثورة سنة ١٩٣٦ . كان على الفلاح العربي ان يكافح على عدة جبهات ليحافظ على وجوده في ارضه ويقـاوم منافسة المهاجرين الصهيونيين الذين يطمحون بالاستيلاء على ارضه لطرده منها . وقد كان الصهيونيون ينعمون بحماية الدولة المنتدبة المتواطئة معهم لتحقيق ما يصبون اليه وذلـك باقامة دولة لهـم في اراضي فلسطين . ومن المسلم به بان هذا الوضع المضطرب لا يساعد ابـدا على نمو الزراعة وتطورها وقد كانت الاوضاع المضطربة دائما عاملا سلبيا حد من تطور الزراعة في اكثر من بلد .

المشاكل الفنية والمالية : كل بلد يحاول تحديث اقتصاده يواجه عقبات فنية ومالية تحتم عليه احداث مؤسسات علمية ومالية مختصة يكون هدفهـا تطويق المشاكل الطـارئة للقضاء عليها حتى يبقى الاقتصاد في نمو مضطرد . ولا يمكن ان يقوم بهذا العمل علـى صعيد البلاد الا الدولة وفي حال تمنعها تكون قوى الانتاج عرضة للاستغـلال ولضياع طاقاتها . وهذا ما حدث للزراعة العربية في فلسطين قبـل قيام دولة اسرائيل اذ تخلت الدولة المنتدبة عن واجباتها تجاه الزراعة العربية وتركتها تتخبط لوحدها وتمنعت عن : ١ ـ وضع مخطط عام للزراعة مستوحى من حاجات البلاد وطاقاتها واحداث مؤسسات الابحاث والاختبارات الزراعية وربطها بالارشاد الزراعي حتى يكون هـذا الاخير فعالا يساهم في تحديث الاساليب الزراعية لزيادة الانتاجية كاختيار البذور المؤصلة واستعمال الادوية والاسمدة الزراعية . ٢ ـ انشاء شبكات الري : لم تعمل كثيرا لاكتشاف المياه ، وقد كان هدفها ترك هذه المسألة التي تكلف كثيرا ليقوم بها السكـان انفسهم(٥٨) . ومن المعروف ان حالة الفلاحين العرب كانت لا تسمح لهم بتوظيف اموال كبيرة لانشاء شبكات الري ، فكان هذا الاهمال من الحكومة يبغي حرمانهم من مياه الري حتى يستأثر بهـا المهاجرون الصهيونيون الذي كانت تتوفر لهم الاموال ليقوموا بمد شبكات الري والمباشرة بالزراعة الكثيفة المربحة ومنـع الفلاحين العـرب من الوصول اليهـا . ٣ ـ انشاء مؤسسات للتسليف الزراعي بعـد ان اغلقت البنـك العثمـاني الزراعي تحت ضغط المؤسسات الصهيونية ، وذلك لمنع الفلاح العربي من تحسين أساليبه الزراعية والتعلق بأرضه تمهيدا لتركها حتى يستولي عليها الصهاينة . وأدى هذا الاجراء كما ذكرنا سابقا الى زيادة ديون الفلاح العربي الذي اتجه نحو المرابين والبنوك التجارية لاستلاف الاموال بفوائد مرتفعة . ٤ ـ تشجيع انشاء التعاونيات الزراعية ، لان هذا من شأنه ان ينظم صغار الفلاحين الذين يؤلفون الاكثرية الساحقة من العاملين في الزراعة ويساعدهم على تحديث اساليبهم الزراعية بما توفر لهم هذه التعاونيـات من خدمات على صعيد الانتاج والتسويق والتسليف .

لكن لم تقم الدولة المنتدبة بتوفير هذه الخدمـات للزراعة العربية للابقـاء عليها زراعة تقليدية وذلك كي لا يتعلـق الفلاحون العرب بالارض فيفسدوا عليهـا مخططات انشاء الكيان الصهيوني في أراضيهم . وكانت تتحجج احيانا بأن الفلاح العربي لا يتجاوب مع الاساليب الحديثة للزراعة ويتمسك بتقنيته وتقاليده القديمة في الزراعة . هذا الادعاء الذي تكمله اليوم الدعاية الصهيونية عندما تتطرق الى زراعة الاقلية العربية في اسرائيل هو ادعاء كاذب ويدحضه الواقع وجهود الفلاحين العرب المنفردة لتحسين أساليبهـم الزراعية وافتقارهم الى العلم والمال معا . وكانت مشكلة الفـلاح العربي الفلسطيني والعربي اجمالا ، ولا تزال ، تتجسد بعدم وجود الاجهزة الحكومية والمؤسسات المختصة التي تساعده على النهوض بزراعته لتحديثها فينبغي عليه ان يقوم بمفرده بهذا المجهود الذي يكلف كثيرا ويهدر معظم طاقاته .

خاتمــة

رافقنا خلال هذا البحث جزءا من الكفاح الذي قاده الفلاح العربي الفلسطيني ، خـلال العصور ، ضد الطبيعة والاحوال السياسية والمعيشيـة والاستغلال ، لاستثمار اكبر مساحة ممكنة من ارضه حيث ولد وعاش ودفن اسلافـه . ولما اخذ سيـل المهاجرين الصهيونيين يتدفق على فلسطين « كانت جميـع الاراضي ، خـاصة الاراضي القابلة للزراعة ، مملوكة من سكانهـا الاصليين ولم يستطع المهاجرون استخـدام الوسائـل البدائية ــ كالطرد والاستيلاء ــ ، لاستمـلاك الاراضي فيها كما فعـل المستعمرون الاوروبيون في المستعمـرات الافريقية والاسيوية ، خاصة الجزائـر ، بل كان امامهم وسيلة واحدة وهي شراء الاراضي من سكانها الاصليين »(٥٩). وعمل الصهيونيون في هذا الاتجاه طيلة سبعين عاما مستخدمين شتى اساليب الضغط والترغيب حتى حصلوا على ٦٪ من مساحة فلسطين الاجمالية و ١٢٫٧٨ من الاراضي الصالحة للزراعة(٦٠)، وكانت معظم هذه الاراضي التي حصلوا عليها ملكا لاقطاعيين غـير فلسطينيين ــ او بنسبة ضئيلة ــ ملكا لاقطاعيين فلسطينيين يعيشون في المـدن ، بالاضافة الى ٢٪ من الاراضي الصالحة للزراعـة حصلوا عليها هبة مـن الحكومة المنتدبة(٦١). اما الفلاح الفلسطيني فقد قاوم الغزوة الصهيونية مقاومـة صلبة وعنيفة ، « واذهلت شجاعتـه سلطات الانتداب التيكانت تخطط لضربه »(٦٢)، ولم يستسلم للضغوط المادية التي مارستها ضده الدولة المنتدبة بالتواطؤ مع الصهيونيين لحمله على ترك اراضيه وبيعها الى الصهيونيين ، بل صمد الفلاح العـربي الفلسطيني في ارضه وقـام بزراعة اكثرية الاراضي القابلة للزراعة في ذلك الوقت ، باعتبار الطرق الزراعية والاموال التي كانت متيسرة(٦٣). وكان تطور شبكات الري وحده قادرا على زيـادة المساحات المزروعـة ومضاعفة الانتاجية الا ان سلطات الانتداب لم تفعل شيئا لتطوير شبكات الري حتى لا تتحسن اوضاع الزراعة العربية . ولو قامت السلطات المنتدبة بواجباتها تجاه المزارعين العرب كما كانت تقوم المؤسسات الصهيونية بالخدمات للمزارع الصهيوني لكان الفلاح العربي الفلسطيني لا يقل تقنية وانتاجية عن المزارع الصهيوني(٦٤).

لم تكن اذن فلسطين ارضا صحراوية جاء يستوطنهـا الصهيونيون بل كـانت مملوكة ومستثمرة من سكانها الاصليين منذ مئات السنين . ولـم يحصل الصهيونيون طيلـة سبعين عاما من الاستعمار الا على القليل القليل من الاراضي الفلسطينية لان الشعب الفلسطيني قـاوم الغزوة الصهيونية بعنف وصلابة حفاظـا عـلى ارضه . لقد فشل الصهيونيون في استملاك الاراضي العربية في فلسطين فلجأوا الى العنف وزرع الرعب لطرد السكان العرب منها للاستيلاء على الاراضي العربية التي كانت مزروعة لاعطائها الى المهاجرين الذين تدفقوا على فلسطين بعـد قيام دولـة اسرائيل لزراعتها بحيث ان الزراعة الصهيونية اتت امتدادا للزراعة العربية . ولم تتوصل « اسرائيل » بعد ثلاثة وعشرين عاما على قيامها بزراعة جميع الاراضي التي كان يزرعهـا العرب لان هناك كثيرا من الاراضي الجبلية التي كانت مزروعة لا تزال مهملة حتى الان تنتظـر ان تعود اليها الزراعات السابقة .

---

١ — Nathan Weinstock, *Le sionisme contre Israël*, François Maspéro, Paris 1969, p. 91.

٢ — *L'Agriculture en Israël*, édité par le centre israélien de documentation pour les pays de langue française, Ambassade du Israël, Paris 1963, p. 1.

٣ — فاينشتوك ، **المصدر السابق** ، ص ٦٨ .

٤ — A. Granott, *The Land System in Palestine*, London 1952, p. 18 ff.

٥ — **المصدر السابق** .

٦ — فاينشتوك ، **المصدر السابق** ، ص ٦٧ .

٧ — Dr. A. Rupin, *Syrien Als Wirtschftsgebiet*, 1916, traduction française par Georges Shaib, p. 18.

٨ — *La Palestine, memento économique*, I.N.S.E.E. P.U.F. Paris 1948, p. 61.

٩ — Vital Guinet, *Syrie, Liban et Palestine*, géographie des criptive, Paris, Ernest Leraux Editeur, 1896, p. 514.

١٠ — روبن ، **المصدر السابق** ، ص ٨٧ .

١١ — Higgins Benjamin, *Economic Development*, Norton Co. New York 1959, p. 314.

١٢ — ان مصدر جميع المعلومات الواردة هي من:

١ — جينيه ، **المصدر السابق** ، ص ٥٨٤ الى ٥٩٠ بالنسبة لسنة ١٨٩٥ .

٢ — روبن ، **المصدر السابق** ، ص ٤٨ الى ٧٠ بالنسبة لسنة ١٩٠٩/١٠ والسنوات التي تليها.

١٣ — نعود ونذكر القارىء بان احصاءات سنة ١٩٠٩/١٩١٠ تشتمل علـى احصاءات متصرفية القدس باستثناء قضاء الخليل .

١٤ — روبن ، **المصدر السابق** ، ص ٤٥ .

١٥ — **المصدر السابق** ، ص ٥٠ .

١٦ — **المصدر السابق** ، ص ٥١ .

١٧ — **المصدر السابق** ، ص ٥٣ .

١٨ — **المصدر السابق** ، ص ٥٤ ، ٩٤ و٩٥ .

١٩ — جينيه ، **المصدر السابق** ، ص ٥٨٤ .

٢٠ — مصدر المعلومات : **المصدران السابقان** .

٢١ — راجع ناجي علوش ، **المقاومة العربية في فلسطين** (١٩١٧ — ١٩٤٨) م.ت.ف. مركز الابحاث ، بيروت سنة ١٩٦٧ ، ص ١٤ .

٢٢ — الاقة وحدة وزن تساوي ١٫٢٨ كلغ .

٢٣ — روبن ، **المصدر المذكور** ، ص ٥٧ وما يليها.

٢٤ — **المصدر السابق** ، ص ٧١ و١٤٤ .

٢٥ — **المصدر السابق** ، ص ٧٦ .

٢٦ — **المصدر السابق** ، ص ٨١ .

٢٧ — اوردها **المصدر السابق** ، ص ٨١ .

٢٨ — **المصدر السابق** ، ض ١٢٢ الى ١٢٧ .

٢٩ — Neville Mandel, *Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 - 1914*. Middle Eastern Affairs, Ed. by A. Hourani, St. Anthony's Papers, No. 4, 1965, p. 85.

٣٠ — **المصدر السابق** ، ص ٩٣ .

٣١ — The Anglo Palestine, *Year Book* 1947 - 1948, p. 131.

٣٢ — La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٥٦ .

٣٣ — *Village Statistics 1945*, with Explanatory Notes by Sami Hadawi, P.L.O., Research Center, Beirut 1970, p. 37.

٣٤ — **المصدر السابق** ، ص ١٩ .

٣٥ — حسبت النسب من المعطيات الواردة في The Anglo Palestine ، **المصدر السابق**، ص ١٣١ .

٣٦ — حسبت النسب من المعطيات الواردة في La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٧٠ و٧٥ .

٣٧ — **المصدر السابق** ، ص ٥٦ و٧٤ .

٣٨ — La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٦١ .

٣٩ — حسبت من المعطيات الواردة في **المصدر السابق** ، ص ١٦٦ .

٤٠ — A. Survey of Palestine, I ص ٣٦٤ .

٤١ — راجع La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٦ .

٤٢ — راجع A Survey of Palestine, I ص ٣٦٤ .

٤٣ — غريغوريوس الحجار ، **بيان عن حالة فلسطين امام اعضاء اللجنة الملكية البريطانية** ، حيفا ، سنة ١٩٣٧ .

٤٤ — Palestine, *Report on Immigration, Land Settlement and Development*, by Sir John Hope Simpson, C.I.E. 1930, p. 142.

٤٥ — ورد في فاينشتوك ، **المصدر السابق** ، ص ٦٩ .

٤٦ — ورد في **المصدر السابق** .

٤٧ — جرانوت ، **المصدر السابق** ، ص ٣٤ و٣٥.

٤٨ — La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٥ .

٤٩ — حسبت النسب من المعطيات الواردة في الجدول رقم ٧ .

٥٠ — حسبت النسبة من المعطيات الواردة في La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٦٨ و٦٩.

٥١ — حسبت النسبة من المعطيات الواردة في The Anglo Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٦ .

٥٢ — سعيد حماده ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٧.

٥٣ — La Palestine ، **المصدر السابق** ، ص ٧٢ .

٥٤ — حسبت النسبة من المعطيات الواردة في

المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

٥٥ A Survey of Palestine, I ، المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

٥٦ — المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

٥٧ — La Palestine ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

٥٨ — سعيد حماده ، المصدر السابق، ص ١٤٩.

٥٩ — Charles Gide, *La colonisation sioniste*, Jérusalem, 1925, p. 4 et 5.

٦٠ — Village Statistics 1945 المصدر السابق ، ص ١٩ .

٦١ — La Palestine ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

٦٢ — التعبير لغريغوريوس حجار ، مطران حيفا وسائر الجليل ، ورد في احدى رسائله الى مطران صور .

٦٣ — راجع : ١ — سعيد حماده ، المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

٢ — La palestine ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

٣ — The Anglo Palestine ، المصدر السابق ، ص ١٣١ .

٦٤ — Yitzhak Oded in *New Outlook*, February 1968, p. 24.

قدسية فلسطين عند المسلمين

حسن سعيد الكرمي

تعني كلمة « مقدس » ، حسب القواميس المعروفة، واحدا من المعاني الثلاثة التالية : « ما هو مكرس لخدمة الله ولعبادته ، ما هو مكرس ، او مزعوم انه مكرس لهدف غير ذاتي ، ولمقصد روحاني ، وما هو متعلق أو مرتبط بشخص أو بشيء له قدامته ، واخيرا هو الذي تعتبره ، او تعترف به،سلطة او تقليد ديني ما انه مقدس». فالمعنى ، اذن ، له مدلول تاريخي وليس مجرد نتيجة نظرية جامدة . والعالم مقسوم ، في الاديان المعروفة ، الى قسمين لاحدهما وزن خاص ، وهو القسم المقدس . وما يميزه عن القسم الاخر ، غير المقدس ، هو الطقوس والعبادة والمحرمات وغيرها من الاجراءات الدينية وبامكان الشيء ان يكون مقدسا بالاستمرار او بالارتباط . وقد جاء في كتاب و. ل. كنغ « المقدمة الى الاديان » (نشر هاربر ، ١٩٥٤ ، ص ٣٧) « كانت الاديان ، في كل مراحل تطورها ، تبني اماكن العبادة وصروح التقديس بالقرب من الاماكن المقدسة او فيها.وكانت هذه المباني ، تكتسب ، احيانا ، قداسة بحد ذاتها . اذ ليس كل كنيسة او جامع او كنيس او معبد مبنيا على مكان كان مقدسا من قبل . بل أن مجرد تشييد المبنى يعطي المكان صبغة دينية ربما لم تكن موجودة من قبل . الا ان عددا كبيرا من المباني المقدسة انما اقيم على اراض كانت بالفعل مقدسة بالنسبة الى طائفة ما : كأن يكون المكان موقع مولد مؤسس الطائفة او موقع عمل او اعمال خارقة له ، او محل حصول حدث تاريخي مهم للطائفة ، او يكون المكان مرتبطا بحياة او اعمال رسول او قديس او ولي . والقدس ، المعروفة باسم المدينة المقدسة عند المسيحيين واليهود والمسلمين ، مثال ممتاز على ذلك » . فقد أمدت القدس فلسطين كلها بالقداسة ، بالارتباط والجوار . لم يكن لموسى ، مؤسس اليهودية ، اي ارتباط بالقدس . ولكنه ، ولانه كان زعيما يهوديا ولان داود اختار القدس عاصمة له واختارها سليمان مدينة للهيكل ، وبفضل العلاقة بين هؤلاء القادة اليهود الثلاثة ، كانت القدس مدينة مقدسة لليهود طيلة تاريخهم . وقد يهب الربط التاريخي او الاسطوري مكانا او موقعا او مدينة او ربما بلادا بقداسة مماثلة . ولا نحتاج الى امثلة على ذلك . فهو أمر شائع في امم واديان كثيرة . وتعتبر « ارض الميعاد » مقدسة احيانا لان اليهود القدامى آمنوا ان الله وعد ارض كنعان لابراهيم ولذريته . ولا تتطلب « قدامسة » كهذه وجود مبان او اثار قديمة او حتى بقايا ومخلفات دينية . وفلسطين ، الارض المقدسة ، «مقدسة» لليهود ، مع انهم انقطعوا عن اقامة اية صلة مادية ملموسة بها منذ القرن الاول للميلاد ولفترة طويلة جدا . فقد زال وجودهم الديني بها تماما. بينما يختلف الوضع بالنسبة للوجود الديني الاسلامي او المسيحي ، فقد احتفظ الدينان بارتباطاتهما التاريخية والاسطورية باستمرار ، وهي ارتباطات دعمها وقواها الوجود الفعلي الاسلامي والمسيحي ووجود الاثار والمباني الدينية .

ويمكن ان ينشأ التقديس عن واقع قومي ما. وهذا ما حصل لفلسطين اسلاميا . فمع ان الاسلام ، في اوائل عهده ، لم يعتبر فلسطين بكاملها مقدسة بشكل خاص ، عاد فاعتبرها كذلك نتيجة للحروب الصليبية التي جعلت المسلمين يمدون رقعة قدسية بعض الاماكن في فلسطين الى فلسطين بأكملها ، ودعم ذلك المد ، فيما بعد ، بفعل التحدي

الصهيوني والهجرة اليهودية في الخمسين سنة الاخيرة .
وتنطبق معاني القداسة التي ذكرناها في مطلع المقال على وضع فلسطين مسيحيا واسلاميا اكثر بكثير مما تنطبق على وضعها يهوديا . اذ أن فلسطين تحقق ، بالنسبة للمسيحيين وللمسلمين ، صفات القداسة الاسلامية كلها : ففيها العناصر الدينية والتاريخية والوجود المستمر، مضافا اليها الفولكلور والروايات والمعتقدات الشعبية .
لقد سمى العرب والمسلمون البلاد فلسطين (المعروفة بأسماء اخرى كأرض الميعاد وارض الكتاب وارض كنعان والبلاد المقدسة) مشتقين الاسم من كلمة فلسطيا او ربما من كلمة بلشت العبرية . وكانت الارض التي نال ابراهيم بها وعدا من الله (تكوين ١٥ : ١٨ — ٢١) يحدها من الشرق نهر الفرات ومن الغرب البحر المتوسط ومن الشمال مداخل حماة ومن الجنوب « نهر مصر » . وهذه الرقعة الواسعة هي ما يزعم الصهيونيون انها ارضهم وهي المدى الجغرافي لسياستهم التوسعية . وفلسطين ، في الحقيقة ، مجرد قسم من هذه الرقعة ، القسم الممتد من الحد الجنوبي لجبل لبنان الى « بادية التيه » (وفي الواقع ان « ارض الميعاد » تشمل ، حسبما كتب ج. هارولد لانكستر ، « شرق افريقية واوغاندا والحبشة والصومال والسودان وبلاد النوبة ومصر وشبه الجزيرة العربية وفلسطين وسورية وبادية الشام وما بين النهرين وخليج فارس»، كما جاء فيكتابه **«النبوءة والحرب والشرق الادنى»** ، نشر دار مارشال ، لندن ، ١٩١٩ ، ص ١٧٧) . وكانت فلسطين تمتد ، في الحكم العربي ، من رفح الى اللجون (من مرج ابن عامر) ومن يافا الى اريحا (حسب تحديد الاصطخري) . كما ان ما وراء نهر الاردن ، من العقبة الى شمال بيسان ، كان ايضا يتبع فلسطين . اما الاجزاء الشمالية من فلسطين ، اي ما كان شمال مرج ابن عامر ، فكان يتبع ولاية سورية . الا ان هذا التقسيم لم يكن دائما . بل كان الحكام المختلفون يعدلونه ويبدلونه باستمرار ، وكان اخر اسم عربي لفلسطين ، قبيل الاحتلال البريطاني وفي اوائل عهده ، هو « سورية الجنوبية » ، وذلك لان فلسطين كانت آنذاك مقسمة بين ولايتي دمشق وبيروت (اللتين كانتا ضمن ما كان يعرف بسورية). وكانت القدس وضواحيها تشكل ما كان يدعى بالسنجق المستقل . (وقد سبق ان جمع فخرالدين المعني ، في اواخر القرن السادس عشر والثلث الاول من السابع عشر ، ما بين فلسطين وسورية في وحدة سياسية سميت عربستان) . غير ان اسم فلسطين ظل حيا دائما ، بفضل التراث العربي في الادب والتاريخ والجغرافية وبفضل التقليد الاسلامي . كذلك يمتد اعتبار فلسطين بلدا مقدسا في التراث المسيحي امتدادا واسعا . ولو اخذنا جانبا او جانبين من تاريخ الاسم لوجدنا ان فلسطين كانت ايام قسطنطين تنقسم الى ثلاث ولايات : فلسطين الاولى وفلسطين الثانية وفلسطين الثالثة.
وفي عهد الاتراك ، سنة ١٥١٧ ، قسمت سورية الى خمس باشويات ، وكانت فلسطين احدى هذه الباشويات ، وينطبق هذا التقسيم ، تقريبا ، على التقسيم العربي للبلاد ، حيث كانت توجد ثلاث مدن رئيسية كقصبات لثلاث مقاطعات حولها : بيسان وقيسارية والرملة . وكانت غزة (واحيانا القدس) هي المدينة الرئيسية في الجنوب بعد الرملة في العهد العثماني .
وكان لعرب الجزيرة العربية علاقات مع فلسطين باستمرار طيلة الحقب التاريخية . ويذهب بعضهم الى الاعتقاد بان الكنعانيين هم انفسهم عرب . وكان الادوميون والمؤابيون والانباط عربا اقحاحا ، وكانوا من صميم تاريخ فلسطين في العهود اليهودية واليونانية والرومانية . وكان هيرودوس الاول ، المعروف بالكبير وبملك اليهود ، عربيا . وعرف عن العرب انهم اقاموا نشاطا تجاريا واسعا بين البحرين الاحمر والابيض المتوسط عبر شبه جزيرة سيناء ومن العقبة الى غزة . واحد اجداد الرسول ، هشام بن عبد مناف ، مدفون في غزة . وأسر ثاني الخلفاء الراشدين ، عمر بن الخطاب ، في غزه وهو يقوم باحدى جولاته التجارية قبل الاسلام لان فلسطين كانت في الواقع طريق اهل الحجاز الىالمتوسط.كما يقال ان الرسول(ص)نفسه سلك ذلك الطريق . وهكذا فان العرب كانوا ، من قبل قيام الاسلام ، يعون وجود فلسطين واهميتها واخبارها ، وكان ملوك الجزيرة العربية على صلات بيهود فلسطين . ويذكر كتاب الاغاني (من القرن العاشر للميلاد) ان المستوطنات اليهودية في المدينة ، في الحجاز ، كان لها دور في ثورات اليهود الشهيرة في القرنين الاول والثاني للميلاد . كما ان الرسول نفسه زار المدن السورية في رحلاته التجارية . ولا بد انه روع لمشهد التدمير الذي

احدثه الغزاة الفرس واحلافهم اليهود في الاماكن المقدسة من القدس . ويفسر احد التفاسير القرآنية الآية الكريمة : « ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ... » (البقرة — آية رقم ١١٤) ، بانها اشارة الى القائد الروماني تيطس فسبسانوس الذي قاد حملة ضد اليهود وذبح محاربيهم واسر نساءهم واطفالهم واحرق توراتهم ودمر بيت المقدس وذبح الخنازير في كنسها وتركها خرابا الى ان اعاد المسلمون بناءها في عهد عمر بن الخطاب . كما ان فلسطين هي المقصودة في الآية الكريمة « ... وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » . (المؤمنون : ٥٠) الا ان فلسطين ، التي عرفها المسلمون والعرب من قبل الفتح الاسلامي كبلد مقدس للمسلمين واليهود (وقد اعترف الاسلام بالمسيحية وباليهودية) ، لم تتخذ صفتها المقدسة اسلاميا الا بعد سنوات قليلة من بدء الدعوة الاسلامية . وكان امر الرسول للمصلين بان يولوا وجوههم في الصلاة صوب القدس (وكان المسلمون انذاك لا يزالون في مكة) هو الاشارة المهمة الاولى للطابع الخاص لفلسطين . ولما هاجر المسلمون الى المدينة ، ظلوا يولون وجوههم نحو القدس مدة ستة عشر او سبعة عشر شهرا ، امرهم الرسول بعدها بأن تولى وجوههم نحو مكة (كما جاء في الطبري ، المجلد الثاني ص ٢٦٥) . اما الاشارة المهمة الثانية لطابع فلسطين الديني فكانت في اسراء الرسول (ص) الى القدس وعروجه منها الى السماء من نقطة قريبة جدا من موقع هيكل سليمان . وقد قالت الآية الكريمة : « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ... » (الاسراء — آية رقم ١) . ويجمع المفسرون على ان القدس هي المكان المقصود . ويفهم بعضهم من هذا الحدث ان الرسول سوف يرث بركات انبياء اليهود كلها ، بما فيها الارض المقدسة . ويروي المحدثون ان الجامع الاقصى هو مكان مقدس منذ القدم بناه ابراهيم بعد بناء الكعبة (في مكة) باربعين سنة . وهكذا كانت القدس اول قبلة في الاسلام ، قبل مكة، وهي القبلة الثانية ، بينما كان الاقصى هو الحرم الثالث في الاسلام(ومعلوم ان الحرمين الاولين هما الكعبة في مكة ومسجد الرسول في المدينة) . ويعتقد ان كلمة « حوله » في الآية المذكورة آنفا تعني القدس وضواحيها ، او ربما فلسطين كلها .

ويروي البخاري عن الرسول قوله ان الرحال لا تشد الا لثلاثة مساجد ، مسجدي (في المدينة) والمسجد الحرام (في مكة) والمسجد الاقصى . اما السيوطي فيروي عن الرسول ان الله بارك ما بين العريش والفرات ، وخاصة فلسطين . ويروي ايضا عن بيت المقدس انه بلد الاجتماع والعبادة ، وحث الناس على زيارته والعبادة فيه لان الصلاة فيه خير من العبادة الف مرة في مكان آخر . وفي رواية اخرى ان الموت في القدس كالموت في الجنة . ويروي ابن عباس عن الرسول قوله ان خطايا الانسان تغفر له اذا حج الى القدس وصلى فيها في العام نفسه . وهذا يفسر حرص المسلمين على اداء حج اضافي الى القدس ، بعد او قبل حجهم الكبير الى مكة . ويرغب الكثيرون من المسلمين ان يبدأوا شعائر الحج والاحرام في القدس . وكان بعضهم (كابن عمر ، وكعب الاحبار) يلبسون مآزر الاحرام في القدس قبل توجههم الى مكة .

ويؤمن المسلمون ، بفضل حديث او رواية شبيهة بأسطورة يهودية ومسيحية ، ان يوم القيامة سيكون في القدس . وتشبه هذه الاسطورة ، الى حد ما ، حادثة عروج الرسول الى السماء . فمن المعتقد ان النبي صلى في القدس في ليلة الاسراء والمعراج بصحبة من سبقه من الانبياء ومنهم ابراهيم وموسى وعيسى ، وذلك قبل ان يعرج على سلم من نور الى الحضرة الالهية في السماء السابعة . واثناء ذلك كانت ركوبته المسماة « البراق » مربوطة على بعد مسافة قصيرة من الموقع الذي يقوم عليه المسجد الاقصى في الوقت الحاضر . ولذلك يطلق المسلمون على حائط المبكى ، اسم حائط البراق ، ويؤكد بعض المفسرين للقرآن انه تم تنزيل الآية الكريمة ٤٤ من السورة ٤٣ في ليلة الاسراء هذه . وكما تقول الرواية ، تم الاسراء من على الصخرة التي يوجد حولها الان عدة اساطير في كل من اليهودية والمسيحية والاسلام . ويذكر سير جون موندفيل عددا منها في روايته عن زيارة قام بها للقدس حوالي السنة ١٣٢٢ ب.م. (ص ١٧٠ — ١٧١ من كتاب **« رحلات قديمة في فلسطين »** ، (اصدار مكتبة بوهن ، لندن ، ١٨٤٨) . والمتفق عليه في الاسلام ان النبي صلى في ليلة الاسراء على الجانب الايمن من الصخرة ، وانه عندما بدأ

الاسراء الى السماء ، ارتفعت الصخرة من مكانها وحاولت اللحاق به ، الا ان الملاك جبريل ، عليه السلام ، اوقفها . ويقال أيضا ان الصخرة نطقت آنئذ ، كما نطقت فيما بعد امام الخليفة عمر اثناء زيارته للمنطقة بعد سقوط القدس في ايدي المسلمين . ووفقا لرواية اخرى ، ستنتقل الكعبة الى الصخرة في يوم القيامة ، وبعد ذلك سترتكز السدة الالهية على هذه الصخرة . وهناك ايضا المزيد من الروايات والاساطير بين المسلمين عن الصخرة ، جميعها مرتبطة جدا بما هو سائد في المسيحية واليهودية : ولمزيد من الايضاح انظر (« **القدس** » بقلم م. جوين – لامبرت ، اليك ، لندن ، ١٩٥٨ ، وكذلك ص ٢٢٢ في كتاب « **تاريخ القدس** » بقلم ج. جراي ، الوارد ذكره سابقا).

تشير جميع الاحاديث الاسلامية والكتابات الدينية في الاسلام الى الحقيقة التي لا مراء فيها بأن للقدس قدسية خاصة عند المسلمين بعد مكة والمدينة . انها اولى القبلتين وثالث الحرمين ، بعد الكعبة في مكة والحرم في المدينة . وجميع هذه الاسباب الدينية تثبت ان القدس مدينة مقدسة عند المسلمين ، فحتى اسماؤها بالعربية « القدس ، بيت المقدس ، والبيت المقدس » جميعها مشتقة من الجذر الثلاثي « قدس » ومعناه « مقدس » أو « ذات قدسية » . وهناك من يسميها ايضا « القدس الشريف » اذ أن كلمة « شريف » لا تضاف الا الى الاسماء التي لها قدسية خاصة ، وهكذا فان الحرم ، حيث يقوم المسجد الاقصى وقبة الصخرة ، يسمى الحرم الشريف .

واعتبار القدس مدينة مقدسة عند الاديان الثلاثة لا يضعف من موقف المسلمين ، بل بالعكس يزيده قوة ، فالاسلام يؤمن باليهودية والمسيحية ، ويعتبر مؤسسيهما ، مثل موسى وداود وسليمان وعيسى ، عليهم السلام ، انبياء بدرجة محمد(ص).

وفي القرآن ثماني سور تورد أسماء انبياء يهود أو على علاقة باليهود ، ويرد ذكر داود وسليمان ٣٣ مرة في القرآن ولا يرد ذكرهما في العهد الجديد الا ٣٠ مرة ، ثمان منها لسليمان الذي يرد ذكر اسمه ١٧ مرة في القرآن .

واعتقاد المسيحيين بالعهد القديم يجب ان لا يفهم على انه تخل عن قدسية العهد الجديد. (بالمناسبة ان صهيون ليست هي فقط التلة المقدسة في القدس بالنسبة الى اللاهوت اليهودي ، بل انها تعتبر من قبل المسيحيين كذلك ، انها هي الكنيسة ومملكة السماء) . وهناك قصة مناسبة يرويها الحاج فيلكس فابري (وقد ورد ذكرها في كتاب **قصة القدس** بقلم الكولونيل سير سي. م. واطسون ، لندن ، ١٩١٢ ، ص ٢٥٦) ، بأن المسلمين استولوا على ضريح داود من المسيحيين للاسباب التالية : « لقد رجا اليهود السلطان اكثر من مرة ان يمنحهم ذلك المكان ليقيموا فيه مصلى لهم ، ولا يزالون يطلبونه حتى اليوم ، وبالمقابل رفض المسيحيون التنازل عنه لليهودية وعندما استفسر السلطان عن سبب قدسية المكان ، قيل له : ان داود وذريته من ملوك القدس قد دفنوا فيه ، فأجاب : « نحن المسلمين نعتبر داود نبيا تماما كما يعتبره المسيحيون واليهود ، وكذلك نؤمن بالتوراة مثلهم، ولهذا السبب نعتبر انفسنا ، نحن المسلمين ، لا اليهود ولا المسيحيين ، اصحاب هذا المكان والقيمين عليه » » . ولقد زار فيلكس فابري، وهو راهب دومينيكي من المانيه ، فلسطين ما بين ١٤٨٠ و ١٤٨٣ حيث كانت لا تزال تحت سيطرة مماليك مصر .

وعلى أي حال ، ان مجمل هذا الشعور الديني لدى المسلمين تجسد في فترات التاريخ اللاحقة . وكانت القدس قد سقطت في يد العرب بزعامة الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في السنة ٦٣٧ م. ، وبقيت في يد العرب ما يقارب التسعمائة سنة ، وبيد المسلمين نحوا من ١٣٠٠ سنة ، حيث تخللتها فترة احتلال الصليبيين للمدينة دامت مدة تسعين عاما . ولم تكن القدس حينئذ مدينة يهودية بل مسيحية خالصة ، فالعرب لم يغتصبوها من اليهود الذين اختفوا تقريبا تماما فيما بين العام ٧٠ و ١٣٥ م ، ولم يبق اثر للهيكل بعد العام ٧٠ ميلادية كما ان اليهود بعد عصيانهم الاخير في ١٣٢ – ١٣٥ م. لم يعد لهم وجود يذكر في فلسطين ، ومنذ ذلك الوقت « انتهى شيء اسمه مملكة اليهود على الارض » . (موشيه منوحين ، **انحلال اليهودية في عصرنا** ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٤) . وفي المعاهدة التي وقعت بين المسلمين وبطريرك بيت المقدس حدد بدقة للمسيحيين « بأن اليهود يجب ان لا يقيموا معهم » . والتاريخ يحتفظ لاثنين من مؤرخي الاغريق هما يوتكس وتيوفانس وكذلك للمؤرخين المسلمين قولهم بأن الخليفة عمر، رضي الله عنه ، وصل الى المكان الذي أسري بالنبي محمد (صلعم) منه الى السماء ، وكان هذا المكان مملوءا بالقمامة والخراب نتيجة اعمال

الفرس لدرجة ان البوابة الجنوبية الغربية لهذه المدينة المسيحية كانت شبه مغلقة . وهذا لم يحل بين عمر وبين ارتياده لهذا المكان لدرجة ان البطريرك اضطر لان يزحف على يديه ورجليه لينظف الطريق امام الضيف الكبير . وفي ذلك الوقت « بدأ عمر مهمة تنظيف الصخرة الواقعة على المغارة . فأكوام القمامة حالت دون الاسراع بتكريسها لتصبح من مقدسات الاسلام حيث ان اول مكان مقدس للاسلام في القدس يقع مكان المسجد الاقصى » . ج. جراي وروبرت هال ، **تاريخ القدس** ، لندن ، ١٩٦٩ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠) . ويضيف جون جراي الى ما سبق ، قوله : « انه عندما وقف عمر بن الخطاب قرب الهيكل بملابسه الرثة المرقعة التي جاء بها من المدينة الى سوريه انهمرت الدموع من عيني البطريرك سوفرونيوس وتمتم اصحاحا من سفر دانيال (١٢ : ١١) حول مقت الخراب القائم ، حيث يجب ان لا يكون ، في الوقت الذي كان تيوفانس ينظر نظرة لؤم الى «اهتمام عمر بالاماكن المسيحية المقدسة». لقد كانت الملاحظة التي ابداها المؤرخ البيزنطي هي « نفاق شيطاني » ، ولكن هذا بحد ذاته دليل على اعتدال ذلك الحاكم المسلم « ذي النفس الكبيرة » الذي اعتبر القدس ، بكل بساطة واجلال ،مدينة مقدسة عند المسلمين والمسيحيين » . (المصدر نفسه ، ص ٢٢٠) . بل ويقال ان يهوديا كان قد اعتنق الاسلام هو الذي ساعد الخليفة في الوصول الى الصخرة المشرفة، (ميشال جوين — لامبرت ، **القدس** ، الك ، لندن ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٩) . وفي اثناء هذه الزيارة امر عمر بتشييد مسجد في هذه البقعة التي لم يتفق المؤرخون العرب على تحديد لموقعها ، واغلب الظن انه جامع بسيط يقع في مكان ما جنوب منطقة الهيكل . ويعتقد ان هذا الجامع بني من الخشب في السنة ١٥ هـ. (٦٣٧ م) وكان يتسع لثلاثة الاف مصل : (ص ٦٦ من كراس بالعربية صدر في عمان حول حريق المسجد الاقصى في ٢١ اب ١٩٦٩) . ويقول كوندر في كتابه : **مدينة القدس** (جون مري ، لندن ، ١٩٠٩) : « لقد ادى عمر بن الخطاب الصلاة في كنيسة يوستنيانوس ، وزار الصخرة المشرفة بعد ان غسلها وطهرها » . ويقول يويتكوس انه في عهد قسطنطين الكبير « كانت الصخرة واجزاء محيطة بها مهشمة ، ومتروكة دون اي اهتمام . وكانوا يلقون عليها الاوساخ لدرجة ان المزبلة اصبحت كبيرة ، وقد اهملها الرومان (البيزنطيون) ، ولم يظهروا احتراما نحو الصخرة كما اعتاد الاسرائيليون على ذلك ، ولا حاولوا تشييد كنيسة عليها ، اذ قال السيد المسيح في الانجيل اهتم ببيتك والا سيصبح مهجورا . ولكن عمر أمر بتنظيفها وتطهيرها ، ثم قال اخر : لنبن معبدا من الصخرة ليكون القبلة . فرد عمر قائلا : ليس كذلك ، بل علينا ان نقيم مقاما ثم نضع الصخرة وراءه . ربما كان في عقول المسلمين الاوائل لبس وعدم وضوح بين الحجر الاسود في مكة المكرمة وبين الصخرة المشرفة في القدس ، وهذا ما زاد في قدسية الصخرة أو قبة الصخرة ، كما هي معروفة بشكل عام .

لقد تم تشييد قبة الصخرة في عهد الخليفة الاموي الخامس عبد الملك بن مروان حوالي السنة ٧٢ هـ. (٦٩١ م) . وقد بنيت فوق الصخرة التي يربط المسلمون واليهود بينها وبين عزم سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام على التضحية بابنه ، وكذلك بسيدنا سليمان باني الهيكل . وفي الوقت نفسه تقريبا شاد عبد الملك قبة السلسلة التي يربطها المسلمون بداود عليه السلام ، الذي يعتبر احد الانبياء عند المسلمين . وتقول القصة ان داود اعطي سلسلة من فضة من قبل الملاك جبريل عليه السلام يعلقها عندما يريد اصدار احكامه ، وقد كان يعلق بها جرسا ، وعندما كان احد المتقاضين يشد بالسلسلة يرن الجرس فقط اذا كان هذا الشخص بريئا ، والا فلن يرن الجرس ، او وفقا لقصة اخرى ، كانت السلسلة تسحب نفسها بعيدا عن المذنب ، وهناك قصة ثالثة مختلفة تماما عن سابقتيها : لكي يميز سليمان بن داود بين الحق والباطل كان يعلق سلسلة بين الارض والسماء بشكل يمكن البريء فقط ان يصلها ، ولكن ليس المذنب . وحدث ان يهوديا اعطي مئة دينار ، ولكنه انكرها ، تولت السلسلة أمره ، فاليهودي الذي صهر الدنانير وخبأها في عكازته ، اعطى العصا رأسا لصاحب النقود بعد ان اقسم انه اعاد له الدنانير . وبالمقابل أقسم المدعي انه لم يتسلم اي درهم . ومنذ ذلك الوقت بدأت السلسلة ترتفع في الهواء ، ويقال انها كانت في مكان الصخرة . (ميشال — جوين لامبريت ، الك ، لندن ، ١٩٦٦ ، ص ١٧٢ — ١٧٣) . ولقبة السلسلة اسم اخر هو محكمة النبي داود ، وقد نقش في اعلاها الآية القرآنية : « يا داود انا

جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ... » (سورة ص ، آية رقم ٢٦) ويعتقد ان قبة الصخرة قد شيدت لهدفين اخرين بعيدين عن الدافع الديني لدى المسلمين باعتبارها صخرة مقدسة . اولهما ، كما يذكر بعض المؤلفين المسيحيين ، هو ابعاد انتباه المسلمين عن ابنية المسيحيين واضرحتهم ، وبدلا عن ذلك اقامة صرح يكون مفخرة لهم ، واما الهدف الثاني ، كما ورد في كتب التاريخ العربي ، فهو ان عبد الملك بن مروان فكر في جعل القدس مركزا دينيا منافسا لمكة المكرمة والمدينة المنورة اللتين كانتا في ذلك الوقت تحت سيطرة عبد الله بن الزبير المطالب بالخلافة ، وفكر عبد الملك ان باستطاعته ان يحول الحجيج الى القدس و « تراءى له ان يجعل من القدس قبلة المؤمنين ، وان يغري المسلمين بالتطواف حول الصخرة بدلا من الحجر الاسود لانه لم يكن باستطاعته الحصول على ذلك الحجر » . (س. ر. كوندر ، **مدينة القدس** ، جون مري ، لندن ، ١٩٠٩ ، ص ٢٣٨) . وقد اطلق عبد الملك على المدينة اسم « القدس » أي « المدينة المقدسة » ، ومنذ ذلك الحين وهي لا تزال تحمل هذا الاسم عند العرب والمسلمين ، ويؤكد اليعقوبي ، المؤرخ العربي الذي عاش بعد قرنين من ذلك الوقت ، والمقدسي ، الذي عاش في القرن العاشر وكان احد مواطني القدس ، ان عبد الملك ابن مروان هو باني قبة الصخرة المشرفة، فالمقدسي بعد حديثه عن تشييد الوليد بن عبد الملك للمسجد الاموي يقول : « وكذلك تاثر الخليفة عبد الملك ، بعد ان لاحظ عظمة كنيسة القيامة وخشي ان تبهر عقول المسلمين ، فأمر باقامة القبة الحالية فوق الصخرة (نورمن بنتويتش ، **فلسطين** ، لندن ، ١٩٤٦ ، ص ٣٦ — ٣٧) .

وهذا ما يؤكد ان القدس كان يمكن ، بفعل عوامل سياسية ، ان تصبح مدينة تضاهي مكة والمدينة ، وان الصخرة كان يمكن ان يصبح لها شأن سام كالحجر الاسود . يقول المقدسي : « بالطبع تحتفظ مكة والمدينة بالاولوية عند المسلمين لوجود الكعبة وقبر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فيهما ، ولكن في الواقع ، ستأتي هاتان المدينتان يوم القيامة الى القدس وبذلك تتحد المدن الثلاث في مدينة واحدة » . ويمكننا ان نضع تقييما للمدن الثلاث بالنسبة لكونها اماكن للصلاة ، بأن نضع نسبة ١٠ للقدس و ٢٠ للمدينة و ٣٠ لمكة المكرمة . ولكن بعض المفسرين وضع الثلاثة على مستوى واحد . (ميشال جوين — لامبريت ، **القدس** ، لندن ، ١٩٦٦ ، ص ١٦٧ — ١٦٨) . اما الادريسي، الجغرافي الذي عاش في القرن الثاني عشر، فقد اعتبر الاقصى وجامع قرطبة اعظم اعمال المسلمين ، وذكر ان الاولوية للاقصى .

ولقد زار لودلف فون سوشيم ، احد الحجاج المسيحيين الالمان ، فلسطين في الفترة ما بين ١٣٣٦ — ١٣٤١ ، وقال ما يلي عن قبة الصخرة : « يعير المسلمون اهتماما كبيرا لبيت الله ، ويحافظون على نظافته محافظة تامة ، من الداخل والخارج ، ويسمونه « الصخرة المشرفة » وليس « الهيكل » ، وكذلك يقول بعضهم لبعض: « لنذهب الى الصخرة المشرفة » ولا يقولون « لنذهب الى الهيكل » ، فهم يسمون الهيكل « الصخرة المشرفة » لسبب وجود صخرة صغيرة تقف وسط منطقة الهيكل مسورة بالحديد ، ولقد سمعت بعض المرتدين من المسلمين يقولون : لا يفترض اي مسلم انه سيلمس الصخرة ، وان المسلمين يحجون اليها من مسافات بعيدة . وفي الحقيقة اراد الله ان يظهر اعتباره للصخرة بطرق مختلفة ، ولذلك أظهر عدة عجائب ، كما يشهد بذلك العهدان القديم والجديد . (الكولونيل السر س. م. واطسون ، لندن ، ١٩١٢ ، ص ٢٤٩ — ٢٥٠) . يمكن ان يكون هذا الحاج يروي ببساطة ما سمعه من الناس ، وان وصفه للصخرة لم يكن دقيقا تماما ، ولكن المؤلف الكولونيل واطسون يورد مقطعا طويلا عن هذا الحاج بشأن عدة روايات لها علاقة بالصخرة ، ثم يلاحظ : « ان بعض هذه الروايات لا أساس من الصحة له ،بالطبع ، فعلى سبيل المثال : ان قبة الصخرة شيدت بالتصميم ذاته الذي شيد به هيكل اليهود ، وان البوابة الذهبية وجدت منذ زمن الرب ، ولكن هذا الكلام يظهر كيف تتجمع الروايات المتعلقة بالصخرة المشرفة تماما كما تجمعت حول كنيسة القيامة وكنيسة العذراء على جبل صهيون » .

لقد أعلى الامويون من شأن القدس كثيرا ببنائهم المسجد الاقصى الذي يشير اليه المؤلفون المسيحيون باسم « هيكل سليمان » . ان الدافع وراء بناء هذا المسجد يكمن في تأسيس نصب او مقام احياء للمسجد الاقصى الذي يرد ذكره في القرآن ، او كما يقول بعض الثقاة ، لاستبدال جامع عمر البسيط باخر اكثر اتقانا . وان مراحل

تطور المسجد الاقصى لا تتضح كثيرا من خلال قراءة ما كتبه المؤرخون العرب عن المسجد ، وكذلك فان المؤلفين المسيحيين منقسمون على انفسهم ازاء هذه القضية ، فلقد قيل من جهة ، ان كنيسة يوستنيانوس قد حولت الى مسجد ، ومن جهة ثانية ، ان مواد من هذه الكنيسة قد استعملت في بناء المسجد . ليس من السهل علينا ان نتصور البناء الاساسي للمسجد كما بناه الوليد (٧٠٥ — ٧١٥) لانه قد رمم وتغير في الشكل في مناسبات عدة : ففي عهد ابي جعفر المنصور (٧٥٨ — ٧٧٥) انهار المسجد نتيجة هزة ارضية ثم رمم بعد ذلك،وحصلت هزة ارضية ثانية في عهد الخليفة العباسي المهدي (٧٧٥ — ٧٨٥) ، تسببت في اعادة بنائه بشكل جديد ، وفي العام ١٠٦٠ انهار السقف ثم اصلح من جديد ، وقد اشار واطسون في كتابه **قصة القدس**، ص ١٩٠، الى «ان المسجد الاقصى قد تغير تماما نتيجة للترميمات والاضافات العديدة » . يصف ثيودوريك ، الذي زار القدس في العام ١١٧٢ ، المسجد كما يلي : يقع هيكل سليمان في الجهة الجنوبية وهو بشكل مستطيل يقوم على اعمدة كثيرة في الداخل مثل الكنيسة ، وينتهي باستدارة مثل المقام وتعلوه قبة كبيرة مستديرة بشكل اصبح معها يشبه الكنيسة ، ولقد انتقل هذا البناء بكل ملحقاته الى ايدي « فرسان الهيكل » الذين يسكنون فيه وفي البنايات الملاصقة له حيث مستودعات الاسلحة والملابس والاطعمة المختلفة ، وكان هؤلاء دائما على اهبة الاستعداد للدفاع عن البلد ، ويوجد في الطابق السفلي اصطبلات للخيل كان قد بناها الملك سليمان بنفسه قريبا من قصره تتسع لحوالي عشرة الاف حصان مع سائسيها ، ويضيف الكولونيل واطسون لهذا الملاحظة التالية : ان الكنيسة الجديدة ، المشار اليها هنا ، والتي تقع الى الجانب الشرقي للمسجد الاقصى ، لم تكن مكتملة عندما فتح صلاح الدين الايوبي المدينة في ١١٨٧ ، ولما كان قد هدمها وهدم كل ما أشاده « فرسان الهيكل » لم يبق الا اساسها في محاولة لاعادة المسجد الى ما كان عليه قبل احتلال المسيحيين للمدينة في ١٠٩٩ ، ونظرا للتغييرات التي طرأت على المسجد الاقصى منذ تأسيسه في العام ٦٩١ م، من السهل ان ندرك ان هناك صعوبات في فهم تلك التطورات التي مر بها البناء ، وان هناك اكثر من نظرية حول ذلك، واحدى هذه النظريات الاقل احتمالا هي ان المسجد كان مقتبسا عن كنيسة العذراء الفخمة التي بناها الامبراطور يوستنيانوس في القرن السادس الميلادي .

ولقد كان المقدسي اول من اعطى وصفا دقيقا للمسجد الاقصى ، وكان ذلك في العام ٩٨٥ م. وقد قيل ان تاريخ البناء يعود الى زمن قديم جدا ، وتقول الروايات ان سام الذي ينتسب اليه الساميون هو الذي بدأ بناءه بعد اربعين سنة من بناء الكعبة في مكة المكرمة . وقد نقل ميشال جوين — لامبرت في كتابه **القدس** ، الذي ورد ذكره سابقا ، عن برهان الدين الفزاري قوله ، الى ان للعذراء ام السيد المسيح التي استقبلت في الهيكل نوعا من العلاقة بالمسجد الاقصى ، «ففي القدس بشر الله مريم بقدوم عيسى المسيح». ويوجد في المسجد محراب باسم محراب زكريا ، والد القديس يوحنا المعمدان .

وفي داخل منطقة الحرمين الكبيرين يوجد مقامان لهما جذور في التوراة ، كتبة موسى وكرسي سليمان عليهما السلام . وبجوار قبة الصخرة المشرفة يوجد العديد من القبب الصغيرة شيدها بعض كبار رجالات المسلمين عبر العصور ، فهناك قبة المعراج وقبة محراب النبي ، وقبة يوسف ، وقبة موسى ، وقبة سليمان ، وقبة الخضر (القديس جورج) ، ومحراب داود ، عليهم السلام . ويوجد العديد من المآذن حول الحرم وفي داخله ، وكذلك عدد من القاعات والنافورات وخزانات الماء شيدت كلها عبر العصور ولا تزال تحمل نقوشا تشير الى اسماء مؤسسيها . وفي احدى الفترات بلغ عدد المساجد في القدس اربعة وثلاثين ، واقيم عدد من الزوايا لراحة الحجاج الوافدين من مختلف اصقاع العالم الاسلامي وابرزها الزاوية النقشبندية للحجاج الوافدين من تركستان وازبكستان ، وزاوية الهنود ، والزاوية القادرية للحجاج الواردين من الافغان (الدكتور اسحق موسى الحسيني ، **عروبة بيت المقدس** ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ٤٦—٤٧)، ويوجد عدد آخر من الزوايا مثل الاضحية والمولوية والخانكية والشيخ جراح وابو السعود .

يقول جان جراي في كتابه **تاريخ القدس** : ان اجزاء اخرى من هذه المنطقة المقدسة الواسعة لها اصول مشابهة تمثل نمو الروايات عبر العصور ، وقد اضيف عدد من الاماكن الى هذه المنطقة ، كالمدارس والكليات والزوايا للحجاج ، وكذلك عدد

من النافورات المزينة والمنابر المكشوفة التي اوجدها برهان الدين (مات في ١٤٥٦) .
وبمواجهة كنيسة القيامة يقع الجامع العمري حيث اقام الخليفة عمر رضى الله عنه الصلاة رافضا ، كما ذكر عدد من مرافقيه ، ان يقيمها في داخل الكنيسة خوفا من ان يعتبر المسلمون الكنيسة مكانا مقدسا بالنسبة لهم ، ومن ثم يحولونها الى مسجد ، ويوجد كذلك جامع النبي داود على جبل صهيون وقد احتلته اسرائيل في العام ١٩٤٨ وحولته الى كنيس ، واقل الثلاثة اهمية ، جامع البراق ، الملاصق للمنطقة الحرام من الغرب ، وكما تقول الاحاديث ، ربط النبي فرسه البراق في هذا المكان قبل ان يعرج الى السماء ، وحائط الحرم هذا يسميه اليهود « حائط المبكى » ، والمكان تابع للاوقاف الاسلامية ، ويعرف باسم وقف ابو مدين تيمنا باسم الشيوخ المغاربة . ولقد ادعى اليهود ملكيته في اوائل عهد الانتداب البريطاني في فلسطين ، واحيل الموضوع الى لجنة تحقيق دولية برئاسة سويدي ، وفي تقرير اللجنة الذي صدر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٠ ذكر ان الحائط الغربي (حائط المبكى) هو وقف اسلامي خالص وان الطريق بين الحائط وحي المغاربة هو ايضا وقف اسلامي ، ولكن بعد حرب ١٩٦٧ هدمت هذه المنطقة كما هدم حي المغاربة بعد ان تم ترحيل اهله عنوة .

هناك العديد من المدارس والكليات في القدس قريبة من المساجد والزوايا ، واحيانا كثيرة كانت الزوايا نفسها تستعمل كمراكز للتدريس ، وفي كثير من الحالات كانت المكتبات ملحقة بالاماكن المقدسة كما هو الحال في المراكز الاسلامية الكبرى، كالازهر الشريف في القاهرة ، وجامع الزيتونة في تونس ، وجامعة القرويين في فاس ، ومن أشهر هذه المدارس والكليات : الصلاحية والمامونية والناصريةوالتنكزية والارغونيةوالخاتونيةوالاشرفية، واما المدرسة الصلاحية فقد أسسها صلاح الدين بعد دخوله القدس وذاع صيتها في العالم الاسلامي لزمن طويل ، ولقد سلم العثمانيون ادارة هذه المدرسة الى البعثة الكاثوليكية الفرنسية بعد حرب القرم (١٨٥٣ — ١٨٥٦) مع روسيه وخلال الحرب العالمية الاولى بعثت المدرسة من جديد على أيدي الاتراك على اسس حديثة ، وبدات تدرس عددا من اللغات الاجنبية ، وفي ١٩١٧ اعادها البريطانيون الى الكاثوليك الفرنسيين

وعرفت المدرسة الناصرية فيما بعد بالغزالية تيمنا بأحد كبار فقهاء المسلمين ابو حامد بن محمد الغزالي الذي اقام فيها وانتج فيها مؤلفه الضخم **احياء علوم الدين** ، وبالنسبة لمدرسة الاشرفية فانها قد اسست على يدي الاشرف قايتباي، أحد سلاطين مماليك مصر في العام ١٤٨٢، ويصفها مؤلف كتاب **الانس الجليل** بأنها « ثالث درة في منطقة الحرم بعد قبة الصخرة وقبة المسجد الاقصى ».

لقد نالت هذه الاثار الاسلامية ، سيما الاقصى وقبة الصخرة، اهتماما من قبل الحكام العرب والمسلمين مضافا اليهم الملايين والملايين من المسلمين في جميع انحاء العالم ، فالمسجد الاقصى بني في عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك ، الا ان بعض المؤرخين العرب يقولون ان بناء المسجد بدأ فقط في عهد عبد الملك لكنه انجز في عهد ابنه الوليد . ولقد سبق واشرنا الى الترميمات التي نفذت في قبة الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى ، فابو جعفر المنصور ، الخليفة العباسي (٧٥٨ — ٧٧٥) والخليفة المهدي (٧٧٥ — ٧٨٥) والملك المعظم عيسى المتوفي في السنة ١٢٢٧ قاموا باجراء الترميمات والاضافات ، والخليفة الفاطمي الظاهر اعاد بناء المسجد الاقصى في السنة ١٠٣٣ الذي كان المهدي قد أعاد بناءه ، وفي كلتا الحالتين كان المسجد قد دمر نتيجة لهزة ارضية ، وفي العام ١٠٦٦ رمم الخليفة المستنصر الجزء الشمالي من المسجد ، وفي العام ١١٦٨ أقام نور الدين زنكي منبرا في المسجد على ان يفتتح بعد استعادة بيت المقدس من الصليبيين ، ولسوء الطالع احترق هذا المنبر في الحادي والعشرين من آب (اوغسطس) ١٩٦٩ ، وفي ١٢١٧ بنى الملك المعظم شرفة تطل الى الجهة الشمالية ، وبعد ذلك ادخلت ترميمات هامة على المسجد بأمر من سلاطين المماليك قلاوون ثم ابنه الناصر وشعبان وحسن وقايتباي وقانصوه الغوري ، واما سلاطين بني عثمان الذين أولوا المسجد عنايتهم فكانوا سليمان القانوني (١٥٢٠ — ١٥٦٦) ، محمود الثاني ، عبد الحميد الاول واخيرا عبد الحميد الثاني (الذي اعتلى العرش في العام ١٨٧٦) . وفي عهد الانتداب البريطاني رمم المسلمون المسجد في السنوات ١٩٢٢ و ١٩٢٧ وفي الفترة ما بين ١٩٣٨ — ١٩٤٨ .

وكذلك فقد لاقت قبة الصخرة كل عناية واجلال ، فقد رممت على يد الخليفة المأمون ، سادس خلفاء

بني العباس ، في السنة ٨٣١ ، وعلى يد الظاهر، الخليفة الفاطمي ، في السنة ١٠١٦ ، وبعد استعادة بيت المقدس على أيدي المسلمين في السنة ١١٨٧ تام المماليك بترميم القبة المشرفة ، وكان ذلك في عهد الظاهر بيبرس، والناصر وبرقوق وقايتباي ، ومن ثم سلاطين بني عثمان سليمان القانوني ومصطفى الاول ومحمود الاول ومحمود الثاني وابناه عبدالمجيد وعبدالعزيز اللذان قاما باضافات انتهت فيما بين ١٨٥٣ و١٨٧٤ ، وقد أمد الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني المسجد بفاخر السجاد والطنافس وأمر بنقش سورة يس على جدران المسجد بخط جميل وقد قدم ايضا ثريا وضع في قلب القبة . الا ان سليمان القانوني يعتبر من اكثر السلاطين اهتماما بالقدس، فهو الذي اشاد اسوار مدينة القدس الحالية (١٥٤٢) .

واثناء الحرب العربية — الاسرائيلية في العام ١٩٤٨ هدمت القنابل الاسرائيلية قبة الصخرة ولكن الحكومتين العراقية والسعودية وبعض الحكومات الاسلامية اعادت ترميمها ، وانتهى ذلك في العام ١٩٦٥ وسط احتفال كبير شارك فيه عدد من زعماء المسلمين الذين وفدوا الى القدس لهذه المناسبة .

ومنذ زمن طويل اقام المسلمون البنايات وخصصوا الاراضي للمحافظة على هذه وغيرها من المقامات الدينية ، واهمها تلك التي تنسب الى ابو مدين المغربي ، وصلاح الدين ، وزوجة السلطان سليم الاول ، خاصكيه ، واخرها تلك التي وضعتها قبيل انتهاء الانتداب البريطاني السيدة امينه الخالدي .

بالاضافة الى هذه الاهتمامات الاسلامية تبقى القدس موئل علاقات تاريخية لا تنسى، فالشخصيات العربية والاسلامية التاريخية ورجال الدين المسلمون الذين ترتبط اسماؤهم بالقدس وعاشوا او اقاموا فيها لا يمكن ان يحصى عددهم . وفي فجر الاسلام أم القدس عدد كبير من مشاهير المسلمين ، واخصهم الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، والقائدان العسكريان المشهوران خالد بن الوليد وابو عبيدة عامر بن الجراح، وعمرو بن العاص ، وعدد من صحابة الرسول (صلعم) ، واخصهم بالذكر بلال ، مؤذن الرسول ، وابو نعيم، الذي كان اول من أذن للصلاة في القدس . ومن اعظم المتدينين والمتصوفين اثنتان تتبادران في الحال الى ذهن المرء هما : ام الدرداء ، ورابعة العدوية المتصوفتان ، وهذه الاخيرة عاشت وماتت في القدس ولا يزال ضريحها مزارا على جبل الزيتون، وكذلك هناك فقهاء واولياء المسلمين الاربعة : الامام الاوزاعي ، والصوفي ابراهيم بن ادهم ، والامام الشافعي ، مؤسس المذهب الشافعي في الاسلام ، والامام ابو حامد الغزالي ، الفقيه والمتصوف الشهير ، الذي عاش في القدس قرب بوابة الرحمة قريبا من منطقة الحرم حيث انكب هناك على تأليف كتابه المشهور « احياء علوم الدين » وذلك في العام ١٠٩٥ . ولقد زار المدينة عدد كبير من صحابة الرسول وغيرهم من مشاهير فقهاء الاسلام في اوقات مختلفة وان عددا كثيرا منهم قد دفن هناك . (ويقول هارولد لامب في كتاب **فسيفساء الفرس** ، لندن ، ١٩٤٣ ، ان عمر الخيام ، مؤلف الرباعيات ، قد حج الى القدس ، وفي احد الفصول (ص ١٠٦ — ١٠٩) يصف الاماكن المقدسة في القدس وكيف ان المسلمين يحافظون بدقة على زيارتها .) ولقد أمر الخليفة الاموي السابع سليمان بن عبد الملك بأن تنظم بيعته في القدس ، ويذكر ان الخليفة العباسي الثاني ابا جعفر المنصور والخليفة المهدي ثالث خلفاء بني عباس ، اللذين اشير اليهما في الحديث عن ترميم المسجد الاقصى ، قد زارا المدينة ، كما ان الاخير زارها مرتين ، وعندما كانت القدس تحت حكم الفرنجة قام اسامه بن المنقذ بزيارتها وكان ذلك في العام ١١٤٠ .

لقد كان المسلمون دائما يعتبرون القدس مدينة مقدسة وينظرون اليها بمنتهى الاجلال ، وباستثناء التدنيس الذي تعرضت له المدينة على ايدي الكلدانيين والرومان عندما دمر هيكل سليمان ، لم تتعرض الاماكن الاسلامية المقدسة للتدنيس سوى مرتين ، الاولى في عهد الصليبيين ، والاخرى اثناء الاحتلال الاسرائيلي الاخير بعد حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ففي المرة الاولى نسي المسيحيون في غمرة حماستهم ، التسامح الديني الذي عاملهم به المسلمون عندما فتحوا المدينة في العام ٦٣٧ م ، وفي المرة الثانية نسي اليهود ان المسلمين قد حافظوا على مقاماتهم ومزاراتهم التقليدية المقدسة، وعندما احتل الصليبيون القدس في ١٠٩٩ انتهكوا حرمة وقدسية الحرم الشريف بشكل يندى له الجبين حيث ذبح الاف المسلمين ، رجالا ونساء ، حتى سال الدم الى الكعبين . (طومبسون وجونسون ،

مقدمة الى تاريخ اوروبة الوسطى ، نيويورك ، ١٩٣٧ ، ص ٥٢٨) . يقول ميشال جوين — لامبرت في كتابه **القدس** ، المشار اليه سابقا ، « لقد اصبح المسلمون خدما وعبيدا بعد ان كانوا سادة . لقد طردوا من بيوتهم الفخمة وتحولت مساجدهم الى كنائس . » وعندما يقارن المرء هذا السلوك الوحشي بتسامح وانسانية عمر بن الخطاب في ٦٣٧ م وصلاح الدين الايوبي في ١١٨٧ ، لا يسعه الا ان يستنتج بأنه قد اسيء الى المسلمين اكثر مما اساؤوا الى غيرهم . وباستثناء حادثتين منفصلتين في عهد الخليفة الفاطمي ، الحاكم ، حافظ المسلمون تماما على جميع الاماكن المقدسة في القدس واستمرت القدس تعتبر القدس الشريف حتى في عهد الاتراك العثمانيين والاحتلال البريطاني في ١٩١٧ . وفيما يلي اقتبس مقطعا من بيان اذاعه البكباشي علي فؤاد ، القائد العسكري التركي لمنطقة القدس في ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ : « ان القدس الشريف ، ثاني مركز ديني للمسلمين منذ ثلاثة عشر قرنا خلت، واول مركز ديني للمسيحيين ، لا تزال حتى الان تحت حماية القوات التركية التي تكافح من أجل الوحدة العامة في ظل السلطنة العثمانية ... »

وفي الساعة الثامنة من صباح ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ اذاع رئيس بلدية القدس العربي رسالة استسلام من الوالي المدني التركي ، يقول فيها الوالي : « منذ يومين والقنابل تتساقط على بعض الاماكن في القدس الشريف ، ونظرا لذلك ومن اجل حماية الاماكن الدينية من الدمار قررت الحكومة العثمانية سحب حاميتها من المدينة ، وقد طلب الى بعض الموظفين تأمين حماية كنيسة القيامة والمسجد الاقصى والاماكن الدينية الاخرى .. » (ف. ج. جاناواي ، **فلسطين والعالم** ، لندن ، بدون تاريخ ، ص ١٧٠ — ١٧١) . والان يجب مقارنة كل هذا بالسلوك الاسرائيلي في العام ١٩٤٨ عندما تساقطت القنابل الاسرائيلية على منطقة الحرم ودمرت قبة الصخرة المشرفة ، وفي الواحد والعشرين من آب (اوغسطس) ١٩٦٩ عندما فشل الاسرائيليون في تأمين حماية كافية للاماكن المقدسة، فنتج عن ذلك حرق المسجد الاقصى . ان هذه الحقائق تعبر عن نفسها بنفسها ، فبينما سمح صلاح الدين لليهود بالعودة الى القدس نرى الصليبيين في الماضي ثم الاسرائيليين في الوقت الحاضر يرغمون المسلمين على مغادرة القدس ، يا لها من مفارقة غريبة ! وللمصادفة ، لا استطيع في هذا المجال تجنب الاشارة الى عادة بعض الكتاب الاوروبيين والصهيونيين الذين يتجاهلون وجود حضارة عربية — اسلامية عظيمة في العصور الوسطى ، ولا سيما في الاندلس، ويعتبرون القرون الثمانية التي مكثها العرب في اسبانية كأنها لم تكن ، او يتجاهلون ، عند كتابة تاريخ فلسطين . حقيقة اساسية هي أن العرب حكموا فلسطين مدة تسعة قرون . وكتاب جاناواي الصهيوني ، الذي استشهدت به سابقا ، يحتوي على جملة واحدة فقط عن الحكم العربي لفلسطين ، فهو يقول : « في العام ٣٥٠ م. سمح جوليان المرتد لليهود بأن يعودوا ويبنوا هيكلهم من جديد، ولكنهم لم يفعلوا ذلك ابدا » . وتتبعها مباشرة الجملة الاتية : « وتلا ذلك سلام نسبي لعدة قرون ثم اضطربت الامور » . (المصدر نفسه ، ص ١٦٩ — ١٧٠) . وبذلك تم مسح حقبة تاريخية طويلة عمرها ٩٠٠ عام بضربة قلم . وهناك مؤلف صهيوني اخر يدعى سيسيل روث يتحدث في فصل واحد من كتابه **موجز تاريخ الشعب اليهودي** ، صادر عن مكتبة الشرق والغرب ، اوكسفورد ، ١٩٤٣ ، عن الحكم الاسلامي لفلسطين ، ويطلق على هذه الفترة التي دامت ١٣٠٠ سنة « الفترة الاسلامية » . وهناك كذلك كاتب صهيوني آخر هو وليم ب. زيف يتحدث في كتابه **اغتصاب فلسطين** لندن ، ١٩٤٨ عن العرب ، ويقول ما يلي : « في الحقيقة لا يوجد (عرب) في أي مكان ...فالتاريخ يقول لنا ان العرب لم يطأوا ارض فلسطين ابدا». ان كتابه هذا حافل بمغالطات تاريخية خصوصا في فصل « هل يوجد جنس عربي ؟ » وقد تبنى الاسرائيليون هذه الفكرة وبدأوا يعملون كل جهدهم لاثبات انه لم يكن هناك شيء اسمه «عرب» او « جنس عربي » . واذا كان الامر كذلك ، وبالطريقة نفسها يمكن للمرء ان يتساءل : هل هناك « شعب يهودي » او « جنس يهودي » ؟. والامر الاكثر مثارا للدهشة هو الادعاء الوقح الذي اطلقته جولدا مئير ، رئيسة الحكومة الاسرائيلية ، في مقابلة تلفزيونية خلال زيارتها الاخيرة الى لندن بأنه لم يكن هناك شيء قط اسمه « فلسطين » .

وقبل أن اختتم هذا الفصل عن القدس كمدينة مقدسة في الاسلام ، اود أن اشير الى مثالين هامين من الاحترام العميق نحو هذه المدينة، الاول، كان نتيجة احتلال الصليبيين وقد أعطى القدس

اهمية جديدة بالنسبة للمسلمين ، فالصليبيون لم يكونوا معتبرين مسيحيين متحمسين ، بل اوروبيين راغبين في الفتح والتوسع – كتعبير بسيط عن الاستعمار الاوروبي وبالتالي عن الامبريالية . فهذا المزج التام بين المسيحية والامبريالية قد ووجه بمزيج من العروبة والاسلام ، وشحذ الاهتمام العربي – الاسلامي بالقدس ، والبرهان على ذلك هو العناية الفائقة التي منحها الايوبيون والمماليك للقدس ، وبعد استعادة القدس على يد المسلمين عاملوا جميع اهاليها بتسامح كبير ، وقد شعروا في وقت من الاوقات ان لديهم القوة الكافية التي تساعدهم على العمل لايقاف اسباب الاضطراب بين المسلمين والمسيحيين ، فقد قيل ان السلطان الايوبي عيسى المعظم ، الذي خلف اباه العادل ، فكر في هدم القدس ، وتبعا لذلك ، ارسل مجموعة من البنائين واللغامين لتدمير المدينة في ١٢١٩ ، ولقد كانت فكرته تقدمية وانسانية في آن واحد لانها الطريق الوحيد لانهاء الخلافات بين الديانتين ، وذلك بجعل المدينة ملكا عاما للجميع . (د. سي. مارجوليوت . **القاهرة ، والقدس ، ودمشق** ، لندن ، ١٩٠٧ ، ص ٢٠٦) . ونقرأ في الكتاب نفسه ان بعض الثقاة يؤكدون ان عماله قد حولوا المدينة الى كومة من الانقاض باستثناء الاماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة . ان كل هذا يعتبر مرحلة عابرة في تاريخ المدينة ، فعندما استعادها المسلمون في العام ١٢٤٤ بدأت تلفت انظار سلاطين الايوبيين والمماليك والعثمانيين ، فيما بعد . ولقد سردت فيما سبق أعمال الترميم والاصلاح التي تمت على أيدي مختلف السلاطين ، بما في ذلك بناء الاسوار الحالية في العام ١٥٤٢ على يد السلطان العثماني سليمان القانوني ، ولكنني ارى أن هناك حاجة للتوسع في سرد هذه الاعمال ، سيما على يد المماليك ، وذلك لاظهار الاهتمام المتزايد بالمدينة بعد الحملات الصليبية . يقول مارجوليوت : « يقال ان بيبرس الاول الذي بنى جامعا على المكان الذي يفترض انه يضم قبر موسى ، قد أقام احتفالا بمناسبة عيد النبي موسى تكريما للنبي موسى عليه السلام ، هذا العيد الذي لا يزال يعادل في يومنا هذا عيد الفصح اليوناني. وقد جدد البناء الذي على قبة الصخرة، وفي ١٢٦٤ بنى زاوية او خانا خارج المدينة من الجهة الشمالية الغربية وزينه بباب اخذه من القصر الفاطمي في القاهرة وقد انفق على بنائه من خراج القرى التابعة لدمشق ، وكانت البناية تضم طاحونا ومخبزا ومسجدا ، والهدف من اقامته هو استقبال الزائرين (ربما المتأخرين منهم) الوافدين الى المدينة ، وقد كان الخبز يوزع على الباب بشكل منظم ، وكذلك اصلح بيبرس قبة السلسلة . اما السلطان كتبوغه فيرجع له الفضل في ترميم بناء قبة الصخرة المشرفة واعادة بناء السور المحيط بمنطقة الهيكل والذي يطل على مقبرة باب الرحمة ، وكان ذلك في العام ١٢٩٩ . ثم جاء خليفته لاجين ليجدد محراب داود عليه السلام في الجهة الجنوبية من السور قرب مهد يسوع . ولقد ترك البنّاء المشهور محمد بن الناصر من بعده بعض النصب التذكارية من عمله في القدس . فوضع رخاما على واجهة المسجد الاقصى وفتح فيها نافذتين على يمين ويسار المحراب وكان ذلك في السنة ١٣٣٠ ، وطلى القبتين بماء الذهب ، وقال مجير الدين الذي عاش بعد ١٨٠ عاما ، بأن الطلاء كان لا يزال أصفر ذهبيا.. واعاد كذلك بناء بوابة القطانين على نمط دقيق واخاذ . وبنى السلطان شعبان حفيد الناصر مئذنة قرب باب الاسباط في العام ١٣٦٧ وجدد أبواب الاقصى الخشبية ، وبعد تسع سنوات بنى القناطر العلوية فوق السلم الغربي لمحكمة القبة مقابل باب النصر . أما السلطان برقوق فقد بنى مقعدا للمؤذن مقابل المحراب في قبة الصخرة المشرفة ، ورمم بركة السلطان خارج القدس من الجهة الغربية ، وفي العام ١٣٩٤ عين السلطان برقوق حاكما يدعى شهاب الدين اليغموري ، الذي وضع على الباب الغربي للقبة قطعة من الرخام كتب عليها: بيان من الحاكم باعفاء الاهالي من جميع الضرائب التي فرضها عليهم الحكام السابقون . وقد جاء السلطان فرج بعد برقوق ليضع رخامة على سور باب السلسلة ، كتب عليها ان حاكم المدينة ومكة سيكون في المستقبل غير حاكم القدس التي ستشكل منذ ذلك الوقت ، وحدة ادارية مع الخليل. اما الحكام الاخرون الذين تركوا كتابات على قبة الصخرة المشرفة تعرف باعمالهم لاصلاحها وتجميلها فهم : الخليفة الفاطمي الظاهر (١٥٢٢ م) الذي أعاد بناء القبة بعد أن سقطت نتيجة زلزال ارضي في ١٠١٦ ، ثم صلاح الدين (١١٨٧) الذي جدد في البناء ، والبنّاء القاهري ناصر بن قلاوون (١٣١٨ – ١٣١٩) وكذلك السلطان العثماني محمود الثاني ، والاخير ادخل اصلاحات على القبة في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ...

ومن البنايات البعيدة سبيل ماء صغير بني في العام ١٤٤٥ على يد السلطان المملوكي قايتباي» (المصدر نفسه، ص ٢١٩ — ٢٢٢) . ويعطي لوك وكيث — روش في كتابهما **دليل فلسطين** ، لندن ، ١٩٣٠ ، صورة براقة عن اعمال البناء والترميم اثناء القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر . ويقولان عن القدس ما يلي : « ان الفنادق والكليات التي انشئت في القدس خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر تريننا كيف أنه في هذه القرون كانت القدس فاتحة أبوابها للطلاب الذين كانوا يفدون من جميع انحاء العالم الاسلامي لزيارة الاماكن المقدسة وللاطلاع العلمي، وكان لكل من هذه الكليات قطعة ارض يعود ريعها لها . ومعرفة كل أرض مخصصة لصيانة كل كلية كانت تشكل مجالا هاما للدرس يمكن ان ينتج عنه تزويدها بالاموال الضرورية لاصلاحها واعادة بنائها كمراكز للعلم . » (المصدر نفسه، ص ٨٥).

هذا في رأيي يوضح الاهتمام المضاعف بمدينة القدس لدى سلاطين المماليك والعثمانيين نتيجة الغزو الصليبي . اما المثال الثاني فهو العدد الكبير من الكتب التي كتبت عن القدس من قبل كتاب عرب ومسلمين والتي لا يزال بعضها بشكل مخطوطات ، واهمها : **فضائل بيت المقدس** ، لابن المرجى بن ابراهيم المقدسي (خط) **سوانح القدس لرحلتي بواد القدس** ، للقبى (خط) ، **الانس في فضائل القدس** ، للقاضي هبة الله الشافعي (خط) ، **الجامع المستقصى في فضائل المسجد الاقصى** ، للحافظ شيخ الاسلام ابن عساكر (خط) ، **باعث النفوس الى زيارة القدس** ، لابن فركاح (خط) ، **المستقصى في فضائل المسجد الاقصى** ، لنصير الدين الرومي (خط) ، **فضائل بيت المقدس** ، لسبط بن الجوزي (خط) ، **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، لمجير الدين الحنبلي (مطبوع) ، **الحضرة الانسية في الرحلة القدسية** ، لعبد الغني النابلسي (مطبوع) ، **مثير الغرام بفضائل القدس والشام** ، لابن سرور المقدسي (مطبوع) ، وغيرهم . (الدكتور اسحق موسى الحسيني ، **عروبة بيت المقدس** ، القاهرة، ١٩٦٨) .

قبل أن نختتم هذا البحث عن القدس ، تبقى نقطة لا بد من ايرادها هنا اذ ان لها تأثيرا خاصا على مكانة القدس من الوجهة الاسلامية والعربية بعد الغزو الصليبي . وهي أن القدس كانت تعتبر البوابة الى الاردن والى مكة والمدينة في الجزيرة العربية . ويقال انه في العام ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) نزلت قوة صليبية في الكرك والشوبك في شرق الاردن ، وكانت تريد احتلال المدينة المنورة لنبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل رفاته الى اوروبة . وتستطرد القصة ، كما يرويها مجير الدين الحنبلي في تاريخه عن القدس والخليل الى القول : أن السفن الصليبية اجتازت السويس في البحر الاحمر الى الحجاز . ولكن الناصر صلاح الدين ارسل من هزمهم واحبط مسعاهم . (ص ٤٤ من **عروبة بيت المقدس**) .

والخليل هي المدينة الثانية المقدسة في فلسطين ولربما تكون اكثر تدسية من القدس . انها تدعى « الخليل » او « خليل الرحمن » اي « مدينة خليل الله»، وخليل الله كان سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام . (**موسوعة الدين والاخلاق** ، مجلد ٩ ، ص ٨٩٦) . وقد تكون هذه المدينة اقدم مدينة في التاريخ ، او على الاقل من أقدم المدن ، وهي تضم رفات سيدنا ابراهيم واسحق ويعقوب مع زوجاتهم وكذلك رفات سيدنا يوسف ، عليهم جميعا السلام . ويفترض ان الجامع المعروف بأسم « الحرم الابراهيمي » كان كنيسة ايام الصليبيين . والخليل هي اول عاصمة للنبي داود عليه السلام . احتلها الصليبيون في العام ١٠٩٩ ولكن صلاح الدين استعادها في العام ١١٨٧ .

وتعود قدسية هذه المدينة عند المسلمين الى سببين : اولهما ، ان ابراهيم هو أبو العرب كما هو أبو اليهود ، وثانيهما ، ان انبياء اليهود وزعماءهم وزوجاتهم المدفونين في المدينة هم موضع اجلال وتقديس لدى المسلمين ويعرف ابراهيم عادة بأسم : « ابونا ابراهيم الخليل » ، ويقال ان ابراهيم قد نصب خيمته تحت سنديانة في سامر . ويعتبر جوزيفوس الخليل مدينة ادومية (عربية ؟) وليس يهودية . وقد شهدت المدينة ما شهدته فلسطين من عهود مختلفة كالرومان والبيزنطيين والعرب والمسلمين ، وفي ١٩١٢ كان عدد اليهود فيها لا يتجاوز الالفي نسمة بينما كان عدد العرب المسلمين فيها يبلغ اثنين وعشرين الف نسمة .

وتتركز قدسية المدينة حول الحرم الذي يضم الجامع في الجهة الجنوبية . ويعتقد ان الجامع كان بناية اقيمت في الاصل على ايدي الصليبيين على موقع كنيسة فيما بين ١١٦٧ — ١١٨٧ . ويوجد في ارض القاعة فتحتان يقال انهما توصلان الى

مغارة مكبيلا ، ويوجد ايضا ستة مقامات لاسحق وزوجته رفقة ، ولابراهيم وساره ، وليعقوب وليا ، واقدم بناء للجامع يعود الى العام ١٣٣١ في عهد السلطان محمد بن قلاوون المملوكي ، ويشتهر هذا الجامع بمنبره الذي يعود طرازه الى القرن الثاني عشر ، كما هو الحال بالنسبة للمسجد الاقصى .

والخليل هي مثال اخر لمدينة تعتبر مقدسة لدى اليهود والمسيحيين والمسلمين ، واعتقد ان مثل هذه المدن في فلسطين كان يمكن ان تكون موضع عبادة واجلال لدى اتباع الاديان الثلاثة لو لم يقم الصليبيون ومن ثم الصهيونيون بفتوحاتهم واعتداءاتهم ، والمثل الذي يمكن ان يحتذى هو السلطان عيسى بن المعظم ، الذي ورد ذكره سابقا .

ومدينة الخليل هي احدى الاماكن المقدسة في فلسطين التي تعتبر احدى الاماكن التي يزورها المسلمون المتدينون . ويقال ان النبي محمد صلى الله عليه وسلم أقطعها لاحد صحابته تميم بن أوس الداري الذي لا يزال احفاده موجودين باعداد كبيرة في الخليل ونابلس وبئر السبع وفي شرق الاردن . ويروي المؤرخ مجير الدين الحنبلي في كتابه عن القدس والخليل قصصا عن مختلف العوائل العربية العريقة في الخليل . ويقول لوك وكيث — روش في كتابهما **دليل فلسطين** (لندن ، ١٩٣٠ ، ص ١١٢) عن الخليل ما يلي : « تعتبر مدينة الخليل اسلامية الا فيما عدا اقلية يهودية صغيرة، ونظرا لارتباطها بابراهيم عليه السلام ، فانها تعتبر مدينة مقدسة جدا عند المسلمين . ان هذه المدينة تعتبر نموذجا كاملا وبارزا للمدينة العربية ، وللغرب من المدينة، قرب بيت جبرين، وقعت معركة اجنادين التي هزم فيها عامر ، القائد العسكري العربي ، البيزنطيين شر هزيمة ، وكان ذلك في العام ٦٣٤ م » .

اما المدينة الثالثة التي لها اهمية عربية واسلامية فهي غزة التي تقع في القسم الجنوبي من السهل الساحلي فيما بين جبل الكرمل وحدود مصر . وهي اقصى مدينة جنوبية من مجموعة المدن الخمس المتحالفة : عسقلان واسدود وجات وعقرون وغزة في عهد بلشتيم او الفلسطينيين ، وهم شعب غير سامي كان يسكن مقاطعة بلشت السهلية . وقد شهدت غزة عبر التاريخ سلسلة لا تحصى من المعارك ، وقد كانت منذ القدم تشعر بالولاء نحو مصر . وعندما دارت رحى الحرب بين المصريين والاشوريين ، وبين سورية ومصر ، اصبح للسهل الفلسطيني عامة ، ولغزة على وجه التحديد ، اهمية استراتيجية خاصة . واستمر القتال بين الفلسطينيين واليهود حتى نجح المكابيون في اخضاعهم . ولقد احتل الاشوريون المدينة في العام ٧٣٤ ق. م. ، ثم حكمت من قبل البابليين والفرس ، بالاضافة الى المصريين . واحتلها الاسكندر الكبير بعد حصار طويل ، ثم اصبحت موضع نزاع دام لمدة طويلة بين البطالسة والسلجوقيين ، وفي ٩٦ ق. م. احتلها اسكندر جانيوس ودمرها ، ثم شيدت مدينة جديدة تحمل الاسم نفسه الى الجنوب من مكان المدينة القديمة، وبعد هيرودس الحق الرومان المدينة بولاية سورية، وتمتعت غزة في عهد الرومان بفترة سلام وازدهار، ثم فتحها العرب في العام ٦٣٤ م .

وكانت غزة ملتقى لثلاثطرق تجارية بالاضافة لطريق مباشر من مصر والشام ، وكان الاول هو طريق البخور من اليمن الى الحجاز الى البتراء ثم الى غزة ، والثاني كان يمر عبر البحر من الشرق الى ايلات (العقبة) ثم البتراء او غزة ، والثالث كان يربط غزة ببلاد ما بين النهرين السفلى عن طريق البتراء والجوف . واهم طريق بالنسبة لغزة كان طريق البخور ، فعندما احتل الاسكندر الكبير غزة استولى على كميات كبيرة من البخور الذي كانت له اهمية كبيرة لدى الديانات القديمة ، والمعروف ان غزة كانت اكبر مدينة في فلسطين وسورية . (ص ١٠٩ من كتاب لوك وكيث — روش) ، ولا تزال حتى الان سوقا مهمة لجنوب فلسطين ، وفي ١٩١٢ بلغ عدد سكانها اربعين الفا .

يعتبر المسلمون غزة مسقط رأس سليمان الحكيم وهي الى حد ما مقدسة عند المسلمين، لان هاشم، جد النبي ، مات ثم دفن فيها . ولهذا سميت غزة هاشم ، وفي غزة ايضا أسر عمر بن الخطاب ، الذي أصبح ثاني الخلفاء الراشدين ، وسجن ، وكان ذلك قبل ظهور الاسلام . وغزة مقدسة أيضا لانها مسقط رأس الامام الشافعي ، صاحب المذهب الشافعي في الاسلام . ويعتبر جامع هاشم الذي يضم قبر جد الرسول من أهم الاثار التاريخية في المدينة .

اما الرملة المدينة التي تقع بين يافا والقدس، فقد اسست في ٧١٦ على يد الخليفة الاموي سليمان بن

عبد الملك باني قبة الصخرة المشرفة . وكلمة الرملة نسبة الى الرمل ، وهذه عادة درج عليها العرب عند تسميتهم المدن بأسم موقعها او نوعية الارض التي تقوم عليها ، وهذا ما يفسر اسماء البصرة وبرقه وحدباء وحجر ، الخ ... ولقد بنى سليمان ابن عبد الملك لنفسه قصرا في الرملة ، لا يزال قسم منه قائما حتى اليوم . أما اهم اثر فيها فهو برج الرملة الذي لا يزال قائما ، وقد عمره سليمان في اوائل القرن الرابع عشر ليقوم مقام مئذنة للجامع الابيض الذي تحول الان الى كومة من الاثار خارج المدينة ، وكان صلاح الدين الايوبي قد رممه في العام ١١٩٠ ثم بنى له السلطان بيبرس مئذنة وقبة في السنة ١٢٦٨ . وفي عهد السلطان محمد الناصر تم العديد من الاصلاحات كما تثبت النقوش العربية على الباب والتي تعود الى السنة ١٣١٨ ، ويدعى البرج احيانا برج الاربعين شهيدا اذ أن المسلمين والمسيحيين يعتقدون بأن اربعين شهيدا كانوا قد دفنوا تحت ارض الجامع، وفي داخل المدينة يوجد الجامع الكبير الذي يقال انه كان كنيسة في القرن الثاني عشر .

وهكذا ، اظهر خلفاء بني امية بشكل عام اهتماما ملحوظا بفلسطين ، فبالاضافة للابنية الفخمة التي اقاموها في القدس والرملة شيدوا القصور في مدينة اريحا كقصر هشام ، كما اعتادوا على زيارة بحيرة طبريا في الشمال ، وفي الحقيقة ، درج الخلفاء فيما بعد على زيارة البحيرة . ويقول المقدسي في كتابه ، **احسن التقسيم** ان « ضريح ابي حصيرة، أحد صحابة الرسول الاوائل المقربين يوجد الى الجهة الجنوبية من مدينة طبريا . » ويذكر ابن بطوطه ، الرحالة العربي ، انه يوجد خارج المدينة كذلك ضريح سكينه بنت الحسين حفيدة النبي ، ويوجد أيضا ضريح أحد احفاد علي ، رابع الخلفاء الراشدين .

اما نابلس (او شكيم كما كانت تسمى قديما) فهي مدينة فلسطينية كبيرة تقع بين حيفا والقدس على طول الطريق بين التلال داخل سهل مرج بن عامر ، وكما تقول احدى الروايات فان نابلس هي بيت المقدس وليس القدس . تشتهر نابلس فيما تشتهر بتواجد طائفة السامرية التي حافظت على وجودها منذ القرن الثامن قبل الميلاد . ويوجد فيها ثلاثة مساجد : الجامع الكبير الذي يعتقد بأنه يقوم مكان كنيسة تعود الى ايام يوستنيانوس ثم اعيد بناؤها بموجب قانون كنيسة القيامة في ١١٦٧ . ويعتقد ان للجامعين الاخرين (الخضراء والنصر) ايضا اصل صليبي . وعندما نتجه شمالا في فلسطين نجد ان التواجد الاسلامي يخف تدريجيا ، وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اصبح الجزء الشمالي من فلسطين مسرحا لاحداث عسكرية وسياسية ، فمعركة حطين (١١٨٧) وقعت قرب طبريا عندما هزم الصليبيون على يد صلاح الدين ، وتشتهر قرية حطين بأن فيها ضريح النبي شعيب ، والى الشمال الغربي من جنين وقعت معركة عين جالوت بين بيبرس المملوكي وقطز المصري من جهة ، والمغول ، من جهة اخرى ، في العام ١٢٦٠ . وفي حوالي منتصف القرن الثامن عشر جعل الشيخ ظاهر العمر من نفسه سيد المنطقة الوسطى من فلسطين متخذا من عكا عاصمة له ، وخلفه احمد باشا الجزار الذي امتد نفوذه حتى نهر الكلب وبعلبك في لبنان وقد حافظ على عكا عاصمة له ، وقد عرف بحبه للعمران ، ولا سيما بناؤه لجامع الجزار الشهير في عكا . وفي ١٧٩٩ صمدت عكا امام حملة نابليون . ولا تزال اوساط الفلسطينيين في الوسط والشمال تتناقل الروايات حول الدور الذي لعبه اهالي جنين وطولكرم ونابلس والقرى المجاورة في صد نابليون . وفي العام ١٨٣٢ دمر ابراهيم باشا القائد المصري مدينة عكا ، وايضا ساندت القرى المحيطة مدينة عكا في دحر الجيش المصري ، وفي العام ١٨٤٠ دكت عكا بالقنابل من قبل الاسطولين الانجليزي والنمساوي . وتعزز مركز فلسطين ، كبلد مقدس للمسلمين ، كثيرا منذ الحملات الصليبية التي لم تكن ، كما بينا ، بدافع الحماسة الدينية للمحافظة على الاماكن المسيحية المقدسة في بيت المقدس وجواره فحسب ، بل ايضا بدافع التوسع والفتح ، فالصليبيون لم يفتحوا القدس فقط ولكنهم احتلوا فلسطين كلها .

« وعندما كان الامبراطور البيزنطي الكسيوس الاول يصدر النداءات للغرب لمد يد العون لوقف تقدم الاتراك عبر آسية الصغرى ، اجاب البابا اوربانوس الثاني — عبر مجمع كليرمونت في العام ١٠٩٥ ، بذكاء على نداءات الامبراطور بأن جهز حملة عسكرية ليس لمساعدة مسيحيي اليونان بقدر ما هي موجهة لاخراج المسلمين من فلسطين ... ولقد تم تجهيز الحملة الصليبية الاولى في جو مشبع بالتعصب الديني كجزء من الهجوم المضاد على الاسلام والذي كان قد بدأ قبل ذلك

في جبهتين : الاولى في أسبانية والثانية عبر المتوسط نحو شمال افريقية ، واما الجبهة الثالثة فكانت تفتتح الان في بلاد الشرق ... هذا الهجوم غير المبرر يقوم به « فرنجة » الغرب البعيد ...» (ج. ج. سوندرز ، **تاريخ الاسلام في العصور الوسطى** ، لندن ، ١٩٦٥ ، ص ١٥٨) . (وربما يمكن اعتبار الاحتلال اليهودي لفلسطين العربية بمساندة وحماية الغرب المسيحي امتدادا لهذا الاتجاه نفسه.) ولقد استمرت هذه الروح العدائية في النمو حتى نهاية الحرب الكونية الاولى ، وظهر اكثر من كتاب في الغرب عن « الحملة الصليبية الاخيرة » . وعندما ذهب الجنرال ساراي ، المندوب السامي الفرنسي الى سورية ، خلال زيارته لدمشق ، لزيارة قبر صلاح الدين ، نقل عنه قوله : « ها نحن هنا يا صلاح الدين ! » . لذلك ليس من العجب اذن أن يعتبر العرب والمسلمون فلسطين مقدسة كرد فعل لهذه المخططات العدوانية . ففي اذار (مارس) ١٩٢٠ عندما انعقد المؤتمر السوري في دمشق نودي بفيصل بن الحسين ملكا على سورية وفلسطين ، كما أنه يمكن فهم رد الفعل في العالمين العربي والاسلامي لوعد بلفور في العام ١٩١٧ ، وقد تكرر النموذج التاريخي نفسه بعد حوالي ٨٠٠ سنة ، فالهجرة اليهودية الى فلسطين تحت الانتداب (١٩٢٠ — ١٩٤٨) وقيام دولة اسرائيل في ١٩٤٨ كان لهما تأثير كهربائي بجعل فلسطين مقدسة ضمن اطار اسلامي اوسع واخر عربي أضيق . والان اصبحت القضية الفلسطينية،خاصة بعد الاحتلال الاسرائيلي للقدس في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وما تبع ذلك من حريق جزئي للمسجد الاقصى ، تتعدى النطاق المحلي الفلسطيني والعربي الى النطاق الاسلامي الاوسع ، كما يشهد بذلك مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد في الرباط بالمغرب من ٢٢ الى ٢٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩ . فقد أكدت كلمات رؤساء الوفود وكذلك البيان الختامي للمؤتمر على أهمية فلسطين ككل بالنسبة للمسلمين وقد قال الرئيس الباكستاني امام المؤتمر ، ان الباكستانيين ، منذ صدور وعد بلفور في العام ١٩١٧ ، قد ايدوا باستمرار القضية العربية « التي ننظر اليها كقضية اسلامية مشتركة في فلسطين » . من الجدير بالذكر ان المسيحيين الشرقيين او اليهود الشرقيين لم يظهروا اي تعصب اعمى نحو فلسطين بالادعاء أنها اراضيهم المقدسة لوحدهم دون غيرهم ، ولكن المسيحيين واليهود الغربيين هم فقط الذين فعلوا ذلك .

ان كل هذه العوامل الرئيسية ، الدينية وما سواها ، تلعب دورا مشتركا في جعل فلسطين بلدا مقدسا لدى المسلمين . ففي داخل فلسطين هناك عدد من العوامل الصغرى التي تعزز هذه العاطفة، فهناك مثلا ، الاحتفالات الدينية والشعبية على مدار العام . ففي القدس يحتفلون بعيد النبي موسى الذي يبدأ نهار الجمعة الذي يسبق يوم الجمعة العظيمة عند الارثوذكس . ولقد اشرنا الى هذا من قبل ، ومن المعتقد ان الهدف الاساسي لهذا الاحتفال كان لدعوة المسلمين في الخليل ونابلس للتجمع في القدس بأعداد كبيرة ليكونوا على استعداد لمواجهة اي احتمال ، في حال محاولة المسيحيين ، تحت تأثير الصليبيين في اوروبة اثارة الشغب خلال ايام الفصح . وهذا الاحتفال يخص بشكل رئيسي القدس والخليل ونابلس وضواحي القدس بما في ذلك اريحا . اما الاحتفال الاخر الذي يعقد في حزيران (يونيو) لمدة ثلاثة ايام ، فهو الاحتفال بعيد النبي صالح العربي ، الذي يجري في الرملة بين يافا والقدس . ومن المعتقد أيضا ان هذا كان بمثابة محاولة لتجميع اكبر عدد ممكن من المسلمين اتقاء لاي شر يمكن ان يقوم به الصليبيون او من يتعاطف معهم من اهالي البلاد . وفيما بعد ، يقام احتفال اخر في ضواحي يافا ، لمدة عشرة أيام في ايلول (سبتمبر) ، ويدعى عيد النبي روبين . وفي غزة ايضا يقام تجمع احتفالي خارج المدينة . وفي شمال فلسطين يحتفل الدروز بعيد النبي شعيب في مكان ما قرب حطين ، التي انتصر فيها صلاح الدين على الصليبيين في ١١٨٧ . ولكن هناك العديد من المقامات او الاماكن المقدسة المحلية المنتشرة فوق ارض فلسطين . انها مقامات لانبياء واولياء وشيوخ او رجال عظام . تمتد من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب . ويدعى كل منها بأسم مزار « مشهد » ، قبر ، قبة ، مقام او ولي . فعلى سبيل المثال ، يوجد في اريحا مقام يعرف باسم مقام سيدنا علي . وقرب نابلس يوجد مقام الشيخ نبي بيلان ، وعلى جبل جرزيم جنوبي نابلس يوجد مقام باسم الولي ابو اسماعيل ، وعلى جبل الكرمل كان يوجد حرش مقدس بأسم شجرة الاربعين وضريح بأسم قبر المجدوبي ، وفي قرية المشهد (قديما جات — هيفر) الواقعة بين الرينه وصفوريه الى الشمال الغربي من الناصرة ، كان

يوجد ، كما يقول دالمان ، ضريح للنبي يونس ، الذي له علاقة وثيقة بالتقاليد الاسلامية ، وفي صفد ، في الشمال ، كان يوجد مقام مقدس جدا لدى اهالي المناطق المجاورة يسمى مقام الشيخ ابو قميص ، واخر يسمى مقام الشيخ حديد ، وعلى الشاطيء الشمالي لبحيرة طبرية كان يوجد مقام الشيخ علي الصياد . ولمزيد من التفاصيل على القارىء ان يراجع **موسوعة الدين والاخلاق** ، المجلد ١١ ، ص ٧٨ ـ ٨٢ . يوجد أيضا أضرحة لعدد من الشخصيات الاسلامية التاريخية منتشرة في اماكن عدة من البلاد ، فعلى سبيل المثال ، تشتهر العقبة (ايلات) او ايلة بالعربية الفصحى ، بانه يوجد فيها قبر محمد بن الحنفية ، احد ابناء علي ، كرم الله وجهه ، واحد المطالبين بالخلافة .

وهناك صلة وثيقة اخرى تربط ما بين فلسطين والمسلمين ، العرب منهم وغير العرب ، هي العائلات الاسلامية والعربية العريقة التي لا تزال تعيش في فلسطين ، او كانت تعيش في المناطق التي احتلها الاسرائيليون في العام ١٩٤٨ ثم نزحوا مع اهالي البلاد الذين اضطرهم الاحتلال الاسرائيلي لذلك . فعلى سبيل المثال ، يوجد عدد من العائلات التي ترجع نسبها الى الجراح والد القائد العربي الكبير عامر بن الجراح ، وفي القدس وجنين وصفد يوجد ، او كان يوجد ، عدد من العائلات التي تنحدر من بني مخزوم ، العشيرة التي انجبت خالد بن الوليد ، اعظم قائد عربي ظهر في فجر الاسلام ، والتميميون ، سلالة تميم الداري ، احد صحابة الرسول ، لا يزالون منتشرين في الخليل ونابلس وبئر السبع .

ان هذا العرض السريع لمدى قدسية فلسطين بالنسبة للمسلمين يظهر ان الاصول العربية والاسلامية مثبتة بقوة في هذه البلاد ، فالحكم العربي الذي دام ٩٠٠ سنة ، وما تبعه من حكم اسلامي لحوالي ٤٠٠ سنة ، والذي لم يكن خلاله تقريبا اي وجود ديني او غير ديني لليهود ، ولا للصهيونيين ، لا يمكن مسحه بضربة قلم او تجاهله بشكل اعتباطي . ويجب مقابلة هذه الفترة الطويلة من الحكم المتصل والموحد التي دامت حوالي ١٣٠٠ سنة بفترة الحكم اليهودي الموحد والحقيقي والتي دامت ٧٣ سنة فقط ، انهار بعدها العهد الملكي العبري الموحد ، وانشطر الى مملكتين متنازعتين متحاربتين ، هما مملكة اسرائيل التي دامت حتى ٧٢٢ ق. م. ويهودا التي استمرت حتى ٥٨٧ ق. م. (موشيه منوحين ، **انحلال اليهودية في عصرنا** ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٨) . واذا كان الصهيونيون يدعون أن فلسطين بلادهم على أساس من العاطفة الدينية التي تعود الى الفي سنة ، فللعرب وللمسلمين في فلسطين مطلب اقوى . من الطبيعي انه لامر غير ذي جدوى تقديم اية وجهة نظر مقنعة لصالح العرب والمسلمين في وقت يسيطر فيه حكم « الحق هو القوة » ، حتى رغم وجود الامم المتحدة التي تعتبر ان سبب وجودها هو صيانة الحقوق الشرعية وتسوية النزاعات بالطرق السلمية العادلة . وكأنني بتيودور هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية ، يتحدث بأسم عرب فلسطين ، عندما قال : « في البلاد التي ما زلنا نعيش فيها منذ قرون وصمنا بأننا دخلاء ، غالبا من قبل اولئك الذين لم يكد اجدادهم يستقرون في البلاد التي سيم فيها اجدادنا مختلف صنوف العذاب . ان الاغلبية هي وحدها التي تقرر من هو الدخيل ، فالامر يعود الى **القوة** كما هو الحال في العلاقات بين الامم ... وفي الظروف الحالية للعالم وربما لامد طويل في المستقبل ستظل القوة هي الحق . لذلك ، لن نجني أية فائدة من ان نصبح وطنيين متحمسين في البلاد التي نحن فيها ، كما كان الهوجونوت ، الذين ارغموا على النزوح ، اننا نريد فقط لو نترك لوحدنا بسلام ... (اسرائيل كوهين ، **تيودور هرتزل** ، نيويورك ، ١٩٥٩ ، ص ٩٢) . بلى ، لو كان لدى عرب فلسطين القوة الكافية لتحدي وقهر وعد بلفور ، كما فعل القوميون الاتراك بقيادة مصطفى كمال عندما تمكنوا ، بالقوة العسكرية المجردة ، من الغاء معاهدات غير عادلة ، فان اسرائيل لم تكن قد عرفت النور ابدا . وقد قال هرتزل : القوة هي الحق . وهو صادق .

مراجعات

الدكتور محمد احمد صقر ، التجارة الخارجية لاسرائيل : حجمها ــ تركيبها ــ اتجاهاتها ــ وسياستها
(بيروت وعمان ، مؤسسة الرسالة ومكتبة الاقصى ، ١٩٧١) .

برز الى مجال المعرفة العلمية بتأسس وتطورات الكيان الصهيوني بقطاعاته المختلفة كتاب الدكتور محمد احمد صقر متعرضا لجانب حيوي من اقتصاديات اسرائيل وهو التجارة الخارجية لاسرائيل التي تمثل المدخل الرئيسي لنمو الاقتصاد بمختلف قطاعاته . وبدوافع الاهتمام الذاتي بمتابعة المعرفة باسرائيل ، تام الدكتور صقر باختيار هذا الموضوع وتقديمه الى الجامعة الاردنية للحصول على لقب الاستاذية في الاقتصاد ، والذي انتهى به الى رئاسة قسم الاقتصاد في كلية التجارة والاقتصاد في الجامعة الاردنية . ويتكون البحث من خمسة فصول استوعبت ٢٠٠ صفحة بالاضافة لمجموعة ملحوظة من الجداول الاحصائية بلغ عددها ٢٧ جدولا . واستعان الباحث بـ ١١٠ مراجع علمية معظمها من المصادر الاسرائيلية الرسمية التي تصدر عن دائرة الاحصاء المركزية وبنك اسرائيل (المركزي) بالاضافة لمراجع الامم المتحدة .

سنقوم باستعراض سريع لاهم المعلومات الواردة في الفصول الخمسة نتبعها باجراء تقييم للكتاب .

يتعرض الفصل الاول الى « نظرة شاملة على ميزان المدفوعات » ويلقي هذا الفصل الضوء على اهمية الاستيراد من السلع والخدمات في تحقيق العديد من المنجزات الاقتصادية في ميدان الاستثمار والاستهلاك والانفاق الحكومي في وقت واحد والتي لم تكن لتتحقق بدون ذلك الاستيراد . كما يسجل البحث ان الصادرات من السلع والخدمات قد سجلت نموا ملحوظا وبمعدل اسرع من معدل نمو الواردات من السلع والخدمات ، ورغم ذلك يسجل الباحث استمرار تفوق الواردات على الصادرات ويبين ان العجز كان السمة البارزة لكل عام من الاعوام العشرين التي تغطيها دراسته ، واتجاه الرقم المطلق للعجز عموما الى الزيادة .

ومن الملاحظات الهامة على بند التحويلات بدون مقابل في ميزان المدفوعات الاسرائيلي ان هناك حدا ادنى للتحويلات من جانب واحد بلغ ما قيمته ٥٠ مليون دولار سنويا ، وكون مدى الزيادة في بند التحويلات اكبر بكثير من مدى الهبوط ، وذلك يكشف عن مدى المرونة ودرجة الحصانة التي تتمتع بها اسرائيل لمواجهة الطوارىء السياسية والعسكرية ومضاعفاتها الاقتصادية . كما يبين البحث بأن التبرعات من الولايات المتحدة يقع عبؤها الاساسي على المجتمع الامريكي متمثلا في انقاص خدمات الحكومة للمجتمع على شكل طرق ومستشفيات ومدارس ، وذلك لان التحويلات في الغالب تتم من ذوي الدخل المرتفع التي تفرض على شرائح دخولهم العليا ضريبة ٨٠٪ بينما تعفى التحويلات لاسرائيل من هذه الضريبة . كما يحلل البحث اسباب حرص السلطات الاسرائيلية على الاحتفاظ باحتياطي كبير من العملات الاجنبية .

وفي الفصل الثاني يتعرض البحث الى « التجارة الخارجية لاسرائيل ــ حجمها وتركيبها » نيبين في البداية اهمية التجارة الخارجية للاقتصاد الاسرائيلي من خلال المؤشرات الاقتصادية المختلفة، ويقوم بتحليل اتجاهات الصادرات والمستوردات وهياكلها والاهمية النسبية لمختلف بنودها . ومن اهم ما يذكره البحث ان معدل النمو في الواردات غير السلعية خاصة الواردات العسكرية وخدمات ديون اسرائيل الخارجية كان اكبر من معدل النمو في الواردات السلعية بين ١٩٤٩ ــ ١٩٦٨ .

كما يبين ارتفاع نسبة الصادرات من الخدمات في اجمالي الصادرات ، حيث اتجهت هذه النسبة من

٣٦٬٧ ٪ خلال عام ١٩٤٩ الى ٤٩٬٣ ٪ خلال عام ١٩٦٨ ، وتتركز بنود النمو في صادرات الخدمات في السياحة والنقل الخارجي وتصدير الخبرات الفنية الى الدول الافريقية. ويلاحظ اتجاه الواردات للزيادة رغم اجراءات الحكومة للحد من آثار التخفيض في قيمة الليرة الاسرائيلية خلال عام ١٩٦٧ مما ادى الى تسجيل ميزان السلع والخدمات خلال عام ١٩٦٨ لاسوأ عجز متحقق في اي سنة خلال الفترة ١٩٤٩ — ١٩٦٧ ، حيث سجل هذا العجز ما قيمته ٥٣١٬٥ مليون دولار . ويلاحظ الباحث انه رغم التنوع الذي تحقق في الصادرات الاسرائيلية ، الا انه لا يتفق واعتبارات القيمة المضافة ، وبالتالي لم يكن هذا التبدل كله في صالح اسرائيل كما يلاحظ عدم تراجع الاهمية النسبية للواردات من السلع الاستثمارية نظرا لعدم استطاعة اسرائيل حتى الان تطوير الصناعة المحلية البديلة للمستوردات من العدد والالات الى درجة كافية نظرا لضيق السوق المحلي الذي يؤثر بدوره في ارتفاع تكاليف الانتاج ، ولكون اسرائيل بلدا يرتفع فيه معدل الاجور مما يضاعف من مشكلة ارتفاع التكاليف كما يتجه الاقتصاد الاسرائيلي مع الزمن الى انتاج سلع ترتفع فيها درجة كثافة المدخلات الاجنبية المستوردة .

اما الفصل الثالث فيتعرض الى « التوزيع الجغرافي للصادرات والواردات الاسرائيلية » وفيه يقوم بتحليل اتجاهات الصادرات والواردات الجغرافية مع مختلف المناطق والتكتلات الاقتصادية العالمية وتطورات اهميتها النسبية وعوامل نموها وتراجعها مع هذه المناطق . ومن اهم ما يذكره الباحث في هذا الفصل اسباب عدم اهتمام اسرائيل بمنطقة التجارة الحرة الاوروبية (EFTA)رغم اهميتها لاسرائيل ، وتنصب هذه الاسباب على كون الدول الاسكندنافية ذات معدلات جمركية منخفضة مما لا يفيد تحريرها للتجارة مع اسرائيل ، وكون دول المنطقة صناعية وتحرير التجارة فيما بينها لن يضر الحمضيات الاسرائيلية ، وباختصار لا ترى اسرائيل في قيام(EFTA) اي خطر على صادراتها . كما يسجل البحث اتجاهات تجارة اسرائيل المتنامية مع افريقيا خاصة بعد حرب عام ١٩٥٦ وتشغيل ميناء ايلات ، فقد كان عامل ارتفاع تكاليف النقل وازدواجها من والى افريقيا اهم عامل يفسر انحسار التجارة الاسرائيلية مع افريقيا قبل عام ١٩٥٧ . وبالنسبة لدور الاتفاقيات التجارية في تجارة اسرائيل الخارجية يلاحظ الباحث انها لعبت دورا رئيسيا في تشجيع الصادرات وتصاعد دور هذه الاتفاقيات حتى سجلت خلال عام ١٩٥٥ اعلى مستوى مسجلة ما نسبته ٤١ ٪ للصادرات وما نسبته ١٩٪ للواردات، بينما انحسر دورها ١٩٦٨ فسجلت الصادرات عن طريق هذه الاتفاقيات ما نسبته ٣ ٪ من اجمالي الصادرات ، وسجلت الواردات ما نسبته ٢٪ من اجمالي الواردات .

وفي الفصل الرابع يتعرض البحث الى « سياسات تقييد الواردات وتشجيع الصادرات » فيتعرض الى التقلبات المختلفة التي سجلتها قيمة الليرة الاسرائيلية ، وآثارها الاقتصادية ويحلل مختلف الاساليب والمؤسسات التي أنشئت ووضعت لتشجيع الصادرات . ويسجل البحث انخفاض قيمة الليرة بما يعادل ١٤٢٠ ٪ خلال اقل من عشرين عاما ، واصبحت قيمة الليرة الاسرائيلية مع تخفيض عام ١٩٧١ ما يعادل ٤٬٥ ليرة للدولار بدلا من ٠٬٢٤٨ ليرة للدولار خلال عام ١٩٤٩ . ويتعرض لدور وزارة الخارجية واجهزتها الاقتصادية ومرونة اتصالاتها ، حيث يوجد لدى وزارة الخارجية دائرة تسمى « دائرة الشؤون الاقتصادية » ، ويتم تعيين القناصل والملحقين التجاريين من قبل لجنة تضم ممثلين من كبار موظفي وزارة الخارجية ووزارة التجارة والصناعة والمالية ، ويتصل الممثلون الاقتصاديون في الخارج بوزارة الصناعة والتجارة بدون عوائق .

ومن اهم مؤسسات تشجيع الصادرات الاسرائيلية الشركة الحكومية المسماة « الشركة الاسرائيلية للتأمين ضد اخطار التجارة الخارجية » ويبلغ رأسمالها مليون ليرة اسرائيلية من الحكومة ، وتتمتع بضمان من الخزينة الاسرائيلية ضد الاخطار في حدود ٢٠٠ مليون ليرة ، واستحدثت هذه الشركة ضمن حملة لتشجيع الصادرات والقفز بها في اواخر الخمسينات ، وتغطي الشركة ٨٥ ٪ من اخطار التجارة الخارجية التجارية و٩٥ ٪ من الاخطار السياسية ، ويختلف رسم التأمين حسب البلد المستورد ونوع السلعة ومدة القرض.

اما الفصل الخامس فيتعرض الى « تلخيص البحث ونظرة على فكرة الاستقلال الاقتصادي لاسرائيل ». فيتعرض لمختلف المقاييس للاستقلال الاقتصادي وامكانيات الاقتصاد في الاستغناء عن المساعدات الخارجية ، ويحلل امكانيات اقامة الصناعة البديلة

للمستوردات بهدف تحقيق نوع من الاستقلال الاقتصادي وما شاكل ذلك . ومن اهم ما يبينه البحث في هذا الفصل انه على الرغم من حدوث تغيير هيكلي في المستوردات بانخفاض نصيب الواردات الاستهلاكية من الواردات الكلية ، الا ان ذلك كان على نطاق محدود ، حيث ان نسبة الواردات من السلع الاستثمارية ظلت نسبة ثابتة تقريبا ، وهذا يعني ان اسرائيل لا تستطيع ضمن معطيات سوقها الضيق ان تنتج العدد والالات الثقيلة لتحل محل الواردات . وهنا يذكر الباحث ادراك اسرائيل لاهمية الاسواق العربية في تذليل اهم مشاكل اقامة الصناعات الاحلالية والمرتبطة بحجم السوق الضيق لاسرائيل ، وذلك عامل حاسم في اشتهاء اسرائيل لتحقيق تعامل طبيعي منتظم مع الاسواق العربية ، ثم ظهر اتجاه آخر بتزايد نسبة الواردات من المواد الخام التي اخذت تتزايد بسرعة مما يدل على ضعف اسرائيل الحالي في الموارد الطبيعية .

والحقيقة الهامة حول نمو الصادرات الاسرائيلية انه على الرغم من تمكنها من التوغل في الاسواق الخارجية فان الصناعات التصديرية لازالت تحظى برعاية ومساعدة حكومية كبيرة قلما تحظى بها صناعة في اي دولة اخرى ، وتكلف الخزينة مبالغ كبيرة ، ولكن قدرة اسرائيل على الحصول على رأس المال الاجنبي عن طريق الهبات والمنح والتعويضات والقروض يمكن الدولة من الدعم .

اما المزايا الرئيسية لهذا البحث فتتركز في تحليله للعديد من الجوانب الحيوية في تجارة اسرائيل الخارجية والتي تركزت في النقاط التالية : — ١ — تحليل بنود ميزان المدفوعات وتقديمها كمادة خام مفيدة لمتابعة تأثير التطورات السياسية والعسكرية الاسرائيلية على الاقتصاد الاسرائيلي . ٢ — استعمال ادوات التحليل الاقتصادي في تحليل اتجاهات وتطورات التجارة الخارجية لاسرائيل ، وبصفة خاصة استخدام التحليل الكينزي مما اكسب البحث عمقا علميا واضحا . ٣ — ربط التطورات في اتجاهات الصادرات والواردات السلعية والجغرافية بالتطورات في هيكل الاقتصاد الاسرائيلي، وتحليل اسباب تلك التطورات والاتجاهات بصورة مركزة . وتحليل اسباب نجاح التجارة الاسرائيلية في غزو العديد من الاسواق العالمية . ٤ — تحليل شامل لمختلف اساليب ومؤسسات دعم وتشجيع الصادرات الاسرائيلية . ٥ — تحليل لمنجزات فكرة الاستقلال الاقتصادي لاسرائيل واحتمالات تحقيقها. ٦ — اشارة لاهمية الاسواق العربية لاهداف نمو التجارة الخارجية الاسرائيلية .

ولنا بعض الملاحظات التي نعتقد بضرورة التعرض لها والتي لم يغطها البحث التغطية الكافية وتتركز فيما يلي : ١ — اتفاقية التفضيل التجاري التي وقعت بين اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة في شباط (فبراير) ١٩٧٠ حيث مر الباحث بها مرورا عابرا وسريعا . ٢ — عدم التعرض لتجارة اسرائيل مع المناطق العربية المحتلة واهميتها لتجارة اسرائيل ، رغم ان الدراسة تمتد لعام ١٩٦٨ . ٣ — عدم تحليله لاتجاهات شروط التبادل التجاري لاسرائيل مع العالم ومعرفة ما اذا كانت تتجه لصالح او في غير صالح اسرائيل . ٤ — يذكر البحث ان الاسواق العربية هي الاسواق الطبيعية للمنتجات الاسرائيلية ، واود ان اشير بأن هذا القول يمكن ان يصح في المدى الطويل وليس في المدى القصير — اذا ما افترضنا نظريا ولاغراض الدراسة قيام علاقات تجارية عربية اسرائيلية — وبعد الدخول في علاقات اقتصادية وتجارية لفترة زمنية طويلة مع الدول العربية ، وقد توصلت في بحثي عن اثر المقاطعة العربية على الاقتصاد الاسرائيلي الى انه في البداية (لدى فرض قيام علاقات اسرائيلية — عربية) يمكن ان يتجه للاسواق العربية ما نسبته ١٣٪ فقط من صادرات اسرائيل وذلك لان ٨٠ ٪ من صادرات اسرائيل يتجه للاسواق الاوروبية والامريكية . ويمكن ان ترتفع النسبة المذكورة اعلاه في المدى الطويل . ٥ — لم يتعرض البحث لاثر التحول في تجارة اسرائيل الخارجية الذي فرضته المقاطعة الاقتصادية العربية على تجارة اسرائيل الخارجية ومشاكلها . وفي الختام لا بد من الاشادة بهذا الجهد العلمي المشكور للدكتور صقر الذي انجز هذا البحث القيم من موقع ريادي في عالم الفكر الاقتصادي ، واخرجه بعد صبر مثابر الى حيز التنفيذ ، وانني انتهزها فرصة لدعوة الباحثين المتخصصين في متابعة اقتصاديات العدو الصهيوني الى ضرورة توجيه هذه الدراسات لخدمة اهداف النمو الاقتصادي العربي التي تهددها تطلعات نمو الاقتصاد الاسرائيلي وتركيز الدراسات المقارنة بين الاقتصادين العربي والاسرائيلي ووسائل زيادة احكام الحصار الاقتصادي العربي على الاقتصاد الصهيوني .

فؤاد حمدي بسيسو

J. Bowyer Bell, **The Myth of the Guerrilla: Revolutionary Theory and Practice.** (New York, Knopf, 1971).

ان هذا الكتاب « جاف » كما يستدل على ذلك لدى قراءتنا للجزء الثاني من عنوانه ، وحتى انه بعتبر بالنسبة للقراء من الفلسطينيين كتابا قاسيا ، ولكن كتبا كهذا هي التي يجب ان تكون موضع اهتمام في الاوقات العصيبة ، تماما كما ان المرء الذي يشعر بالبرودة لا يحصل على الدفء الحقيقي عن طريق حمام ساخن بل بحمام بارد . وبعد الفائض من الكتب الزائفة جدا عن حروب العصابات فان هذا الكتاب هو بمثابة دلو حقيقي مملوء بالماء البارد . و« الاسطورة » التي يشير اليها المؤلف — رغم انه كان من الادق لو انه استخدم كلمة دوجما — تتفرع الى ثلاثة عناصر : الاول ، هو ان حرب العصابات — اي حرب الرجل الذي يقاتل في الجبال — هي افضل سبيل امام الشعوب للتحرر من المحتلين الاجانب والزمر الحاكمة . والثاني ، هو ان حرب العصابات ستتمكن في النهاية من الالتحام مع « الجماهير » . والثالث ، هو ان تحقيق النصر أمر حتمي من خلال حرب العصابات الملتحمة مع الجماهير ، وهو حتمي لان قضية التحرير الوطني قضية عادلة ، والعدالة ، لكونها عدالة ، يجب ان تكون لها الهيمنة وايضا لانه لا يمكن الوقوف في وجه قوة اندفاع « الجماهير » .

في القسم الاول من الكتاب يعمد المؤلف الى نقد هذه الاساطير او المبادىء الدوجماتية . وهذه بحد ذاتها ليست مهمة شاقة لان القول بأن بعض الدول نالت استقلالها بأساليب سوى حرب العصابات ، عن طريق العصيان المدني ، على سبيل مثال ، وبانه لا يمكن دائما تحريك «الجماهير» وبأن قضية العدالة لا تنتصر دائما سواء اندفعت حرب العصابات والجماهير ام لم تندفع ، أمور لا تتطلب معرفة متعمقة في التاريخ . ووجهة النظر المعروضة في هذا الباب من الكتاب مترابطة وواضحة ومتوازنة ، واذا ما خطر لاحد بأنها جديدة ، فذلك لان المحللين السياسيين وقعوا مؤخرا في العادة السيئة بالاعجاب برجال العصابات بدلا من تقييمهم — وبكلام آخر ، اصبح « رجال العصابات » كـ « الجماهير » آخر موضة .

وفي الجزء الثاني من الكتاب ، يقوم بوير بيل ، في محاولة لتثبيت صحة تحليله النظري ، بعرض ثلاثة امثلة عن فشل حرب العصابات ، مع شيء من التفصيل . وهذه الامثلة هي حروب التحرير الشعبية ضد الانظمة العنصرية البيضاء في افريقيه الجنوبية ، وحركة تشي جيفارا التي لم تكلل بالظفر في بوليفيه ، و« حرب الفدائيين الفلسطينيين » الذين يسخر من ايمانهم بأنهم يسيرون « على طريق النصر الاكيد والحتمي » . ولسوء الحظ فان هذا القسم تاريخي اكثر منه تحليلي مع اننا كنا نود لو انه كان العكس ، وذلك لان عرض المؤلف للتاريخ الفلسطيني يتميز بجهل فاضح وتحيز واضح ، فمثلا يقول بأن المقاومة الفلسطينية بدأت في العشرينات ، مع انها بدأت قبل ذلك بحوالي خمسين سنة ، ولكن هل يحق لنا ان نلوم اي كاتب غير عربي لجهله بحقائق تاريخ النضال الفلسطيني خلال التسعين سنة الاخيرة عندما لم يكلف اي شخص من الستين الف جامعي فلسطيني منذ ١٩٤٧ نفسه عناء كتابة تاريخ بلاده — بالعربية او بأية لغة اخرى ؟ ولكن رغم جهل بوير بيل بالتاريخ نرى انه توصل الى تقييم صحيح لحركة الفدائيين — وهو انها ، في فترة من الزمن ، كانت الاستجابة الوحيدة الممكنة والامينة والشجاعة التي رد بها الفلسطينيون على التحدي الذي واجههم . ثم يشرح بكل وضوح واقناع لماذا اضطر الفلسطينيون الى حمل السلاح، ولكن المؤلف لا ينجح تماما عندما يشرع في تحليل اخفاق حركة الفدائيين ، وذلك لان هذا الفصل عن الفلسطينيين كتب مباشرة بعد مجزرة أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، وهذه بكل تأكيد ليست الفترة المناسبة لتقييم حركة المقاومة ، ولكن المؤلف كان عند هذا الحد قد قرر بأن الفدائيين قد حققوا مكاسب سياسية لا يستهان بها على الصعيدين العربي والدولي ، ولكنهم اخفقوا على الصعيد العسكري ضد اسرائيل . وهنا يتساءل المرء عما اذا كان المؤلف يتوصل الى هذا الاستنتاج المتشائم نفسه لو انه كان كتب كتابه في فترة اخرى من تاريخ المقاومة . ثم ان تحليله « لاخفاق » المقاومة عسكريا سطحي ، لان هذا التحليل لا يتعدى ذكر سببين لهذا « الاخفاق » وهما : الازمة المزمنة لعدم توحيد كافة فصائل حركة المقاومة ، وخداع النفس بالبلاغات العسكرية المبالغ بها والتي تخفي وراءها حقيقة (وهي متواضعة جدا) النشاط العسكري من قادة

الفدائيين انفسهم . كما ان بوير بيل يقع ضحية التباس لفظي ، فهو لا يميز بين نوعين من المقاتلين : رجال العصابات الذين يتمركزون ويعملون **خلف** خطوط العدو ، والفدائيين الذين يتمركزون بعيدا عن خطوط العدو وينفذون عملياتهم من نوع اضرب واهرب في **قلب** هذه الخطوط . والالتباس في التفكير والتحليل الذي يؤدي اليه غياب هذا التعريف يتضح من خلال الاسطر التالية (ص ٢٠١) : « ومع هذا ، رغم الاعجاب الظاهر بالمقاومة في الضفة الغربية ركزت حركة الفدائيين على خط حرب العصابات بدلا من العصيان المدني او العمليات الارهابية المتفرقة . وبالنسبة للفلسطينيين فان البطل الحقيقي هو ذلك الفدائي الكامن في الجبال بزيه المموه ورشيشه من طراز أ.ك — ٤٧ ، وعملياته من نوع اضرب واهرب ، ولكن هناك عددا قليلا من الفدائيين في الجبال ، ولم يكن عددهم كثيرا في اي وقت من الاوقات » .

واول ما يمكن اثارته هو ان تعبير خط حرب العصابات ينم عن جهل بالحقيقة ، ويجب استبداله بتعبير « خط عمل الكوماندوز » ، وهنا أود أن أشير الى أن الدكتور هشام شرابي ، في احدى كتاباته عن « العصابات الفلسطينية » قد وقع في هذا الالتباس عندما استخدم اكثر من مرة تعبير « العصابات » وهو في الحقيقة يريد ان يقول « الكوماندوز » . لذلك فانه عندما يكون هناك التباس في التعابير ، وبالتالي في المعاني والافكار ، فان ذلك من شأنه ان يجعل التحليل اقل وضوحا دون ان يكون مضللا . الا انني اظن بأن استخدام « العصابات » عوضا عن « الكوماندوز » في كثير من الاحيان يرجع الى ان للاولى دلالات اكثر اجلالا ورومانسية ، وايضا ربما لان استخدام تعبير « العصابات » كثيرا من شأنه ان يخفي الحقيقة المثبطة للعزائم بأن هناك القليل من العصابات في الجبال ، كما أن عددهم لم يكن كثيرا في اي وقت من الاوقات . وبالاضافة لما سبق ، لا يسعني الا ان اعرب عن الاسف لاستخدام تعبير « فدائيين » وذلك لان للدقة المتناهية اهميتها القصوى في الامور العسكرية ، وهذا التعبير ليس فقط مبهما وغير دقيق ، بل انه عبارة عن شعار عاطفي . وعلى حد علمي ايضا فان لكلمتي « عصابات » و« كوماندوز » مرادفات دقيقة في العبرية ، ولا تخلو العربية من ذلك .

وفي الفصل الاخير يسير بوير بيل على خطين فكريين متناقضين ، فنراه يكرر ويلخص رأيه عن فشل الامثلة الثلاثة التي أوردها ، ومن ثم يصدر الحكم القاسي التالي على المقاومة الفلسطينية : «لقد نجح الفدائيون فقط في زيادة قلوب الاسرائيليين قسوة ودفعوهم الى تحسين وسائلهم الدفاعية ، كما انهم حددوا من خياراتهم الاستراتيجية لدرجة اصبحوا معها غير قادرين على تأمين حتى نصف ما يريدون . ولم يكن خيار حرب العصابات بالنسبة للفلسطينيين افضل خيار ، او الخيار الاخير ، بل أسوأ خيار ، وكذلك بالنسبة للفدائيين الذين كرسوا انفسهم لازالة اسرائيل لم يكن ذلك بالضرورة افضل خيار ، وذلك على اعتبار ان هذا الخيار طرح وسائل الارهاب لحل القضايا الداخلية والمزج بين العمل الديبلوماسي والعنف لتحقيق اقصى ما يمكن من التأثير . ولم يكن اعتماد خيار حرب العصابات نتيجة تخطيط ودراية استراتيجية بل نتيجة لليأس.» ان هذا الحكم الذي يجمع العمل المباشر والخيارات اللاعنفية يناقض ما يقوله بوير نفسه في مكان سابق من ان الفلسطينيين اضطروا الى اللجوء الى العمل المباشر كخيار وحيد وأخير . وما يخفق المؤلف في ايضاحه هنا هو انه كان امام الفلسطينيين **انواع** مختلفة من العمل **المباشر** ولكنهم اختاروا التركيز أولا ولفترة وجيزة على حرب العصابات ومن ثم على عمل الكوماندوز بشكل رئيسي ودون استثناء تقريبا . وبسبب عدم ترابط افكار المؤلف لا يمكننا ان نتوقع منه تعدادا دقيقا وشاملا لخيارات العمل المباشر التي واجهها الفلسطينيون ولا يزالون ، وهي : العصيان المدني على الصعيدين الفردي والجماعي ، والتخريب الصناعي ، والارهاب الشخصي وغير الشخصي ، وحرب العصابات (جميع هذه الاشكال تحدث داخل اراضي العدو)، واخيرا عمل الكوماندوز من الخارج .

وعلى اي حال ، بعد هذا التلخيص الذي من شأنه تحطيم المعنويات ، يعمد المؤلف الى تقديم تكهن يبعث على التفاؤل بالنسبة لاثار العمل الفدائي في المستقبل : وهو انه يمكن ان لا ينجم عن العمل الفدائي الكثير على اساس المكاسب الاقليمية الملموسة ، ولكنه على يقين بأن هذا العمل احدث تحولا في الشعب الفلسطيني ككل ، بأن جعل مصيرهم بأيديهم ، وفرديا ، ولو لفترة وجيزة ، بأن فسح المجال امام كل منهم « ليعيش كانسان » .

ج. هـ. جانسن

Lucien Cavro-Demars, **Le défi Israelien** (Beyrouth, 1971).
La honte Sioniste (Beyrouth, 1972).

لوسيان كافرو — ديمارس ، مهندس بناء فرنسي ، عاش في الشرق العربي فترة من الزمن ، واصدر في بيروت كتابين مناهضين للصهيونية باللغة الفرنسية هما « التحدي الاسرائيلي » (٥ حزيران ١٩٧١) و« العار الصهيوني » (٢١ كانون الثاني ١٩٧٢) . ونحوى الكتابين لا يجعل لهما اهمية خطيرة في الادب السياسي الذي يتناول الصهيونية وفلسطين . ذلك ان معظم الاجواء التي يدور فيها الكاتب قد طرقت من قبل عبر الكتابات التي أرادت ان ترى العالم من خلال « بروتوكولات حكماء صهيون » . وقد كان يمكن لكافرو — ديمارس ان يكتب الكثير في هذا الاتجاه ، وضمن هذا المنظور ، دون ان يرى احد حاجة الى مناقشة المفاهيم التي يطرحها ، خاصة وان ابداء الرأي حق لا يناقش مطلقا ، وان الصهيونية العالمية اصبحت من الامتداد والنشاط في العالم ، ما يجعل اهتمام رجل فرنسي بالتصدي لها ، أمرا طبيعيا ، يجب ان يرحب به العرب كظاهرة صحية مطلوبة .

لكن تكريم كافرو — ديمارس ، على كتابيه المذكورين بالذات ، كما جرى في بيروت ، يطرح على الضمير العربي مسألة للتأمل : فحيال مؤيدي الحق العربي ، المناهضين للباطل الاسرائيلي ، الذين قد نختلف معهم في دوافع العداء للصهيونية ، وفي النظرة اليها ، ماذا يمكن ان يكون موقفنا ؟ هل نرفض مساهمتهم في محاربة الصهيونية ، ونتحمل ما في هذه « الدكتاتورية » الفكرية او العقائدية من سلبيات قد تقودنا في العالم الخارجي الى العزلة ، وفي العالم العربي الى المزيد من التشرذم الفكري بعد التشرذم السياسي ؟ او هل نتبنى هذه المساهمة ، ونكافئها وندعمها ماديا رغم موقفنا الفكري منها ، فنتحمل ما في هذه « الانتهازية » الفكرية من سلبيات الالتباس الاعلامي في العالم ، بالاضافة الى سلبيات المساهمة نفسها ؟

ان موقفا بين هذا وذاك يبدو ضروريا . واذا امكن تخيل هذا الحل فهو يقضي : بألا نعتبر انفسنا مسؤولين عن رأي الكرة الارضية بالصهيونية ، فنشهر سيوفنا العقائدية في وجه كل من يخالف نظرتنا اليها ، وبألا نجعل المساهمة الخارجية في مواجهة الصهيونية قيدا يحول دوننا ومناقشة كل ما يطرح من افكار وتحليلات تتناول الصهيونية او القضية الفلسطينية . على هذا يمكن استعراض بعض نماذج المنهج الفكري الذي ينهجه كافرو — ديمارس في كتابيه اللذين سبق ذكرهما ، على ان مناقشة هذه النماذج لن تتمكن دائما من تلافي تكرار بعض البديهيات التي يناقضها منهج كافرو — ديمارس الفكري .

من هذه النماذج ان الكاتب المذكور يسمي الدولار « عملة صهيونية » . وهو لاثبات ذلك ينبش تاريخ اسم الدولار ، ثم يضيف اليه ان الرسم الذي يرمز به الى الدولار يتكون من حرف S (الحرف الاول من كلمة صهيون) مقرونا بخطين عموديين (هما في رأي كافرو — ديمارس عمودا هيكل سليمان) وهذان الخطان هما اشارة يتكرر ورودها لدى الماسونيين . ويقول الكاتب ان الصهيونية والماسونية فرضتا الدولار على ٣١٥ مليون نسمة ، فجعلتاه عملتها . (ويعدد الدول التي تعتمد اسم الدولار لتسمية عملتها ، ومنها كندا واوستراليا والحبشة وتايوان) . ومثل هذه النظرة الى الدولار تنم عن منهج فكري « مثالي » يضع رمز الشيء في مرتبة اعلى من واقعه وحقيقته . وحقيقة الدولار ، كحقيقة البندقية ، هي انه أداة ، في الامكان استخدامها في الاغراض الخيرة ، وفي الاغراض الشريرة بالسهولة ذاتها . اما الذي يجعل الدولار اليوم عنوانا للشر ، فهو انه عملة الدولة التي تستعمر العالم الثالث في معظمه . ولو ازيلت عن الدولار شارات « صهيونيته » لما تغير الواقع الاستعماري الاميركي ، ولو نقشت على الدولار نجمة داود نفسها لما ازداد هذا الواقع سوءا . ان الرمز لا يحل محل الواقع الموضوعي للاشياء . ولو كان القصد هو القاء الضوء على اصل تسمية الدولار ، ومدى اهتمام اليهود بالشؤون المالية وانصرافهم اليها ، لكان الامر طبيعيا . غير ان مثل هذه الحجج مشكوك في صحتها وفعاليتها ، اذا كان القصد منها التوعية بحقيقة الاستعمار وحقيقة الصهيونية. ويرى كافرو — ديمارس في التضخم المالي المزمن في العالم ، معالم مؤامرة صهيونية — ماسونية ، ينفذها اليهود الاشكيناريم في العالم . لكن العلم

يناقض هذا التأكيد ، ويقول ان التضخم المالي يعود الى اتساع نطاق وحجم الحركة في التجارة العالمية ، مما ادى الى طرح كميات كبيرة جدا من العملات في التداول ، دون ان يكون انتاج الذهب في العالم قد واكب زيادة العملات العالمية المطروحة لسد حاجات التجارة . وما دام هذا الاتجاه مستمرا ، فان التضخم المالي سوف يستمر ، بلا ادنى شك ، الا في حالة انشاء نظام يضع حدا لنظام مبادلة النقد بالذهب . ولا شك في ان ضمن الجماعات التي تمتهن المضاربة بالعملات في الاسواق العالمية لاستغلال الازمات المالية ، عدد كبير من المضاربين اليهود . وفي امكان المرء ان يلاحظ ان نسبة المضاربين اليهود اعلى منها عند باقي الطوائف ، من غير شك . ولهذا الواقع تفسير تاريخي معقول ، اورده كافرو — ديمارس نفسه . ويقول التفسير ان اليهود امتهنوا وتوارثوا الاعمال المصرفية منذ قرون ، لان الاسلام والمسيحية حرما الربى . واذا كانت النظريات الاقتصادية الاشتراكية ، قد حظرت الربى وحرية التلاعب بأسعار النقد ، واذا كان حتى بعض الدول الرأسمالية قد احس خطورة استمرار المضاربات في اسواق العملة العالمية ، فليس ذلك يعود الى ان نسبة كبيرة من المضاربين هم من اليهود ، بل الى ان اضرارا تنتج عن المضاربات وتصيب المصالح التي يهم الدول ان تحميها .

ويربط كافرو — ديمارس بين الصهيونية والماسونية من جهة والانغلو — ساكسون والبروتستانتية ، من جهة اخرى ، ويبدي عاطفة واضحة تجاه الانتماء اللاتيني والمذهب الكاثوليكي . لكن ذلك لا يمنعه من القول ان معظم رؤساء فرنسا خلال الجمهوريتين الثالثة (بعد نابليون الثالث) والرابعة (بعد الحرب العالمية الثانية) كانوا « ماسونيين » صهيونيين ، اسوة برؤساء امركا البروتستانت ، امثال لنكولن (او لين كوهين كما يقول كافرو ديمارس) وروزفلت (روزنفيلد) . وهؤلاء الرؤساء الماسونيون هم ، في نظر الكاتب ، مسؤولون عن الحروب التي ترمي الى « اغناء اقلية مميزة واعية تضم نسبة عالية من الاشكنازيم » . لكن ممارسة الحروب من اجل « اغناء اقلية مميزة » ، ليست سياسة اليهود كلهم ، ولا سياسة اليهود وحدهم ، بل هي سياسة تمارسها قوة عالمية معروفة جيدا اسمها « الاستعمار » . وانصار هذه القوة والمنتمون اليها ليسوا كلهم يهودا ، ولا صهيونيين ، بل ان منهم الكاثوليك والمسلمين والملحدين ، الى جانب البروتستانت واليهود . اما قادة هذه القوة فهم بلا ادنى شك ، وبموجب ابسط قوانين المنطق ، المستفيدون من هذه القوة في العالم . فهل صحيح ان زيارة نيكسون للصين ، وتوجيه الصناعة الاميركية الى الحرب ، هي امور من تنظيم الصهيونية . وهل صحيح ان الاثارة الاشكنازية الصهيونية هي في اصل التوتر بين الشرق والغرب ، وان نيكسون يسعى فعلا لانهاء الحروب في الشرق الاوسط والشرق الاقصى ؟

ان الصدام بين الشرق والغرب واقع بسبب سياسة الاستعمار واستغلال الشعوب ، والحرب في الشرق الاقصى وفي بقاع اخرى مستمرة لان القوة الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية (وهي الصناعات الكبرى) تستطيع بالحرب وحدها ان تستأثر بالجزء الاكبر من اموال الدولة ، فتتقاضاها مقابل صنع السلاح . والمسؤولون الحقيقيون عن الصدام بين الشرق والغرب ، وعن استمرار الحرب في العالم ، هم مستغلو الشعوب ، وهم اغنياء الحروب ، لا فرق في ذلك بين يهودي وبروتستانتي او بين كاثوليكي وملحد ، او بين مسلم وبوذي . وليس صحيحا على الاطلاق ان الرئيس الاميركي يسعى الى سلام تعرقله الصهيونية . فالعلوم السياسية والاقتصادية تحتم ان تكون سياسة الحرب هي سياسة الولايات المتحدة ، كائنا من كان رئيس الجمهورية الاميركي . وهو أمر لا يفرضه مزاج شخصي او قناعة فردية ، بل وضع تاريخي — اقتصادي — اجتماعي معين . وهذا الوضع الرأسمالي الصناعي — العسكري لا يعرقل السلام فقط بل يدفع دفعا الى الحرب . اما مقدار المشاركة الصهيونية في الاستفادة من هذا الوضع الاميركي ، وفي تركيزه وتطويره ، فهو أمر لا تحدده محافل ماسونية ، ولا مؤامرات ومخططات ، بل تحدده المصالح المالية والصناعية المشتركة .

وحديث كافرو — ديمارس عن « سلام » يسعى اليه نيكسون وتعرقله الصهيونية ، كحديثه عن « دزرائيلي » رئيس وزراء بريطانيا اليهودي ، الذي اعتبره مسؤولا عن احتلال قبرص ومصر ١٨٧٨ و١٨٨٢ . والواقع ان انجلترا كانت دولة استعمارية قبل دزرائيلي وظلت كذلك بعده ، ولم تخب استعماريتها عندما ترأس وزاراتها المسيحيون ، واحدا تلو الاخر . لقد كان في امكان

دزرائيلي ان يخدم سياسات خاصة ، ضمن المجرى العام للسياسة البريطانية الاستعمارية . لكن القاء كل التبعة على الصهيونية ، يخشى ان يؤدي في النهاية الى تبرئة الفصائل الضالعة الاخرى في المجموعة الاستعمارية ، او الى تحويل الانظار عن العملية الاساسية ، عملية الاستغلال والاستثمار والسيطرة .

ان مثل هذا التركيز غير المنهجي او العقلاني ، على الصهيونية دون غيرها ، كفيل بقلب الحقائق الموضوعية لقضية مثل قضية فلسطين . وليس غريبا اذا كان كافرو — ديمارس قد وصل ، بمثل هذا التركيز ، الى القول ان الانتداب الفرنسي والانجليزي قد فرضا في الشرق ، لشل الدول العربية عن الحركة ، عندما يبدأ الشروع في انشاء اسرائيل . في حين ان العلم ، في بديهياته ، يؤكد ان مساهمة القوى الغربية في انشاء اسرائيل كان هدفها الاخير تمكين الاستعمار من البقاء اطول مدة ممكنة في المنطقة .

ان الخطأ المنهجي في كتابي كافرو — ديمارس ، هو انه نبش التاريخ ليستخلص منه الدلائل التي تؤكد نظرية جاهزة في رأسه . فالاحداث المهمة في التاريخ ، كلها ترتبت داخل المحافل الماسونية وضمن دوائر اليهود الاشكنازيم . ونابليون الثالث وغاريبالدي وماك ماهون وكليمنصو ماسونيون . والثالث (ماك ماهون) ماسوني كبير اطلق اسمه في باريس على شارع متفرع من ساحة النجمة (نجمة داود) . والعثمانيون يهود مهتدون . ومع صهيونيتهم ، فقد تآمرت الماسونية عليهم لتفكيك امبراطوريتهم من اجل الاستيلاء على فلسطين . واخراج ديغول من الحكم في العام ١٩٤٦ تم بمؤامرة صهيونية كانت ضرورية للحصول على موافقة فرنسا على انشاء اسرائيل ، في العام ١٩٤٨ .

ولا ينسب كافرو — ديمارس الى الصهيونية هذا فقط ، بل يصل الى حد القول ان الثورة الفرنسية هي من صنعها ، وان حقوق الانسان ابان الحكم الملكي في القرن الثامن عشر كانت مصانة اكثر مما هي مصانة الان . ومثل هذا الكلام مقبول اذا قيل لفش الخلق . لكنه كلام مشكوك اولا في فعاليته الاعلامية في العالم ، ومشكوك ثانية في صحته العلمية . فالثورة الفرنسية ليست « مؤامرة » حتى تكون تفاصيلها ومسبباتها غامضة وغير مفهومة ، بل هي ظاهرة طبيعية يمكن ترجمتها الى معادلات لا تخطىء في علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة .

تلك بعض نماذج من كتابي كافرو — ديمارس ، اللذين يمكننا حيالهما ان نسترخي في احضان الانتهازية الفكرية ، فنصفق لهما رغم اعتراضاتنا على الكثير من محتوياتهما ، باعتبارهما قادرين (وهما قادران فعلا) على اقناع الكثيرين من الناس بالحق العربي والباطل الاسرائيلي . غير ان النزاهة الفكرية والامانة الايديولوجية تحتم علينا ان نضع الامور في نصابها . وهذا يقتضي عودة اخرى الى بعض البديهيات : ما هو السبب في عداء العرب للصهيونية والسبب في دعم الاستعمار العالمي لاسرائيل ؟ ان الجواب يكمن في اهداف الاستعمار والصهيونية . فالاستعمار يريد استغلال موارد العرب وطاقاتهم لصالحه ، واسرائيل تمكن الاستعمار من ابقاء العرب منقسمين . وهذه البديهيات تعني ان الهدف الاستراتيجي لمعركة التحرر العربية هو القضاء على الاستعمار في المنطقة العربية .

فاذا القى العرب التبعات على كاهل الصهيونية ، فان الاستعمار قادر تحت ظرف من الظروف ، ان يتخلى عن أداته الرئيسية في المنطقة اسرائيل ، ليعود الينا متخفيا بأداة جديدة . وليس من الحكمة في شيء ان يبذل الجهد العربي كله في مواجهة الاداة وان يبرىء الاستعمار من تهمة ... الاستعمار .

فكتور سحاب

Lorand Gaspard, **Palestine Anné 0,**
(Paris : Ed. Gaspar, 1970).

لاسباب عديدة في طليعتها سيطرة الصهيونية على حصة الاسد من وسائل صياغة الرأي العام الاوروبي والغربي عموما من جهة ، ولتقصير العرب المعنيين في اعلام الرأي العام العالمي بشكل منهجي ، سليم ، ومقبول على الاقل من قطاعاته الاكثر تفهما وتقدما من جهة اخرى ، فان الكتب التي « تشذ » عن الخط الاعلامي السائد المناصر لوجهة النظر الصهيونية نادرة ، ولهذا السبب بالذات ، ثمينة ، مهما كانت نواقصها ومهما كان قصورها عن امتلاك رؤيا تاريخية راديكالية لاسباب النزاع الصهيوني — العربي ولافاق حسمه . من بين هذه الكتب النادرة ، هذا الكتاب الذي نستعرضه هنا وسنشير ، كلما دعت الحاجة ، الى نواقصه وثغراته .

يصدر الكتاب باستشهاد من لينين كاشارة الى الخط الفكري والسياسي الذي اختاره المؤلف : « علينا ، يقول لينين ، ان نخوض نضالا لا هوادة فيه ضد امتيازات وعنف الامة الظالمة ، وان لا نتحلى باي تسامح امام البحث عن الامتيازات من طرف الامة المظلومة » .

في الواقع هذا الكتاب ليس اول كتاب لنفس المؤلف يتناول المسألة الفلسطينية بل هو الكتاب الثاني الذي جاء تكملة اكثر تأنيا واكثر راهنية من كتابه الاول السريع والذي كان ، كما يقول المؤلف نفسه ، رد فعل امام جهل الرأي العام الغربي والعالمي الكامل لحقائق النزاع العربي الاسرائيلي عموما وخصوصا للوضع التاريخي لفلسطين ولحاضرها ... رغم ان فلسطين تشكل اليوم نقطة حساسة في منطقة الشرق الاوسط ونقطة متفجرة في العالم يتوقف مصير السلام في المستقبل المتطور على طبيعة الحلول المطبقة فيها .

كان هدف الكتاب الاول اذن : شرح الوقائع التي طمسها التعصب لاسرائيل كتكفير عن « عقدة الذنب » الاوربية وكنتيجة للتأثير الصهيوني على صياغة الرأي العام الغربي واخيرا ، على حد قول المؤلف ، كانعكاس « للعنصرية المعادية للعرب » التي انضمت اليها العناصر الفاشية والمعادية للسامية التي كانت خلال الحرب الكونية الثانية تمارس بسادية بربرية ابادة اليهود .

وهكذا نجد منظمات برو — نازية مثل « العمل الفرنسي » و « الغرب » التي كان جلادوها يشرفون بانفسهم على المعتقلات النازية ، تحت حكومة فيشي المتحالفة مع هتلر ، في كل من فرنسا والجزائر ، يناصرون اليوم دولة اسرائيل ضد العرب والمقاومة الفلسطينية .

كان الكتاب الاول كتابا اعلاميا . اما الكتاب الثاني فهو كتاب رأي يقول المؤلف انه لا يريد في هذا الكتاب خوض نقاش تاريخي حول من له الحق التاريخي في فلسطين : هل الفلسطينيون الذين يسكنونها منذ ١٤ قرنا وبعضهم منذ اكثر من ٢٠ قرنا ام اليهود الذين تركوها منذ عام ٧٠ .

اراء المؤلف في هذا الكتاب هي حصيلة تجربة عامين ١٩٦٨ — ١٩٦٩ عاشها المؤلف على عين المكان في فلسطين المحتلة وفي عمان وجنوب لبنان بين صفوف المقاومة التي « زرعت البذور التي ستقرر في العشر او العشرين عاما القادمة تطور ومستقبل الشرق الاوسط » .

يدحض المؤلف الفكرة التي تغذيها الدعاية الصهيونية والقائلة ، لتطمين الرأي العام الاوربي الذي بدا يشعر بالقلق من عواقب استمرار الوضع المتفجر في الشرق الاوسط ، ان الوضع هناك راكد. وانه لا خوف من انقطاع البترول العربي الحيوي لصناعة وحياة الاوربيين . ولا خوف من نزاع عالمي يكون البحر الابيض والبلدان الواقعة على حوضه مسرحا له . « كثيرا ما يقال ان الوضع في الشرق الاوسط راكد . لكن الذي يتجول هناك ويتصل بالفلاح والعامل والجامعي والبورجوازي فانه يلاحظ ان كل شيء يتحرك . وان عوامل التحول العميق بدأت تتفاعل ربما ببطء ولكن بيقين » . واذا كان التفوق العسكري الاسرائيلي حقيقة راهنة . وهي الحقيقة التي يراهن عليها القطاع الاكثر اتساعا ونفوذا من الصهيونيين . فان المؤلف يذكرهم بمصير التفوق العسكري الامريكي في فيتنام ، الذي بات اليوم ، تحت ضربات الحرب الشعبية الثورية التي تقوم على تسليح الجماهير وتدريبها وتنظيمها ووضع السلطة تحت رقابتها الفعلية ، مهددا بهزيمة سياسية وعسكرية لا يمكن التنبؤ بكل عواقبها الخطيرة في

امريكا اللاتينية وامريكا الشمالية نفسها .

يقول الصهاينة ان فلسطين ليست الفيتنام . ويجيب المؤلف : هذا صحيح . كما انه من الصحيح ايضا ان اسرائيل ليست تماما الولايات المتحدة . فيهود الشتات لا يشكلون وطنا ما ان يشعر يوما بالملل من الحرب حتى يقرر الانسحاب واستقبال الاسرائيليين في « وطنهم الام » . ولذا فالمؤلف على حق عندما ينصح المقاومة الفلسطينية بان تطرح على الجماهير الاسرائيلية اختيارا جديا وثوريا من شأنه ان يحدث صدعا في التماسك العرقي الذي استطاعت الدعاية الاسرائيلية ان تخلقه وتنميه باستخدامها البارع لاسطورة « الخطر العربي » ، خطر ابادة السكان الاسرائيليين او تهجيرهم قهرا. ويلاحظ بهذا الصدد ، انه رغم الفوارق بين فلسطين والجزائر ، فان جبهة التحرير الجزائرية وجهت منذ البداية نداءات للمستوطنين الفرنسيين، الذين كانوا يمثلون اقلية ضئيلة ، تدعوهم الى التآخي مع الشعب الجزائري وتعرض عليهم بسخاء حق المواطنة الجزائرية الكاملة في الجزائر المستقلة . (يستطيع القارىء الذي يهمه البحث عن امكانية حل ثوري للمسألة الفلسطينية والمسألة اليهودية في فلسطين ان يعود لقراءة كتاب ليلى سليم القاضي : « المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية : ماتسبن » . اصدار مركز الابحاث الفلسطينية ١٩٧١) .

يذكر المؤلف بعد هذه الملاحظات الصائبة بانه من المستحيل قبول وجهة النظر الاسرائيلية القائلة بأن « عودة اليهود » بعد تشتتهم هي مجرد عودة طبيعة ومقبولة من وجهة النظر التاريخية والقانونية لـ « وطن الاجداد » . ويسوق حججا تاريخية وعلمية لدحض نظرية العرق عموما و « العرق اليهودي » خاصة . ودحض هذه النظرية استغرق جزءا هاما من كتابه الاول الذي نفذ بعد شهور قليلة من صدوره .

ينبه المؤلف القارىء الاوربي الى الطبيعة الدينية لدولة اسرائيل التي تقدمها له الدعاية الرسمية كدولة ديموقراطية قائمة على المساواة والاخاء والحرية ، هذه المبادىء المجردة التي اعلنتها الثورة الفرنسية ، وما زالت تمارس سحرها النسبي على المواطن العادي في الغرب . بهذا الصدد يشير المؤلف الى قانون الجنسية الاسرائيلي الصادر في ١١ شباط ١٩٧٠ : حسب القانون الديني اليهودي هو كل من ولد من ام يهودية او كل من اعتنق الديانة اليهودية . وهذا القانون الديني ، رغم انه لا يتضمن « الجنسية اليهودية» بالمفهوم الحقوقي الحديث ، الا انه استخدم لـ « قانون العودة » الذي يعطي الجنسية الاسرائيلية لكل يهودي يهاجر الى اسرائيل . لكن القانون الجديد كان اكثر تسامحا من القانون الديني فقد اعطى – خلافا للاوامر الدينية الصريحة – الجنسية الاسرائيلية للزوجة غير اليهودية وللاطفال غير اليهود ، اي الذين ولدوا من ام ليست يهودية ، لكل مهاجر جديد . هذا « التسامح » الديني غير المعهود هدفه الواضح تشجيع الهجرة الى اسرائيل بعد ١٩٦٧ لاستعمار الاراضي العربية المحتلة . والدليل على ذلك ، كما يلاحظ المؤلف ، ان جولدا مير صرحت في نفس الوقت بكلام عنصري وموغل في التعصب العرقي : « الزواج المختلط والذوبان في الامم الاخرى ، هما الخطران الاكبران اللذان واجهتهما الامة اليهودية على مر العصور (...) ان وجود الامة اليهودية اكثر حيوية من وجود دولة اسرائيل نفسها . فالامة اليهودية كانت ستنقرض لولا الدين اليهودي » . واضح اذن « ان الدولة الاسرائيلية= الامة اليهودية = الديانة اليهودية » . يلاحظ المؤلف بصواب ان اليهود غير الصهيونيين لم يقاوموا ابدا فكرة ذوبان اليهود في الامم التي يعيشون بين ظهرانيها . لان هذا الذوبان هو الطريق الوحيد لحل المسألة اليهودية حلا ثوريا لا حلا قوميا ، فالبورجوازية عجزت عن حل المسألة اليهودية لانها بطبيعتها تقوم على الاضطهاد الطبقي الذي هو الارضية الاخصب للاضطهاد القومي والطائفي . والصهيونية التي هي بدورها من طبيعة بورجوازية فشلت في تقديم حل للمسألة اليهودية لا فقط لانها باستعمار فلسطين فجرت نزاعا مليئا بالمفاجآت الخطيرة التي تنطوي على خطر حرب قد تطحن بين فكي رحاها عددا هائلا من سكان اسرائيل . بل ايضا لانها حافظت على اللامساواة، التي هي جوهر السلطة الطبقية ، بين الاسرائيليين انفسهم في « ارض الميعاد » . ويستشهد على صحة موضوعته : اليهود غير الصهيونيين كانوا دائما ، عكسا لجولدا مير ، يحبذون ذوبان اليهود في الامم الاخرى بدلا من السعي الى تكوين دولة يهودية بقول لينين : « ذوبان اليهود في الشعوب الاخرى لم تشجبه ابدا ، افضل اليهود الذين

سجلوا بفخر اسماءهم في التاريخ كرواد للديمقراطية والاشتراكية . ان الذين يناهضون الذوبان هم فقط اليهود المصابون بالاعجاب الصوفي بالماضي اليهودي » .

يتعرض الكتاب بشيء من الاقتضاب لمصير الشعب الاسرائيلي فيقول : رغم ان ذوبان اليهود في شعوب البلدان التي يعيشون فيها وانخراطهم في الصراع الاجتماعي الناشب بين الطبقات الظالمة والمظلومة في منظور الثورة الاشتراكية هو الحل الوحيد الممكن للمسألة اليهودية . بيد انه في الوضع الملموس الراهن هناك واقع هو ان الشعب اليهودي الذي اضطهد طويلا في أوروبا، وقادته الحركة الصهيونية الى فلسطين لكي يحل محل الشعب العربي الفلسطيني أصبح يشكل امة عبرانية بملامحها القومية الخاصة . هذا الشعب لا يستطيع ان يعود الى اي « وطن ام » في العالم لانه ليس له مثل هذا الوطن ، فقد جاء اليهود الى فلسطين من ١٠٠ بلد في العالم . ولهذا فهو مستعد للنضال الى آخر رجل للدفاع عن وجوده . وللجماهير الاسرائيلية رغبة عميقة للتعايش مع العالم العربي الذي يحترم شخصيتها الخاصة وحقها في تقرير المصير .

هنا نعتقد ان المؤلف لم يكن واضحا بالقدر الكافي . فاذا كان صحيحا ان الشعب الفلسطيني المظلوم اليوم لا يجب ان يتحول الى شعب ظالم غدا ، فان رفع امكانية الظلم ليس بوجود دولة اسرائيلية. لان وجود مثل هذه الدولة فضلا على انه بمحافظته على المراتب والطبقات والتمييز القومي والعنصري لن يحل من المشاكل القائمة حاليا شيئا ، فانه نفي لحق الشعب الفلسطيني في الوجود على ارضه . وفلسطين كما هو واضح لا تتسع لدولتين، على ان وجود الدولة — اي دولة — ووجود الرق الطبقي والقومي امران متلازمان ، ووجود دولة على فلسطين هو نفي لمنظور الثورة الراديكالية التي هي محط أمل وعمل القوى الثورية في المنطقة . ولهذا فان الحل السليم هو قريب من مشروع ماتسبن « جمهورية اشتراكية » عربية (انظر كتاب ليلى سليم القاضي المذكور . والعدد ٢ من مجلة شؤون فلسطينية : حوار مع مسؤول عن المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية (ماتسبن). لنفس المؤلفة) . أي ان غالبية سكانها يتكلمون العربية ويتكلم الباقون العبرية والكردية الخ ... مما لا شك فيه ان السلطة في هذه الجمهورية الاشتراكية يجب ان تعود للمجالس العمالية والشعبية ومجالس الاحياء باعتبارها السلطة الوحيدة والمطلقة التي لا تعترف بالتميز القومي والطائفي والطبقي . هذه الجمهورية العربية الاشتراكية تقضي على وجود دولة اسرائيلية لكنها تقدم للشعب الاسرائيلي حلا انسانيا واميا قليل السوابق في التاريخ ، لا يمكن كسب الرأي العام الثوري والديموقراطي في العالم وفي اسرائيل نفسها لجانب المقاومة والثورة العربية ، كما لا يمكن وضع قاطرة الحركة الفلسطينية في اتجاه التاريخ الا بتبني هذا الحل ونشره على اوسع نطاق .

لا نذكر اننا قرأنا كتابا لكاتب غربي جدي مناصر للعرب الا ولاحظنا نفس الحيرة والتناقض ازاء مصير الشعب الاسرائيلي . وفي النهاية ينتهي هؤلاء الكتاب الذين يرفضون كليا اضطهاد اليهود من جديد الى ضرورة المحافظة على الدولة الاسرائيلية. لكي يوضع حد نهائي للتحفظات والتناقضات في صفوف اصدقاء القضية الفلسطينية بصدد هذه المسألة ، لا بد من تبني شعار « الجمهورية العربية الاشتراكية » .

يلاحظ المؤلف لوران جاسبار ان الحكومة الاسرائيلية مستفيدة من غياب استراتيجية فلسطينية — عربية لحل النزاع ثوريا . ولهذا تردد على جماهيرها بأنه لا خيار لها امام الحروب الدورية . لان العدو العربي يريد ابادتها . رغم ان الوثائق تثبت ان مسؤولية حرب ١٩٦٧ تقع على عاتق الدولة الاسرائيلية المحاربة والتوسعية .

يعدد المؤلف الاسباب التي دفعت بالحكومة الاسرائيلية الى عدوان ١٩٦٧ كما يلي : ١) الازمة التي تراكمت عواملها في سنوات ١٩٦٥ — ١٩٦٦ — ١٩٦٧ كانت بالنسبة لاسرائيل ازمة اقتصادية قاسية زادتها تفاقما توقف دفع التعويضات الالمانية ، انخفاض المساعدات المالية الآتية من يهود الشتات . عجز ميزان المدفوعات الذي وصل الى ٤٥٥ مليون دولار . تصاعد عدد العاطلين عن العمل الى ١٥٠ الفا . وهكذا فان تضافل التهديد الخارجي او التلويح به شجع على نمو التوتر الاجتماعي الداخلي الذي كان نائما بفضل حالة الطوارىء المعلنة رغم عدم وجود ما يبررها جديا . ٢) بداية ظهور بذور اليقظة السياسية الفلسطينية: خلق منظمة التحرير الفلسطينية . ظهور مغاوير

فتح في عمليات تسلل للداخل . اذا كانت فتح تمثل اتجاها جديدا ، فان قادة منظمة التحرير كانوا يوزعون على العالم خطابات نارية ودموية اضرت بالقضية . ٣) اشغال تحويل نهر الاردن التي بدأتها اسرائيل وأثارت بذلك ردود فعل الدول العربية . ٤) تدهور العلاقات مع سوريا التي كانت البلد الوحيد الذي احتضن المغاوير الفلسطينيين واعطاهم حرية نسبية للتحرك . وقد صرح اللواء رابين في ١٩٦٦/١٢/٥ ان « السوريين هم الاباء الروحيون لجماعة فتح التي تضم الارهابيين الفلسطينيين والعرب » . واعلن ان معركة اسرائيل هي مع سوريا . ولا يمكن لمسؤول عسكري ان يكون اكثر وضوحا . ولهذا فلا يوجد اليوم ملاحظ جدي يشك في ان اسرائيل التي بحثت عن الحرب واعلنتها مستفيدة من اخطاء عبدالناصر وحركاته التمثيلية هي المعتدية . وبعد التصريح الذي اعطاه رابين نفسه لمبعوث « لوموند » اريك رولو (٦٨/٢/٢٨) والذي يقول فيه بالحرف : « لا اعتقد ان ناصر كان يريد الحرب ، فان الفرقتين اللتين ارسلهما الى سيناء في ١٤ ايار ١٩٦٧ لم تكونا كافيتين لشن هجوم على اسرائيل، لقد كان يعلم ذلك ونحن ايضا كنا نعرف » . لم يعد أي صهيوني ، مهما كان متعصبا يستطيع الزعم بأن العرب هم « الذين يريدون القاء اليهود في البحر وقد شنوا ضدهم ثلاث حروب في اقل من ٢٠ عاما » . بيد ان الدعاة الصهيونيين ما زالوا يجدون مساعدة ثمينة في التصريحات المنسوبة الى احمد الشقيري والتي عززت اصوات الذين كانوا داخل المؤسسة الاسرائيلية من انصار الحرب الوقائية . لقد كانت هذه « الدعاية الاجرامية عاملا حاسما للتعبئة النفسية لسكان اسرائيل من جهة وليهود الشتات من جهة اخرى » . والحق مع فيدل كاسترو الذي صرح بأن : « هذه الدعاية قد ساعدت عن غير قصد حكام اسرائيل على تعبئة وطنية شعبهم لكي يستخدموه في حرب شنت تحت حماية الامبريالية اليانكية » . (لوموند ٦٧/٩/٢١) . « كما ان الشعارات الابادية التي روجتها الاذاعات العربية لعبت نفس الدور خاصة لدى اليهود الشرقيين الذين يفهمون كلهم العربية ويستمعون مع الجالية العربية الى الاذاعات العربية اكثر من استماعهم لاذاعة اسرائيل . واليهود الشرقيون هم الممثلون الاكثر اهمية وعددا للبروليتاريا الاسرائيلية التي كانت ، تحت ضغوط الازمة الاقتصادية ، تتهيأ للنضال ضد اجهزة الدولة الصهيونية » . ولهذا فان على المقاومة الفلسطينية ان تعرف باذاعاتها كيف تخاطب ، تحيد ثم في النهاية تكسب لقضيتها جزءا هاما من هؤلاء اليهود الشرقيين الذين هم بدورهم ضحايا التمييز الطبقي والعرقي في اسرائيل. فهؤلاء هم الذين يمثلون ما كتبه لينين في «ملاحظات نقدية حول المسألة القومية » : « الامة اليهودية هي الامة المسحوقة جدا والمطاردة في كل مكان » . فاليهود الشرقيون هم الحلفاء المكنون والمقبلون على الحركة الثورية الفلسطينية والعربية .

يعدد الكاتب سلسلةمن اكاذيب الدعاية الصهيونية، بما في ذلك كتب الاطفال ، التي تزعم ان اسرائيل تعرض على العرب التقدم والحضارة وهم يعرضون عليها التخريب واغتيال الاطفال . كما يعرض للاضطهاد المسلط على الاقلية العربية وكيفية انتزاع املاكها واخضاعها لقوانين عنصرية من صنع الاستعمار البريطاني وبعد ان يفند الدعاية الاسرائيلية المكرسة للاستهلاك اليساري في العالم حول اسطورة « الاشتراكية الاسرائيلية » و « التآخي تحت سماء الكيبوتسات » وبعد ان يفضح ما يسمى باليسار في اسرائيل سواء اليسار الصهيوني المناصر لضم الاراضي العربية الجديدة بالقوة او اليسار الستاليني المتحفظ حول المقاومة والرافض لفكرة حرب التحرير الشعبية . يخلص لهذا الاستنتاج : « من الواضح ان الجماهير الاسرائيلية ستقتنع على المدى المتوسط او البعيد ان خلاصها الحقيقي لا يمكن ان يكون الا في التآخي مع الجماهير العربية في ظل الاشتراكية والسلام» .

ع.أ.ع

Michael Selzer (ed.) **Zionism Reconsidered,** (London : Macmillan, 1970).

يضم هذا الكتاب مجموعة من المقالات التي تتناول الحركة الصهيونية وفكرها وايديولوجيتها بالنقد والتحليل من قبل عدد من المفكرين والكتاب اليهود المعروفين . وتعود المقالات الى فترة زمنية تمتد من اواخر القرن التاسع عشر حتى قيام دولة اسرائيل. قام بتحرير الكتاب وجمع مواده والتقديم لها مايكل سيلزر وهو مؤلف وناقد شاب مهتم بالشؤون اليهودية . ويضم الكتاب بعض الاسماء المعروفة جيدا مثل الفيلسوف الاميركي الليبرالي موريس كوهن ، وعالم الاجتماع دافيد ريسمان ، والمؤرخ اليهودي الكلاسيكي سيمون دابناو ، وهانز كوهن المشهور بمؤلفاته حول القومية وتاريخها ، والكاتبة المعاصرة حنة آرندت ، والمفكر الاشتراكي اسحق دويتشر . وبالرغم عن اختلاف المواقع التي يصدر عنها النقد للصهيونية كما نجدها في مقالات الكتاب يمكننا ان نقول ، بصورة عامة ، ان الجو العام الذي يطبع الكتاب هو نقد الصهيونية من مواقع ليبرالية عامة . ولكن لا بد هنا من استثناء مقالة الماركسي اسحق دويتشر ، المأخوذة من كتابه المترجم الى العربية بعنوان « دراسات في المسألة اليهودية » (دار الحقيقة ، بيروت) . كذلك يجب استثناء بعض المقتطفات التي تنقد الصهيونية من مواقع دينية تقليدية محافظة اذ تعتبرها خروجا واضحا عن الدين اليهودي وروحه وتعاليمه وشرائعه وتراثه باتجاه العلمنة والتحديث وتقليد بقية الامم في حياتها السياسية واليومية . على هذا الاساس بامكاننا تحديد السمة العامة التي تطبع نوعية رفض هؤلاء الكتاب للصهيونية ونقدهم لها . انهم ليسوا ضد الصهيونية بمعنى ثوري ولا يعادونها بمعنى سياسي متحرك يتجه نحو ضربها فكريا وماديا . بعبارة اخرى يقتصر نشاط معظمهم على نقدها من مواقع ذاتية غير سياسية (بالمعنى الدقيق) أي انهم يحتجون عليها لانها لا تنسجم مع المبادىء الانسانية او الاخلاقية او الليبرالية او الدينية التي يعتنقونها شخصيا وكأفراد . نستثني من هذا التعميم مقالة آحاد هاعام لانه كان صهيونيا ، بالرغم عن ان التصور الاخلاقي — الديني كان يطغى على عقيدته مما دعاه الى تقديم نقده الشهير للسلوك العام الذي سلكته الحركة الصهيونية على صعيد انتهازيتها في مناوراتها السياسية وخبثها في التعامل مع الشعب الفلسطيني في مرحلة الاستعمار . وكان دافعه في ذلك الولاء لمفهوم مثالي حول ما يجب ان تكون عليه الصهيونية من رفعة وتمسك بالوسائط الاخلاقية في تحقيق غاياتها والا فقدت مبرر وجودها واصبحت مجرد حركة قومية اخرى مثلها كمثل بقية الحركات في ذلك العصر ، تسيطر عليها قيم العنف والقوة والانانية . كذلك نستثني ايضا مقالة هانز كوهن (وهي من افضل ما في الكتاب) : « صهيون والفكرة القومية اليهودية » لان فيها تحليلا تاريخيا نقديا جيدا للحركة الصهيونية واصولها وان كان ذلك من مواقع ليبرالية واضحة . بعبارة اخرى تبقى لا صهيونية معظم هؤلاء الكتاب على المستوى الذاتي والفردي في رفض الحركة ، ومنهم من يحتقرها شخصيا ، ومنهم من لا يريد ان يلوث يديه بالتعامل معها بأي صورة من الصور فيعزل نفسه عنها ويبرر ذلك في كتاباته . ويذهب البعض منهم الى حد القول ان المفكرين اليهود المعادين للصهيونية بصورة متحركة وصدامية ، ان كان ذلك من مواقع دينية محافظة او ليبرالية وسطية او ثورية متقدمة ، قد لوثوا انفسهم بالنزول الى مستوى الصهيونية لمقارعتها وكان افضل لهم لو سجلوا موقفهم الفكري ضدها على اسس اكثر ترفعا واستعلاء . بطبيعة الحال ينبع هذا النوع من المواقف الفكرية من التصور المثالي النخبوي لدور المفكر والفكر بصورة عامة في مواجهة مشاكل العالم السياسية والاجتماعية على اساس اختزال هذا الدور الى مجرد تسجيل الرأي حولها ، بشكل ذاتي وشخصي ، وعدم التورط بأكثر من هذا على صعيد الفكر او الواقع . طبعا ، ان شاء اصحاب هذه المواقف النخبوية الذاتية ام لم يشاؤوا ، لا شك ان مواقفهم تخدم موضوعيا وفي التحليل الاخير ، الحركة الصهيونية التي ينتقدونها، لان الحركة قادرة على الاستفادة من عملية الجدل التي يثيرونها وعلى استيعاب النقد الذي يوجهونه اليها بينما يبقون هم مع آرائهم النقدية لوحدهم وفي عزلة مترفعة ، فرضوها على انفسهم ، عن الواقع الاجتماعي المتحرك الذي يحيط بهم .

يتلخص الهدف من وضع هذا الكتاب وجمع مقالاته في تبيان عدة حقائق : اولا ، التعريف بالتيارات

الفكرية اليهودية التي عارضت الصهيونية وفكرة القومية اليهودية منذ اواخر القرن التاسع عشر. ثانيا ، الرد على الزعم الصهيوني الشائع الذي يوحد بين الصهيونية واليهودية وايضاح واقع معين هو أن دين اليهود وتراثهم الاجتماعي والفكري والروحي أوسع واغنى من أن يتم اختزالهما الى مجرد حركة سياسية معينة ومرتبطة بظروف تاريخية وزمنية معروفة . اي يعتبر الكتاب انه كواقع تاريخي ، انتج استمرار الوجود اليهودي الحركة الصهيونية كجزء منه ولكن لا يجوز لهذا الجزء ان يدعي استيعابه للكل الذي انبثق عنه ومساواته به . كما يعتقد معظم اصحاب المقالات ان الجزء لم ينبثق عن افضل واسمى ما في التراث اليهودي من عناصر وقيم بل انبثق نتيجة لتفككها وانحدارها وكانوا يفضلون لو لم ينتج اليهود الظاهرة الصهيونية اصلا ، علما بأن هذا التفضيل لا يتعدى مستوى الرغبات الشخصية والفردية المعزولة فحسب . ثالثا ، الرد على الزعم الشائع بأن الحركة الصهيونية ليست الا تحقيقا للحلم اليهودي القديم في الخلاص ، ويشدد الكتاب في اكثر من موقع على ان استخدام الصهيونية لميثولوجيا الخلاص كانت أداة سياسية موجهة في كثير من الاحيان نحو كسب العطف المسيحي في الاوساط السلفية البروتستانتية بسبب اعتقادها ان عودة بني اسرائيل الى فلسطين هي علامة من علامات مجيء المسيح مجددا الى العالم . وفي مقابل هذا الزعم يؤكد الكتاب ، في أكثر من موضع ، ان الدافع الاساسي وراء الحركة الصهيونية لا علاقة له بالحلم اليهودي في الخلاص ، (باعتبار ان الخلاص مسألة روحية محض لا تتحقق الا عن طريق معجزة سماوية) بل هو الرغبة الواضحة في جعل اليهود أمة كبقية الامم (لها ارضها ودولتها ومجتمعها الطبقي الخ ...) بحيث يصبح وضعها وضعا « سويا » بعد أن كان شاذا لفترة طويلة من الزمن . هنا نضع اصبعنا على جوهر المعارضة التي تظهر في مقالات الكتاب ، ضد الصهيونية ، اي ان المعارضة موجهة الى رغبة الصهيونية بجعل الوضع اليهودي « سويا وعاديا » في حين ان اصحاب المقالات يعتقدون بأن رسالة « الشعب اليهودي » الاساسية هي في ان يبقى متمايزا ومختلفا في وضعه الاجتماعي والثقافي الخ... عن بقية الامم والشعوب . بعبارة اخرى انهم يدافعون عن الشتات اليهودي ، في وجه الصهيونية التي تدينه وترفضه ، لانهم يعزون ما قدمه كبار المفكرين اليهود الى الثقافة والعلم والحضارة الى وضعهم الشاذ وغير السوي بين بقية الشعوب والامم . ووفقا لهذا الرأي يشمل هذا الوضع اليهودي الخاص التشديد على كونهم « أهل الكتاب » ، بمعنى ان تماسك حياتهم واستمرار تاريخهم في الشتات ، مع ما رافق ذلك من ظواهر، لا يمكن تفسيرها الا على اساس ارتباطهم العضوي بقيم روحية وفكرية والالتفاف حول تراث معنوي باعتبارها البديل عن الاساس المادي والانتاجي والسياسي الذي تتماسك بواسطته بقية الشعوب وتستمر في حياتها عبر المراحل التاريخية . لذلك يرى اصحاب هذه المدرسة ان الصهيونية تريد التصدي لجوهر الوجود اليهودي ومصدر رسالته عن طريق تحويلهم الى قوة سياسية دنيوية ، واقحامهم في عالم الصراعات الدولية واقتسام النفوذ ، ولذلك ينظرون اليها على انها نوع من « الثورة المضادة » (ليس بالمعنى اليساري المتداول) لانها تريد العودة باليهود الى الستاتيكو السابق ، اي الدولة اليهودية . ربما كان افضل مثال على هذا النمط من التفكير الطريقة التي يدافع بها المؤرخ دابناو عن فكرة « الامة » اليهودية ولكن بصورة تتعارض — مباشرة على أقل تعديل — مع طرح الحركة الصهيونية للفكرة ذاتها . يرى دابناو ان اليهود يشكلون امة بالمعنى التاريخي الثقافي والروحي فقط للعبارة وليس بالمعنى السياسي والاقليمي الذي ينطبق على بقية الامم والدول الحديثة . لذلك يقول بأن اليهود كأمة لا يمكن ان يكون لهم مطامع اقليمية او مطامح سياسية توسعية كبيرة او مصلحة في اخضاع شعوب اخرى لان اهتمامهم القومي منصب ، في الدرجة الاولى ، باتجاه المحافظة على شخصيتهم القومية وتمايزها الفردي والدفاع عن استقلالها الذاتي في كافة البلدان التي يوجد فيها يهود (ص ١٥٣) . بطبيعة الحال برهنت الصهيونية ، عن طريق نجاح مشاريعها الاستعمارية ، مدى الخطأ الذي يقع فيه مثل هذا التفكير المثالي ومدى عجز هذا الاسلوب الطوباوي في نقد الصهيونية او حتى رفضها .

مع ان هذه المدرسة في رفض الصهيونية لا تهتم بالجوهر الاستعماري والاستيطاني للحركة كأساس لمعارضتها الا انه من المفيد الاطلاع على مجرى تفكيرها العام كتيار داخل صفوف اليهود في الغرب.

والنزعة المغرقة في المثالية التي تطبع هذه المدرسة واضحة جدا ، اذ ان افكارها في الدفاع عن الشتات ورسالة الشعب اليهودي الموزع في كافة انحاء العالم ليست الا ترجمة للاسطورة الدينية القديمة حول « الشعب المختار » الى لغة علمانية تناسب معطيات العصر ، ومحاولة لتبرير وضع وسطي قائم (تجد قطاعات من الانتلجنسيا نفسها فيه) على عدم مقاومة الصهيونية عن طريق الكفاح ضدها فكريا وعمليا من ناحية ، وعدم الالتزام بها والعمل معها من ناحية اخرى . كما ان نظرية هذه المدرسة في كون اليهود « اهل الكتاب » ، بالمعنى المشار اليه اعلاه ، لا تستند الى اي واقع حقيقي وهي ليست الا عملية تجميل مثالية تبريرية لارتباط اليهود تقليديا بالقطاعات العلوية من البناء الانتاجي للمجتمع ، مما يعني كثافة نشاطهم في قطاعات العمل الذهني والانتاج الفكري . انطلاقا من مواقعها الفكرية المذكورة تحاكم هذه المدرسة الحركة الصهيونية بشيء من التفصيل . على سبيل المثال كتب موريس كوهن مباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ما معناه انه بالرغم عن ان ملايين من اليهود يعانون من الجوع والحرمان في اوروبا لا بد من توجيه النقد الى فكرة اقامة « وطن » او « ملجأ » لليهود في فلسطين لان الصهيونية ليست جمعية خيرية هدفها مساعدة المشردين كي يجدوا مأوى لانفسهم بل تدعي انها تشكل الحل الجذري للمسألة اليهودية (ولا يريد كوهن للمسألة ان تحل عن طريق تصفية الشتات كما تدعو الى ذلك الصهيونية) ، كما يقول هذا المفكر ان تشديد الصهيونية على فلسطين كوطن لليهود يقوم على ايديولوجية قومية تشكل تحديا لكل انسان ما زال يؤمن بالمثل الليبرالية . كذلك يتهم كوهن المفكرين المرتبطين بالصهيونية بالسير في خطى القومية الصوفية الرومانسية التي نشأت في المانيا كرد فعل ضد ليبرالية الثورة الفرنسية وايمانها بالعقل والتنور في مواجهة الارث الثقافي للعصور الوسطى.

كما يشدد في اعتراضه على الصهيونية ومشاريعها على ان قيام دولة قومية يهودية في فلسطين يعني بالضرورة دولة قائمة على العنصرية والقبلية في التدين والاعتقاد الصوفي بأرض معينة بينما تفرض التقاليد الليبرالية عكس كل هذه الاشياء . وهو يشبه اهمال الصهيونية لحقوق الاكثرية العربية في فلسطين بالسلوك الجرماني الذي يعتقد بتفوق ثقافته وحضارته على بقية العالم (ص ٦٦) . أي تعطينا آراء كوهن نموذجا جيدا عن هذا المزيج من الالتزام بالمبادىء والمثل الليبرالية من ناحية والاعتقاد بالدور الخاص الذي يقوم به اليهود في الشتات وضرورة استمراره من ناحية اخرى ، وكيف يؤدي هذا المزيج الى نوع معين من المعارضة للصهيونية على الطريقة التي شرحتها اعلاه . وميزة الكتاب الذي نحن بصدده هي انه يعطينا افضل تعبير عن هذا الاتجاه الفكري في أوساط الانتليجنسيا اليهودية الغربية عن طريق جمع زبدة الكتابات التي صدرت عن هذه المدرسة منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

صادق جلال العظم

تهويد فلسطين، اعداد وتحرير الدكتور ابراهيم ابو لغد، ترجمة الدكتور اسعد رزوق (مركز الابحاث التابع لـ م. ت. ف. ، بيروت ١٩٧٢).

يتفق معظم الباحثين في الغزو الصهيوني لفلسطين وما ترتب عليه من نتائج أن أسباب نجاح الصهيونية في اقامة دولة اسرائيل يعود الى التقاء مصلحة كل من الاستعماريين الانجليزي اولا مع الاهداف الصهيونية، والامريكي ثانيا مع اسرائيل، بالاضافة الى تقدم الحركة الصهيونية تاريخيا واجتماعيا على الحركة الوطنية في العالم العربي. الا ان هناك عاملا هاما جدا قلما اشار اليه الباحثون ساهم مساهمة فعالة في نجاح الغزو الصهيوني في نهاية الاربعينات وفي التوسع الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ وهو غياب الصوت العربي عن العواصم ذات الثقل السياسي في الغرب وتمكن الوجود الصهيوني المادي فيها في الوقت نفسه. هذا الوجود الحقيقي للصهيونية في المجتمعات الغربية لعب وما زال يلعب دورا فعالا في التأثير على رجال السياسة وعلى الانتلجنسيا التي تقود «الراي العام» هناك. فالصهيوني كمواطن انكليزي او اميركي، عارف للغة وثقافة المجتمع الذي ينتمي اليه يملك كل الوسائل القانونية والنفسية ويستغلها استغلالا ممتازا في عرض قضيته عرضا مناسبا، فهو اما استاذ محاضر في الجامعة او قاض في المحكمة العليا او عضو في الحكومة، او نائب مهم في البرلمان او مستشار لصانعي السياسة.

بالرغم أن هذا الوضع لم يتغير كثيرا منذ قيام اسرائيل، الا اننا نلاحظ ظاهرة جديدة جاءت نتيجة مباشرة للغزو اليهودي وهي اندفاع الفلسطينيين المشردين اندفاعا لا نظير له نحو التعليم العالي. وبالتالي ظهور طبقة انتلجنسيا فلسطينية خلال عقدي الاحتلال الصهيوني. هذه الطبقة التي تعي دورها القيادي في تصحيح ثمانين عاما من التزييف الذي تم لتاريخنا على أيدي قادة الصهيونية ومثقفيها اولا، وضعت نصب أعينها تنوير الرأي العام العالمي والعربي على حقيقة ما جرى وما يزال يجري على ارض وطننا وخارجه. ومن بين هؤلاء المثقفين الفلسطينيين الاستاذ ابراهيم ابو لغد، احد اساتذة العلوم السياسية في جامعة نورث وست والذي اعد وحرر كتاب «تهويد فلسطين»* (الذي أسف الاستاذ توينبي «لتأخر صدوره حتى هذا اليوم»).

تكمن أهمية هذا الكتاب الشامل في النظرة الاصيلة والنقدية للصراع مع اسرائيل، فالدكتور أبو لغد يرفض النظرة التقليدية التي روجها الصهاينة في الغرب بأن الصراع حول فلسطين هو صراع «بين دول ذات سيادة قومية»، اي أنه صراع بين اسرائيل والدول العربية المحيطة بها. ويشير بحق الى ان المشكلة هي بين الشعب الفلسطيني والغزاة الصهاينة. من هذه الزاوية جاء كتابه لتصحيح هذه التصورات الخاطئة وللتأكيد «بأن المشكلة الاساسية في المنطقة العربية أنما هي مشكلة استرداد الحقوق الفلسطينية في أرض فلسطين» تلك الحقوق التي سلبتها الصهيونية بمساندة الاستعمار القديم والجديد. لذلك قوله «وحتى لو افترضنا بأن الدول الكبرى والامم المتحدة تمكنت من حل المشاكل المتعلقة بين اسرائيل والدول المتاخمة فان ذلك لا يمس المشكلة الاصلية من قريب او من بعيد».

لعل من أهم المقالات التي جمعها هذا المجلد هي مقالة الدكتورة جانيت أبو لغد «التحول الديمغرافي لفلسطين» والتي تفتتحها بالقول: «فيما عدا ابادة التاسمانيين، لا يعرف التاريخ الحديث حالات جرى فيها استبدال كامل بالفعل للسكان الاصليين في بلد ما بأجناس من الدخلاء، وتم انجاز عملية الاستبدال هذه في غضون مدة قصيرة لا تتجاوز جيلين من الناس، غير ان هذا الواقع هو ما جرت محاولته في فلسطين منذ بداية القرن العشرين».

والسؤال الذي تطرحه المؤلفة هو كيف تمت عملية التحويل هذه؟

تتفق المؤلفة مع كثير من الكتاب بأن الانتداب البريطاني هو المسؤول الاول عن تغيير خريطة السكان في البلاد، لهذا كانت نقمة العرب على هذا الانتداب الذي «لم يسعوا نحوه ابدا»، ولكن بالرغم من سياسة حكومة الانتداب الصهيونية فقد

* يضم النص العربي اثني عشر مقالا تتناول الجوانب المختلفة للقضية الفلسطينية.

بقي العرب حتى عام ١٩٣٢ في مركز الاكثرية . كما اننا نلاحظ انخفاضا في هجرة اليهود في نهاية العشرينات « ليصبح صافي المتدفق منها بضعة الاف من المهاجرين في السنة » . بمعنى اخر ان الحركة الصهيونية بالرغم من الدعاية الهائلة والعمل الجاد المتواصل قد فشلت في العقد الاول من الانتداب في اجتذاب اليهود الاوربيين الى الهجرة الى فلسطين . الا أن ظهور الفاشية في اوروبا واستيلاء هتلر على الحكم في المانيا قد غير من الوضع . « لو أن السياسة الالمانية سارت في طريق آخر عند مطلع الثلاثينات ، لما كانت هناك على الارجح ، « مشكلة فلسطينية » ، في الاربعينات ، ولا نزاع عربي — اسرائيلي اليوم ». فسياسة هتلر اللاسامية قد لعبت في أيدي القادة الصهاينة وجاءت لمصلحتهم اذ زاد تدفق اليهود الى فلسطين بعد عام ١٩٣٣ ، مع هذا فان ارتفاع عدد المهاجرين لم يستطع تغيير ديموغرافية البلاد بشكل راديكالي . ذلك ان اليهود بقوا أقلية بالمقارنة مع سكان فلسطين العرب ، كما جاء في تقديرات حكومة الانتداب في نهاية عام ١٩٤٦ اذ كان اليهود يؤلفون ٣١ ٪ من مجموع السكان .

ترى المؤلفة بحق ان الذي ساعد فعلا على تحويل فلسطين الى بلد يهودي هو قرار الامم المتحدة حول تقسيم البلاد في عام ١٩٤٧ الذي أقر بشرعية دولة يهودية في قسم من البلاد يؤلف العرب فيه الاكثرية المطلقة . « .. لو احترم مشروع التقسيم حكم الاكثرية او لو جرى اخضاعه لاستفتاء ، فان دولة اسرائيل الوليدة لم يكن لها ما يبررها » . ان تشريد اكثرية السكان العرب جاء نتيجة للاحتلال الاسرائيلي وقد جاءت اتفاقية الهدنة (١٩٤٩) لتعترف بسيطرة اسرائيل « كأمر واقع على المناطق التي احتلتها حتى تاريخه ، وبذلك تكون اسرائيل قد انجزت في مدة تتجاوز العام بقليل ما فشلت عقود من الهجرة فشلا ذريعا في تحقيقه ، اي في احداث تحول ديموغرافي كامل ضمن حصة « الاسد في فلسطين » .

ولكن المؤلفة تصل في نهاية هذه الدراسة الجادة الى نتيجة هامة ، وهي انه بالرغم من قيام اسرائيل وغزوها وتوسعها بقي الفلسطينيون — حتى بعد حزيران ١٩٦٧ — محافظين على عددهم بالنسبة لعدد المستوطنين اليهود . ولكنها تحذر في نفس الوقت بأن دولة الاحتلال التوسعية الواعية لعنصريتها والحريصة على بقائها « يهودية بمقدار ما هي انجلترا انجليزية » ستسعى بجهد لتشريد البقية الباقية من عرب فلسطين الذين ما زالوا يقاومون هذا التشريد .

مقالة اخرى جادة ضمها هذا الكتاب هي مقالة ارسكين ب. تشيلدرز ، من اكثر الكتاب الغربيين موضوعية وتفهما للمأساة الفلسطينية . وهو باعتقادي من الكتاب الغربيين القلائل الذين فضحوا الحركة الصهيونية كحركة استيطانية وربطوا بينها وبين حركة الاستيطان الاوربية في افريقيا . وأهمية مقالته تكمن في الوثائق الاصيلة والموثوقة التي خطها قادة ومثقفون صهيونيون حول ما كانوا يخططون له في فلسطين . فهذا هرتزل على سبيل المثال يكتب في مذكراته الشخصية التي بقيت قيد الكتمان ان على المستوطنين اليهود ان ينزعوا ملكية العرب الخاصة . بل يذهب الى ما هو أبعد من ذلك : « سوف نحاول تسريب السكان المعدمين عبر الحدود بتأمين مجالات الاستخدام لهم في بلدان العبور ، على ان نسد أمامهم كل مجال للعمل في بلادنا . « العمليتان » عملية نزع الملكية وعملية ابعاد الفقراء ، يجب تنفيذهما **بحذر واحتراس وتكتم** »* .

وقد علل هرتزل أهمية هذا التكتيك (التنفيذ بحذر واحتراس وتكتم) على الوجه التالي : « في السياسة لا ينبغي الافشاء بكل شيء امام عامة الناس ، بل باعلان النتائج فقط ، وما من شأنه الفائدة في الجدل » لذلك كان هرتزل منسجما مع نفسه حين كتب ، بعد كل ما كتب حول نزع الملكية من العرب ، وطردهم ، الى الزعيم المقدسي يوسف ضياء الخالدي مبشرا بأن هجرة اليهود الى فلسطين ستزيد في رخاء سكانها العرب وثروتهم الفردية !

مات تيودور هرتزل عام ١٩٠٤ ولكن توصياته تبنيت ووضعت موضع التنفيذ من قبل اتباعه ، كما يظهر ذلك بوضوح في مقالة الاستاذ آلان ن. تايلور « الرؤيا والقصد في الفكر الصهيوني » . يعالج تايلور في مقالته « التصريح والتصميم » في العمل الصهيوني ، ويصل الى النتيجة بأن الصهيونية تساير في اللفظ الرأي العام العالمي ، بينما « اختلف الامر في اغلب الاحيان بالنسبة للتصميم».

---

* التشديد من كاتب المراجعة .

فهذا وايزمان — على سبيل المثال لا الحصر — يعلن للرأي العام « قبوله » استثناء النقب من الدولة اليهودية المقترحة عام ١٩٤٧ ، الا انه في نفس الوقت يخبر جمهوره اليهودي **سرا*** بأن النقب « لن يهرب منا » .

ان نجاح الصهيونية في غزو فلسطين قد تم في ظروف سياسية واجتماعية محلية ودولية ساعدت على عملية تهويد البلاد وتشريد الفلسطينيين ، ومثل كل الحركات الاستيطانية التي ساندها الاستعمار القديم وما زال يساندها الاستعمار الجديد استطاعت الصهيونية من خلال التصريح والتصميم ، ان تقلب الحقائق وتقدمها للعالم بالقالب الذي تراه صالحا . من هنا جاء كتاب تهويد فلسطين الذي هو بلا أدنى شك من اكثر الكتب الجادة التي ظهرت بعد حزيران ١٩٦٧ ، ليشرح حقيقة ما جرى في فلسطين بصدق وأمانة علمية. لذا وجب التقدير للمحرر، وللناشر وللمترجم الدكتور اسعد رزوق ، الذي بذل جهدا رائعا في نقله الى لغة عربية سلسة ، انيقة ومعبرة .

* التشديد من كاتب المراجعة .

الدكتور ابراهيم ابراهيم

Raymond Sayegh, **Le système des partis politiques en Israël,** (Beyrouth : Librairie Samir, 1971).

من النتائج الايجابية لهزيمة الخامس من حزيران ، انها كشفت مدى جهل العرب لعدوهم ودفعت بهم الى سلوك خط اعلامي جديد يمكن تلخيصه في شعار « اعرف عدوك » . بينما كانت اسرائيل تنفق اموالا طائلة على الدراسات والابحاث المتعلقة بالمنطقة العربية ، وبكل ما يساعدها على معرفة المجتمعات العربية ادق معرفة ، كان العرب يكتفون باطلاق الاحكام المسبقة والتبسيطات الساذجة بشأن المجتمع الاسرائيلي . لقد كان الخامس من حزيران نقطة انطلاق جديدة للعقل العربي في سعيه وراء معرفة المزيد من الحقائق الموضوعية عن عدوه . وهذا الكتاب هو من ثمرات هذا الخط الجديد وهو يعبر عن جهد اكيد لمعرفة وتوضيح حقيقة الدولة الصهيونية وذلك بدراستها من خلال احزابها السياسية . واختيار مؤلف هذا الكتاب، ريمون صايغ ، لموضوع الاحزاب السياسية هو اختيار مقصود اذ انه يعتبر ان الحاكم الحقيقي في اسرائيل وصانع سياستها هي الاحزاب السياسية وبصورة خاصة حزب المباي . (المقدمة صفحة ١٤) . على كل حال فان هذه مجرد فرضية يحاول الكاتب ، طوال كتابه ان يبرهنها ويؤكدها . لذلك لا بد لنا ، قبل الشروع في دراسة نقدية وتقييمية لهذه الاطروحة من ان نقدم عرضا سريعا لمحتواها . ان هذا الكتاب الذي نال مؤلفه على اساسه شهادة دكتوراه دولة في العلوم السياسية يتناول الاحزاب السياسية الاسرائيلية من خلال تحليل تاريخي وقانوني واجتماعي وسياسي . ولم يكتف الكاتب بدراسة الاحزاب الاسرائيلية كما هي الان بل رسم لنا تطورها الايديولوجي والتاريخي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر متوقفا عند المراحل الحاسمة كسنة ١٩٤٨ وحتى يومنا هذا مرورا بحرب حزيران . كما ان المؤلف يحاول ان يظهر لنا مدى قوة وتأثير هذه الاحزاب على المواطنين الاسرائيليين وعلى مجمل نشاطاتهم من دينية وثقافية واجتماعية ونقابية واقتصادية وسياسية. ان بنية وبيروقراطية الاحزاب السياسية تستمد قوتها من الوضع القانوني الانتخابي الذي يدرسه المؤلف بتوسع ويحيط بآثاره ومضاعفاته على الحياة السياسية للاحزاب . كما ان الكتاب يحتوي على عدد كبير من اللوائح والارقام التي تتكلم بالتفصيل عن الاحزاب والتطورات التي لحقت بها وحركة تصاعدها او تراجعها وعدد المرات التي شاركت فيها بالحكم ونوع المناصب الوزارية التي حصلت عليها وعدد النواب في الكنيست المنضوين تحت لوائها الخ...ويمكن ايجاز هذا الكتاب كما يلي :

الجزء الاول : العناصر المكونة لنظام الاحزاب السياسية في اسرائيل . وفي هذا الجزء دراسة للعوامل الخاصة في تركيب اسرائيل ذاتها كما فيه تحليل للاطار الايديولوجي ، الاجتماعي والقانوني والدستوري والاقتصادي والسياسي الذي نشأت فيه الاحزاب السياسية كما فيه ايضا دراسة للنظام الانتخابي ومدى تأثيره على نظام الاحزاب.

الجزء الثاني : دراسة لنظام الاحزاب السياسية في اسرائيل وطبيعة هذا النظام . وفي هذا الجزء يتحدث الكاتب عن نظام الحزب المسيطر

والاختلافات الايديولوجية والسياسية ما بين الاحزاب والسيطرة شبه الكاملة لحزب الماباي على مجمل الحياة السياسية في البلاد . وفي النهاية يدرس المؤلف العلاقة بين نظام الاحزاب والنظام السياسي وكذلك بين السلطة السياسية ويحلل دور المعارضة في مثل هذا النظام .

لا شك ان هذا الكتاب يشكل وثيقة هامة وعلى جانب كبير من الموضوعية بالنسبة الى المهتمين بدراسة المجتمع السياسي الاسرائيلي من خلال احزابه التي تعبر عن الاختيارات السياسية المصيرية للرأي العام . فهو قد شرح لنا بتعمق وتفصيل طبيعة العلاقة الجدلية والعضوية بين الاحزاب من جهة وبين الرأي العام من جهة اخرى وما ينتج عن هذه العلاقة من قرارات واختيارات تؤثر على مجمل سياسة اسرائيل الخارجية . كما ان أهمية هذا الكتاب تكمن في المعلومات الغزيرة التي من الصعب العثور عليها في كتاب واحد والتي يرجع فضل تجميعها تجميعا ذكيا ومنطقيا الى هذا الكتاب .

ان الباحث الذي يريد ان يتعمق في دراسة الاحزاب السياسية لا بل وحتى الحياة الاسرائيلية ، سوف يجد في هذا الكتاب مرجعا ثمينا ومهما . الا اننا اذا تجاوزنا حدود هذه الدراسة الاكاديمية والتقنية لندخل الى مجال السياسة الآنية او بالاحرى الى مجال التحليلات السياسية ، كما فعل المؤلف في المقدمة والخاتمة فاننا سوف نجد الكثير من الثغرات .فالاستنتاجات والفرضيات التي يريد الكاتب ان يقنعنا بها ، تشكو من عدة نقاط ضعف . لنأخذ مثلا على ذلك : يقول المؤلف ان موضوع هذه الدراسة هو تحليل القوى السياسية في اسرائيل. لماذا ؟ لان القوى السياسية هي في اساس الحلول السياسية (صفحة ١٤) . ومن هنا فان المؤلف يستنتج ان القوى السياسية في اسرائيل هي التي تحدد ، بشكل اساسي ، طبيعة الحل الذي ترتئيه للصراع العربي الاسرائيلي . وهنا يغيب عن بال الكاتب دور القوى الخارجية في صنع سياسة اسرائيل وبشكل خاص الولايات المتحدة الاميركية او بالاحرى فهو يقلل من فعالية هذا الدور . فهو يقول : « اننا نعتقد شخصيا ، مثل الكثير غيرنا، ان بامكان الضغط الاميركي ان يكون قويا جدا ولكننا لا نعتقد بان هذا الضغط يمكن ان يكون حاسما . ان الولايات المتحدة الاميركية تبدو كأب لم يعد بامكانه ان يرد احد ابنائه المتمردين الى الصواب » . ان هذا الاستنتاج يقلل من قيمة العلاقة العضوية والارتباط المصيري بين الولايات المتحدة واسرائيل . فالذي يحصل ليس مجرد تمرد ابن على سلطة ابيه ، بل هو ، في رأينا ، تواطؤ اكيد وان كان خفيا احيانا ، قائم على مصالح واهداف استراتيجية مشتركة . ان القول بأن الاحزاب الاسرائيلية هي مركز الثقل في تكوين وصياغة الاختيار السياسي يصح اذا اخذنا اسرائيل بحد ذاتها اي بمعزل عن المحيط الخارجي الذي تعمل ضمنه وبه . الا ان هذا المقولة سرعان ما تتهاوى وتتهافت عندما توضع اسرائيل في موضعها الطبيعي . غير انه من الواجب ان نضيف ونستدرك بسرعة بان مثل هذه الاستنتاجات تظل « مجرد اراء شخصية » حسب تعبير المؤلف نفسه ، كما انها لا تنتقص من قيمة وعلمية الكتاب شيئا . بالاضافة الى ذلك يستعرض المؤلف الاتجاهات والمواقف الاساسية التي ، على حد قوله ، بامكانها ان تؤثر على مجرى الاحداث وتؤدي الى حل للصراع او الى مأزق صعب . وهذه الاتجاهات والمواقف تتمثل عبر خمس قوى وهي القوى السياسية في اسرائيل ، الرأي العام الاسرائيلي ، قسم لا بأس به من المثقفين الاسرائيليين (اوري افنيري) ، المنظمات الفلسطينية ، والدول العربية المعنية مباشرة بالصراع . هنا ايضا نرى المؤلف يهمل اهمية الواقع الدولي وارتباط الحل ، الى حد ما ، به .

على كل حال ، فان هذه الانتقادات لا تتناول الا الجانب السياسي من الكتاب وهو لا يشكل الا جزءا صغيرا فيه . اما الجانب الوثائقي فيكاد يكون افضل ما كتبه وجمعه عربي في هذا المجال سواء من ناحية المنهج ام من ناحية المحتوى . ان الجهد الذي بذله ريمون صايغ في هذه الدراسة العلمية يؤكد ، مرة اخرى ، ان العقل العربي قد استفاد كثيرا من تجربة نكسة حزيران اذ ان الروح التحليلية والمنهجية قد حلت محل التعميمات والتبسيطات التي كانت تتميز بها معظم الابحاث المتعلقة بالصراع العربي الاسرائيلي .

ان هذه الاطروحة هي ، في النهاية ، مساهمة حقيقية في اغناء مكتبة الابحاث العربية المتخصصة في دراسة المجتمع الاسرائيلي دون تشنجات ذاتية وهي من هذه الناحية ، تشكل ردا متواضعا جدا ولكنه اكيد على هزيمة العقل الاعلامي العربي .

الياس نجم

تقارير

كنائس الشرق الادنى والقضية الفلسطينية

انغو كول

يعالج هذا البحث موقف الكنائس في الشرق الادنى من القضية الفلسطينية على النحو الذي عبرت عنه بيانات وتصريحات رؤساء هذه الكنائس ومجالسها وممثليها الاخرين في الفترة ما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧١ . وهذا يعني أن البحث ، هنا ، اقتصر على الوثائق الموجهة الى جمهور واسع نسبيا ، بينما أسقط من الحساب التصريحات والاقوال غير العامة والآراء الشخصية في طبيعتها . ومن جهة أخرى ، اقتصرت مصادر هذا البحث على ما توفر من مادة ، بهذا الصدد ، في « مركز التوثيق » التابع « لامانة مسكونية الشباب والطلاب في الشرق الاوسط » . ويقع معظم هذه المادة التي تناولها البحث في ملفين اثنين هما : « مسيحيو الشرق الادنى والمشكلة الفلسطينية » ، وملف «القدس» . كذلك لم يتسن لي ، في هذا البحث ، سوى الاعتماد على الوثائق المتوفرة باللغتين الانكليزية والفرنسية فقط . وعلاوة على ذلك ، ان مواد مصادر هذا البحث ليست دائما مرضية من زاوية الدراسة التحليلية النقدية للنصوص ، اذ ما يقارب نصف هذه المواد هي من قصاصات الجرائد، كما أن طبيعة الترجمات الانكليزية لا توحي في بعض الاحيان بأنها مثلى ، ويتسنى ملاحظة ذلك عند مقارنة النص الانكليزي بنظيره الافرنسي . ولا ريب ان الطبيعة الانتقائية للوثائق موضوع الدراسة كان لها تأثير في تقويمها واعتبارها ، وبالتالي فان النتائج المستخلصة من دراستها هي ، في كثير من الحالات ، ظنية في طبيعتها ، بينما في حالات أخرى يوجد من الشواهد ما يكفي لدعم النتائج المستخلصة .

ان النداءات التي تشتمل عليها الوثائق موضوع البحث صادرة عن كنائس منفردة ، أو عن كنائس احدى البلدان مجتمعة ، أو عن مجموع كنائس منطقة اقليمية او عن كنائس من ملة واحدة .

وينطق بلسان الكنائس في هذه الوثائق رؤساؤها مثل البطاركة ورؤساء المجامع الكنسية وما الى ذلك ، وقد يتحدث باسمها مسؤولون آخرون كبار فيها مثل المطارنة بصفتهم رؤساء أقاليم ، وكذلك ، في حالة الكنائس البروتستنتية قد ينطق بلسانها القس أو راعي الابرشية فيها . وهم يتحدثون ، في الوثائق موضوع الدراسة ، بصفتهم الرسمية كمسؤولين ، كما يتحدثون في عظاتهم الدينية ومحاضراتهم الاخلاقية ، كذلك يتحدثون بصفتهم الشخصية كأشخاص عاديين . وتأخذ آراؤهم وأفكارهم التي يعبرون عنها أشكال تصريحات ، أو نداءات ، أو مذكرات ، أو مقابلات ، أو رسائل وبرقيات .

ويبلغ عدد البيانات والنداءات والتصريحات التي جرى تمحيصها ودراستها وتقويمها في هذا البحث ٤٨ منها ٣٣ بيانا أو تصريحا صادرا عن كنيسة منفردة أو عن مسؤول واحد في احدى الكنائس و ١٥ بيانا صادرا عن مجموعة من الكنائس مرتبطة مع بعضها اقليميا أو برباط الملة الواحدة ، وتتمثل في الوثائق موضوع البحث ١٨ كنيسة من كنائس الشرق الادنى واثنان من المجالس الكنسية هما : مجلس الطائفة الانجيلية في لبنان ، ومجلس كنائس الشرق الادنى . والبيانات الصادرة عنهما لم توزع على الكنائس الاعضاء فيهما .

ومن حيث عدد الوثائق والبيانات والتصريحات الصادرة عن كل واحدة من كنائس الشرق الادنى نجد ان كفة الكنيستين الروميتين وهما الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ترجح على ما عداهما، اذ صدر عنهما ما مجموعه ٢١ من مجموع الـ ٣٣ بيانا منفردا ، كما وقعتا ١٢ من مجموع البيانات المشتركة الخمسة عشر . (بينما اقتصرت البيانات

الثلاثة الاخرى على الكنائس القبطية المصرية) . ولذلك فان هاتين الكنيستين تتميزان عن غيرهما من كنائس الشرق الادنى . وتليهما ، بعد هوة واسعة ، كنيسة الروم الارمنية الموقعة على سبعة تصريحات وبيانات مشتركة . وبعد هذه ، هنالك انخفاض في عدد البيانات الصادرة عن الكنائس حتى ان مساهمة عدد من الكنائس في هذا المضمار اقتصرت على توقيع بيان مشترك واحد ، ومن الصعب ان يقول المرء شيئا محددا عن هذه المجموعة الاخيرة من الكنائس ، وليس للمرء الا ان يفترض أن هنالك عددا آخر من هذه الوثائق لم تدرج في مادة مصادر البحث ، واي عدد مهما كان قليلا ، من هذه الوثائق ، غاب عن السجلات يؤثر على رتبة الكنيسة في هذا الصدد ، كما يؤثر في بيان حقيقة موقفها .

ويبدو ان واقع وجود الملفات موضوع الدراسة في لبنان كان له تأثير في انتقاء المواد والوثائق وحفظها فيها . فمن بين البيانات المنفردة الاحدى والعشرين الصادرة عن كنيستي الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك نجد تسعة منها ، أي ما يقرب من نصفها ، قد صدرت عن واحدة من هاتين الكنيستين في لبنان ، وكذلك بالنسبة للكنائس الاخرى ، عدا الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك ، نجد ان النسبة هي ٥ من ١١ أي النسبة ذاتها . أما بخصوص البيانات المشتركة فان نسبة الصادر منها عن كنائس لبنان تنخفض الى ٥ من مجموع ١٥ بيانا مشتركا ، أي بنسبة الثلث . وتشير هذه الحقيقة الى ان البيانات المشتركة تحظى باهتمام أوفر من وسائل الاعلام يتجاوز حدود البلد الصادرة فيه مما جعل نسبة البيانات المشتركة الصادرة عن كنائس خارج لبنان تتفوق على ما صدر منها في لبنان ، في حين ان البيانات المنفردة أقل حظا في تجاوز حدود البلد الصادرة فيه مما جعل نسبة الصادر منها في لبنان المحفوظة في الملفات تساوي تقريبا نسبة ما حفظ في السجلات من البيانات المنفردة الصادرة عن كنائس خارج لبنان . وقد لا تكون هذه الظاهرة الزامية وحتمية بل تتعلق بأساليب التسويق لدى وسائل الاعلام بدليل كثرة تواتر التصريحات الشخصية لبطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس في الصحافة العالمية ، بيد أن الاتجاه العام يشير عموما الى النتيجة المستخلصة التي أوردناها آنفا .

وضمن هذا الاطار ، يبدو عدم وجود عدد كبير من البيانات الصادرة عن الكنيسة المارونية أمرا مثيرا للدهشة ، اذ بصفتها من أعظم كنائس الشرق الادنى ولكون مقرها في لبنان يتوقع المرء أن تكون ممثلة في ملفات نسقت في لبنان بأكثر من مجرد بيانين مشتركين وتصريح واحد منفرد فقط . وبهذا الصدد تتفوق على الكنيسة المارونية بعض الكنائس الصغيرة مثل الكنيسة الانجيلية في الاردن ، ناهيك عن كنيسة الروم الكاثوليك ووثائقها الثلاث والعشرين المحفوظة في الملفات مع أن عدد رعاياها في الشرق الادنى هو ٢٦٠٠٠٠ في حين أن عدد الموارنيين في لبنان فقط ٤٥٠٠٠٠[1]. كذلك ، ان الاهتمام العام لدى الارمن الارثوذكس بالقضية الفلسطينية ، وهم بمثابة ضيوف في البلدان العربية ، يفوق الوثائق المارونية بهذا الصدد بنسبة ٧ الى ٣ ، ونكتفي ، بهذا الخصوص ، بهذين المثالين .

ان وجود الوثائق الصادرة عن الكنائس القبطية في مصر ضمن المادة موضوع البحث من المحتمل أن يكون بمحض الصدفة أكثر منه في حالة الكنائس الاخرى ، الا ان هذه الوثائق المتوفرة تدل على اتجاهات عامة معينة ، وعلى وجه الخصوص ، تشير البيانات المشتركة الثلاثة الصادرة عن رؤساء الكنيسة القبطية الى وجود شعور من التضامن الثقافي — العرقي ضمن الاطار القومي ، ولدّه الصراع من أجل فلسطين ، يتخطى حدود التباين في الملة . ومن جهة أخرى ، بالاضافة الى تواتر ورود اسم الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك معا في البيانات المشتركة ، هنالك حالة واحدة فقط اشتركت فيها الكنيسة الارثوذكسية الام مع حفيدتها الكنيسة الكاثوليكية في توقيع وثيقة واحدة وهي كنيسة السريان الارثوذكس والسريان الكاثوليك في البيان الصادر عن الكنائس السورية بعنوان «نداء الى الضمير المسيحي » . أما القول ان الاطار الحاسم في الوثائق المصرية كان الاطار الثقافي وليس القومي ، فيؤكده غياب توقيعات الكنائس المصرية غير القبطية على البيانات المشتركة .

وتظهر البيانات المشتركة مجتمعة بأن الجانب

---

١ — هذه الارقام استنادا الى الدكتور هورنر من السنودس الوطني للانجيليين في سوريا ولبنان .

القومي ــ الاقليمي كان العامل الغالب في حشد مجموعة من الكنائس لاصدار بيان مشترك اكثر من عامل الارتباط الملي . فالبيانات المشتركة الخمسة عشر الصادرة عن كنائس الشرق الادنى منذ عام ١٩٦٧ بصدد القضية الفلسطينية يمكن تقسيمها الى ثلاثة بيانات صادرة عن كنائس ترتبط برباط الملة الواحدة (أعضاء مجلس الكنائس العالمي) ، وأربعة بيانات صادرة عن كنائس مرتبطة اقليميا (ثلاثة صادرة من الضفة الغربية ومذكرة علماء اللاهوت في الشرق الادنى) ، وثمانية بيانات مشتركة صادرة عن مجموعة من الكنائس في أحد أقطار الشرق الادنى (لبنان ٢ ، سوريا ٢ ، مصر ٣ ، الاردن ١) .

وقد شارك الزعماء الدينيون المسلمون في توقيع أربعة من البيانات المشتركة الخمسة عشر الى جانب رؤساء الكنائس المسيحية ، وبما ان ثلاثة من هذه البيانات المشتركة الاربعة قد صدرت في الضفة الغربية فان هذا يدل على أن الشعور القومي العربي في وجه الاحتلال الاجنبي قد تجاوز فوارق التباين الديني .

والغالبية الساحقة من الوثائق موجهة الى الغرب ، بينما أقلية منها تبقى في اطار البلدان العربية ، أي أنها موجهة الى مواطني البلد الذي تقوم فيه الكنيسة أو الكنائس أو الى رعاياها ، وان النسبة بين مجموعتي الوثائق هي ٣٦ الى ١٢ أي ما يعادل ٣ الى ١ . وغالبا ما تكون وثيقة واحدة موجهة الى عدة جهات لا سيما في حالة البيانات العامة والرسائل المفتوحة ، بينما هنالك وثائق موجهة الى جهة معينة . والوثائق التي تبقى في اطار الشرق هي دائما من الفئة الثانية أي الموجهة الى جهة معينة ، بينما الوثائق الموجهة الى الغرب غالبا ما تخساطب معا بصورة عامة « الضمير العالمي » ، و « الضمير المسيحي » ، و « الانسانية » . الخ ... وبين الوثائق الموجهة الى الغرب نجد ان ما هو موجه منها الى المسيحية بصورة عامة والى هيئات كنسية معينة تشكل الغالبية ، بينما لا نجد سوى نداءين اثنين موجهين الى منظمة الامم المتحدة مباشرة ، رغم أنه ، كثيرا ما يرد ذكر قرارات الامم المتحدة ويشار اليها في محتويات الوثائق كما سنرى لاحقا . كذلك خاطبت الوثائق مرتين كلا من الضمير العالمي والحكومات الغربية ، وكثيرا ما تخاطب الوثائق الكنيسة اللاتينية ممثلة في شخص البابا ومجمع الاساقفة من جهة ومجلس الكنائس العالمي بواسطة امينه العام أو بصورة عامة (٩ مرات) ، وهذه مجتمعة تحتل المرتبة الاولى من حيث عدد الوثائق الموجهة اليها. ومرة او مرتين وجهت نداءات في الوثائق الى كل من رئيس أساقفة كنتربري بصفته رئيسا للكنيسة الانجليكانية والى البطريرك المسكوني للارثوذكس. أما الوثائق غير الموجهة للغرب فتتكون من صلوات ورسائل رعاوية (اي الرسائل التي يوجهها الاسقف الى ابناء ابرشيته) ونداءات الى المواطنين .

تحظى المصطلحات التي تنطلق منها الوثائق في التعبير ، وفي اشكال استخدامها لهذه المصطلحات بأهمية في تقويم محتويات الوثائق . وقد تكون وظيفة الوثيقة هي تحليل الوضع في الشرق الادنى اما الى الجهات الكنائسية في الغرب او لبلورة الادراك لذلك الوضع في بلد الكنيسة ذاته او داخل الكنيسة ذاتها . وقد تكون لاطلاع الجهة الغربية المخاطبة على احداث معينة او لجلب الانتباه لهذه الاحداث ، وقد تكون طلبا للمساعدة او لاتخاذ اجراءات معينة . ومن جهة اخرى ، قد تتحدث الوثيقة على الصعيد اللاهوتي او السياسي او الاخلاقي وبمصطلحات كل منها . وقد لا يتيسر التمييز في الوثائق بين جميع هذه الجوانب بصورة محددة ودقيقة ، اذ ان البون ليس واسعا بين المعلومات التفصيلية والتحليل . بيد ان هنالك فرقا واضحا بين أسلوب البرقيات التي بعث بها رؤساء الكنيسة القبطية الى البابا ومجلس الكنائس العالمي وآخرين بتاريخ ١٩٧٠/٢/١٧ و١٩٧٠/٤/٩ بصدد الغارات الاسرائيلية على المدارس والمصانع والاماكن المدنية وبين المذكرة التي اصدرها كوربون وخضر وقفعيتي ولحام بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٨ وهي بعنوان : « ما هو المطلوب من العقيدة المسيحية نحو القضية الفلسطينية ؟ »

الموضوعات الرئيسية التي تطرقت الوثائق الى معالجتها :

تتفاوت الوثائق الى حد بعيد في الشكل والمضمون. وحتى نقف على ما تعنيه « القضية الفلسطينية » في نظر كنائس الشرق الادنى اقترح مناقشة مضمون الوثائق من اربعة وجوه :

أ ــ **اللاجئون وحقوق الشعب الفلسطيني** : يعالج

حوالي خمسي الوثائق ، بصورة اكثر او اقل افصاحا ، مشكلة اللاجئين . وغالبا ما تشمل هذه المعالجة كذلك بعض الاعتبارات حول الشعب الفلسطيني ككل وحول حقوقه . وتحظى مسألتان هما : وضع المسيحيين في فلسطين والموقف من نشاط الفدائيين بعناية خاصة في هذا الصدد . وتعالج المسألة بصورة عامة على صعيدين هما : ابلاغ الوقائع وتحليلها من جهة ، واعلان مواقف وطلب الاستجابة لمطالب من جهة اخرى . فمن ناحية ابلاغ الوقائع وعرضها هناك جهة في الوثائق لعرض الوقائع بصورة قريبة لاذهان رجال الكنيسة الغربيين ، اذ تذكر الوثائق المرة تلو الاخرى عدد اللاجئين الكبير ، وتتحدث عن ظروف عيشهم البائس في المخيمات لمدة عشرين عاما او يزيد . وكثيرا ما ترد صيغ من هذا القبيل في وثائق غير مخصصة لبحث مشكلة اللاجئين ، بل تأتي على ذكرها ضمن المسائل الاخرى التي تتوجه لمعالجتها. وتعبر بعض الوثائق عن اوضاع ومواقف ملموسة مثل : « رسالة من رؤساء الكنيسة القبطية الى اخوانهم المسيحيين » الصادرة في خريف عام ١٩٦٨ والتي تعبر عن « الخشية من تجدد القتال من جديد » ، وكذلك رسالة مجلس كنائس الشرق الادنى الى مجلس الكنائس العالمي اثر الحرب مباشرة بصدد موجات نزوح اللاجئين الجديدة التي اعقبتها ، بينما توجد وثائق اخرى تذكر بالاحوال القائمة دائما ودون ان يكون هناك سبب مباشر . وعندما تتجاوز الوثائق مجرد ذكر الوقائع وتتوسع في اعطاء صورة عامة عن خلفية الوقائع والاحداث ينحو التحليل نحو اتجاهين هما : الوضع المادي للاجئين وعناؤهم الروحي . وتصف الاوضاع المادية للاجئين بالقول انهم : طردوا من بيوتهم واملاكهم، وانهم يعيشون منذ عشرين عاما في ظروف غير انسانية في مخيمات شديدة الازدحام بهم بحيث « يعانون من سوء التغذية ويعيشون في مأوى وضيع غير مناسب ، ويرتدون فضلات الاخرين من الاسمال البالية » .

ومن الناحية الاخرى ، تؤكد على عواقب هذا الواقع على حياة اللاجئين الاجتماعية والخلقية ، اذ « ينشأ الشباب محرومين من بطاقات هويتهم ومن ارضهم ، مشبعة نفوسهم بالحقد والمرارة وروح الانتقام » ، كما قال الاب عزي امام مجمع الاساقفة في روما . كذلك تتحدث باللهجة ذاتها « رسالة من رؤساء الكنيسة القبطية »(٢) التي ورد فيها « لقد رأينا الامل لدى شعبنا يخلي مكانه لليأس ، والحزن ينقلب الى قنوط ، ورأينا الغضب يتحول الى حقد » . وكثيرا ما تقارن المظالم التي لحقت بالفلسطينيين بما قاساه اليهود من آلام في اوروبا « ان هذه المعاناة من الالام والحرمان توازي معاناة الشعب اليهودي في ظل الرايخ الثالث ، وتساويها في تبحها »(٣)، كذلك فان «نداء المسيحيين في يوم غزة » يستنكر « معسكرات الاعتقال والتعذيب الجماعي في صحراء سيناء » ويمضي قائلا : « كيف يستطيع هؤلاء الذين استجاروا ، عن حق ، بالانسانية ضد الجرائم النازية ان يسجنوا الابرياء وزوجات الملاحقين ؟ »(٤). اما المبادىء الاخلاقية والانسانية العامة التي يورد ذكرها على انها تأثرت نتيجة الوضع الراهن للفلسطينيين فهي : العدالة ، السلام ، حق تقرير المصير ، التضامن ، حق الشعب في دياره ووطنه، واكثر هذه المبادىء ورودا هي العدالة . اما حقوق الفلسطينيين فيؤكد على انها « خالدة » ولم تنقطع يوما عن الوجود .

وبعد ان تعرض الوثائق وضع اللاجئين وتبين وجود خطر دائم من تجدد العدوان الاسرائيلي ، وتعلن حقوق اللاجئين ، تمضي الوثائق الى طلب الدعم ، المادي والروحي ، من اخوانهم الغربيين ، مع ان التاكيد هو بجلاء على الشق الثاني (اي الدعم الروحي) . لقد طلبت المساعدة المادية مباشرة بعد حرب عام ١٩٦٧ ، ولكن منذ ذلك الحين ، يبدو ان مجهودات وكالة اغاثة اللاجئين وعون الكنائس كانت كافية لتؤمن حدا ادنى معينا من مستوى العيش، بحيث ان كنائس الشرق الادنى لم تر حاجة للقيام بحملات عامة لهذا الغرض . وتعبر عن الاهتمام الاساسي للكنائس في هذا الصدد الجملة الختامية في رسالة مجلس كنائس الشرق الادنى حول اللاجئين : « اننا نتوجه اليكم ،

---

٢ ـ رؤساء الكنيسة القبطية « رسالة الى الاخوة المسيحيين » ١٩٦٨ .

٣ ـ رسالة كنائس سوريا ولبنان الاعضاء في مجلس الكنائس العالمي الى الامين العام لمجلس الكنائس العالمي بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٧ .

٤ ـ « نداء المسيحيين لمناسبة يوم غزة » الذي اصدره ممثلو الكنائس في لبنان بتاريخ ١٩٧١/٦/٥ .

كاخوتنا في المسيحية ، بأن تنضموا الينا ليس في جمع الصدقات لهؤلاء المعوزين فحسب ، بل في مساعدتهم للحصول على العدالة التي يستحقون »(٥).

وكثيرا ما تطلب الوثائق من المسيحيين الغربيين والكنائس بأن تستخدم نفوذها لدى الرأي العام في الضغط على حكوماتهم وعلى الدول الكبرى ومنظمة الامم المتحدة لصالح الفلسطينيين . وغالبا ما تعبر البيانات ، في هذا الصدد ، عن خيبة الامل بسبب لا مبالاة المسيحيين في الغرب ازاء هذا الامر او لدعمهم للمزاعم الصهيونية . « انه مما يشعرنا بألم عميق ومرارة شديدة ، نحن المسيحيون ، ان نسمع بعض اخواننا المسيحيين في الغرب يعلنون ، بكل راحة ضمير ، دعمهم غير المتحفظ للعدوان الاسرائيلي »(٦). كما ان بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس صرح في مقابلة مع احدى الصحف البلجيكية قائلا : « اننا معشر المسيحيين الشرقيين نشعر بأننا منسيون ومهملون ، ولا نود ان نقول اننا نشعر بخيبة امل، عندما لا نجد مؤيدين لقضيتنا » . ان القيام «بحملة من اجل جلاء الحقيقة على نطاق العالم بأسره » يعد عملا حاسما ، وبالتالي فان من واجب المسيحيين ان يتابعوا وقائع الاحداث وان يحصوها لينقلوها الى جمهورهم وفق ما نادت به مذكرة رجال اللاهوت في الشرق الادنى في عام ١٩٦٧ ، وخطاب البطريرك مكسيموس الخامس في روما في عام ١٩٧١ ، وكما نادى بذلك اخرون مرارا . وتتجاوز بعض الوثائق النداءات العامة لاقرار السلام والعدالة بتعيينها مطالب ملموسة من بينها اعادة اللاجئين الى وطنهم ، وارجاع ممتلكاتهم لهم او تعويضهم عنها تعويضا عادلا ، وضمان حقوقهم السياسية كاملة في وطنهم .

هنالك جانب خاص من الحوار ، غالبا ما يتطرق اليه رجال الكنائس الكاثوليك ، هو مصير الفلسطينيين المسيحيين او « المسيحيين في الاراضي المقدسة » . فقد أدى وجود نسبة أعلى من المسيحيين بين العرب المطرودين وأولئك المهددين بالطرد الى ظهور نداءات للتضامن داخل صفوف المسيحيين تجاه الغرب . ويحمل لواء هذه الدعوة، بوجه خاص ، بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس الذي ما زالت له أبرشية كبيرة في الجليل ، وان كانت هذه الابرشية في ضمور دائم ، وكان هو نفسه رئيس أساقفة هذه الابرشية لسنوات كثيرة ، كما عبر عن دعوة مماثلة بطريرك اللاتين بلتريتي .

ومن المسائل الاخرى التي تسترعي الاهتمام مدى تأييد نضال الفلسطينيين لاحراز حقوقهم ، او بعبارة اخرى ، ما هو الموقف الرسمي لكنائس الشرق الادنى من حرب التحرير المتمثلة في النشاط الفدائي . ان معظم الوثائق لا تتطرق الى هذه المسألة بصورة محددة . ان هنالك بعض الدعوات من أجل حل سلمي غالبا ما يوصف بأنه «عادل» ، الا ان الصيغة العامة للحديث عن هذه المسألة تبقى مبهمة . ومما يسترعي الملاحظة انه لا توجد بين جميع الوثائق الا وثيقة واحدة ذات نبرة عسكرية هي برقية بطريرك الروم الكاثوليك الراحل مكسيموس الرابع وعدد من الزعماء الدينيين السوريين الاخرين الى رئيس الدولة السوري عشية اندلاع حرب حزيران ١٩٦٧ التي جاء فيها : « في هذه الظروف العصيبة التي تجتازها ديارنا العربية نقف جنبا الى جنب مع حكومتنا ، وندعو جميع ابنائنا الى الوقوف معنا صفا واحدا في نصرة القضية الفلسطينية ولتحرير الاراضي العربية المحتلة ظلما وعدوانا » . ولكن بعد العدوان لا يظهر شيء من هذا القبيل اطلاقا ، فيتحاشى «نداء المسيحيين في يوم غزة » في اعلانه التضامن استخدام تعبير lutte بمعنى كفاح ويستخدم عوضا عن ذلك التعبير efforts بمعنى مساع او جهود. والصوت الوحيد ، بعد الحرب ، الذي عبر عن تحبيذه لاسترجاع فلسطين باستخدام العنف ، واشتمل ، بصورة او باخرى ، على مساندة للنشاط الفدائي هو القرار الذي اتخذته « ندوة الشبيبة الطالبية الكاثوليكية في لبنان عام ١٩٦٨ » والدفاع العام عن هذا القرار الذي قدمه المطران حداد للروم الكاثوليك الذي وقع هذا القرار . ويطالب القرار « بالتضامن التام مع الشعب الفلسطيني في كفاحه لاسترجاع حقوقه في وطنه » . وبعد نشر هذا البيان اوضح المطران حداد معناه وبين مدلوله في احدى الجرائد

٥ ــ رسالة مجلس كنائس الشرق الادنى الى الكنائس المساهمة في خدمة اللاجئين بتاريخ ١٩٦٩/٢/٢٧ .

٦ ــ رسالة رؤساء الكنيسة القبطية الى اخوانهم المسيحيين في عام ١٩٦٨ .

البيروتية : « التضامن لان اللاجئين الفلسطينيين هم من ذوينا ، ولان القضية الفلسطينية قضية عادلة » . واما بصدد « التضامن التام » مع الوسائل التي يستخدمها الفدائيون فيعبر عن بعض التحفظات ، ولكنه يصر على ان الوسائل تقع مسؤوليتها على عاتقهم ، اذ انه يرى واجبه كمسيحي لبناني في تأييد اهدافهم المشروعة . وحري بالملاحظة ان هذه التصريحات الوحيدة المحبذة جهارا للكفاح المسلح غير موجهة للغرب . ولا يعد موقف المطران حداد ، على اية حال ، نموذجيا في تمثيله نظرة الروم الكاثوليك للمسألة ، اذ ان بطريرك الروم الكاثوليك مكسيموس الخامس عبر في مقابلة صحفية مع احدى الجرائد البلجيكية عما يبدو وكأنه نقيض ذلك اذ قال : « أعتقد انه من زاوية معينة تخدم المقاومة الفلسطينية مصلحة اسرائيل ... فالمقاومة مع ما ينجم عنها من اضطهادات مثل نسف بيوت اولئك الذين تحوم الشكوك حول مساعدتهم في ايواء الفدائيين تؤدي الى مغادرة العرب لاراضيهم »(٧). لم يرد نظير لهذه الفقرة المقتطفة على لسان احد من رؤساء كنائس الشرق الادنى الاخرين ، وربما ينبغي ان تحمل على محمل النقد للسياسات العربية كان البطريرك قد عبر عنه في مناسبة اخرى ، في رسالة وجهها الى احدى الجرائد الفرنسية ذهب فيها الى ان اللوم الذي وجه الى تصريحات عربية معينة له ما يبرره — وربما كان يشير بذلك الى ما زعم من تهديدات قبل حرب حزيران بقذف الاسرائيليين في البحر وما الى ذلك ... بيد ان هذه التصريحات ذاتها كانت قد دافعت عنها رسالة اعضاء مجلس الكنائس العالمي في عام ١٩٦٧ التي ذهبت الى ان ما فهمه الرأي العام الغربي من انها تستهدف الابادة هو تأويل سيء . لعل من الحري بالملاحظة في هذا الصدد ان تصريحات البطريرك غير موجهة الى جمهور شرقي ، بل وضعت بصيغة اعتذارية للكاثوليك في الغرب . وبصورة عامة ، ان بيانات الكنائس لا تحفل ببيان وسائل محددة وملموسة لوصول الفلسطينيين الى حقوقهم ، اذ ان أفكارهم حول الحل في المستقبل تتفق في ملامحها مع النظرة العامة للقادة العرب (انظر ذلك في الفقرة « ج » بعنوان « اسرائيل ») .

ب : **القدس** : استأثرت وضعية القدس بعد اعلان الضم الاسرائيلي لها بالقسط الاوفر من الوثائق وحفزت الى تأليف معظمها ، فقد تطرق الى مسألة القدس ٢٢ من بين البيانات المنفردة الثلاثة والثلاثين ، وكذلك ٥ من بين البيانات المشتركة الخمسة عشر ، اي انه من بين مجموع الوثائق الثماني والاربعين مجتمعة عالجت ٢٧ منها وضعية القدس ، فمن الوثائق ما تطرقت اليها ضمن غيرها من مسائل القضية ، ومنها ما افردت لها بكاملها واقتصرت عليها . وأود ان اعزو هذا التأكيد على وضعية القدس الى سببين هما : الاهتمام ، لا سيما لدى الكنائس الكاثوليكية بالشخصية المقدسة والطابع المسيحي للمدينة واماكنها ، وكذلك حادث المسجد الاقصى الذي حرك مشاعر الارتباط القومي العربي كما حرك مشاعر التضامن بين المؤمنين بالديانات التوحيدية . وانني ارى ان النقطة الاخيرة حظيت باهتمام اكبر من الكنائس غير الكاثوليكية ، رغم انه يوجد بهذا الصدد ايضا ، كما هو الحال دائما ، بيانان صادران عن الروم الكاثوليك ، ولكن لا توجد اية اشارة من اية كنيسة كاثوليكية اخرى . وبما ان ١٢ من بين البيانات المنفردة المتعلقة بوضعية القدس بصورة عامة قد صدرت عن مصادر كاثوليكية ، بينما لم يصدر عن هذه المصادر سوى اثنين من البيانات السبعة المتعلقة بحادث المسجد الاقصى ، نستطيع ان نقول ان الاهتمام الكاثوليكي بهذا الحادث والامور التي طرحت في هذا الصدد كان قليلا ومحدودا نسبيا . ولتوضيح هذه النقطة ، اعني بكلمة « كاثوليكي » في هذا السياق ، بصورة رئيسية ، البطريرك مكسيموس الخامس الذي تحدث حول هذا الامر في مناسبات كثيرة ، كما اعني ايضا بطاركة اللاتين والاقباط الكاثوليك . فالمسؤولون المحليون في كنيسة الروم الكاثوليك يختلفون في وجهة نظرهم مع رئيسهم ، كما لاحظنا ذلك بصدد قضية اللاجئين .

لقد عبر البطريرك مكسيموس الخامس عن اهتمامه بوضعية القدس في ستة من تصريحاته الثمانية المسجلة . اذ يقول عنها انها « المدينة المقدسة بلا منازع »(٨)، « وان لها اهمية روحية عميقة

---

٧ — مقابلة مع جريدة « لا ليبر بلجيك » La Libre Belgique بتاريخ ١٩٦٩/٦/٧ .

٨ — عظة في واشنطن بتاريخ ١٩٦٨/٦/٧ حسب سجلات مكتبة الكونغرس .

لدى جميع من يؤمنون بآله واحد »(٩)، « رغم انها منذ قرون ، وهي بطابعها مدينة عربية ، فلنصل ولنأمل معا بأن الناس سيجعلون من القدس مكانا عالميا في طابعه »(١٠). ان مثل هذا التصريح غير مألوف ، لانه في البيانات الاخرى اما ان ينادي زعماء الكنائس باعادة المدينة الى السيادة العربية، او انهم ، اذا دعوا الى التدويل ، يتلافون ذكر الطابع العربي للمدينة او عدمه ، بل يقتصرون عى دفع المطالب والحجج الاسرائيلية . وينادي البطريرك مكسيموس الخامس عدة مرات بوضع خاص للقدس محبذا وضعها تحت ادارة الديانات الثلاث المعنية(١١)، « لانتزاع المقدس بصورة تامة من دنيا السياسة والقوة »(١٢). وينبغي ايجاد حل لوضع القدس قبل الوصول الى تسوية عامة نهائية ، لان الوصول الى مثل هذه التسوية لا يبدو امرا محتملا في المستقبل القريب ، ولذلك « ينبغي اخراج قضية القدس من اطار النزاع العام العربي الاسرائيلي » . وقد توخى بطريرك اللاتين بيلتريتي الغرض ذاته عندما طالب « بضمانات قانونية دولية لحماية الطابع المقدس والعالمي لمدينة القدس » . وكذلك ، من المواقف المألوفة للكنائس الكاثوليكية في الشرق الادنى ، ممثلة في بطاركتها ، الاحتجاج ضد اسرائيل لعدم سماحها للمسيحيين في البلدان العربية بممارسة شعائر الحج الى الاماكن المقدسة، ويبين البطريرك مكسيموس الخامس ، بهذا الصدد ، ان الاسرائيليين بعملهم هذا يكررون «غلطة» الاردنيين ضد اليهود قبل عام ١٩٦٧(١٣).

وتعبر بعض الوثائق عن موقف يختلف تماما عما ورد آنفا بتأكيدها على الطابع العربي الشرعي للمدينة ، وابلغ هذه الوثائق واكثرها فصاحة هي مقالة مطران الروم الارثوذكس جورج خضر بعنوان « مع عروبة القدس »(١٤)، والتي نشرها باسم مستعار بعيد حرب حزيران ١٩٦٧ وضم القدس القديمة الى « اسرائيل » . وقد استعمل المطران خضر اصطلاح « تعريب القدس » كنقيض لاصطلاح « تدويل القدس » الذي يعتبره فكرة اوروبية تماما ، ويقول عنه انه « قبول ضمني ان الامر المهم في القدس اماكنها الاثرية ، حجارتها لا شعبها. وعندنا ان أهل فلسطين احب الى الله من كنيسة القيامة . ضريح المسيح ذكرى ، العرب ليسوا ذكرى » ، ونظرا لكون كنيسة انطاكية « هي الكنيسة العربية الوحيدة في المسيحية الشرقية » ولانه يعتقد بانها لا تستطيع ان تكون الا عربية ، فان رفض فكرة التدويل ليس موضع جدال . اما الوثائق الاخرى من هذه المجموعة فتتحدث عن « الطابع العربي » للمدينة ، و « اعادتها الى اصحابها الشرعيين » . وتتميز بينها بنبرة خاصة الوثيقة بعنوان « نداء الى الشعب العربي » التي تحمل توقيعي مطراني الانجيليين والروم الكاثوليك ، والتي تدعو القدس بالنص الحرفي « جزء لا يتجزأ من المملكة الاردنية الهاشمية » ، وهذا تحديد تلافت ذكره البيانات الاخرى .

وكان الحدث الكبير بعد اعلان ضم القدس لدولة اسرائيل هو احراق المسجد الاقصى الذي عد عملا من أعمال التخريب الصهيوني بهدف اعادة اقامة هيكل سليمان في موقع المسجد الاقصى . وقد حفز هذا الحادث الى اصدار سبعة بيانات من اربع كنائس ، ولكن دون ان يصدر بصدده اي بيان مشترك . وتنسجم هذه البيانات في صيغتها حتى في التفاصيل الدقيقة ، اذ تدين الحادث كجريمة في معظم الحالات ، ولكن بعضها تصفه بانه فعل بربري وانتهاك لحرمة المقدسات الخ ... وتعتبره الوثائق موجها ضد « جميع العرب » وضد « اخواننا المسلمين » مثلما هو ضد المسيحية ذاتها ، وضد جميع المؤمنين بغض النظر عن دياناتهم ، وكذلك ضد القيم الانسانية والانسانية بأسرها . وتوجه الوثائق نداء الى جميع المؤمنين والحكومات ، لاعلان التضامن واتخاذ الاجراءات

---

٩ — البطريرك مكسيموس الخامس ، عظة في واشنطن في ١٩٦٨/٦/٧ .

١٠ — بطريركية الروم الكاثوليك : النشرة الصحفية بتاريخ ١٩٦٧/٧/٢٥ .

١١ — عظة في واشنطن بتاريخ ١٩٦٨/٦/٧ .

١٢ — المصدر نفسه .

١٣ — النشرة الصحفية الصادرة عن بطريركية الروم الكاثوليك .

---

١٤ — في كتاب المطران الاب جورج خضر **«فلسطين المستعادة»** جعل عنوان مقالته هذه « روميه القسطنطينية انطاكية » بتاريخ الاحد ٢٣ تموز ١٩٦٧ .

نحو « التطبيق العاجل لقرارات الامم المتحدة المتعلقة بالمدينة المقدسة والاراضي المحتلة »(١٥). ويمكن النظر الى هذا الموقف على انه يستند الى افكار التضامن العربي ، والتضامن الديني بين المسيحيين والمسلمين بالدرجة الاولى ليمتد من ثم الى جميع المؤمنين والانسانية باسرها .

واخيرا أود أن أعلق بايجاز على وثيقة صدرت عن الكنائس السورية منذ عهد قريب بعنوان « نداء الى الضمير الانساني » . وتمتاز بكونها البيان المشترك الذي يحمل اكبر عدد من تواقيع الكنائس في مادة هذا البحث ، اذ هي صادرة عن تسع كنائس . وبوسع المرء ان يدعوها « بيان للمؤمنين بالديانات التوحيدية » . والنداء بحد ذاته صغير الحجم وغامض في صياغته . وينظر الى القدس بأنها كناية عن رمز لميثاق الله مع ابراهيم « منبع الديانات التوحيدية الثلاث » . وينظر الى هذا الميثاق على انه « بداية الحضارة الحقة » أي « الاعتقاد باله واحد ورسالته الى جميع الناس ». وتهدد الصهيونية هذا الميراث المشترك للمسيحيين والمسلمين واليهود ، وهي بربرية ، وتستهدف « تحطيم الحضارة بحد ذاتها من حيث كونها حضارة » فهي بالتالي خطر على الجنس البشري بكامله(١٦).

ج — **دولة اسرائيل** : ان مسألة الاعتراف بدولة اسرائيل هي من النواحي السياسية المحرجة في المسألة الفلسطينية . ومن يراجع الوثائق من حيث الاصطلاحات التي استخدمت فيها للدلالة على اسرائيل لا يجد اية وثيقة تدعو الى الاعتراف رسميا باسرائيل . الا انه يوجد استخدام ضمني لكلمة اسرائيل ، وان كان غير شائع ، في الاشارة الى حدود عام ١٩٤٨ . وكمثال على ذلك ما ورد في « رسالة زعماء الكنيسة القبطية » حيث جاء فيها « اننا نخشى بأن الحرب قد اصبحت وشيكة الوقوع بين اسرائيل والبلدان المجاورة لها التي تحتل اسرائيل اجزاء من اراضيها »(١٧). ففي هذه الرسالة هنالك اسرائيل ، وهنالك بلدان عربية ، والاصطلاح « المناطق المحتلة » يشير الى الاراضي المسلوخة عنها . ويتضح الفرق بجلاء عندما نقارن هذه الرسالة بالبيان الصادر عن كنائس الضفة الغربية بعنوان « بيان الى الشعب العربي » الذي جاء فيه : « ان ضم القطاع العربي من القدس الى الجزء المحتل من فلسطين ... »(١٨). نجد هنا تجنبا لاستخدام « اسرائيل » كتعبير وكفكرة ، وتوجد بدلا من ذلك فلسطين التي احتل شطر منها في السابق ، والان اضيفت الى هذا الشطر المحتل منطقة جديدة . وسواء كان استخدام كلمة اسرائيل في الوثائق ناجما عن دواع تعبيرية لتجنب استخدام تعابير طويلة او كان تكيفا مع التعابير الشائعة دوليا ، هنالك ايضا استخدام لكلمتي « اسرائيل واسرائيلي » يجهد لتلافي قبول صفة الدولة العادية اي تطابق هوية هذه الدولة مع المناطق التي وضعت يدها عليها وتدعي ملكيتها . فتستعمل مثل هذه التعابير اما بصورة محايدة اي دون اشارة الى حدود جغرافية او انها تستخدم فقط في سياق سلبي . كذلك هو الحال في احدى الجمل التي اقتطفت آنفا والتي ورد فيها تعبير « التشريع الاسرائيلي » وبعد بضعة جمل وجه فيها انتقاد الى « سياسة اسرائيل »(١٩)، ويعطي البطريرك مكسيموس الخامس شكلا اخر من أشكال ورود تعبير « اسرائيل » عندما يقول « الاماكن المقدسة في الجليل التي هي تحت سيطرة اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ » ، وهذا الاستخدام لتعبير « اسرائيل » يضفي عليه قدرا معينا من الواقعية ولكنه لا يعني قبول هذا الواقع .وهنالك أيضا تعابير اخرى يتواتر استخدامها واكثرها شيوعا « الصهيونيون » ، وكذلك « المحتلون » ، و « المعتدون » .

وهنالك شكل اخر للحديث ، وذلك بتلافي ذكر اسرائيل كلية ، وفي هذه الحالة يستشف المعنى المقصود من الحديث استشفافا . ويمكن ان يورد كمثال على ذلك خطاب الاب الماروني العربي في روما عام ١٩٧١ ، والذي يورد فيه ، ضمن أمور اخرى ، ضرورة ان يسود الشرق الادنى التسامح وانفتاح مجتمعاتها لكافة الاقوام والاجناس والاديان

---

١٥ — برقية المجلس الاعلى للطائفة الانجيلية في لبنان بتاريخ ١٩٦٩/٨/٢٦ .

١٦ — مجلة « ليليو Le Lieu » عدد آذار ١٩٧١ صفحة ٦٧ .

١٧ — زعماء الكنيسة القبطية : « رسالة الى اخواننا المسيحيين » عام ١٩٦٨ .

١٨ — البيان الصادر عن مطران الروم الكاثوليك والمطران الانجيلي بعنوان « بيان الى الشعب العربي » في ١٩٦٧/٨/١٦ .

١٩ — المصدر نفسه .

بحيث لا تكون مجتمعاتها مغلقة تقتصر على دين واحد أو جنس واحد . وقد وضعت الجريدة البيروتية « الاوريان – لو جور » المقربة من الدوائر المارونية العنوان التالي للتقرير عن هذا الخطاب : « الاب عزي : يوجد مكان في الشرق الادنى لاسرائيل متعددة الاجناس ، وليس لدولة عرقية » .

والصيغة التي وردت في نص كلمة الاب عزي التي استوحت منها الجريدة عنوانها المذكور هي : « كل أقلية عرقية او دينية ، دون اي استثناء ، ينبغي ان يكون لها مكان وامكانية للتطور هناك في وئام تام مع الاخرين » . وقد عبرت عن فكرة مماثلة المذكرة المقدمة في عام ١٩٦٧ حيث جاء فيها : « ان اسرائيل المستقبل يجب ان تكون مفتوحة للجميع ، ويجب التخلي عن المطالب العنصرية المتمثلة في نقاء الدولة يهوديا باقتصارها على اليهود»(٢٠). وكذلك عندما تتحدث الرسالة الصادرة عن كنائس الشرق الادنى الاعضاء في مجلس الكنائس العالمي عن ازالة اسرائيل فهي تشير الى « الدولة العنصرية » تاركة المجال مفتوحا لدولة فلسطينية غير عنصرية في المستقبل . ومن جهة اخرى ، ينظر الى دولة اسرائيل الحالية بانها « ولدت في العنف ، ونمت بالعنف ، وستظل تتطور بالعنف ، فهي اقرب مثال في العالم على الاستعمار بالقوة »(٢١).

د – المسائل اللاهوتية المتعلقةبالقضية الفلسطينية:

تناقش المسائل اللاهوتية المتعلقة بالقضية على ضوء التأويل والتفسير التاريخي وعلى المستوى الاخلاقي ، وبعبارة اخرى ، على ضوء قراءة ومراجعة العهدين القديم والجديد وقضية العدالة والتضامن في الموقف الراهن تجاه فلسطين وشعبها ، وهو الموقف العملي الحالي الذي تقفه الكنائس .

هنالك وثيقتان فقط تخوضان غمار مناقشة لاهوتية للمسائل اللاهوتية المتعلقة بالقضية ، وهما : مذكرة كوربون وخضر وقفعيتي ولحام بعنوان : « ما هو المطلوب من العقيدة المسيحية نحو القضية الفلسطينية » ، والدراسة التي أعدها المطران جورج خضر « للندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين» . اذ كان معظم من تولوا اعداد دراسات ناقشت القضية من زاوية لاهوتية هم على وجه العموم اما من اللاهوتيين الاجانب أو من اللاهوتيين « الخاصين » اي انهم ، حسب التحديدات والمفاهيم التي بنيت عليها هذه الدراسة ، ينطقون بلسانهم الشخصي لا باسم الكنائس التي ينتسبون اليها مثل البروفسور مبارك . وبحسب ما أرى ، لا توجد هنالك دراسات لاهوتية للقضية الفلسطينية وفق مناهج البحث العلمي باستثناء الدراستين المشار اليهما آنفا ، وهما صادرتان عن اشخاص يمكن اعتبارهم انهم ينطقون باسم الكنائس التي ينتسبون اليها حسب التحديدات والتعريفات التي استندت اليها هذه الدراسة . وهنالك بيان اخر ينبغي ذكره في هذا السياق وهو « نداء الى الضمير المسيحي » الذي اتينا على ذكره آنفا ، والذي يفتقر الى منهج البحث والمناقشة المعهود في الدراسات النظرية .

ونقطة البدء في الجدل اللاهوتي هي **اولا** : الزعم الصهيوني بأن تأسيس دولة اسرائيل ما هو الا استجابة ووفاء للنبوآت التوراتية ، و **ثانيا** : هي القبول الذي يحظى به هذا الزعم على نطاق واسع من جانب المسيحية الغربية .

وتستهل مذكرة كوربون وخضر وقفعيتي ولحام بالنص على ان « اليهود المتدينين كانوا دائما يتوقون بشوق الى « العودة » ، ويتحرقون بالرغبة لاسترجاع الهيكل الثالث » . بينما يمحص الجزء الثاني من المذكرة الاخطار المتعلقة بمفهوم العودة والرجوع هذا . وتعالج الفقرات الثماني الشعب اليهودي من حيث هو شعب ، والوعد الذي أعطي لابراهيم ، ثم محاولة دولة اسرائيل والصهيونية أن تقيم أيديولوجيتها على هذا الوعد ووجهة نظر المسيحية في هذا .

وتشير المذكرة الى الجنس اليهودي كشعب اختاره الله للنبوة كأمة من النساك مهمتها ان يتجلى من خلال تاريخها تاريخ خلاص الجنس البشري . ولهذا فهي لا تنتمي الى المملكة الارضية بل الى ملكوت الله ، ومصيرها وقدرها ليس في الارض بل في السماء . فاليهود ليسوا أمة كالامم الاخرى ، وتأسيس انفسهم مثل بقية الامم الاخرى يتعارض مع مهمتهم التي نذروا لها في خدمة الخلاص . ترى هل يشبهون في جميع هذه النقاط الكنيسة

---

٢٠ – مذكرة كوربون وخضر وقفعيتي ولحام بعنوان : « ما هو المطلوب من العقيدة المسيحية نحو القضية الفلسطينية» بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٨ .

٢١ – **المصدر السابق نفسه .**

والمسيحية ، فقد كان ايضا خطأ الكنيسة التاريخي الكبير انها أسست نفسها على هيئة دول مقفلة تقتصر على اتباعها .

والوعد الى ابراهيم « القائم على لزوم منطقي وعلى أرض » لا يمكن ان يؤخذ على انه يشير الى اليهود والى فلسطين ، « فهو موجه الى جميع الخلق ، وقد تحقق بمجيء المسيح » . « وان فهم الوعد بصورة ومدلولات مادية هو افساد وتحريف لخطة الرب » . فالارض هي ملكوت السماوات ، وقد تمت وراثتها من خلال الروح القدس . ونهب الهيكل وتشتيت اليهود ونهايتهم ككيان سياسي كانت امارة نبوءة بالملكوت ، اذ ان نهاية الممالك الارضية هي النذير بالقدوم الثاني للمسيح ونهاية العالم . فمنذ ان صعد المسيح الى السماء لم يعد من الممكن النظر الى « رجوع الملكوت » بأنه يشير الى كيان سياسي ، بل يعني فعل الروح القدس بين الامم . وبناء عليه ، فان اعادة تأسيس أمة يهودية مغلقة وتقتصر على اليهود فقط موجهة ضد خطة الرب . فالصهيونية واسرائيل تمثلان خطوة الى الوراء الى عقلية العصور الوسطى ، وتقتربان من فكرة الخلاص الماركسي ، وبعبارة اخرى ، تمثل الصهيونية الاغراء الذي تتعرض له جميع الديانات وكذلك الايديولوجيات المعاصرة لاقامة نفسها في مجتمع مغلق يقتصر عليها وتسوده روح استبداد هذه الديانة او الايديولوجية . فليس هنالك من رابط او علاقة بين دولة اسرائيل العنصرية وبين المهمة التي نذر لها الشعب اليهودي .

أما دراسة المطران جورج خضر بعنوان « معنى أرض الميعاد في العقيدة المسيحية » ، وهو نفسه أحد المشاركين في وضع المذكرة التي فرغنا لتونا من عرض مضمونها ، فتتضمن الافكار ذاتها ، بيد ان الجدل والحجج التي تثيرها ابعد في مرامي تأويلها، وتتوخى اظهار ما ينطوي عليه « المفهوم الروحي لمعنى الارض من تقدمية » . ويبين ذلك ويعرضه ابتداء من « اشعياء » حيث التأكيد على الارض يتحول الى الفردوس وبلوغ مجد يهوه ، فالميراث لم يعد مقصورا على شعب بعينه بل اصبح ملك كل عادل ، فهو مرفوض للجسد ، ويتغير مضمون الميراث من اصطلاح الارض نحو الحياة مع الرب.

وبقدوم يسوع المسيح تختفي كلمة « الارض » ، ليظل بدلا منها ملكوت الرب والقدس السماوية .

لقد عرضنا الجوانب الاخلاقية في جزء سابق من هذه الدراسة ، ولذلك في الختام ، بوسع المرء ان يقول ان البداية قد أرسيت بالمبدأين المسيحيين : حب الجار والعدالة اللذين يصدعهما الواقع الفلسطيني . ونجد هذين المبدأين المسيحيين في دفاع الاب حداد مطران الروم الكاثوليك عن نداء الشبيبة الطلابية الكاثوليكية[٢٢] الموجه الى الشرق ، وفي المذكرة الصادرة عام ١٩٦٧[٢٣] المشار اليها آنفا والموجهة الى الغرب . وتطلب كثير من الوثائق من المسيحيين الغربيين الاهتمام بالعدالة والتضامن مع المعوز والمضطهد . ويقصد بالمعوز والمضطهد في هذا السياق الفلسطينيون ، كما يجمل معهم ايضا الشعوب الاخرى التي سدت أمامها آفاق التطور بداعي تأثرها بحالة الحرب المفروضة عليها . وتطلب الوثائق من الغرب ان يقر بمسؤوليته في خلق اسرائيل نتيجة الاطماع الاستعمارية ، وان يستخلص من هذا الواقع ما يترتب عليه من مسؤوليات ، « ان الغرب مدين الى الشعوب العربية بتحرير فلسطين من ايدي الشعب الذي جلب بدعم من القوى الغربية »[٢٤]. واذا كان من غير المحتمل ان يوقع مثل هذا التصريح جميع من ورد ذكرهم في مادة هذا البحث في الظروف الاعتيادية ـــ اذ انه قد صدر في شهر حزيران ١٩٦٧ ـــ غير ان كنائس الشرق الادنى تتوقع تغييرا جوهريا في موقف الكنائس الغربية ، ووجهة نظرها هي ان على الكنائس الغربية ان تلعب دورا رئيسيا في تحويل الوعي العام بعد ان تصفي اذهانها مما قد علق بها من شوائب .

---

٢٢ ـــ القرار الصادر عن ندوة الشبيبة الطلابية الكاثوليكية التي كان موضوعها : « السياسة والكنيسة في لبنان » ، وقد وقع القرار المطران حداد ، ثم كتب دفاعا عنه في مجلة « المنتدى » (صفحة ١٩ من عدد آذار ١٩٧٠) .

٢٣ ـــ مذكرة كوربون وخضر وقفعيتي ولحام بعنوان : « ما هو المطلوب من العقيدة المسيحية نحو القضية الفلسطينية» بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٨ .

٢٤ ـــ نفس المصدر .

الاعلام الفلسطيني والرأي العـــام البلجيكي

بشارة خضر

تحت عنوان « اليهود في التعليم المسيحي » نشر مركز الابحاث الدينية والاجتماعية في جامعة لوفان الكاثوليكية في شهر ايار ١٩٧١ دراسة مطولة حول العداء للسامية في التـدريس الديني المسيحي المعاصر . وقد أجرى القائمون بهذه الدراسة عدة استفتاءات بـين طبقـات مختلفة مـن المجتمع البلجيكي . ومن الاستفتاءات التي تهمنـا بشكل مباشر سؤال وجه الى عينة تمثل كل طبقات الرأي العام البلجيكي هو : الى جانب من تقف فيما يخص النزاع القائم في الشرق الاوسط ؟ وكان الرد على هذا السؤال كما يلي : ٦٢،٦٪ من الشباب و٥٠٪ من البالغين اجابوا انهم يقفون الى جانب اسرائيل. ٢٤،٦٪ من الشباب و ٣٩،٨٪ من البالغين اجابوا انهم يقفون على الحياد لانهم يعتقدون ان الاخطاء مشتركة بين الطرفين . ولم يتعد عدد من قالوا انهم يقفون الى جانب العرب نسبة ٥،٢٪ مـن الشباب و ٥،٣٪ من البالغين . ولا بد اولا من الايضاح ــ وقد ورد ذلك في الدراسة المذكورة ــ ان الانتماء السياسي له اثر كبير على نوعية الرد. فالذين ينتمون الى اليمين من المشتركين في الاستفتاء اعلنوا عن دعمهم اللامشروط لاسرائيل . اما الذين يعتبرون انفسهم يساريين او وسطيين فقد اتخذوا موقفا محايدا او دعموا وجهة النظر العربية . وعليه نلاحظ ان ضعف الدعم للموقف العربي ناتج عن ضعف اليسار البلجيكي . وهناك ملاحظة اخرى في غاية الاهمية والخطورة وهي ان نسبة من يقفون الى جانب اسرائيل بين الشباب تفوق نسبـــة البالغين . وذلك يقلل من صحة القول السائد بأن دعم الاوروبيين لاسرائيل ناجم عن كل ما عاصروه من اضطهادات ومذابح تعرض لها اليهود اثنـاء الحرب العالمية الثانية .

فما الذي يدفع الشبيبة البلجيكية الى دعم اسرائيل؟ اولا عداؤها للعرب يجعلهـا تدعم اسرائيل بشكل عكسي . ثانيا ذكرى الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في الماضي في اوروبا المسيحية والتي تذكرهم بها الدعاية الصهيونية كل يوم مما يؤدي الى خلق رغبة في « التكفير عن ذنوب اجدادهم » . ودعم اسرائيل في نظرهم افضل طريقة لتحقيق ذلـك . ثالثا اعجاب الشبيبة البلجيكية كغيرها من الشباب المتحمسين في اوروبا الغربيـة « بقوة اسرائيـل وتقدمية اسرائيل والاشتراكية والديمقراطية فـي اسرائيل » اذا ما قورنت بتأخـر العرب وضعفهم وجهلهم ونظمهم الاقطاعية والمتسلطة كما تصفها ابواق الدعـــاية الصهيونية والجهات المعاديـة للعرب . كما لا بد من ذكر ما للسياحة من اثر . فهناك عدد كبير من الشبان البلجيك يسافرون كل عام الى اسرائيل ومنهم من يشتغل عدة شهور في الكيبوتسات .

وورد في الدراسة التي نحن بصددها سؤال اخر حول التفضيل بين اليهود والعرب والسود . وجاء الرد على هذا السؤال في غاية البلاغة :

الشباب	البالغون	الترتيب من حيث الافضلية
١٥،٨٪	١٩،٢٪	اليهود ــ العرب ــ السود
٢٥،٤٪	٢٥،١٪	اليهود ــ السود ــ العرب
٣،٠ ٪	٠،٢ ٪	السود والعرب ــ اليهود
٣٨،٢٪	٤١،٢٪	اليهود = العرب = السود
٧،٦ ٪	٤،٣ ٪	امتنعوا عن الاجابة

ونستطيع بناء علـى نتيجـة هـذا الاستفتاء ان نستخلص ما يلي :

١) لا يزال الدعم الحقيقي للمواقـف العربيـة في الرأي العام البلجيكي ضعيفا جدا . وذلك لعـدة اسباب سنأتي على ذكـرها فيما بعد في دراسـة مقبلة . ولكننا نعتقد ان دعم الرأي العام البلجيكي للمواقـف الفلسطينيـة ولعدالة قضية الشعـب الفلسطيني اقوى بكثير (نقول لعدالة قضية الشعب الفلسطيني ولا نقول لعدالة النضال الفلسطيني او الثورة الفلسطينية) . ولا شـك انه لو طـرح السؤال حول الموقف من اسرائيل ومـن الشعب الفلسطينـــي لجاءت الردود مختلفة ولصالـــح الفلسطينيين على الاقـل في صفـوف من اعتبروا انفسهم محايدين . فقد اثبت الشعب الفلسطيني انه تقدمي وانهشجاع وانه يحارب الصهيونية وليس اليهود ويحارب في نفس الوقت الرجعية والاقطاعية والتسلط والتعصب الديني الاعمى . وهذه كلها عوامل من شأنها ان تكسبه دعم واعجاب :لـرأي العام البلجيكي . ونورد فيما يلي حادثة بسيطـة تؤكد ما سبق . ذهب شاب لبناني الى مقهى في

بروكسل فمنعه الحاجب من الدخول . وبعد ذلك بأيام ذهب الى نفس المقهى شاب فلسطيني متعمدا . فسمح له نفس الحاجب بالدخول . ولما سأل الحاجب : كيف تتيح للفلسطيني ما تحذره على اللبناني اجابه الحاجب : الفلسطينيون يختلفون عن العرب في شمال افريقيا وغيرهم من العرب في الشرق الاوسط . وهذا الرد بليغ اذا ما اخذنا بعين الاعتبار موقف الغرب عادة من لبنان واللبنانيين .

٢) لا يزال المجتمع البلجيكي يعاني من العنصرية ويكره الاجانب . وقد تحول كرهه الماضي لليهود الى كره للعرب . فالعنصرية ضد العرب في بلجيكا كما في فرنسا تفوق كثيرا العنصرية ضد اليهود وحتى ضد السود . مع انه كان من المفروض على البلجيك ان يكرهوا السود لنفس الاسباب التي يكره بها الفرنسيون الجزائريين . ولذا نرى العرب يحتلون المرتبة الاخيرة في المجتمع البلجيكي لنفس الاسباب التي وردت في تقرير الاخ داود تلحمي المنشور في عدد آذار ١٩٧٢ من «شؤون فلسطينية» (ص ٢٠١) . وكراهية العرب هذه تؤثر طبعا على المواقف السياسية . فمن الصعب ان يدعم شخص المواقف السياسية او العسكرية لامة يكرهها .

٣) اليمين البلجيكي وهو يمثل الاكثرية الساحقة للراي العام البلجيكي يعادي العرب . وذلك ينبع من معاداته للشيوعية بشكل خاص ولدول المعسكر الشرقي بشكل عام . فاليمين البلجيكي يعتقد ان العرب كلهم شيوعيون واصدقاء للمعسكر الشرقي الذي يشكل في نظرهم اكبر خطر على امنهم وسلامتهم . وهذا اليمين متمثل طبعا في الاحزاب الحاكمة والطبقة المسيطرة على رأس المال ووسائل الاعلام المهمة التي تسير الرأي العام في بلجيكا . ولذا نلاحظ ان البلجيك يدعمون بسهولة اكبر مواقف حركة التحرير الفلسطيني فتح بينما يعادون — اذا ما استثنينا الفئات اليسارية — مواقف الجبهات . هذا مع العلم انهم لا يجهلون ان الثورة الفلسطينية بكل فصائلها ترمي الى تحقيق نفس الهدف : اقامة الدولة الديمقراطية وذلك باللجوء الى نفس الوسيلة : حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد . وهذا ناجم عن شعورهم بعدم ارتباط فتح ارتباطا عضويا بالماركسية اللينينية وبالمعسكر الشيوعي كغيرها من الجبهات . اضف على ذلك انهم ناقمون على الجبهة الشعبية بسبب عمليات خطف الطائرات لا لشيء الا لانها تهددهم وتهدد مصالحهم بشكل مباشر . ولذا تلقوا خبر عدول الجبهة عن مثل هذه العمليات في المستقبل بالمزيد من الراحة والرضى .

٤) رأينا ان ٥٪ من البلجيك يدعمون المواقف العربية بينما ٣١ ٪ محايدون . ونحن لا نملك مع الاسف ارقاما تدل على مدى دعم البلجيك للعرب في الماضي خصوصا على اثر حرب ١٩٦٧ . ولكننا نعتقد ان نسبة من يدعمون الموقف العربي قد زادت نوعا ما . ومما لا شك فيه ان نسبة المحايدين قد ازدادت كثيرا عما كانت عليه في السنوات الماضية. ويعتبر ذلك نصرا للعرب ولو بشكل نسبي . وذلك لان تحييد فئات من الرأي العام يعتبر المرحلة الاولى في جرها الى تبني موقفنا . والسؤال هو : هل ازداد عدد المحايدين بفضل الاعلام الفلسطيني في بلجيكا ام بفضل ما انجزته الثورة الفلسطينية ؟ ام هل كان هذا التحول النتيجة العكسية للتعنت والتزمت الاسرائيلي ؟ لا شك ان هذه الاسباب قد ساهمت معا في تحقيق مثل هذا النصر النسبي الضئيل .

وقبل انهاء الحديث عن هذه الدراسة لا بد من الاشارة الى كونها قد اقيمت تحت اشراف الشانوان فرانسوا هوتارت الاستاذ في جامعة لوفان ومدير المركز الذي صدرت عنه . والجدير بالذكر ان الشانوان هوتارت يعتبر بحق من اكبر وانشط العاملين لدعم حركات التحرر الافريقية في بلجيكا ومن اصدقاء الثورة الفلسطينية . وقد دعته المنظمات اليهودية لالقاء محاضرة في جامعة بروكسل الحرة استعرض فيها خلاصة ما جاء في الدراسة التي نحن بصددها. وفي النقاش الذي تبع المحاضرة سأله البعض باستنكار : « لماذا لا يكفر الفاتيكان عن الذنوب التي ارتكبتها المسيحية في الماضي في اضطهاد اليهود بالاعتراف بدولة اسرائيل ؟ » . فأجابهم الشانوان : ليست قضية الشرق الاوسط موضوع حديثنا اليوم . الموضوع هو : اليهود في التعليم المسيحي . ولكني على استعداد تام للدخول معكم في نقاش حول النزاع القائم في الشرق الاوسط اذا ما رغبتم في ذلك . ولكني اؤكد لكم سلفا ان موقفي بالنسبة لخلق دولة اسرائيل وبالنسبة لحقوق الشعب الفلسطيني تختلف اختلافا جذريا عن مواقف المستمعين ... وفي مثل هذا الرد كثير من الشجاعة اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ان ٩٥ ٪ من

الحضور كانوا يهودا يمثلون كل المنظمات اليهودية البلجيكية والسفارة الاسرائيلية في بروكسل والحركة الصهيونية البلجيكية . فكان ان برد مثل هذا الرد حماس المستمعين وفوت عليهم فرصة ذهبية حاولوا استغلالها لتحويل ادانة المعاداة للسامية الى دعم لاسرائيل كما يحدث عادة في الاوساط الاوروبية .

والشانوان هوتارت مدير لاحدى دور النشر البلجيكية تدعى « في اوفرير » اي الحياة العمالية التي ستصدر قريبا جدا كتابا عن الشرق الاوسط كتبه صحفي في جريدة « لاسيتيه » الناطقة باسم نقابة العمال المسيحيين التقدميين . وقد عرض هذا الكتاب مخطوطا على بعض الفلسطينيين وبعض اصدقاء الثورة الفلسطينية لتقديم الملاحظات والتعديلات . ثم طلب الشانوان هوتارت من المؤلف ان يتقيد بهذه التعديلات . وقد وافق السيد فريديريك كيسيل واضع الكتاب على ادخال الكثير من التعديلات على كتابه الذي جاء يمثل وجهة نظر الثورة الفلسطينية ويفضح المزيد من الاشاعات التي ترتكز عليها الدعاية الصهيونية لتضليل الرأي العام الاوروبي . وقد كرس المؤلف عدة صفحات من كتابه للحديث عن الدولة الديموقراطية والتأكيد انها الحل المنطقي الوحيد لمشكلة الشرق الاوسط. وهذا امر في غاية الاهمية اذا ما علمنا ان المؤلف يعمل في احدى الصحف البلجيكية التي تمثل وجهة نظر قطاعات كبيرة من العمال المسيحيين وان دار النشر التي ستصدره حائزة على ثقة فئات واسعة من المثقفين في الاوساط المسيحية .

أزمة الاعلام الفلسطيني

لا بد من الاعتراف ان الاعلام الفلسطيني شأنه في ذلك شأن الثورة الفلسطينية يمر حاليا في أدق مراحله التاريخية على الساحة الاوروبية بشكل عام وعلى الساحة البلجيكية بشكل خاص . فقد فقدت لجان المناصرة اجمالا زمام المبادرة. وسنتحدث فيما يلي عن الصعوبات الداخلية والخارجية التي تعاني منها هذه اللجان . اما الصحافة البلجيكية فتتحدث طبعا عن الثورة الفلسطينية فتمتدحها او تذمها . ويجوز حتى القول ان عددا لا بأس به من الصحفيين في بلجيكا يكتفي بالبكاء على الثورة الفلسطينية او التهليل لهزيمتها او ما يتصوره هزيمتها .

والصحافة البلجيكية لا تتحدث عن الثورة الفلسطينية الا عندما تنقل اليها وكالات الانباء اخبارا عن احداث جديدة في الشرق الاوسط . وقلما تكون هذه الاحداث لصالح الثورة الفلسطينية . وكلنا يعرف من هي وكالات الانباء العربية والاجنبية العاملة في البلدان العربية وما هي نوعية ولون الاخبار التي تنقلها . يستطيع اصدقاء الثورة الفلسطينية من الصحفيين والمثقفين طبعا التعليق على هذه الانباء . فيدينون مثلا العدوان الاسرائيلي الاخير على جنوب لبنان . ويشجبون مشروع الملك حسين الاخير المشبوه الرامي الى اقامة ما اسماه المملكة العربية المتحدة . ويؤكدون استحالة احلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط دون اخذ حق شعب الفلسطيني في تحرير ارضه وتقرير مصيره بعين الاعتبار . ولكن كل هذه المواقف تظل سلبية . فالهدم شيء يجب ان يقابله بناء . وادانة مشروع تقتضي التقدم بمشروع اخر يكون بديلا للاول . ولذا يتساءل الان اصدقاؤنا هنا : ما هو البديل الذي تقدمه الثورة الفلسطينية الان وفي الظرف الراهن لكل المشاريع السلمية المطروحة او التي تطبخ حاليا في الكواليس والتي ربما وصلت اخطر مستوياتها لدى زيارة الرئيس نيكسون الى الاتحاد السوفييتي في شهر ايار الماضي ؟

يعيب اصدقاء الثورة الفلسطينية على المنظمات الفدائية كونها طرحت مشروع الدولة الديموقراطية بصورة عامة منذ ما يزيد على ثلاث سنوات واكتفت بذلك حتى دون ان تتمكن من ايضاح هذا الهدف او تحقيق اتفاق بين جميع فصائلها حول مبادئه الاساسية ومقوماته والمراحل التي من شأنها ان توصل اليه . هناك طبعا قرارات المجلس الوطني الفلسطيني . وهناك البرامج السياسية التي قدمتها الجبهات . ولكن هل حاولت المنظمات الفلسطينية ايصال هذه القرارات الى من يشرفون على تسيير الاعلام في الغرب او في الاقل الى اصدقاء الثورة الفلسطينية من الصحفيين والمثقفين والرجالات السياسية ؟ لا اعتقد ان مثل ذلك حدث في بلجيكا .

أخذنا على مجلة يسارية امتناعها عن نشر التعليقات على ما يدور حاليا في الشرق الاوسط وتجنبها الحديث عن المقاومة الفلسطينية . فأجابنا مدير تحرير هذه المجلة انه عمل في السنوات الماضية على فضح الصهيونية واهداف اسرائيل العدوانية

والتوسعية وعلاقتها الجذرية بالاستعمار والامبريالية . كما شجب كل ما طرح حتى الان من مشاريع سلمية وكل ما ابدته بعض الانظمة العربية من تخاذل واستسلام وتواطؤ مع قوات الاحتلال وتآمر على الثورة الفلسطينية . ولكن لا يجوز له الاستمرار الى ما لا نهاية في الادانة والشجب . عليه ان يقدم للقارىء عناصر ايجابية ومشروعا يكون اكثر واقعية واكثر عدالة من كل ما طرح حتى الان من مشاريع . وسبق له عدة مرات ان اكد شرعية النضال الفلسطيني من اجل اقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية . ولكن هل يجوز للمقاومة الفلسطينية ان تطلب منه الاستمرار في التشدق بفكرة الدولة الديموقراطية دون ان تقدم له ما يلقي على هذه الفكرة ونوعيتها واهدافها المزيد من الضوء ؟

ودعي جاك يرنا احد كبار النقابيين البلجيك من الحزب الاشتراكي الى الحديث عن الثورة الفلسطينية . فاتصل بعدة شخصيات من اصدقاء الثورة يسألهم اين وصلت الثورة الان في طريق التحرير والوحدة الوطنية وما هي الايضاحات الجديدة التي قدمتها حول فكرة الدولة الديموقراطية. فلم يجد من يجيبه . فاكتفى بدوره بادانة الحكم الاردني ومحاولات تصفية المقاومة الفلسطينية وشجب الحلول السلمية . واكد ان الحل الوحيد العادل والمعقول هو اقامة دولة ديموقراطية . وكان يخشى ان يسأله احد الحضور : هل يريد الفلسطينيون الدولة الديموقراطية ان تكون اشتراكية بكل معنى الكلمة ام اشتراكية كبعض الانظمة الاشتراكية العربية. فيجد نفسه في مأزق بين اصدقاء الجبهة الديموقراطية واصدقاء الجبهة الشعبية واصدقاء فتح . وبعد المحاضرة اكد السيد يرنا ان كل ما يتمناه ان تصله بعض النشرات او التحاليل من الثورة الفلسطينية بلغة يفهمها .

وعلى اثر عدة مقالات متشائمة نشرتها مجلة تيموانياج كريتيان التي يحررها السيد جورج مونتارون امين سر الندوة المسيحية العالمية لنصرة فلسطين في باريس بعث بعض قراء هذه المجلة في بلجيكا عدة رسائل احتجاج . وعابوا على كاتب المقالات تركيزه على انتكاسات الثورة الفلسطينية وحديثه عن يأس رجال المقاومة وتأكيده ان الثورة الفلسطينية تكاد تصل الان الى طريق مسدود . وقد بعث لنا السيد بيير لوك سيجيون كاتب هذه المقالات ردا على هذه الاحتجاجات جاء فيه : « يجب ان اؤكد لك اولا اني ما زلت اعتبر نفسي متضامنا تضامنا تاما مع القضية الفلسطينية ...» ويضيف : ولكن « ماذا يجب علينا ان نعمل في الظروف الراهنة لمساعدة الثورة الفلسطينية ؟ يجب التحدث عنها . ذلك امر واضح . ويجب ان نؤكد ان كل الحلول التي قدمتها حتى الان هذه الفئة او تلك اعجز من ان تحل مشكلة الشرق الاوسط لانها وضعت بدون مشاركة الفلسطينيين اذ ان على الفلسطينيين انفسهم ان يقرروا مصيرهم ... ولكن ما كل هذا الا خطاب سلبي . ولا بد من ان نتمكن يوما ما من ان نشرح للقارىء **ما الذي يريده الفلسطينيون** . كما لا يسعنا ان نكرر الى ما لا نهاية « دولة فلسطينية ديموقراطية علمانية » لانه حتى لو تحقق مثل هذا الهدف المثالي فلن يكون ذلك الا على مراحل سياسية وعسكرية متعددة . وبهذا الخصوص نلاحظ صمت مختلف المنظمات الفدائية . ومثل هذا الصمت يشل النشاط الاعلامي للذين يدعمون قضية الشعب الفلسطيني » .

لا نذكر هذه الامثلة لاننا نوافق عليها مئة بالمئة . ولكن لانها تدل بوضوح على حيرة اصدقاء الثورة الفلسطينية وافتقارهم الى معلومات وتحليلات صادرة عن الثورة وتصلهم بلغة يفهمونها كيما يتمكنوا هم بعد ذلك من عرضها للقراء بطريقة تتلاءم مع الظروف الموضوعية الاعلامية للبلد الذي يعيشون فيه . وهناك من الصحفيين من تعدى هذه الحيرة فاخذ يضع بنفسه التحاليل والمشاريع التي تلائم اهداف المقاومة او التي يظنها ملائمة لها . ولذا رأينا روبير فالوني المختص بمشاكل الشرق الاوسط في صحيفة لوبوبل البلجيكية والناطقة باسم الحزب الاشتراكي البلجيكي يقول تعليقا على مشروع الملك حسين الجديد انه لا بد من الملاحظة ان مشروع حسين يحتوي على عناصر ايجابية ولذا لا يحق للفلسطينيين رفضه جملة وتفصيلا . وأحد هذه العناصر الايجابية اعتراف الملك حسين بوجود كيان وشعب فلسطيني . ولكن اذا كان لا بد من اقامة اتحاد فيديرالي في تلك المنطقة فيجب ان يتم بين دولة فلسطين المستقلة وبين اسرائيل وليس بينها وبين المملكة الاردنية الهاشمية (هكذا) .

ولا بد من الملاحظة ايضا ان الرأي العام الاوروبي بحاجة ماسة لمواصلة دعمه القوي للثورة

الفلسطينية الى بعض الانتصارات تحققها الثورة على المستوى السياسي او العسكري وبعض التحقيقات الايجابية . لا شك ان صمود الثورة الفلسطينية في وجه كل المؤامرات ومحاولات التصفية يعتبر نصرا على جميع المستويات . ولكن وكالات الانباء تركز على صعوبات الثورة وهزائمها ولو كانت مرحلية. وتتالي الهزائم وكثرة الصعوبات وعدم توصل فصائل الثورة الى تحقيق الوحدة الوطنية جعل البعض يشكون في فعاليتها وفي جدارة قادتها ... وهذا كله يزيد من حدة الازمة التي يمر فيها الاعلام الفلسطيني .

والسؤال هو : هل تؤمن الثورة الفلسطينية بأن للرأي العام العالمي دورا مهما يلعبه في دعمها وفي احباط المؤامرات التي تحاك ضدها ؟ لا شك ان الرد هو نعم خصوصا في هذه المرحلة بالذات اذ ان معظم المشاريع التصفوية والتي تدعى سلمية جزافا تطبخ في كواليس وزارات الخارجية الاجنبية. فخطر التصفية والتآمر يهددنا في الخارج كما في الداخل. ولذا لا بد من مجابهة هذا الخطر الخارجي باعلام مركز . فالصهيونية العالمية تملك صحفها الخاصة ووسائلها الاعلامية الخاصة بالاضافة الى سيطرتها على العديد من الصحف والمجلات التي تصدر كل يوم في معظم الدول الغربية . فماذا عملت الثورة الفلسطينية حتى الان لمواجهة هذا الاعلام الصهيوني المنظم وتكذيب ما يروج هنا من دعايات وافتراءات واكاذيب منذ ما يزيد على نصف قرن ؟

لا شك ان الثورة لا تملك المال الكافي ولا الكفاءات الضرورية لتنظم اعلاما قويا فعالا في دول اوروبا الغربية . ومن هنا تأتي اهمية الدور الذي يجب ان يلعبه كل طالب فلسطيني مغترب وحتى كل عامل فلسطيني . فعلى كل فلسطيني ان يكون سفيرا مخلصا ونشيطا لبلده . ومن المؤسف ان نرى عددا كبيرا من المغتربين الفلسطينيين دون مستوى المسؤولية يركضون وراء المال والمناصب ويولون اهمية بالغة لمشاكل شخصية سخيفة . ومن المؤسف ايضا ان نرى بعض الفلسطينيين في مقدمة من بدأوا البكاء على الثورة فلا يكتفون باهمال واجبهم الثوري ولكنهم يتربصون لغيرهم لانتقاد ما يقومون به من نشاط . واكبر خطر يتعرض له الطالب الفلسطيني المغترب هو ان يصبح مثقفا ثوري صالونات يولي الحوار الثوري العقيم اكبر اهتمامه فلا يبقى امامه مجال للعمل .

ولكن لكي يصبح الفلسطيني أداة اعلامية نشيطة وقوية في يد الثورة يجب ان تربطه بهذه الثورة صلة ثقة وتعاون مستمر . ومن المؤسف الملاحظة ان مثل هذا الاتصال يكاد يكون معدوما في البلدان حيث اتحاد الطلبة ضعيف او منقسم على نفسه . وكثيرا ما نلتقي بفلسطينيين لا علاقة لهم البتة بأي اتحاد ولم يسبق لهم ان علموا بوجود ادبيات الثورة . ولا بد من الاضافة انهم يكتبون للحصول على مثل هذه الادبيات ولكن دون فائدة . وما يثير الدهشة انه يكفي ان يكتب اي اوروبي الى بعض مكاتب الثورة لتبعث له الادبيات والنشرات (حتى بالعربية) ويضطر الفلسطيني الى اللجوء الى مثل هذه اللجان ليطلع على اخر التطورات . وهكذا نرى اللجان الاوروبية تقوم بالدور الاعلامي الذي كان من المفروض ان يكون الفلسطيني الزمبرك الفعال له . وما قلناه عن الفلسطيني كفرد يجوز قوله عن بعض اتحادات الطلبة الفلسطينيين .

العمل الاعلامي الفلسطيني في بلجيكا في الاشهر الاخيرة

ظل النشاط الاعلامي الفلسطيني يعاني من الركود في الاونة الاخيرة . ويعود ذلك الى فتور اعضاء اللجان وضعف بعض اللجان الاخرى والى عدم وجود تنسيق فعال .

اقيم في جامعة لوفان الكاثوليكية في مطلع شهر شباط اسبوع فلسطين اعدت له واشرفت عليه لجنة فلسطين الوطنية في بروكسل . وقد اقيم في نطاق هذا الاسبوع معرض صور فلسطينية ورسوم الاطفال في زمن الحرب . كما عرضت عدة افلام عن الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية منها فلم النهر البارد . والقيت ايضا محاضرتان القى الاولى السيد احمد بابا مسكه مدير مجلة افريكاسيا الصادرة في باريس . والقى الثانية الاب بول لوبيرتون . اما احمد بابا مسكه فتحدث عن المرحلة الدقيقة التي تمر فيها الثورة الفلسطينية . فقال انها تتعرض لعملية احتواء من قبل الانظمة العربية التي تحاول امتصاص الروح الثورية تشجعها في ذلك المذابح التي تعرضت لها الثورة في الاردن . ثم اضاف ان سكان المناطق العربية المحتلة بدأوا يشكون في اخلاص الانظمة العربية التي تنادي بالتحرير بينما هي في الواقع تسير بخطى سريعة على طريق الحلول السلمية . وتحدث ايضا

عن مصاعب الثورة والوهن والانحسار والضعف التي تعاني منها الان على حد قوله . والواقع ان المحاضر كان سلبيا نوعا ما في نظرته الى الامور . فقال ان الثورة الفلسطينية في وضعها الراهن فشلت في تعبئة الجماهير وفي تحقيق معظم اهدافها . وتكلم عن بيروقراطية منظمة التحرير وخطر تحويل رجال المقاومة الى جيش نظامي وضرورة التصدي الى الانظمة العربية الرجعية او الاشتراكية اسميا وعدم التعاون معها اطلاقا . وكان السيد بابا مسكه قد القى محاضرة اخرى حول الموضوع نفسه في بروكسل تحدث فيها عن علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة في الخليج العربي وخصوصا في المناطق المحررة من ظفار .

واما الاب بول ليوبيرتون وهو كاهن كاثوليكي من مدينة لييج وأحد اعضاء الوفد البلجيكي الى الندوة العالمية المسيحية من اجل فلسطين التي عقدت في بيروت عام ١٩٧٠ . وتحت عنوان « التوراة والقضية الفلسطينية » شجب المحاضر بشدة تسخير التوراة لخدمة الاهداف العدوانية الصهيونية . واكد ان لا علاقة بين اسرائيل التي تعتبر رأس جسر استعماري في المنطقة وبين التوراة واكد ان المسيحيين الذين يدعمون اسرائيل مستندين الى كون اليهود شعب الله المختار الذي يعود الى ارض الميعاد انما هم مغبونون لا يفهمون معنى التوراة الصحيح فيدعمون الظلم والاستغلال والعدوان ويشاركون في تشريد الشعب الفلسطيني. وكان لمحاضرة الاب ليوبيرتون اثر طيب . والجدير بالذكر ان هذا الكاهن الجليل قد ألقى في الشهرين الماضيين ثلاث محاضرات اخرى حول نفس الموضوع وفي أماكن مختلفة من بلجيكا .

لقد كان هذا الاسبوع ناجحا نسبيا . ولكن كان من الممكن ان يكون انجح لو اعد له بشكل منطقي ولو نظم بالتنسيق مع اللجان الاخرى العاملة من اجل القضية الفلسطينية في كل من بروكسل ولوفان . فلم تشترك مثلا في تنظيمه لجنة التضامن مع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في بروكسل . وكان بامكانها ان تضاعف عدد الحضور لو اشتركت . كما لم تشترك في تنظيم الاسبوع لجنة التضامن في لوفان ولا الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين هناك . فكان مجموع من اشتركوا في المحاضرات الثلاث لا يزيد على ١٥٠ شخصا بينما كان من الممكن ان يحضرها ٣٠٠ او ٤٠٠ شخص لو كان هناك تفاهم وتنسيق .

وفي نهاية شهر شباط قامت منظمة «وجود فلسطين» ومقرها في باريس بتنظيم اسبوع عن فلسطين في المركز الثقافي لبلدية سكاربيك في بروكسل . وقد اقيم هذا الاسبوع بالتعاون مع اتحاد طلبة فلسطين وبعض الاتحادات الطلابية البلجيكية ولجان التضامن مع الشعب الفلسطيني . وقد اشرف عليه السيد نورالدين ابا الكاتب الجزائري المعروف . وقد اكد السيد ابا في مقابلة صحفية ومقابلة اذاعية اجريت معه في بروكسل بهذه المناسبة ان الحل الوحيد لنزاع الشرق الاوسط هو ان يعترف الاسرائيلي بحقوق الشعب الفلسطيني ويرضى ان يعيش معه في دولة شرقية ديموقراطية .

وفي نطاق هذا الاسبوع ألقى الاب يواكيم مبارك محاضرة تحدث فيها باقتضاب عن الناحية السياسية والناحية الانسانية والناحية الدينية للقضية الفلسطينية . وقال انه مهما كانت الناحية التي نفحص منها قضية الشعب الفلسطيني فالنتيجة دائما واحدة : شرعية النضال الفلسطيني المسلح لاستعادة وطنه المسلوب واقامة الدولة الواحدة الديموقراطية بعد تحطيم دعائم الصهيونية وتحقيق المساواة بين جميع المواطنين مهما كانت دياناتهم . وفي مساء اليوم التالي قام ممثل عن لجنة فلسطين في لوفان بعرض بعض الصور التي تبين بوضوح تاريخ وظروف الهجرة اليهودية الى فلسطين منذ آلاف السنين وحتى مطلع القرن العشرين . ثم القى رئيس اتحاد الطلبة الفلسطينيين كلمة قصيرة كذب فيها بعض ما تروجه الدعاية الاسرائيلية . وقال ان الحل الذي تقدمه الثورة الفلسطينية ليس هو الحل العادل الوحيد للشعب الفلسطيني ولكنه ايضا الحل الوحيد لما اسماه الغرب بالمشكلة اليهودية لانه يجتث الداء من اصوله ولا يكتفي بمعالجة مظاهره .

وقد قامت فرقة فرنسية باداء مسرحية شعرية كتبها السيد نورالدين ابا نفسه وعنوانها « لبيك يا فلسطين » . وقد تم تمثيل هذه المسرحية مرتين . وهذه المسرحية على حد قول كاتبها صرخة ألم امام كل ما حل بالشعب الفلسطيني من كوارث واستنكار لتآمر الغرب وحتى الدول العربية (حيث الزعماء لا يجيدون سوى الخطابة) على قضية الشعب الفلسطيني . وينتقد الكاتب الاوساط المسيحية الغربية التي اضطهدت اليهود بحجة انهم قتلوا

المسيح ثم ارادت التكفير عن ذلك على حساب الشعب الفلسطيني . ويؤسفني ان نذكر ان هذه الفرقة وقعت ضحية لحادث سيارة في طريق عودتها الى باريس فتوفيت احدى الشابات واصيب الاخرون بجراح .

وقد اقيم خلال هذا الاسبوع معرض صور وكتب عن القضية الفلسطينية في احدى قاعات المركز . والجدير بالذكر ان عدد المشتركين في نشاطات هذا الاسبوع زاد عن ٣٠٠ شخص مع الايضاح ان هناك من اشتركوا في كل النشاطات .

وقد قام فريق من اصدقاء الثورة الفلسطينية بتنظيم سلسلة من المحاضرات اعدوا لها واقاموها انفسهم بالتعاون مع بعض الطلبة الفلسطينيين في مناطق لم يسبق ان وصلها الاعلام الفلسطيني في الماضي . وقد اقيمت اربع محاضرات من هذا النوع في قرى صغيرة . واقيمت محاضرة أخرى في مدرسة اكليريكية . وكانت هذه المحاضرات عبارة عن عرض صور تبين تاريخ القضية الفلسطينية وتاريخ فلسطين . ثم يتحدث أحد الرفاق عن ارتباط اسرائيل بالولايات المتحدة والرأسمالية ويتحدث آخر عن التفرقة العنصرية في اسرائيل ضد العرب وضد اليهود الشرقيين ويشرح ثالث اهداف وعدالة النضال الفلسطيني المسلح . كما أقام بعض اعضاء هذا الفريق بعدة نشاطات من هذا النوع في جامعة لوفان بالتعاون مع لجنة لوفان واتحاد الطلبة الفلسطينيين . وبالرغم من قلة عددهم فقد نظم هؤلاء نشاطات كانت في غاية الاهمية والفعالية. والجدير بالذكر انهم كانوا قد سافروا الى الشرق الاوسط في العام الماضي للاطلاع على الاوضاع بأنفسهم والتقوا بعدد من المسؤولين من الفلسطينيين . كما درسوا القضية الفلسطينية من كل جوانبها مما يسمح لهم باقامة المحاضرات دون الاضطرار الى دعوة محاضر خصوصا وهم ينظمون هذه المحاضرات في قرى صغيرة نائية . وهم يقومون الان بتنظيم رحلة اعلامية جديدة الى الشرق الاوسط .

وبالاضافة الى ذلك فقد وزعت اتحادات الطلاب العربية بالتعاون مع بعض اللجان احيانا مناشير بمناسبة العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان يشجبونه ويكشفون النوايا العدوانية والتوسعية للعدو . وقد صدر بيان بهذا الخصوص وقعه اتحاد الطلبة الفلسطينيين بالاشتراك مع الطلبة العرب والطلبة اللبنانيين . كما وزع اتحاد الطلبة السوريين بيانا في بروكسل حول نفس الموضوع . وقد اصدر مجلس السفراء العرب في بروكسل بيانا صحفيا يدينون فيه بشدة العدوان الاسرائيلي الجديد على جنوب لبنان الذي يبرهن بوضوح على متابعة اسرائيل لسياسة العدوان والتوسع وعن تحديها المستمر للرأي العام العالمي ولقرارات مجلس الامن . وقد اشارت الاذاعة البلجيكية الى هذا البيان مرتين كما ورد في صحيفة « لاسيتيه » مع تعليق لصالح العرب . هذا ووزع الطلبة السوريون في بروكسل نسخة عن رسالة مفتوحة وجهوها الى الملك حسين ويدينون فيها مشروعه الاخير المشبوه الرامي الى اقامة المملكة العربية المتحدة .

وقامت « منظمة التنمية والعدالة » في جامعة لوفان باصدار نشرة من عشرين صفحة تحتوي على موجز وعرض واضح صحيح للقضية الفلسطينية . وقد وزع من هذه النشرة حوالي الف نسخة خلال الاسبوعين الاخيرين من شهر اذار . والجدير بالذكر ان هذه المنظمة تعمل كل عام على جمع التبرعات في المرحلة التي تسبق عيد الفصح من اجل اقامة مشاريع الدول المتخلفة . وقد نجح اصدقاء الثورة الفلسطينية في وضع مساعدة للمساهمة في بناء مستشفى تل الزعتر التابع للجبهة الشعبية . ولذا اغتنمت المنظمة هذه المناسبة لتوزيع هذه النشرة على المتبرعين ليفهموا لمن ولماذا يتبرعون . وكان لها اثر كبير . ومن المؤسف ان نلاحظ هنا ان هذه المنظمة قد اتصلت مرارا عديدة بالجبهة الشعبية تطلب منها الايضاحات حول هذا المشروع لانه لا بد من تقديم الايضاحات الكافية للحصول على المساعدة (التي من الممكن ان تزيد على الف دولار) . ولكن الرسائل التي بعثت للجبهة ظلت دائما دون جواب.

الفيلم الفلسطيني بين الوجود واللاوجود

ابراهيم ابو ناب

في عام ١٩٦٥ وصلت رسالة الى ادارة الاعلام في منظمة التحرير الفلسطينية من احدى المؤسسات السينمائية العالمية تعرض فيها انتاج فيلم سينمائي ملحمي عن القضية الفلسطينية يكون رداً على الفيلم الصهيوني « اكسودس » . وقالت تلك المؤسسة في رسالتها ان العالم ينتظر الجواب على « اكسودس » ولا شك في ان هذا الجواب سيكون مفيدا جدا للشعب العربي من الناحية الاعلامية كما انه سيكون مربحا جدا من الناحية المالية . وكانت تلك المؤسسة مؤمنة في الفيلم المقترح الى حد انها عرضت المشاركة في انتاجه من خلال استوديوهاتها ومعداتها على ان تقوم احدى الدول العربية الغنية كالكويت مثلا بتمويل المشروع وان تحصل منظمة التحرير على نصيب من ارباحه لمصلحة العمل الفلسطيني . واقترحت تلك المؤسسة على منظمة التحرير ان تقوم بتزكية هذا المشروع لدى الكويت على ان يتم انتاج الفيلم تحت الاشراف الفكري للمنظمة . ولا مجال لشرح فوائد ذلك الفيلم لو انه تحقق اذ انها بادية للعيان لكل ذى عينين . وانا اشك كثيرا في ان تكون تلك المؤسسة قد حصلت على مجرد جواب على رسالتها ولعل حظ المتطوع السينمائي الباكستاني كان افضل قليلا من حظ المؤسسة السينمائية العالمية . فقد بعث ذلك الشاب برسالة الى رئيس المنظمة يعرض فيها أن يتطوع في صفوف المقاتلين الفلسطينيين وان يتبرع للمنظمة بكل ما كان يملك الا وهي آلة تصوير سينمائية مقاس ١٦ ملم . ولم يطلب ذلك المتطوع من المنظمة شيئا سوى ان تزوده برغيف خبز واحد كل نهار لا اكثر ! وقد تسلم ذلك الشاب رسالة شكر على « مشاعره وعواطفه » واعتذار عن قبول عرضه « في الوقت الحاضر » على ان ينظر في أمر طلبه حينما « تنشأ الحاجة » .

كان ذلك في عام ١٩٦٥ وكان يؤمل ان تكون الحال قد تغيرت كثيرا في عام ١٩٧٢ عما كانت عليه في ذلك العام . ولكن من يرى الافلام السينمائية التي انتجتها المقاومة الفلسطينية حتى الان ومن يرى المعدات والتجهيزات السينمائية المتوفرة لدى المقاومة فلا بد له وان يبدي اعجابا فائقا بالمبادرات الفردية التي عملت ما عملت وانتجت ما انتجت في ظل ظروف صعبة للغاية ، اصعبها هو استمرار ذلك الموقف اللامبالي من السينما لدى المسؤولين.

والموقف الان في الساحة السينمائية الفلسطينية هو كما يلي : لا توجد صورة دقيقة عن الكوادر والمعدات السينمائية لدى المقاومة الفلسطينية الا انها في مجموعها ولدى جميع المنظمات الفدائية بما في ذلك منظمة التحرير لا تزيد عن ثلاثة او اربعة من العاملين وبعضهم غير متفرغ . وربما لا تزيد آلات التصوير عن اثنتين او ثلاث من مقاس ١٦ ملم ولا شيء اكثر من ذلك . وقد انتج قسم الثقافة الفنية في منظمة التحرير عددا قليلا جدا من الافلام التسجيلية في فترة ما بعد حرب حزيران وكانت تصور بصورة رئيسية بعض مخيمات اللاجئين وتدريب الاشبال والشباب على القتال . واما فتح فقد انتجت عددا قليلا ايضا من الافلام التسجيلية التي تصور الاحداث والمعارك مثل مجزرة عمان ومعارك العرقوب . وكان ابرزها فيلم « بالروح .. بالدم » الذي فاز بجائزة الافلام الوثائقية المتوسطة الطول في مهرجان دمشق الاول للسينمائيين الشباب . وتنتج الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين افلاما وثائقية قصيرة للتثقيف السياسي وهي كما يفهم تزداد رواجا بين الشباب في اوروبا . وتعد مصدرا من مصادر الدخل ومنفذا من منافذ التثقيف .

غير ان انتاج الافلام « الفلسطينية » لا يقتصر على الفلسطينيين او منظمات المقاومة . فقد قام افراد عديدون بانتاج افلام روائية تستقي مواضيعها من المقاومة والعمل الفدائي وكانت الحوافز الرئيسية لانتاج تلك الافلام هي الربح المادي باستغلال الحماسة الجماهيرية للعمل الفدائي . وقد حققت بعض تلك الافلام ارقاما خيالية نسبيا من الربح مثل فيلم « فدائيون حتى النصر » او « عملية الساعة السادسة » الذي عرضه المنتج في سوريا ولبنان والمغرب وبعض الاقطار العربية الاخرى . كما قام عدد غير قليل من السينمائيين الشباب في الاقطار العربية باخراج افلام روائية فلسطينية واخرى تسجيلية وذلك لحساب مؤسسات سينمائية مثل المؤسسة العامة للسينما في الجمهورية العربية السورية . وقد تميزت اكثر هذه الافلام بنوعية

افضل بكثير من نوعية الافلام التجارية . ومن هذه الافلام « السكين » و « المخدوعون » و « نحسن بخـير » وغيرهـا . ولربمـا ان ذروة الافـلام « الفلسطينية » الجيدة سيكون فيلم « سافاري » الذي تنتجه مؤسسة السينما القومية في الجزائـر والتي سلكت في انتاجه طريقا مثل الطريق التي اقترحتها المؤسسة السينمائية العالمية التي جـاء ذكرها في بداية الحديث مع فارق واحـد هو ان المؤسسة الجزائرية نفسها قامت بتمويل المشروع وستقدم جزءا كبيرا من ارباحه لحركة المقاومة كما فهم .

لقد بات انتاج الفيلم الفلسطيني غير قاصر علـى الفلسطينيين مثلما ان القضية الفلسطينية لـم تعد ذات انتماء جغرافي محدود . ومما يدهش ويبعث على الاعتزاز عدد المخرجين الشبان العراقيـين والسوريين الذين انتجوا افلاما فلسطينية . ومن بينهم من ينتظر له مستقبل لامع في عالم السينما . ولم التق بمخرج عربي شاب في اي قطر من الاقطار العربية الا وذكر لي ان حلمه الاكبر هو انتـاج فيلم ذي قيمة عن فلسطين . ولعل هذا ليس دليل شعور قومي فحسب بل لان القضية ذاتهـا هي قضية كبرى تمس اوتار قلوب الملايين في العالم . الا انه بقدر ما قد يكون هذا مفيدا وهاما بقدر ما هو في حاجة الى العناية والتنسيق . فقد تصبـح القضية الفلسطينية ، او هي اصبحت ، مسرحا للافلام التجريبية يجرب عليها كل مخرج جديد ما في رأسه من نظريات وافكار قد لا تكون مطابقة لعالم الواقع او للمرغوب والمطلـوب . وقـد ثبت ان الكثيريـن من غـير المتعمقين في فهـم القضية الفلسطينية ، وهي تحتاج بالفعل الى تعمق فـي الفهم ، يحملون افكارا خاطئة او اخطاء شائعة . وليس اخطر من ترويج الفهم الخاطيء وتكريسه. اقول هذا وقد رأى الواحد منا نفسه احيانا وكأنه يريد ان يضرب نفسه او يمزق شاشة السينمـا وهو يرى بعض الافلام « الفلسطينية » .

وقد اغرق بعض مخرجي الافلام « الفلسطينية » في الرمزية والسيريالية والتعبيرية واللاشيئية في الوقت الذي ما تزال الحاجة فيه ماسة للافلام الوثائقية الواقعية والمبسطة . فطلاب المدارس في الوطن العربي الذين لا يرون « اسرائيل » على الخارطة في اطالسهم والذين يعرفون حق المعرفة ان اسرائيل تحتل اراضي ثلاث او اربع دول عربية ، هـؤلاء هم في امس الحاجة الى مثل هذه الافلام التي تشرح لهم القصة من اولها وتبين لهم ان فلسطين كانت مأهولة بالعرب . ليس هؤلاء فقط هم في حاجة الى مثل هذه الافلام بل ان العالم الخارجي هـو في حاجة اليها ايضا . انك لا تستطيـع ان تقـول الشعر لاناس لم يتمكنوا بعد من فهم الجمل المفيدة ومعرفة معاني المفردات .

اخبرني غي هونيبل الناقد السينمائي الفرنسي ان الافلام الفلسطينية في اوروبا تكاد تكون غير موجودة وان وجدت افلام تعرض الجانب العربي من القضية فغالبا ما تكون من صنع الاوروبيين وهي افـلام لا تعطي القضية حقها . وقال ايضا « ان الجو مشبع بالافلام الصهيونية وفيها الكثير من الافلام الجيدة سينمائيا والتي لا بد وان تترك اثرا علـى الشباب والرأي العام الاوروبي » . اننا نحتـاج الى افلام جيدة للعرض في الخارج ، لا افلام هواة وافلام تجريبية . ولكن كيف يمكننا الوصول الـى الافلام الجيدة على المستوى العالمي ونحن لم نبدأ بعد في انتاج الافلام البسيطة المبسطة عن قضيتنا؟ لقد عولجت قضية السينما حتى الان على مستوى الحكومات والجامعة العربية والمنظمات معالجـة عجيبة غريبة لم تخل من المفارقات المؤلمـة . ان فيلما سينمائيا عن القضية الفلسطينية عرض على لجنة الاعلام في الجامعة العربية . فتحول ممثلو الدول الى نقاد وحكموا جميعهم على الفيلم بأنه غير صالح للعرض في الخارج . وبقدرة قادر صار ذلك الفيلم صالحا للعرض بعد « ادخال بعـض التعديلات عليه » واشترته الجامعة بثمن لا بأس به للعرض في الخارج . ولقد احست الجامعة نفسها باختـلاط الحابـل بالنابل في موضوع الافـلام السينمائية . واعترف لي احد المسؤولين في ادارة الاعلام في جامعة الدول العربية بأن « تجاربنا مع الافلام السينمائية مفجعة » . لذلك فقد رأت ان يتم نوع من التنسيق والاشراف في هذا الموضـوع واقترحت اقامة مهرجان سينمائي لافـلام القضية الفلسطينية في شهر اذار من العام القادم في بغداد على ان تتولى الحكومة العراقية الاعداد للمهرجان والاشـراف عليه . قد تكـون قضية السينمـا الفلسطينية قد بدأت تسير نحو حل باتجاهها الى بغداد في اذار القادم . ولكنني اقترح ان يكـون اذار القادم في بغداد نقطة انطلاقة حقيقية للسينما الفلسطينية ويجب الاعداد لها منذ الان .

هنالك اقتراح في اوساط المقاومة بانشاء مؤسسة للسينما الفلسطينية . ان هذه الفكرة فيما اعتقد هي خير وسيلة للخروج من المأزق وتجنب الاخطار والاخطاء ومن الناحية الايجابية فهي خير وسيلة لتوظيف السينما في ما هو مفيد وواقعي وصادق . كما أنها من الناحية السينمائية قد تكون عاملا مساعدا جدا على خلق ما يصبو اليه السينمائيون العرب المثقفون والواعون من سينما عربية جديدة . وتستطيع مؤسسة السينما الفلسطينية ، أو يجب عليها ، القيام بالمهمات التالية : اولا ، تنظيم ارشيف سينمائي للقضية الفلسطينية يضم كل ما انتج عن القضية من افلام في الماضي والحاضر وفي كل الاقطار . وبذلك يكون هذا الارشيف مرجعا لا غنى عنه لكل انتاج جديد ويكون ارشيفا قوميا لحفظ تراث الشعب . ثانيا ، تنسيق الانتاج السينمائي عن القضية الفلسطينية بحيث لا يكون هنالك تكرار . ثالثا ، وضع برنامج للانتاج السينمائي بحيث يتم انتاج افلام متنوعة تدعو اليها الحاجة لاغراض العرض في البلاد العربية وفي الخارج . رابعا ، ضمان أن يكون الفيلم الفلسطيني من مستوى لا يؤثر تأثيرا سلبيا على القضية الفلسطينية . خامسا ، تقديم المساعدات للسينمائيين الشباب الذين يرغبون في انتاج افلام ذات قيمة عن القضية الفلسطينية . سادسا ، تأمين حاجات المدارس والجامعات والمؤسسات الاعلامية المختلفة من الافلام الفلسطينية . سابعا ، التعاون مع المؤسسات السينمائية العربية والعالمية لانتاج افلام من المستوى الذي ينافس الافلام الصهيونية. ان تكوين مؤسسة للسينما الفلسطينية لا يعني بالضرورة أن تكون المؤسسة ذاتها مقصورة على الفلسطينيين وان كان من واجب الفلسطينيين أن يقوموا بتأسيسها والاشراف عليها . فمؤسسة السينما السورية مثلا ليست مقصورة على السوريين حيث ان فيها العراقي والسوري والفلسطيني والمصري وغيرهم . ومثلما ان « الفلسطينية » قد باتت انتماء نضاليا بقدر ما هي انتماء جغرافي فمن الضروري أن تكون مؤسسة السينما الفلسطينية المقترحة مفتوحة لكل الطاقات العربية أيضا على أن يكون الشرط الوحيد هو أن تكون السينما ذاتها تحمل اهداف التحرر العربي وان تكون انعكاسا امينا للقضية الفلسطينية بكل جوانبها وابعادها . وان تكوين مثل هذه المؤسسة لكفيل بأن يجمع الطاقات السينمائية الفلسطينية المبعثرة وأن يكون بؤرة سينمائية عربية ذات اشعاع وأن يسهم اسهاما قويا في تكوين السينما الجديدة او البديلة التي يتوق اليها الجمهور الواعي والشباب الباحث عن حياة عقلية جديدة للامة . ولا شك أن مركز الابحاث الفلسطيني ومؤسسة الدراسات الفلسطينية كانتا مؤسستين ضروريتين في عالم الابحاث العربية والاعلام والنشر. وقد اسهمتا اسهاما لا حد له في عدم وضع القضية فكريا في ملف النسيان . وان مؤسسة فلسطينية للسينما على هذا النمط ستكون ذات قيمة مساوية على الاقل . ومن الناحية العملية فمن المفترض أن تتمكن مثل هذه المؤسسة من الاكتفاء الذاتي دونما حاجة للمساعدة الا في البداية . بل انه من غير المستبعد أن تحقق مثل هذه المؤسسة ارباحا يمكن تخصيصها او تخصيص جزء منها للانفاق على اسر الشهداء ومؤسسات الرعاية الاجتماعية الفلسطينية . وانني اقترح أن يخصص ريع فيلم « سفارى » الذي تنتجه الجزائر لانشاء مثل هذه المؤسسة وان تقبل المؤسسة اية تبرعات بالمعدات والاجهزة من اية جهة وأن تستفيد من المنح الدراسية المعروضة للفلسطينيين وعلى الاخص المنح الدراسية العشر التي أعلن عنها المعهد العراقي العالي للاعلام والذي تأسس حديثا في العراق .

صحافة المقاتلين الجدارية

هادي ابو اسوان

بـدأت فكرة اصدار نشرة جداريـة في قواعـد المقاتلين الفلسطينيين اثناء ممارسة حملة التثقيف المركزة الهادفة لاغناء عالم المقاتل فكريا وسياسيا وتفتيح كافة ابواب المعرفة امامه . فقد حدث مرة ان عاد احد المقاتلين من اجازته ملهوفا يسأل: لماذا انا عضو في فتح ؟ واستطرد هذا المقاتل المجرب قائلا : انا اعرف انني جئت فتح لاستعيد وطنـي بالقتال ولكي تكف تسمية اللاجـىء عن مطاردتـي كلعنة ، جئت كي اقاتل من اجل فلسطين . هكذا قلت ولكن يبدو ان هذا كله لم يكن ليقنع الشخص الذي استوعب اجازتي كلها بالنقاش معه ، كنت اريد ان احكي له الكثير الا انني غير قادر ... ولا اعرف .. لا اعرف لماذا . وبالطبع فان توفير مفوض سياسي لكل القواعد قد يكون من الصعب توفيـره الان ، وربما لفترة طويلة اخرى وعليه فلا بد من ابتداع وسيلة يعلم المقاتلون بعضهم بعضا وبشكل جماعي ، فارتؤي اصدار نشرة جدارية ، وسميت « العرقوب » . وعندما رأى الاخ ابو عمار القائد العام للثورة العدد قال : ان اسم قطاعكم هو نسور العرقوب واقترح ان يكون اسم النشرة هو « نسور العرقوب » وقد كان . اما الشعار الذي صدرت على اساسه فهو « تبادل الخبر والمعلومـات والتجارب » باعتبار ان الخبر والمعلومات والتجارب هي فوق كونها وثائق ثورية اكثر دقة وصدقا فهي في نفس الـوقت التاريـخ الحقيقـي والنقـي للثورة والشعب عدا عن كونها في نتائجها المباشرة اداة جيدة من ادوات التعليم والايضاح امـام المقاتلين وبهم .

« الايام تمر ... والذاكرة قد تضعف وقد يرحـل البعض بما يحملونه من ذكريات لماذا لا نفكر في اخوة لنا سيواصلون الطريق بعدنا ؟ يجب ان نكتب لهم خبراتنا . اكتب عن العمليات التي شاركت بها . واذكر الابطال الذين استشهدوا ولخص الخبـرة التي خرجت بها ... بذلك نجنب اخواننا تكرار التجارب » . الا ان هذه الفكرة اخذت بعدا جديدا وذا تأثير ومغزى اعمق فورا عندما جاء « ان اية كتابة ادبية أو عسكرية أو نظرية يقدمها مقاتل في الثورة هي وثيقة ثورية غنية ولها مدلولاتها العميقة، وهي بالنهاية صورة لطرائق التفكيـر والتحليـل والمعالجة ضمن هذه الثورة العظيمة . فلنشحـذ اقلامنا ، ولنركز افكارنا ، ولنكتب تجاربنا ، من اجـل ان نغني تراث الثورة ونسهل على مـن سيتبعنا الطريق » . وفي هذا الخصوص بالذات اي كتابة التجارب والذكريات في خضم العمـل الثوري يجد المرء تجربتين . الاولى هي « ذكريـات المشتركين في حرب العصابات ضد اليابان » وهي جملة ذكريات لمقاتلين في حـرب التحرير الكوريـة وبعض التجارب بشكل بسيط وموجز وقد طبعـت اكثر من طبعة من قبل حكومة كوريا الديمقراطية والطبعة الاخيرة منها مزيدة وموسعة . وهـذه التجربة هي الجانب الايجابي . اما التجربة السلبية او الجانب السلبي من تجربــة تدوين تجـارب المقاتلين وذكرياتهم فقد كانت ساحتها الجزائر التي قدمت مليونا مـن الشهـداء . الا ان الباحـث — ناهيك عن المواطن العادي — يجد كل الصعوبة، بل يعجز نعم يعجز عن العثور على ايـة وثائق يخرج منها بخبرات وعبر حتى انه يمكن ان يصدق القول بأن الثورة الجزائرية انتهت عندما انتصرت. ذلك ان اي افادة من ادبياتها — حتى الرسمي منها والذي كان يتداول داخل القواعد او التنظيم، منتفية — لم تتحقق .

وعليه بالنسبة لنا ، فقد انصب اهتمام خاص على العمليات بهدف تدوينها في « نسور العرقوب » لا سيما وان تلك العمليات قد انجزت بالفعل واصبحت دروسا وتاريخا ، ولكن لا بد من التساؤل عن امكانية استفادة العدو من وثائق كهذه . وهناك لا بد من تثبيت ان العمليات الفدائية ، وكل اعمال حرب العصابات تنطبق عليها هذه الصفة ، تتسم بأنها منقسمة الى ثلاثة اقسام : الاول هو الوصول من قاعدة الانطلاق الى الهدف نفسه . ثانيها انجاز العملية — الهدف — . ثالثها العودة من منطقة الهدف الى قاعدة الانطلاق المباشر او اي نقطة تجمع متفق عليها سلفا . وان ابرز ما يلجأ اليه العدو لحماية نفسـه ومنشآته هـو نصب الكمائن على الطرق التي يتوقع ان يتسرب منهـا المقاتلون . الا ان هذه الكمائن تتناسب قيمتهـا عكسيا مع جودة الاستطلاع . وعلى ذلك يبقى العدو مهما كثف وتفنن في وضع الكمائن ، يبقى

في موقع المتلقي لا موقع الفاعل او المبادر . اما موضع الهدف نفسه فان العدو يلجأ ايضا الى الكمائن وتكثيف الدوريات الا ان مصيرها كالاولى . وهنا لا بد من تثبيت — ايضا — ان اية خطة توضع في القاعدة ولاية عملية تقريبا تتعرض في اكثر الحالات للتعديل الفعلي اثناء التنفيذ ، ويترك بالاساس لقائد الدورية حرية التصرف والمبادرة الا في حالات خاصة جدا . فالدوريات تخرج من القاعدة بعد الاستطلاع لانجاز هدف معين ، الا دوريات الاستطلاع — الاقتحام ، الا انها تكيف اوضاعها حسب الظروف المتجددة والقدرة على المبادرة والمبادهة الذاتية لدى قائد الدورية وافرادها (قرب مستعمرة — علما — كان الشباب قد أرهقوا فالحمل ثقيل والارض غير مؤاتية وببساطة وجدنا في المستعمرة بغلا فاستولينا عليه وبذلك انحلت عقدة حمل الصواريخ الثلاثة الثقيلة) كما جاء في « تنفيذ عملية قصف صفد » .

لا يمكن اطلاقا في حرب عصابات ان يضع ضابط العمليات خطة كاملة بكافة تفاصيلها . فان الظروف المحيطة متغيرة ، مهما كانت دقة الحسابات على اساس الاستطلاعات المسبقة . ويتوقف كما أشرت حل المعضلات الاتية على مبادرات القائد وافراد دوريته . ولكي يتعلم المقاتل جيدا لا بد من تدوين تجارب معينة فتتفاعل قدرته على المبادرة لتؤدي بالنتيجة لوضع هذا المقاتل في مرتبة المبتكر الثوري ومن هنا من مرتبة المبتكر يقف العقل المعادي عاجزا تماما .

وما دامت الثورة قائمة ومستمرة فان حصر اتساعها ومردودها ودراستها صعب جدا . فكل يوم يولد معطى جديد من معطياتها وتأثيراتها . وقد لاحقت نسور العرقوب بعض التأثيرات ، منها مقاطع من رسالة شاب صغير الى اخيه المقاتل في صفوف الثورة ، قالت : ان اخطر ما تنجزه الثورة الفلسطينية واعمقه اثرا وابعده تأثيرا واشده فاعلية هو ما لا يظهر على مسرح الاحداث ولا يسهل تبينه واستشفافه على المراقب المتعجل والمحلل السريع ، فيمكن رصد ومعرفة العمليات العسكرية واحصاء الشهداء ونقد الاخطاء واظهار المحاسن وسوق الاطراء ... الخ ولكن ما يصعب فعلا هو معرفة الاثر التاريخي لظهور ظاهرة الكفاح المسلح كأسلوب فائق الفاعلية على الناس . ونشرت « نسور العرقوب » رسالة كتبها شاب في الصف الاول الثانوي اسمه ضياء لاخيه المقاتل في قوات الثورة يمكن من خلالها معرفة الاثر العام للثورة على الشباب : « لقد نسيت يا اخي ان اهنئك بالعيد الوطني .. عيد الثورة وهو يوم اعدام وصفي التل احد الوحوش الكاسرة حيث لا تزال كلمات النجدة التي أطلقها ابرياء العروبة، لا زالت يا عزيزي تلك الاستغاثات تدوي بذاكرتي.. وهي مجزرة الاحراش وجرش وعجلون وغيرها ، لا زلت اتذكر ما فعله وصفي بثوارنا وبقائدهم العظيم ابو علي اياد فكيف لا اطير فرحا لانتصار الرفاق ؟ كيف لا اكون سعيدا جدا لسماعي انه لا زال هناك فلسطينيون يطلقون الرصاص والزغاريد وامام الموت يعانق احدهم الاخر ... رحت اتصفح الوريقات — يقصد ملحق جريدة فتح الذي هو مجزرة ايلول وقد كان اخوه قد ارسله له مع رسالة بعد اعدام التل — وكنت كلما رأيت صورة تمثل الدمار يزداد اسفي على الركود والتهاون من قبل بعض ابناء الامة العربية عن وحش صغير كهذا في الاردن وغيره مما يدفعني ان احقد الحقد الكبير واقتنع بأن اشارك .. » علما بأن هذا الشاب عراقي ولم ير حتى لون التراب الفلسطيني وبالتأكيد سيخصب دمه يوما ذلك التراب .

ان البناء النفسي الكامن وراء هذه المقاطع من الرسالة لم يكن ممكنا ان يقوم الا بوجود الثورة ووجود اخ كاتب الرسالة ضمنها وتداول ادبيات الثورة وافكارها عبر الرسائل المتبادلة على بعد آلاف الكيلومترات . هذا كله ادى لان يكتب مثل ذلك الشاب تلك الرسالة المعبئة حتى الحقد ويطلب في آخر الرسالة تدبير انتسابه للثورة ، وهو ما يجب ان نرى عليه الجيل كاملا ، التعبئة حتى الحقد على اعداء الشعب والثورة كائنا من كانوا .

ولكن ماذا كان تأثير اصدار النشرة على المقاتلين انفسهم ؟ ان ابرز ظاهرة اعقبت اصدار النشرة وحث الجميع على المشاركة فيها ، هي ظاهرة اقتناء الكتب وبداية تكون مكتبات صغيرة وتبادل قراءة هذه الكتب بين المقاتلين . فقبل اصدار النشرة لم تكن موجودات القواعد من الكتب تتعدى بعض ادبيات الحركة ونشراتها مع انخفاض ملحوظ بمنسوب القراءة ، الا ان هذا المنسوب بدأ بالارتفاع شيئا فشيئا ، وهنا لا بد من الاشارة لنوعيات الكتب وسأختار ثلاث مجموعات من ثلاث

قواعد : المجموعة أ ، احتوت ضمن ما احتوت على ١٠ كتب عن اسرائيل كدولة ومؤسسات . المجموعة ب ، احتوت على ١٦ كتابا عن فلسطين تاريخا وجغرافية وتراثا . اما المجموعة ج ، فقد احتوت على ١٥ كتابا عسكريا بحتا . ولم اجد مثلا في المجموعة الاولى اكثر من ٦ كتب بعيدة فعلا عن المقاومة والعسكرية وفلسطين هي : مجلة طبيبك (عدد واحد) ، مجلة مواقف (عدد واحد) ، قصة شيء في صدري ، رسائل ابي حيان التوحيدي ، الفوضى والعبقرية لسارتر ، مجلة الموقف الادبي (عددان) . وكان عدد المجموعات الثلاث ١٧٤ كتابا بعضها مكرر في اكثر من مجموعة علما بأن ملكية هذه الكتب جماعية للقاعدة كلها لان شراءها يتم على هذا الاساس لا بمعنى المشاركة بجمع قيمة الكتاب بل بمعنى شراء المقاتل للكتاب الذي يريده وجمعه مع بقية الكتب في مكان واحد هو في الاغلب صندوق سلاح او ذخيرة .

ان تنوع هذه الكتب ولو في مجال التخصص يعكس الاهتمامات التي فتقتها جملة الاعمال التثقيفية في القطاع لا سيما اذا علمنا ان هناك ساعتي محاضرات يوميا تنوعت موضوعاتها حتى ليمكن القول انها شملت كل المعارف الانسانية مع تركيز خاص على حرب العصابات ، ويلاحظ بصدد المحاضرات انها كانت غالبا تنتهي في الفترة الاولى دون اسئلة او بأسئلة قليلة مرتبكة وضحلة ، الا انه كلما تقدم تنفيذ البرنامج كلما ازداد عدد الاسئلة وتخصصها وتحددها حتى كادت تتحول الى مناقشات عامة منظمة . وقد شجع هذا المنهج بالذات وروعي في موضوعين بشكل كبير جدا : استلاب ايران لجزر الخليج وتنفيذ حكم الاعدام بوصفي التل . وفيما بعد اصبحت مسألة التعبير عن الافكار والمشاركة في الجو الثقافي بكل حرية تقليدا طيبا وجد رمزه فيما بعد في التعليق على مواد النشرة نفسها او اي موضوع آخر فيما يتعلق بالثورة ، وعليه فقد ظهرت ظاهرة الكتابة واللصق على الجدران تحت شعار « اكتب والصق » بجانب النشرة او على مقربة منها . وهذه ادت في تطورها الى بروز ظاهرة جديدة هي الملصقات الجدارية (بوسترز) . ورغم بدائيتها ووضعها الخاص فقد كانت تتراوح بين الحكمة الثورية والشعار السياسي والتجربة العسكرية الشخصية والمعلومات العسكرية البحت : « خطأك الاول هو خطأك الاخير » ، « أضف كلورات البوتاسيوم الى كوكتيل مولوتوف تضاعف القوة » ، « لكي تهزم المحقق عليك بالذاكرة والذاكرة والمرح » ، « لا تحارب في العراء ابدا... اتخذ اي ساتر» ، « الاستطلاع الجيد نصف النجاح » ، « وقل ربي زدني علما » ، « لا يمكن تحقيق الانتصار بدون كسب الجماهير » .. الخ الا ان هذه الظاهرة تطورت هي الاخرى بشكل طبيعي عند اتساعها ومناقشتها المستمرة الى محاولة لرسم الافكار رسما كاريكاتوريا مذهل القدرة على نقل الفكرة والايحاء بتفاصيلها مما دعا لتشجيع هذه المبادرات وابرازها حتى وصلت الى اصدار جريدة كاريكاتورية جدارية مبتكرة الموضوعات ومترابطة بشكل رائع بين النكتة والعلم العسكري (مثل صورة حبلى وتحتها ... لغم مؤقت ٩ اشهر) .

ويلاحظ ان اغلب الوان تلك الصور مشتقة في الغالب من الوان الملابس المموهة العسكرية وتجمعت تلك الرسومات مشكلة في ذلك معرض ميدان ، ان صحت التسمية . الا ان ذروة النجاح كانت اصدار نشرة اخرى باسم « شبيبة نسور العرقوب » وهي نشرة جدارية مستقلة تماما عن اية مساعدة من خارج مجهودات شبيبة واشبال القطاع انفسهم اخراجا وتحريرا وافكارا .

السؤال الان : كيف يتصور المقاتل نفسه والعالم المحيط به ؟ وقد جاء في العدد الخاص الصادر بذكرى ١٩٦٥/١/١ : « عيد نفرح به ام ذكرى نستلهمها ... ام ماذا ؟ ان حدث ١٩٦٥/١/١ ليست له صفة العيد ... وما حدث في ١٩٦٥/١/١ ليس ذكرى للاستلهام فقط ذلك ان ما حدث في ١٩٦٥/١/١ هو (ماذا) كبيرة ، ضخمة هائلة ، وليس الشعب الفلسطيني وحده كان يتساءل بها بل الامة العربية كلها كانت تتساءل معه ، دون جواب ، ما العمل ؟ وماذا الحل وكيف .. ماذا كبيرة . وفجأة كما هي العادة في الاحداث الاصيلة تنفجر الـ (لماذا) في عيلبون » . ويستطرد المقال في مكان آخر : « آلاف الاسئلة والاحتمالات والافتراضات وضعها وحاول الاجابة عليها القادة الرسميون ورجال الدول و- المفكرون ! - والساسة ورجال الحرب وأركان الاحزاب ومتولو الحركات ... الخ الا امر واحد لم يخطر على بال اي من هؤلاء وأولئك ... الثورة . فليست هي العيد . وليست هي الذكرى . بل لماذا كبيرة

طرحها واجاب عليها رجال العاصفة » .

ولكن كيف يتصور مقاتلو العاصفة الطريق بعد ان شقه لهم الرواد .. نفس الطريق بالضبط كما كتبه احد المقاتلين بهذا المقطع :

« والذي كان كبيرا بفؤادي صار اكبر
حبنا يا قدس أضحى
لك مجدا وأكاليل وعنبر
واذا ازداد فراقي
عنك يا قدس سيزهر
أنت يا قدس بقلبي
وأرى ضوءك اخضر
سوف آتيك ... وآتيك
على جنح رصاصاتي واسكر
بهواك الحلو يا جوهرتي
والمجد في ارضي أحمر »

الا انه لكي يأتي للوطن مع جناح رصاصاته ويسكر بحبه له لا بد ان يستشهد قبله وبعده آخرون . « قال بكرة ان شاء الله نذهب للقائد ونطلب منه ان نقوم بدورية جديدة انتقاما لشهيد الدورية » . ولكي يتم فعلا الانتقام للشهيد ولكل شهيد وللوطن و« نهزم العدو يجب ان نحقد عليه من اعماق قلوبنا » وحتى نفهم كيف هذا الحقد يفعل جاء في مقال الادب بين اثارة الشفقة وتعبئة الحقد « لان اليد التي تمسك بالبندقية لا بد لها ان يحقد حاملها على من سيطلق عليه النار » بل « يجب ان يحقد الثائر على اعداء اهله وشعبه ووطنه وان يصل حقده الى الدرجة التي تصعق فيها نظراته المتلئة كراهية ... اعداؤه » .

ويضع المقاتلون سلما للاولويات في تقدير الامور يبدو انه ذو طابع متميز . ففي استفتاء عن أهم سبعة أحداث لعام ١٩٧١ أورد ان اهم الاحداث كانت : مقتل وصفي التل ، دخول الصين الامم المتحدة ، الحرب بين والهند والباكستان ، مجازر جرش وعجلون ، احتلال ايران للجزر العربية ، استشهاد العم ابو علي اياد ، تأميم ليبيا لشركة البترول البريطانية . ولم يحظ مؤتمر جدة وعودة يارنج الا بالمرتبة التاسعة والعاشرة . وكان يبدو ان مقتل القائد ابو علي اياد ليس الا أمرا طبيعيا لاستشهاد مقاتل عظيم . اما مجازر جرش وعجلون فهي مجرد مؤشرات سلبية على المسيرة ، لذا جاءت في الطرف الثاني من الاهمية . الا ان هناك فارقا بين عدم اعطاء اهمية السبعة الرئيسية لموضوعي يارنج وجدة عن اعطاء اهمية اقل من بين السبعة لاستشهاد ابو علي ومجازر جرش فيارنج وجدة قلصت اهميتهما باعتبارهما خارج منهج الكفاح المسلح استراتيجيا اما ابو علي وجرش فقد عوملا كحادثين اعتياديين وطبيعيين جدا .

ورغم ان مواد النشرة كانت كلها بأقلام المقاتلين الا ما ندر ان يدعى احد الزوار للكتابة ، الا ان النشرة كانت مع ذلك تذكر بوجود تكثيف الكتابات : كان لمبادرة الاخوة المقاتلين دور كبير في املاء هذه النشرة بجملة المواد الجيدة ، لا شكر للذين كتبوا لهذا العدد .. بل دعوة لمزيد من الكتابة لتثقيف اخوتهم وهذا واجب ، ما زال كثير من الاخوة غير واثقين من أقلامهم فلم يكتبوا للنشرة ، ستزداد المساحة المخصصة لادب المقاتلين وانتاجهم السياسي والعسكري ، على كل حال .. مالكم رد اليكم .

اخيرا ان الاهتمام بتجارب القتال والمقاتلين وتدوينها ، هي التراث الحقيقي لثورة شعبنا وامتنا واذا ما أردنا للشعب والامة ان يكونا مقاتلين فلندخلهم عالم المقاتل الرائع .

الفن التشكيلي العربي المعاصر والفن الفلسطيني

اسماعيل شموط

بدأت ظاهرة الاتحادات في العالم العربي في العشرين سنة الاخيرة ، وأصبحنا نقرأ تباعا اخبار مؤتمراتها هنا وهناك ، فهذا مؤتمر للمحامين العرب ، وذلك للمعلمين العرب والاطباء والمهندسين والادباء والشعراء والصيادلة وما الى ذلك . وهي ظاهرة ، مهما يقال فيها ، تبقى ظاهرة صحية ، رغم القائلين انها ردة فعل للفشل الذي اصاب تحقيق الوحدة العربية على الصعيد السياسي . وهي ضرورية لتثبيت الشخصية القومية العربية على الصعيد العالمي الذي بات الصراع فيه يفرض حتى على مستوى العلم والفكر والفن ان يتخذ اشكالا قومية وعقائدية الى حد كبير . ومهما كان الرأي فيما انجزته الاتحادات العربية العلمية والفكرية فقد كان لا بد للفنانين التشكيليين العرب من الانضواء تحت لواء اتحاد عام لهم ، بفعل ضغط الحاجة لمثل هذا الاتحاد النابع من المشاكل التي يعانيها الفنان التشكيلي العربي ماديا وادبيا وضرورة التصدي لهذه المشاكل وحماية الفن والفنان على حد سواء .

ولا بد في هذا المجال من العودة قليلا الى الوراء ، الى مطلع هذا القرن حيث بدأت اولى خطوات الحركة الفنية التشكيلية المعاصرة ، عندما بدأ نفر من الفنانين الناشئين العرب بالسفر الى اوروبا او التتلمذ على أيدي بعض الفنانين الاجانب الذين كانوا يعيشون في بعض الاقطار العربية ، خاصة اثر الحرب العالمية الاولى . ومن هؤلاء ، على سبيل المثال لا الحصر ، بدأ محمود مختار ويوسف كامل ومحمود سعيد واحمد صبري في مصر ، وتوفيق طارق وجورج خوري ومحمود جلال وميشيل كرشه في سوريا ، وداود القرم وحبيب سرور وخليل الصليبي ومصطفى فروخ في لبنان ، ومحمد صالح زكي وعاصم حافظ وجواد سليم وفائق حسن وحافظ الدروبي من العراق ، ويحي التركي وعمار فرحات من تونس . وبشكل عام يمكن القول ان المدرسة الواقعية الاكاديمية والانطباعية كانت الطابع العام لاعمال الرعيل الاول من الفنانين العرب وهو طابع كان سائدا في المعاهد التي تلقى فيها هؤلاء تعليمهم الفني او تأثروا به عن طريق الاطلاع .

وتأسست في العشرينات مدرسة الفنون الجميلة في القاهرة ، وهي الاولى في الوطن العربي . غير ان معظم الاقطار العربية اليوم تنعم بكلية او معهد للفنون الجميلة او اكثر . وبدأ الرعيل الثاني من الفنانين يتخرج من هذه المعاهد . وبدأ عدد كبير من هؤلاء يوفد في بعثات فنية للخارج ، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث نتج عن ذلك نشاط ملحوظ في هذا المجال ، سواء باقامة المعارض الرسمية او الخاصة ، او ازدياد عدد كليات ومعاهد الفنون في الوطن العربي والاقبال الشديد عليها من قبل الموهوبين الناشئين .

وتتميز اعمال الرعيل الثاني من الفنانين العرب بالتحرر من القيود الاكاديمية الواقعية والانطباعية والانطلاق بالتجربة الفنية وراء المدارس والمذاهب الفنية العديدة الحديثة التي سادت العالم منها التكعيبية والرمزية والتعبيرية والوحشية والمستقبلية والسوريالية والتجريدية. وفي السنوات العشر الاخيرة ، بدأ الرعيل الثالث من الفنانين العرب يخطو خطواته الاولى مستفيدا من تجربة الرعيلين السابقين باحثا في الوقت نفسه عن ذاته العربية . لقد اكتشف الفنان العربي المعاصر انه اسير المدارس والمذاهب الفنية الغربية ودخل بحكم ظروفه الصراع القائم في حركة الفن التشكيلي العالمي . لكنه اكتشف اخيرا انه يصارع في دائرة مفرغة معزولة .

كثيرون جدا من الفنانين العرب ، خاصة الذين درسوا في الغرب او تأثروا بمذاهبه خاضوا التجربة والصراع على أشده ، وحاولوا كغيرهم من الفنانين الغربيين ان يثبتوا وجودهم عالميا عن طريق اللحاق بالمحاولات الحديثة في الفن ، وتميزت اعمالهم بقيمة فنية لا تقل عن تلك التي لدى الفنانين الغربيين بمقياس الناقد الفني الغربي ، ولكن النتيجة كانت دائما مفجعة للفنان العربي ، حيث احيط دائما بالعزلة والتجاهل والاهمال . ونتيجة لذلك عاد الفنان العربي يبحث عن هويته ، عن وجوده في وطنه وعن تاريخه وتراثه . فالعالم لا يريد وليس بحاجة ان نقدم له ما سبقنا غيرنا اليه ، لاننا في هذه الحالة لا نضيف اليه شيئا ، بل هو يقبلنا

عندما نقبل عليه بهوية متميزة ذات منطلقات وتطلعات انسانية .

واكتشف الفنان العربي اول ما اكتشف ان هناك اربعمائة سنة من الضياع والخنوع عاشها عالمنا العربي في ظل حكم عثماني سلبنا كل مقوماتنا الحضارية والفنية ، الشيء الذي شكل فجوة كبيرة بين ماض عربي زاهر وتراث فني عظيم وبين محاولة الفنان العربي المعاصر . وبدأت ، على اثر ذلك ، تتشكل القناعة لدى الفنان العربي المعاصر بأن تجربته الفنية العربية يجب ان تنبع وتترعرع في مناخها الطبيعي على ارض الوطن العربي ، ومن خلال وعيه ودراسته للتراث العربي الاسلامي وخلفياته ، (الفن المصري القديم ، وفنون الرافدين ، والفن المسيحي الشرقي) ومعايشته للواقع العربي الحاضر والمساهمة في بناء المستقبل العربي ، وتفتحه على جميع التيارات الفنية والفكرية الخيرة في العالم . وبدأ يدرك ان اية حركة فنية او فكرية لا تثبت وجودها على المستوى القومي ، لا تستطيع في خضم الصراعات السياسية العالمية — وهي لا شك ذات اثر كبير على الفكر والفن — ان تفرض وجودها عالميا . والعودة الى التراث لا تعني للفنان العربي المعاصر ، ويجب ان لا تعني العودة الى الوراء ونسخ الماضي والاختفاء وراء جدرانه ، ولكنه — اي التراث — يجب العودة اليه بقدر ما يمكن ان يدفع الحركة الفنية العربية المعاصرة الى الامام . وغني عن القول ، ان التراث العربي وخلفياته تراث عظيم وينبوع لا ينضب اثر ويؤثر في الحركة الفنية العالمية ، ومن شأنه ان يحول الى طاقة تفجر في الفنان العربي مواهبه وتمكنه من بناء حضارة الانسان العربي المعاصر والمساهمة في بناء الحضارة الانسانية . ومعايشة الفنان العربي لواقعه العربي وواقع امته وتحديد دوره في معركة المصير العربي لا تعني التقوقع داخل اطار الطابع التسجيلي الوثائقي ، وانما المقصود هو احداث التفاعل الحقيقي بين الفنان ومجتمعه ، بآلامه وآماله ، وعكس ذلك في عمله الفني بأسلوبه الخاص ومن خلال معاناته الانسانية .

ولا بد لهذه العوامل ، التراث والمؤثرات الناتجة عن المعايشة الحقيقية للواقع ، والمؤثرات الفكرية والفنية الناتجة عن احتكاك الفنان مع التيارات الفكرية والفنية الانسانية في العالم بالاضافة الى المؤثرات الداخلية النفسية الموروثة والمكتسبة لذات الفنان، لا بد لهذه العوامل من ان تطبع حركة الفن التشكيلي العربي المعاصرة بالشخصية العربية ، بملامحها الانسانية الكاملة المستمدة من منطلقها التاريخي ومن تطلعاتها للمستقبل . ان مسألة الشخصية القومية في الفن التشكيلي مسألة صعبة ، وحلها لا يحدث بمجرد ادراك ما تقدم ، بل بالممارسة الفعلية لهضم التراث ومعايشة الواقع وتمثل المستقبل . ان مسألة الشخصية القومية في الفن التشكيلي العربي تختلف تماما ، وهي بالطبع اكثر تعقيدا ، عنها في الادب والشعر العربي . ففي الادب والشعر مثلا ، تنبع الشخصية العربية لكون المفردة التي يتألف منها العمل الادبي والشعر هي كلمة عربية ، بينما نجد مفردة الفن التشكيلي بشكل عام هي مفردة عالمية مجردة . فهي اللون والخط والضوء والكتلة . وما الى ذلك .. فهي مفردات يستعملها العاملون في مجال الفن التشكيلي في جميع انحاء العالم . لقد ظن عدد من الفنانين العرب ، تحت وطأة الشعور بضرورة ابراز الشخصية العربية في الفن التشكيلي العربي ، ان العودة الى التراث ، اي الزخرفة العربية او استغلال الخط (كاليغرافي) مع بعض التحويرات الحديثة هي الحل . وظنت مجموعة اخرى ان اعتماد البعدين دون الثالث في الرسم ، وهو مبدأ يعتبر احد العناصر المميزة لفن التصوير عند العرب قديما يمكن ان يؤكد الشخصية العربية في اعمالهم . وآخرون اتجهوا نحو تصوير الحياة العادية لشعوبنا العربية ، بازيائهم وملامحهم ومعالم بيوتهم ووطنهم ، بآلامهم ، وآمالهم ، من اجل الهدف ذاته . لقد وقع الفنان المكسيكي في اوائل القرن الحالي تحت نفس الهموم والمشاكل التي يعاني منها اليوم الفنان العربي . ولم يكن امام الفنان المكسيكي الا العودة لوطنه ، لتراثه وواقعه واستطاع ان يبني بعد ذلك حركته الفنية التشكيلية ذات الشخصية المكسيكية والتي تعتبر اليوم من اقوى الحركات الفنية التشكيلية في العالم المعاصر .. وليس امام الفنان العربي اليوم الا ان يتبع الطريق ذاتها التي سار عليها الفنان المكسيكي بالعودة للتراث والواقع العربي ، كأساس ينطلق منه ليرسم الحاضر والمستقبل ، وليبنى عليها حركته .

وفرضت هذه الامور كلها اول ما فرضت ضرورة ماسة لتلاقي الفنانين العرب وخلق اتحاد لهم يضم

كافة التجمعات الفنية التشكيلية في العالم العربي. ويعمل على : توفير فرص التعارف واللقاء بين الفنانين العرب لبلورة المسائل والقضايا الفنية عبر المناقشة والممارسة ، توفير فرص التعرف على مواطن عالمنا العربي وانساننا العربي ، ربط الحركة الفنية التشكيلية العربية المعاصرة بالتراث العربي وخلفياته ، احداث التلاحم والتفاعل بين الفنان والواقع العربي ، النهوض بمستوى التذوق الفني في مجتمعنا العربي ، تحديد موقع الفنان في معركة المصير العربي ومعركة التحرر والبناء ، اقامة الروابط الثقافية والفكرية والفنية مع المؤسسات الفنية العالمية من موقع القوة ، فرض الحركة الفنية التشكيلية العربية عالميا للاسهام في بناء الحضارة الانسانية .

وانبثق الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب في المؤتمر التأسيسي الذي عقد للفنانين التشكيليين العرب في اواخر العام الماضي في دمشق . والذي دعت له نقابة الفنون الجميلة في سوريا . وتشكلت امانة عامة للاتحاد قوامها سبعة اعضاء ، هم رؤساء الوفود السبعة المشاركة في مؤتمر دمشق وهي على الشكل التالي : اسماعيل شموط (فلسطين) امينا عاما ، ممدوح قشلان (سوريا) امينا للسر ، منير نجم (لبنان) امينا للصندوق ، د. صالح رضى (مصر) طاهر المغربي (ليبيا) ، الهادي التركي (تونس) ، خليفه القطان (الكويت) اعضاء .

وعملت الامانة العامة منذ تشكيلها في كانون الاول (ديسمبر) الماضي على الاتصال ببقية التجمعات الفنية العربية في العالم العربي من اجل انضمامها الى الاتحاد . وكانت فرصة طيبة اتاحها لنا العراق ، عندما دعت وزارة الاعلام العراقية لحضور مهرجان الواسطى الذي اقيم في شهر نيسان (ابريل) الماضي وانضمت جمعية الفنانين العراقيين للاتحاد ورشحت الجمعية الدكتور قتيبة الشيخ نوري رئيسها عضوا في الامانة العامة . كما التقينا بفنانين من البحرين والمغرب ، وسوف ينضم قريبا تجمع الفنانين في كل من المغرب والبحرين الى الاتحاد . كما ان الامانة العامة للاتحاد تجري اتصالات مع فناني الجزائر والسودان من اجل انضمام تجمع واحد لفناني كل منهما للاتحاد . والخطوة التالية للامانة العامة هي عقد المؤتمر العام الاول للاتحاد . وقد تبنت العراق عقده في بغداد في اواخر العام الحالي . كما انه سيقام اول معرض باسم الاتحاد اثناء انعقاد المؤتمر يضم اكبر مجموعة ممكنة تمثل الحركة الفنية التشكيلية العربية المعاصرة .

اين موقع الفنان الفلسطيني من الحركة الفنية التشكيلية العربية المعاصرة ، وما هو دوره فيها؟ ان الفنان الفلسطيني في هذا المجال ، لم يتمكن ، او لم تمكنه ظروف فلسطين السياسية من المشاركة في بناء هذه الحركة الفنية العربية الا بعد النكبة عام ١٩٤٨ . لقد كان نصيب فلسطين من المشاكل السياسية منذ اوائل هذا القرن اكبر بكثير من نصيب باقي الاقطار العربية . وربما سبب ذلك عدم بروز اي فنان تشكيلي فلسطيني قبل نكبة ١٩٤٨ . ويقول الفنان الفلسطيني عبدالرحمن المزين ، في بحث قدمه في مؤتمر الفنانين التشكيليين العرب — في دمشق تحت عنوان « دور الفن في المعركة » ، « المرحلة الاولى في حركة الفن التشكيلي الفلسطيني خضعت لظروف معينة كانت مادتها مستوحاة من مخيمات التشرد والضياع والحرمان وقسوة الحياة الاجتماعية التي يلاقيها شعب طرد من وطنه . وكان اسلوبها الفني تسجيليا لواقع مر وتعبيرا عن الصمود الذي نراه في وجه كل طفل وامرأة وشيخ على الثبات والعزيمة والعودة . وقد عبر عن هذه المرحلة بصدق واخلاص الفنان اسماعيل شموط والفنانة تمام الاكحل . وقد كان لهما فضل كبير في ارساء دعائم الفن الفلسطيني المعاصر وانارة الطريق للاجيال القادمة » .

ونجد اليوم معارض كثيرة لفنانين فلسطينيين تقام هنا وهناك سنويا ، فقد تخرج عدد كبير من الفنانين الفلسطينيين من المعاهد الفنية في العالم العربي وخارجه . واستطاعوا ان يثبتوا وجودهم الفني عبر اعمالهم في كثير من العواصم العربية، ولسنا بصدد حصر الاسماء بقدر ما هي على سبيل المثال ، فهناك مثلا ممن يعيش في لبنان تمام الاكحل وجمانه بايزيد الحسيني وتوفيق عبد العال وليلى الشوا ، ومن الذين في سوريا ابراهيم هزيمة واحمد ابو زينه وسمير سلامه ، ومن قطاع غزه (ومعظمهم يعيشون اليوم خارجها) عبد الرحمن ومحمد المزين وشفيق رضوان وفاروق هويدي . ومن الذين يعيشون في الاردن نصر عبد العزيز ومحمود طه وزكي شقفه وياسر الدويك

وعفاف عرفات واحمد نعواش ، ومن الذين بقوا تحت نير الاحتلال الصهيوني في فلسطين منذ ١٩٤٨ عبد عابدي وعبد الله الكرا وفاروق دياب وخليل ريان وغازي الحج ومروان ابو الهيجا وطاهر زيداني .

وان تميزت اعمال الفنان الفلسطيني بشيء ، فانما تتميز بأثر القضية الفلسطينية الواضح عليها ، مهما اختلفت الاساليب الفنية . اما الاثر الثاني ، وهو طبيعي ، تأثرها بالتيارات الفنية العربية بشكل عام ، باعتبار ان الفنان الفلسطيني اما ان يكون قد درس الفن في احد معاهد الاقطار العربية او تأثر بفنانيها المعروفين . ولا تقل الحركة الفنية التشكيلية الفلسطينية نضوجا عن الحركة العربية عموما ، رغم تأخر مشاركة الفنان الفلسطيني للفنان العربي في بناء الحركة الفنية العربية المعاصرة . لكنه استفاد من خبرات الفنان العربي والواقع المرير الذي عاشه شعب فلسطين عند نشأته . وهو في نفس الوقت يعاني من المشاكل الفنية التي يعانيها الفنان العربي وشارك ويشارك في جميع النشاطات والمؤتمرات . ولا اكون مغاليا ان قلت ان حماس الفنان الفلسطيني وحرصه على دفع حركة الفن التشكيلي العربي اكبر قليلا من غيره ، منطلقا من المعاناة السياسية والانسانية لواقع القضية الفلسطينية والتي تجعله اكثر ايمانا بضرورة بلورة الحركة الفنية العربية ودفعها في اطار موحد لتفرض وجودها عالميا ، وتتحدى القوى الصهيونية التي تقف وراء الحركة الفنية التشكيلية في الغرب . ان معظم الفنانين العرب ، ان لم يكن كلهم ، يتحسسون ويشعرون بالالم لواقع المأساة التي حلت بالشعب الفلسطيني ، وكثيرون جدا منهم من اشترك في معارض خاصة باسم فلسطين وبأعمال مستوحاة من المأساة الفلسطينية والثورة الفلسطينية . ان لفلسطين وقعا كبيرا على الانسان العربي ، وهي على الفنان العربي اكثر وقعا واكبر اثرا . وواجب الفنان الفلسطيني في هذا المجال ان ينمي شعور المشاركة الوجدانية الذي تفرضه فلسطين لدى الفنان العربي وتطويره عنده بحيث يجسده الفنان العربي في عمله الفني . ولا سبيل اقوى لدى الفنان الفلسطيني من ان يقوم بواجبه في هذا المجال الا من خلال الاتحاد ، الذي آمن به ودعمه منذ ولادته . ويشرف الفنان الفلسطيني انه كان اول المنادين في اول جلسة لاول مؤتمر للفنانين التشكيليين العرب من اجل الدعوة للاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب وضرورة تحقيق قيامه . وقد بذل الوفد الفلسطيني مجهودا كبيرا مشاركا زملاءه العرب في جميع الاعمال التي أدت الى قيام الاتحاد .

الاستراتيجية الدعائية الاسرائيليــة في الهنــد خلال النصف الاول مــن ١٩٧١

محمد علي العويني

تعتبر هذه الدراسة دراسة لحالة من حالات الدعاية الصهيونيــــة ، وهـي الاستراتيجية الدعائيـــة الاسرائيلية في الهند ، خلال النصف الاول من عام ١٩٧١ . وقد اعتمدت بصفة اساسية على تحليل المضمون ، وهو اسلوب من اساليب تحليل المواد الاعلامية . ويهدف اساسا الى كشف الديناميات الخفية وراء المواد الاعلامية او الدعائيـــة حسب الاحوال* .

الموضوعات المعروضة ومدلولها الجغرافي : يلاحظ على الموضوعات التي تعرضها الدعاية الاسرائيلية انها مرتبطة بالعملية الدعائية التي تعتبر احدى ادوات السياسة الخارجية الاسرائيلية . كما انها تركز على منطقة الشرق الاوسط آخذة في اعتبارها المجتمع الهندي كمستقبل للرسالة الدعائية . كما يلاحظ تنوع الموضوعات المعروضة ، اذ تتراوح بين موضوعات سياسية واقتصادية وعسكريـــة وعلمية واجتماعية وفنية اي اكثر من زاوية. وكثيرا ما تلجأ الدعاية الاسرائيلية الى الاغراق الدعائي اي عرض موضوعات دعائية كثيرة ومتنوعة . وعلى هذا الاساس فان اي مهتم بأحد فروع المعرفة سياسية او اقتصادية او علمية يقع تحت تأثير الدعاية الاسرائيلية . فاذا كان هناك شخص يهتم بالموضوعات الفنية ولا يميل الى الموضوعـــات السياسية فيمكن ان يقع في الدعاية الاسرائيلية عن طريق الموضوعات الفنية وذلك على سبيل المثال . واذا كان هناك شخص مهتم بالطب مثلا فتحقق الدعاية الاسرائيلية هدفها بعرض الموضوعـــات الطبية اي ان الدعاية الاسرائيلية تأخذ في اعتبارها الجوانب السيكولوجية والثقافية المتعلقة بالميول الفردية .

تفاوت درجات العمق في العرض الدعائي : تتفاوت الموضوعات بين الموضوعات العميقة والموضوعات الاقل عمقا لكسب الرأي العـــام الهندي لصالح اسرائيل واثارته ضد العرب . ومن الموضوعات العميقة موضوع « اقامة السلام مع اسرائيل » حيث تحاول فيه الدعاية الاسرائيلية ان تصـــور وجود صفات مشتركة بين مصر واسرائيل فهناك بعض الموضوعات التي يوجد بشأنها بعض الاتفاق، وان كان الاتفاق غير كامل وهناك موضوعات لا تصادف اي اتفاق . وتقول الدراسة في النهاية اذا كانت مصر هدفها السلام فانها ستعطي اسبقية للموضوعات التي يوجد بشأنها اتفاق مسبق سواء أكان ذلك الاتفاق شاملا او جزئيا . وهناك ايضا مقال تحت عنوان « المناطق المدارة من يملكها » يحاول ان يبرر حـــق اسرائيـــل في امتلاكهـــا ، والمقصود بالمناطق المدارة الاراضي العربية المحتلة. ويوجد مقال تحت عنوان « قرار نوفمبر حول الشرق الاوسط ــ طريق مسدود او معالم للطريق » . ويحاول فيها المنطق الدعـــائي الاسرائيلي ان يفسر ذلك القرار بطريقة تتمشى مع الاهداف السياسية الاسرائيلية . هذا بالاضافة الى الموضوعات الاقل عمقا مثل موضوع « الحياة في كيبوتز » وموضوع « دبلوماسي اسرائيلي يزور الهند » وموضوع « اسحق واسماعيـــل في مستشفى هداســـا » وموضوع «كفوا عن قتل الابرياء». وهذا يساعد على ايجاد قراء حقيقيين للنشرة من مختلف الفئات ، اي ان الدعاية الاسرائيلية تحدث اغراقا دعائيـــا يتراوح بين عمق الموضوعات وبساطتها ، وبالتالي تأخذ في اعتبارها تعدد المستوى الثقافي للمستقبلين.

مدلولات الالفاظ المستعملة : يلاحظ ان اختيـــار الالفاظ عامل هام في العمل الدعائي ومن الالفاظ المستعملة « تحرير اليهود في الاتحاد السوفييتي » يعطي انطباعا باضطهـــاد اليهـــود في الاتحـــاد السوفياتي . وتطلق اسرائيل على الاراضي العربية المحتلة « المناطق المدارة » حتى لا يكون هناك ايحاء بالاحتلال الاسرائيلي . ومن الالفاظ المستعملة « اسرائيل دولة شجاعة تواجه ١٤ دولة معادية ». كما أطلقت اسرائيل في هذا الصدد على الفدائيين كلمة ارهابيين وان العرب يقتلون بعضهم بعضا . ووصفت اسرائيل محاكمات اليهود فـــي الاتحاد

---

* اعتمدت الدراسة بشكل اساسي علـــى نشرة *News From Israel* التي تصدر عن القنصلية الاسرائيلية في بومباي (مجلد ١٨ ، الاعـــداد ٣ ــ ١٣ الصادرة بين ٢/١ و ١٩٧١/٧/١) .

السوفييتي بأنها مخالفة للقانون السوفييتي حيث أوردت خطابا موجها من البروفسور زلمان ميللر الاسرائيلي الى البروفسور بونتكوفسكي السوفييتي. اي انه يبدو من الاهمية بمكان ملاحظة مدلولات الالفاظ المستعملة لانها تؤثر بدورها على مستقبل الرسالة الدعائية من حيث الانطباع الذاتي تجاه اسرائيل واهدافها .

استخدام الكذب كمدخل دعـائي : الدعاية التي تستخدم الكذب أسوأ انواع الدعاية وأقلها نجاحا اذا أمكن اكتشافها واستغل هذا الاكتشاف في تحطيم الثقة بهذه الدعاية . واصبح الكذب في العصر الحديث أمرا صعبا نتيجة لتطور وسائل الاتصال وظهور امكانيات واسعة لكشف الحقيقة. وجاء في منشور منسوب الى ادارة الحرب النفسية الامريكية انه اذا كان الكذب مفيدا فيشترط ألا تضبط الاكذوبة او تكتشف وتكون وظيفة رجل الدعاية في هذا الصدد ان يعمل بكل الطرق حتى لا تكشف الاكذوبة وان يعد نفسه للرد عند اكتشاف الاكذوبة . وهذا ما تفعله اسرائيل . وعلى سبيل المثال نشرت اسرائيل رسالة زعمت انها كانت بين الاوراق التي تركها الجنرال ديجول وتم ارسالها الى شخصية بارزة في اسرائيل جاء فيها انه يرغب في التكفير عن نفسه امام الشعب اليهودي وانه عندما هاجم يهود فرنسا ــ على حد زعم الرسالة ــ كان ذلك يرجع الى اسباب سياسية ، وان ديجول قرر محاولة التـودد للدول العربية كمحاولـة لاستعادة العظمة التي فقدتها فرنسا وانه قرأ ان اليهود يقفون على مقابر اعدائهم وهو لا يرغب في ان يكون من هؤلاء وينصح ديجول اسرائيل بالجرأة وعدم التفريط في مطالبها العادلة ، وان العرب يفهمون الثبات ولا شيء غيره وانه دفع ثمنا باهظا لما توصل اليه . وفي نهاية الرسالة يثق ديجول في ان هذه الكلمات القليلة تكفي لتوضيح انه الان ذو قلب نادم رغم روح الكبرياء التي ستبقى دائما جزءا منه . ونرى انه من المرجح ان هذه الرسالة كاذبة لان كل ما نشر قبل وبعد وفاة ديجول يؤكد ان هذه الرسالة مختلقة ، ولو كانت صحيحة لنشرت في الحال وقبل ذلك الوقت بكثير ، كما يلاحظ انهـا نشرت في الهند ولم تنشر في فرنسا كما لم تبرز بشكل واضح مما يؤكد كذب هذه الرسالة .

وزعمت الدعاية الاسرائيلية ان طالبا من غزة كان يدرس في جامعة القاهرة وتم طرده الى عمان في ٢٤ ديسمبر ١٩٧٠ لانه عبر عـن آراء موالية لاسرائيل ، وكانت هناك مناقشة اشترك فيهـا هذا الطالب مع الطلبة المصريين الذيـن وصفوا الاسرائيليين بأنهم قتلة مثل النازيين وقام هـذا الطالب بنفي هذه التهم ، ولهذا طرد الى عمان . وسمع والدا الطالب المقيمان في غزة بهذه القصة من العائدين الى غزة من زيارة لعمان . وذكرت ذلك الصحف الاسرائيلية دون ذكر اسم الطالب على حد زعم المصدر الاسرائيلي . ونرى ان هذا الخبر كاذب فلم يذكر اسم الطالب كما ان الفلسطينيين أول من يعرف الاعمال الوحشية والهمجية التي ارتكبها وما زال يرتكبها الاسرائيليون .

كما نشرت اسرائيل خبرا عن اختبار اجرته مجلة الحوادث اللبنانية لطلبة جامعة بيروت اثبت صحة ما توصل اليه الدكتـور انيس صايغ في كتابه « الجهل بالقضية الفلسطينية » عن ان الشعب العربي يتحدث اكثر مما يقرأ . وفي هذا الصدد ذكر اسم الدكتـور انيس صـايـغ على انـــه Dr. Anis Wayi وانه مدير المركز الوطني للدراسات الفلسطينية National Centre of Palestinian Studies

وهذا الكذب واضح فمن البديهي ان الاسم الصحيح هو « مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية » وهذا يوضح المحاولات التشويهية التي تقوم بهـا اسرائيل ، وهذا الكذب لا يحتاج الى جهد لاثباته.

الديناميات الخفية وراء الاستراتيجيـة الدعائيـة الاسرائيلية في الهند : تمت في هـذا الصـدد باستخلاص الديناميات الخفية وراء الاستراتيجية للدعاية الاسرائيلية في الهند مع الاخذ في الاعتبار بشكل اساسي الترتيب الزمني للنشرات وان كل ما هو وارد هنا هو ما تردده الدعاية الاسرائيلية:

١) اسرائيل تسعى الى السلام : تسعى اسرائيل الى السلام وتعمل من اجله اما الدول العربية فلا تسعى الى ذلك بشكل جاد . ٢) مصر تعاني من التغلغل الروسي : مصر تعاني من التغلغل الروسي في شئونها ولا سيما في المجال العسكري . ٣) اضطهاد اليهود في الاتحاد السوفييتي : يعاني اليهود من الاضطهاد في الاتحاد السوفييتي وهذا أمر لا يرغب فيه المجتمع الدولي فضلا عـن ان الاضطهاد يعتبر مخالفة للقـانون السوفييتي . ٤) اسرائيل كانت خاضعة للاستعمار وحصلت على استقلالها : اسرائيل ليست صنيعة الاستعمـار ولكنها حصلت علـى الاستقلال بدون موافقـة

الاستعمار وهي مجتمع عضوي وله شخصية فريدة مثل مصر . ٥) اسرائيل دولة علمانية ومناهضة للعنصرية : يقول المنطق الدعائي الاسرائيلي ان اسرائيل ليست ثيوقراطية او عنصرية ولكنهـا علمانية ومناهضة للعنصرية . ٦) وجود مجتمع عربي فلسطيني يختلف عن المجتمع الاسرائيلي : تعترف اسرائيل بوجود مجتمع عربي فلسطيني يرغب في ان يكون له اطار سياسي خاص بـه ولكنها ترفض قبول ان الطريق الوحيد لحل المشاكل الخاصة بالمجتمع الفلسطيني هو انهاء استقلال المجتمع الاسرائيلي . ٧) القدس مدينة موحدة : يذهب المنطق الدعائي الاسرائيلي الى ان القدس كانت مدينة موحدة خلال تاريخها ، وقسمت خلال فترة قصيرة استغرقت ١٩ سنـة بين اسرائيل والاردن واعيدت وحدة المدينة عـام ١٩٦٧ وان اسرائيل لن تتنازل عن وحدة المدينة . ٨) سوريه ملتزمة بسياسة تبحث عن تحطيم اسرائيل : ظلت مرتفعات الجولان لمدة ١٨ سنة كقاعـدة للجيش السوري استغلت في قصف القرى الاسرائيلية ، وتبقى سوريه ملتزمة بسياسة تبحث عن تحطيم اسرائيل . ٩) اقتصاد العمل في اسرائيل يتجه نحو التحسن : يتجه اقتصاد العمل الاسرائيلي نحو احراز تغير في الانتاج وزيادة العاملين فيه وتحقيق معدلات نمـو بهذا الاقتصاد . كما ادى الاحتلال الاسرائيلي الى تحسن الوضع الاقتصادي في الضفة الغربية وقطاع غزة . ١٠) اسرائيل تمثل فكرة النموذج : تقدم اسرائيل نماذج جديدة مثل الكيبوتز — المزارع الجماعية — وتدعي ان ذلك النمط اشتراكي تمارس فيـه الديمقراطيـة ويتحمل الكيبوتز مسؤوليـة خاصة في التطـور الاجتماعي بالاضافة الى دور شباب الكيبوتز في الجيش . ١١) اسرائيل لها حق امتلاك الاراضي العربية المحتلة : يذهب المنطق الدعائي الاسرائيلي الى ان الدول العربية قامت بغزو فلسطين عـام ١٩٤٨ وهذا الغزو غير شرعي وان الاردن ضمت الضفة الغربية اليها وان غزو مصر لغزة — على حد تعبير الدعاية الاسرائيلية — غير شرعي وان سيناء كانت تحت السيادة التركية حتى عام ١٩٢٣ وامتلكت مصر سيناء لمدة ٤٤ عاما حتى يونيو ١٩٦٧ وبالتالي يحق لاسرائيل السيطرة عليها ، واعتبرت اجزاء من مرتفعات الجولان جزءا من فلسطين قبل عام ١٩٤٨ وبالتالي يحق لاسرائيل السيطرة عليها ، اي ان اسرائيل تدعي ان لها حق امتلاك الاراضي العربية المحتلة . ١٢) اسرائيل دولة ديمقراطية والدول العربية دول دكتاتورية : اسرائيل دولة ديمقراطية مثل الهند على عكس الدول العربية التي لا تستطيع الادعاء بأنها ديمقراطية . ١٣) العرب قتلة انفسهم : قتل كثير من العرب منذ حرب ١٩٦٧ على يد العرب اكثر من العرب الذين قتلوا على يد القوات المسلحة الاسرائيلية . ١٤) اسرائيل دولة متقدمة تكنولوجيا : تقوم اسرائيل بأبحاث في مجالات مختلفة كالطب والهندسة وتكنولوجية الاعلام اي انها متقدمة تكنولوجيا . ١٥) اسرائيل قادرة على الهجوم على مصر : اسرائيل قادرة علـى الهجوم على مصر واختراق نظامهـا الدفاعي . ١٦) اسرائيل تقبل قرار مجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ : يرسم قرار مجلس الامن معالم الطريق وتقبل اسرائيل هذا القرار وبدعو القرار الى اتفاق الطرفين وهما في مركز التفاوض ، وان الدول العربية هي التي ارتكبت العدوان قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ وشملت هذه الاعمال العدوانية — على حد زعم المنطق الاسرائيلي — اغلاق مضايق تيران والقصف من مرتفعات الجولان والنشاط الفدائي ، ولم يشر قرار مجلس الامن الى الانسحاب الكامل. ١٧) اسرائيل حقيقة تاريخية : هناك ماض اثري لاسرائيل يؤكد جذورها التاريخية على حد ادعاء المنطق الدعائي الاسرائيلي وتحدث المنطق الدعائي عن متحف صموئيل برونفمان للتوراة والاثار . ١٨) الفدائيون قتلة : تطلق الدعاية الاسرائيلية على الفدائيين اسم ارهابيين وروت امثلة منها مقتل رجل درزي، والاعتداء على مدني اسرائيلي واسرته مما ادى الى مقتل طفليه . ١٩) تعايش العرب والاسرائيليين في الاراضي المحتلة بسلام : يتعايش العرب والاسرائيليون في الاراضي المحتلة جنبا الى جنب في سلام ويؤدي الاسرائيليون عدة خدمات لهم منها الخدمات الطبية . ٢٠) معاداة السامية في الدول العربية : يستغل المنطق الدعائي الاسرائيلي سوء فهم بعض اجهزة الاعلام العربية وخلطها بين اليهودية والصهيونية ومهاجمة اليهود واستنادها على بروتوكولات حكماء صهيون التي تصفها الدعاية الاسرائيلية بأنها سيئة السمعة بالاضافـة الى المزاعم ان هناك معاداة للسامية في الدول العربية. ٢١) لاسرائيل رسالة في الدول النامية : تقوم اسرائيل بوضع خبرتها في متناول الدول النامية في المجالات المختلفة حتى تتوافر الخبرة التي تستطيع ان تحل محـل الاسرائيليين في هـذا الصدد .

٢٢) الدول الشيوعية تؤيد حق ضم الاراضي عن طريق القوة : أورد المنطق الدعائي الاسرائيلي بعض الامثلة على ذلك . ٢٣) العمل على المشاركة السياسية للعرب في اطار النظام الاسرائيلي : يقصد بالمشاركة السياسية مدى تفاعل الفرد مع النظام السياسي القائم وعملت اسرائيل على المشاركة السياسية للعرب في اطار النظام الاسرائيلي واورد المنطق الدعائي الاسرائيلي بعض الامثلة منها اختيار عبدالعزيز الزعبي كأول عربي يعين في منصب نائب وزير في اسرائيل. ٢٤) الاحكام الاساسية لاتحاد الجمهورية العربية تعكس شكوك حكام الاتحاد تجاه التأييد الشعبي : استدل المنطق الدعائي الاسرائيلي على ذلك بالاشارة الى الفقرة الخاصة باتخاذ الاجراءات الضرورية للمحافظة على القانون والنظام في الاتحاد وامكانية تدخل السلطات الفيدرالية للمحافظة على النظام واعادة الوضع الى حالته الطبيعية . ٢٥) مصر تمثل مظاهر التخلف الحضاري والثقافي : يزعم المنطق الدعائي الاسرائيلي انه في ظل الاشتراكية المصرية يحصل ٨٥ ٪ من السكان على ٣٢ ٪ من الاستهلاك القومي ، اما معدل الامية فهو ٧٠ ٪ . ٢٦) الفلسطينيون العرب استعماريون : يزعم المنطق الدعائي الاسرائيلي ان الفلسطينيين العرب استعماريون في اطار الغزاة الاستعماريين ولم يقيموا اي مدنية محلية خاصة بهم او اي حياة سياسية مستقلة . ٢٧) اسرائيل دولة صغيرة تقوم بدور كبير : تقوم اسرائيل بدور كبير رغم انها دولة صغيرة فعلى سبيل المثال تقوم اسرائيل بدور في تعليم القادمين من آسيا وافريقيا بالاضافة الى الطلبة الاجانب المسجلين في مؤسسات التعليم الاسرائيلية المختلفة . ٢٨) اسرائيل تريد الامن ولا تريد وثائق : يذهب المنطق الدعائي الاسرائيلي الى ان الامن لا يتحقق من خلال الوثائق ولكن عن طريق ما يسمى بالحدود الامنة وليس من خلال الوثائق . ٢٩) معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية تشكل خطرا على مصر : تهدف هذه المعاهدة الى انقاذ الموقف بعد التغييرات التي حدثت في مصر وهذه المعاهدة خطوة لم يسبق لها مثيل في علاقات الاتحاد السوفييتي مع اي دولة خارج المعسكر الشيوعي وبعيدة عن حدودها وجاء توقيع هذه المعاهدة ليس نتيجة للصراع العربي الاسرائيلي ولكن نتيجة للسياسة السوفييتية الخاصة بتحويل مصر الى قاعدة اساسية في البحر المتوسط وشمال أفريقيا بهدف توسيع التوغل السوفييتي في هذه الشواطىء وتجاه الجنوب نحو افريقيا والمحيط الهندي وخلق تهديد لاوربا من جهة الجنوب . وتستخدم مصر هذه المعاهدة لتهديد اسرائيل والضغط السياسي على الغرب . ٣٠) هناك علاقات وثيقة بين الصين والفدائيين : هناك علاقات قوية بين الصين والفدائيين مع الاخذ في الاعتبار العلاقات المتوترة بين الصين والهند . ٣١) الاسرائيليون من اهل الكتاب ومن اهل السلاح . ٣٢) أغلبية الشعب الفرنسي يؤيد اسرائيل : استشهد المنطق الدعائي الاسرائيلي على ذلك بتصريح اندريه مونتيل رئيس لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الفرنسي وهو في نفس الوقت رئيس جمعية الصداقة الفرنسية الاسرائيلية . ٣٣) حرية التعبير في اسرائيل : يعترف الفلسطينيون بحرية التعبير في اسرائيل ، وهذا يعطي انطباعا بدرجة عالية من الثقة . ٣٤) الليبيون ينظرون الى المصريين على انهم غزاة : ينظر الليبيون الى المصريين على انهم غزاة ـ لقيام المصريين باستغلال الثروة الطبيعية في ليبيا . ٣٥) الاسرائيليون والهنود يحملون ثقافات قديمة وخصبة : يحمل الاسرائيليون والهنود ثقافات قديمة وخصبة ، كما انهم تمردوا ضد الحكم الانجليزي ويدين الهنود والاسرائيليون للانجليز بدين من حيث اخذ طرق الادارة وتنظيم الخدمة المدنية كما أمكن الاستفادة من القانون الانجليزي . ٣٦) الهند واسرائيل تتبعان نظاما ديمقراطيا حرا : تتبع الهند واسرائيل نظاما ديمقراطيا حرا ، اي هناك تشابه بين الاثنين . ٣٧) الهند من الدول القليلة التي لم تضطهد اليهود . ٣٨) تحسن اوضاع الاقتصاد الاسرائيلي : يرتفع متوسط الدخل في اسرائيل كما تزداد الصادرات كما ان الكيبوتز نموذج من وضع اسرائيل بالاضافة الى بوادر قيام سوق مشتركة عربية اسرائيلية والعمل على تشجيع الصناعة في الاراضي المحتلة . ٣٩) تحسن اوضاع عرب اسرائيل : يلاحظ تحسن اوضاع عرب اسرائيل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية كما تقوم اسرائيل بتقديم معونة طبية للاجئين وتعليم ابناء البدو في سيناء والعمل على انشاء المدارس .

الاستراتيجية الدعائية وموقف الهند الرسمي : يستخلص من استراتيجية الدعاية الاسرائيلية في الهند انها تتبع احدث ما توصل اليه التطور في الدعاية . وهذا بالطبع مركز في مدينة بومباي على

وجه الخصوص والهند بشكل عام. وتهدف اسرائيل من دعايتها الى اقامة علاقات دبلوماسية مع الهند عن طريق انشطة واتصالات مختلفة بالجماعات المؤثرة في النظام السياسي الهندي ولا سيما فيما يتعلق باتخاذ القرارات السياسية بالاضافة الى التاثير على الرأي العام الهندي ولا يخفى دور الجمعيات المؤيدة لاسرائيل في الهند بالاضافة الى دور الجالية اليهودية منها وذلك لكسب الرأي العام الهندي في جانب نمو اسرائيل وتدعيم نفوذها السياسي هناك .

الالمام بالاستراتيجية الدعائية الاسرائيلية في الهند :

ان الاعلام السليم هو الذي يأخذ في اعتباره الاهداف المحددة والامكانيات المتاحة لاستخدامها أقصى استخدام ممكن لتحقيق الاغراض الموضوعة مع الاخذ في الاعتبار خصائص مستقبل الرسالة الاعلامية والدعاية المضادة مع ملاحقتها واخذ زمام المبادرة منها او على الاقل الرد على كل مزاعمها وتفنيدها بالاستناد الى المصادر الاقوى في الاثبات كلما امكن ذلك . كما يجب تفنيد الالفاظ التي تستعملها الدعاية الاسرائيلية والرد على الكذب الذي تستخدمه والرد بشكل فعال على المنطق الدعائي الاسرائيلي .

ويمكن الاستفادة من النشرات الدعائية الاسرائيلية، فبعض هذه النشرات تعترف صراحة بأن حرب ١٩٦٧ غيرت الوضع في اسرائيل ليس فقط عسكريا بل وايضا سياسيا فأدت الحرب الى الرخاء في الظروف الاقتصادية والى التقدم السريع كما ان الحرب حلت كثيرا من المشاكل الاقتصادية ، وهذا له اهمية كبيرة لانه من مصدر اسرائيلي . كما اشارت بعض النشرات الى التعاون بين اسرائيل وهولندا في برامج التعاون الفني للدول النامية . وهذا يكشف الطابع الاستعماري لبرامج التعاون الفني الاسرائيلية باعتراف المصادر الاسرائيلية ويمكن استغلال ذلك في الدول النامية .

من هنا تبدو من الاهمية بمكان معرفة الاستراتيجية الدعائية لاسرائيل في الهند بالنسبة للاعلام العربي في الهند بشكل خاص والاعلام العربي بوجه عام . فمعرفة هذه الاستراتيجية أمر هام في تخطيط الاعلام بالنسبة للهند بالاضافة الى التنفيذ والمتابعة المستمرة لاستراتيجية الدعاية الاسرائيلية للاستفادة منها في اعادة النظر في الاهداف وبالتالي التنفيذ والمتابعة وهكذا تستمر الدورة لمواجهة استراتيجية اسرائيل الدعائية .

مؤتمرات

مراسلو شؤون فلسطينية

ندوة الحوار الاعلامي بين الشرق والغرب

ج. هـ. جانسن

يتناول هذا التقرير ندوة الحوار الاعلامي التي عقدت في بيت مري بفندق البستان في ايار ١٩٧٢ من زاوية ما اشتملت عليه من أبحاث ومناقشات تتعلق بالنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، او بعبارة أخرى ، ما له صلة بالقضية الفلسطينية . واذ يحصر المرء البحث في هذه الناحية لا يضير هذه الندوة الاعلامية وما اشتملت عليه في شيء ، لان تأثير القضية الفلسطينية وأثرها على التفاهم بين الغرب وبلدان الشرق الاوسط كان باستمرار لا مناص من تطرق البحث اليه ولا مهرب منه ، أيا كانت موضوعات البحث المقررة في مختلف الجلسات . وفي واقع الامر ، كان الانطباع الاساسي الذي خلفته هذه الندوة الاعلامية في نفوس رجال الاعلام الغربيين الذين شاركوا فيها ، وان كان هذا الانطباع لم يكن نتيجة مسعى مقصود او خطة متعمدة ، بل تولد من جراء التكرار والاعادة ، هو انه لا مفر من مواجهة واقع ان العلاقات الراهنة بين أوروبا واميركا من جهة وبين البلدان العربية من جهة اخرى محكومة بالقضية الفلسطينية ومرصودة بها. وقد احتج عدد من الغربيين المشاركين في هذه الندوة على هذا التضييق لنطاق أبحاث الندوة ، بيد ان معظم المشاركين في الندوة أقروا بهذا التضييق وعدوه من وقائع الحياة السياسية المعاصرة . ولا ريب ان منظمي الندوة قصدوا ان تشمل ميادين البحث فيها جميع المشاكل والمصاعب التي تعترض سبل الاتصال بين العرب والعالم الغربي اللاشيوعي ، فمنظمو الندوة الاساسيون هم معهد الصحافة الدولي ومؤسسة فورد التي مولتها ودفعت تكاليف انعقادها . واذا كان سير أعمال الندوة قد زاغ عن نطاق أبحاثها الاصلي الواسع، فان ذلك يعزى ، ولو جزئيا ، الى البروفيسور ستانلي سميث استاذ الصحافة في جامعة ميشيغان الامريكية والعصب المحرك للندوة لعدم حزمه في ادارة جلسات الندوة . فلسوء الحظ ، قرر البروفيسور سميث ان يدير اعمال كل جلسة رئيس مختلف ، وهذا ترك أثره في انقطاع البحث والنقاش في القضايا التي تطرح ، وزاد البلبلة وعدم الانتظام في البحث والمناقشة ان كل واحدة من الجلسات الصباحية والمسائية قسمت الى جزئين ، يتحدث في كل جزء منهما ثلاثة او اربعة خطباء ، مما لم يوفر للمتحدثين وقتا كافيا لعرض افكارهم وايفائها حقها من الشرح والتوضيح ، كما لم يتيسر الوقت لاجراء مناقشة عامة لهذه الاراء والافكار التي يطرحها كل متحدث . ولكن ، كما ورد في مطلع هذا التقرير ، لقد فرض سياق البحث العشوائي شيئا من الوحدة الاتفاقية في ابحاث الندوة وموضوعاتها لواقع ان معظم الخطباء ، باستثناء قلة ضئيلة منهم ، لم يتقيدوا في بحث الموضوعات التي قررت لهم بل كانوا يعرجون دائما على بحث تأثير النزاع العربي الاسرائيلي على وسائل الاعلام في العالم الغربي ، هذا في حين ان الوجه الاخر لابحاث الندوة وهو طريقة معالجة وسائل الاعلام في الشرق الاوسط الاخبار الواردة عن الغرب ، مر عليه الخطباء مرور الكرام . وقد وفر هذا التركيز غير المقصود على تأثير النزاع العربي الاسرائيلي لرجال الاعلام العرب المشاركين في الندوة فرصة ذهبية لوضع الامور في نصابها ، ولكن الفرصة ضاعت دون أن تغتنم. ولعل معارضة

اسرائيل انعقاد الندوة في لبنان مرده خشيتها من ان يسيطر على جو الندوة موضوع النزاع العربي الاسرائيلي ، ولكن سير اعمال الندوة اثبت ان خوفها لم يكن في محله ، ولم تكن وفود الاعلاميين الغربيين الذين شاركوا في اعمال الندوة بالقوة التي توخاها منظمو الندوة في الاصل ، اذ ان عددا ، غير قليل ، ممن وجهت لهم الدعوة للمشاركة في اعمال الندوة اعتذروا عن ذلك في آخر لحظة بسبب تصاعد الاحداث الهامة قبيل انعقاد الندوة بقليل ، فكانت هناك زيارة نيكسون لموسكو ، ولغم الامريكيين لمداخل الموانىء الفيتنامية . ورغم هذين الحدثين الهامين اللذين تزامنا مع الندوة فقد حضر للمشاركة في اعمالها عدد لا بأس به من كبار المحررين الصحفيين ورجال الاعلام البارزين من بريطانيا والولايات المتحدة (الاقطار الاوروبية لم تكن ممثلة تمثيلا جيدا في الندوة) ، وكان بالامكان خلق انطباع جيد وربما هام لدى هؤلاء لو تم اغتنام هذه الفرصة . ولكن لم يخلق مثل هذا الانطباع الجيد لدى حضورها من الغربيين لسببين : لم يكن رجال الاعلام العرب الذين شاركوا في سير اعمال هذه الندوة حازمين او اشداء في مواقفهم بالدرجة الكافية او المطلوبة، كما انهم لم يكونوا مجهزين بدرجة كافية بوقائع تفصيلية وملموسة حول واقع سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام الغربية او كيفية استغلالهم لها وتاثيرهم عليها . واذا كان هنالك من درس يستفيده المرء من مجريات الامور في هذه الندوة فهو حاجة رجال الاعلام العرب الملحة والعاجلة الى دليل صغير يشتمل على امثلة من ادلة واثباتات وشواهد على اساليب عمل الصهيونيين في تزييف الحقائق والوقائع وتزييف حرية التعبير ممثلة في أدواتها وهي وسائل الاعلام سواء من الداخل (بالسيطرة على وسائل الاعلام والتأثير من داخلها) او من الخارج (بممارسة الضغوط والتشهير ، واجراء التطبيقات السياسية والمالية) .

ونظرا لخلو جعبة رجال الاعلام العرب الذين شاركوا في أعمال الندوة من مثل هذه الشواهد والادلة الناصعة على سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام الغربية جرت المناقشات في الندوة على وتيرة واحدة تتكرر مع كل متحدث عربي ، اذ يقف الخطيب العربي ويتهم وسائل الاعلام الغربية بأنها متحيزة وغير منصفة ولا تتوخى الدقة في اخبارها ، وأنها تذيع معلومات مشوهة بسبب التأثير والنفوذ الصهيونيين ، في حين ينكر رجال الاعلام الغربيين بشدة الاتهامات بالتحيز ، ويقولون انه اذا بدا أن هنالك نقصا في المعلومات التي تذيعها وسائل الاعلام الغربية فالمسؤول عن ذلك هو اجهزة الدعاية العربية لعدم كفاءتها ، وانه اذا حاول الصهيونيون ممارسة اية ضغوط (وهو ما طالبوا العرب بابراز أية شواهد عليه) فانهم لا يخضعون ابدا لمثل هذه الضغوط ولا يدعونها تؤثر عليهم !!؟. ونظرا لما كانت تتميز به ردود فعل رجال الاعلام الغربيين من شدة وقوة كان المتحدثون العرب يعتذرون تأدبا بأنهم لم يقصدوا المس برجال الاعلام الغربيين !! وأن أجهزة الاعلام العربية نواقصها كثيرة — وان هنالك ضغوطا صهيونية تمارس على وسائل الاعلام الغربية دون ان يعطوا أية امثلة ملموسة !!...

وكانت النتيجة ان رجال الاعلام الغربيين كانوا دائما الرابحين في جولات المناقشات ، اذ كان العرب يعترفون ، بنازع الامانة ، بنواقصهم الكثيرة ، في حين ان رجال الاعلام الغربيين لم يعترفوا مطلقا بأية نواقص من جانبهم في تغطيتهم وتقديمهم لانباء الشرق الاوسط سواء كان انكارهم ذلك عن جهل او قلة امانة او ادعاء لفضيلة ليست فيهم . بيد ان الاتهامات المتكررة التي اطلقها رجال الاعلام العرب في الندوة حول تحيز الاعلام الغربي وسيطرة الصهيونيين عليه ، وان كانت غير مدعومة بأدلة وشواهد فعلت اخيرا فعلها في المستمعين الغربيين ، اذ عبر بعضهم عن دهشته لان يجد رجال الاعلام العربي من مختلف الاقطار يعتقدون بأن الصحافة الغربية متحيزة ، ولكن كان هنالك ايضا بين الغربيين بعض الغلاة الذين زعموا انه اذا كان لديهم شيء من التحيز لدى قدومهم الى الندوة فان هذه الاتهامات التي اطلقت جعلتهم يغادرون وهم اشد تحيزا .

وقد بين عدد من الخطباء بأن لدى الغربيين تحاملا ثقافيا وتاريخيا قديم العهد ضد العرب ، وعدم تفهم لاوضاعهم ، مما جعل الصحافة الغربية متحيزة ضدهم في عرضها للاخبار . وقد وقع خلال سير الندوة مثال نموذجي على سوء التفاهم الناشىء عن التحامل ، فقد ذكر احد الصحفيين الامريكيين انه لم يحدث مطلقا ان زاره اي شخص من العرب العاملين في الحقل الدبلوماسي والاعلامي

في الولايات المتحدة ، في حين ان احد المسؤولين الاسرائيليين كان يزوره بانتظام . وقد هلل لهذه الشكوى معظم العرب بين الحضور ، بما فيهم غسان تويني صاحب جريدة « النهار » لانها جاءت برهانا على انتقاداتهم لاجهزة الاعلام العربي الرسمية ، ولكن الصحفي الامريكي وعددا من زملائه ظنوا ، من فرط تحاملهم ، ان الاعلاميين العرب كانوا غير راضين عما ذكره ، فكان رد فعل الامريكيين كأن لسان حالهم يقول : « غريب امر هؤلاء العرب في عنادهم وتعنتهم ، اذ كيف يتسنى لهم ان يشعروا بالسرور لان ممثليهم الدبلوماسيين والاعلاميين يرفضون عامدين التعامل مع الامريكيين !! » . وقد استنفد وقت غير قليل في محاولة التوضيح للصحفي الامريكي وصحبه ان الاستاذ تويني ورجال الاعلام العرب الاخرين كانوا يهللون مرحبين بما وجهه الصحفي الاميركي من نقد لاجهزة الاعلام العربي ولم يكونوا مستائين منه .

وحري بالعرب ان يتنبهوا لواقع انه حتى بعض الصحفيين الغربيين الاصدقاء للقضية العربية مثل أريك رولو المحرر في «اللوموند» الباريسية ومايكل أدامز المحرر السابق في « الغارديان » اللندنية وجدا من النواقص في الجانب العربي اكثر مما وجدا لدى الجانب الغربي عند عرضهما اسباب الفجوة الاعلامية القائمة بين العرب والغرب . فقد عدد رولو بين عوامل سوء التفاهم القائم من الجانب الغربي : سطحية الصحافة ونزوع العقل الغربي الى التركيز على الذات اي التمحور الذاتي ، بينما كانت مآخذه على الجانب العربي : طبيعة البلاغة العربية وبالتالي نزوع العرب الى هذه البلاغة في لغتهم ، عدم احتفال العقلية العربية بتوخي الدقة في عرض الامور ، واتسام العقلية العربية بالعاطفية ، وانعدام الدقة في المعلومات ، وعدم الكفاءة التكنيكية ، وجنوح العرب الى هوس الخوف من التجسس والجواسيس ، ولجوءهم الى ممارسة الرقابة الشديدة على وسائل الاعلام . اما مايكل ادامز الذي هو نفسه من اشهر ضحايا الضغط الصهيوني فقد اشار في كلمته الى الضغط والنفوذ الصهيونيين على وسائل الاعلام الغربية ، غير انه تحدث بصورة عامة غير محددة ، بيد انه ازال ما كان لاشارته العامة هذه من معقول بافاضته في الحديث عن عدم كفاءة برامج الاعلام العربية ، ورفض الحكومات العربية السماح للصحفيين بالسفر بحرية بين اسرائيل والبلدان العربية. وقد استطرد المتكلمون بعده في الحديث باستفاضة عن مسألة حرية سفر الصحفيين من اسرائيل واليها لتحقيق تغطية افضل لاخبار الشرق الاوسط مع ان هذا العائق الذي افاضوا في الحديث عنه غير قائم لان الحكومات العربية لا تمانع في سفر الصحفيين الى اسرائيل طالما انهم يستخدمون عند قدومهم من اسرائيل وثيقة سفر اخرى غير التي استعملوها في الدخول لاسرائيل . وبهذا الصدد اقترح أريك رولو توفير حرية العبور لكل من الصحفيين الاسرائيليين والعرب الى بلد الطرف الاخر .

لقد كانت كلمتا اريك رولو ومايكل ادامز من أهم الكلمات التي القيت في يوم افتتاح الندوة ، اما من الجانب العربي ، فكان اهم المتحدثين في يوم الافتتاح تحسين بشير الذي كان حتى عهد قريب الناطق الرسمي باسم الخارجية المصرية ، وقد اشتمل خطابه على عدة نقاط جيدة وقوية ، ولكن مفعولها ضاع في غمرة ما اتصف به خطابه من تشويش وما كان يفتقر اليه من تنظيم . وقد كان خطاب احمد بهاء الدين رئيس تحرير « الاهرام » افضل الكلمات العربية التي القيت في الندوة تنسيقا واشدها مفعولا ، فعرض ، بايجاز وحسن تعبير ، العوامل الاساسية الكامنة وراء تحامل الغربيين ضد العرب . وقد اشار ، شأن الكثيرين من الخطباء الاخرين ، الى الاثر الباقي للحروب الصليبية في نفوس الغربيين في تحاملهم الراهن على العرب . وفي واقع الامر ، لقد تردد ذكر الحروب الصليبية كثيرا في هذه الندوة .

لقد كان المشاركون في الندوة يتطلعون بفارغ الصبر الى سماع وجهة النظر الفلسطينية التي قدمها الدكتور فايز صايغ الذي خصص له ، لسوء الحظ، عشرون دقيقة فقط ، وقد استهل كلمته بالوعد باعطاء ثمانية امثلة على كيفية سيطرة الصهيونيين على وسائل الاعلام الامريكية واساليب ممارسة نفوذهم عليها . وقد انتهى الوقت المقرر له بانتهاء عرضه لمقدمة حديثه التي اشتملت على تأكيد قوي لتحيز وسائل الاعلام الغربية ضد العرب . ولسوء حظ القضية العربية لم يسمح الوقت للدكتور صايغ بان يتحدث مطولا عن اي من الامثلة الثمانية التي وعد بها في مستهل حديثه ، سيما وانه مؤهل بوجه خاص لاعطاء مثل هذه الامثلة نتيجة خبرته العملية الطويلة في الولايات المتحدة .

تحدث في الندوة خطيب واحد فقط من خارج الشرق الاوسط او العالم الغربي هو السيد طرزي فيتاشي من مؤسسة « خدمات الاخبار الاسيوية » في هونغ كونغ . وقد اظهر التحليل الذي عرضه لمقدار تغطية اخبار الشرق الاوسط في بلدان جنوب اسيا وشرقها وجنوبها الشرقي ان الصحف في هذه المناطق اقل احتفالا حتى من الصحف في اوروبا واميركا بما يجري في بلدان غرب اسيا . ولكن هذا الواقع بحد ذاته يشكل تحديا لبرامج الاعلام العربي وفرصة للقائمين عليه ليعملوا على اذابة جليد اللامبالاة تجاه القضايا العربية في تلك المناطق .

وعلاوة على مايكل ادامز ، حضر الندوة شخصان بارزان اخران ممن تعرضوا لضغط صهيوني مباشر ، أحدهما هو الدكتور أ. سي. فورست محرر مجلة « يونايتد تشيرش اوبزرفر » التي تصدر في تورنتو بكندا ، ومؤلف كتاب « الارض غير المقدسة » الذي طارده الصهيونيون ولاحقوه وتعرض لشتى الضغوط وعمليات التشهير منهم بسبب آرائه المناوئة للعدوان الاسرائيلي . وقد تحدث الدكتور فورست في احدى جلسات الندوة ، وكانت كلمته مؤثرة جدا بالنسبة لاولئك الذين كانوا يعرفون قصته مع الصهيونيين وما لاقاه على أيديهم ، ولكن لم يستدرجه أحد ليروي بالتفصيل لحضور الندوة من الصحفيين الغربيين تجربته المرة مع الصهيونيين ، حيث أن معظم هؤلاء الصحفيين الغربيين لم يكونوا يعرفون من هو ، ولم تكن لديهم اية فكرة عما كان يشير اليه في حديثه .

أما الشخص البارز الاخر ممن لهم تجربة شخصية مع الارهاب الصهيوني فهو الدكتور جون ديفيس المندوب العام السابق لوكالة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الاونروا) ، ولكنه آثر الصمت ، ولم يلق كلمة في الندوة ، مع انه كان بامكانه ان يروي لحضور الندوة تجربته المرة مع الضغوط الصهيونية ، حيث لم يستطع ان يجد اي دار نشر امريكية تقبل نشر كتابه « السلام المراوغ » حتى بعد ان نجحت الطبعة البريطانية منه نجاحا فائقا (واخيرا قامت دار نشر عربية بنشره في الولايات المتحدة) . وكل هذا يجعل من الضروري جمع قصة تجارب هؤلاء الناس مع الضغوط الصهيونية في كتاب واحد لاقناع اولئك الذين لا ينفكون يتعللون بأنهم يريدون امثلة ملموسة على الضغوط الصهيونية لكي يقتنعوا بوجود مثل هذه الضغوط .

أن أحد الاسباب العامة التي جعلت هذه الندوة أقل فائدة وجدوى مما كان بالامكان ان يتحقق منها هو ان المشاركين فيها كانوا ثلاثة اصناف ومن مستويات ثلاثة متفاوتة — فكان هناك صحفيون ، ومسؤولون حكوميون ، وأكاديميون . اما الصحفيون ، والمسؤولون الحكوميون فكان واحدهم يفهم على الاخر حتى عندما يختلفان في الرأي ووجهة النظر ، اما الاكاديميون وهم الذين اعدوا الدراسات التي القيت في الندوة والتحليلات لوضعية تغطية انباء الشرق الاوسط في مختلف المناطق وما الى ذلك ، فقد غاصوا في متاهة التعابير والتحليلات الاجتماعية المعتادة مما قطع سبل الحوار بينهم وبين الاخرين ، وانكفأت بعض الجلسات الى صورة شبيهة بحوار الطرشان ، فما من صحفي مجرب يعير كبير اهتمام لما يقوله استاذ في احدى كليات الصحافة ناهيك عما قد يقوله بروفسور في الاجتماع ، ومعظم الصحفيين الحاضرين كانوا من المجربين جدا .

ولعل النصيحة الاخيرة التي وجهت للعرب من خلال وقائع «ندوة الحوار الاعلامي بين الشرق والغرب» جاءت على لسان السيد جيروم كاميندا محرر الشؤون الخارجية في جريدة « التايمز » اللندنية حين قال : « لا توجهوا الينا اللوم بأننا لا نحفل بتغطية اخبار الشؤون العربية ، فانكم لا تصنعون، هذه الايام ، اية اخبار حقيقية . وعندما تصنعون شيئا يستحق الذكر ستجدون اننا سنذكره ونكتب عنه » . ولعل السيد كاميندا قد وجد في حادث مطار اللد خير استجابة لنصيحته .

المؤتمر الدولي حول ناميبيا

نعيم خضر

أقيم في قاعات قصر المؤتمرات (باليه ديه كونغريه) في بروكسل وبدعوة من منظمة SWAPO اي منظمة الشعب في جنوب غربي افريقيا مؤتمر دولي حول ناميبيا دام ثلاثة ايام كاملة (من ٢٦ الى ٢٩ مايو) حضره ما يزيد على ٤٠٠ مندوب يمثلون حوالي ٧٨ دولة والعديد من المنظمات الدولية والعالمية مثل مجلس السلام الدولي ورابطة الحقوقيين الديموقراطيين العالمية ومنظمة الوحدة الافريقية ومنظمة التضامن الافرو اسيوية ومجلس الامم المتحدة لناميبيا ولجنة الامم المتحدة لتصفية الاستعمار الخ ... وقد اشرفت على الاعداد الفني لهذا المؤتمر اللجنة البلجيكية الوطنية للتضامن مع شعب ناميبيا تدعمها الاحزاب البلجيكية الكبيرة . وقد اشتركت في هذا المؤتمر وفود من ٨ بلدان عربية كما اشترك فيه وفد فلسطيني رسمي مؤلف من الاخ عز الدين الازهري الذي جاء خصيصا من القاهرة موفدا عن منظمة التحرير الفلسطينية ونعيم خضر المقيم في بروكسل.

تقع ناميبيا في جنوب غربي افريقيا وتحدها مستعمرة انغولا البرتغالية من الشمال وزامبيا من الشمال الشرقي وبوتسماوانا من الشرق وافريقيا الجنوبية من الجنوب والمحيط الاطلسي من الغرب . مساحتها ٨٢٤٢٩٢ كم مربع وعدد سكانها مليون نسمة منهم ٧٢ الف ابيض يتكلم ٣١٪ منهم اللغة الالمانية . ثرواتها الزراعة والصيد والمعادن واهمها الجواهر .

وقعت ناميبيا تحت الاحتلال الالماني عام ١٨٨٤ . وبعد الحرب العالمية الاولى وضعت تحت الانتداب البريطاني . ولكن بريطانيا تخلت عنها لجنوب افريقيا . وعملت هذه الاخيرة على ضمها تدريجيا وتحويلها الى مقاطعة تابعة لها . وفي عام ١٩٤٧ رفضت وضعها تحت وصاية الامم المتحدة . وقد اصدرت محكمة العدل العليا عام ١٩٥٠ وعام ١٩٥٥ قرارات استشارية مفادها انه اذا ما كان يحق لجنوب افريقيا ان تشرف على ادارة ناميبيا على اساس الانتداب فذلك لا يخولها بتاتا حق ضمها . ولكن جنوب افريقيا ضربت عرض الحائط بهذه القرارات . كما رفضت القرار الذي اتخذته الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦٦ والذي أقره مجلس الامن عام ١٩٦٧ وثبتته محكمة العدل العليا عام ١٩٧١ والقاضي بوضع حد للانتداب الجنوب افريقي على ناميبيا والغائه وبعدم شرعية استمرار الوجود الجنوب افريقي في هذا البلد . وقد انشئت منظمة السوابو عام ١٩٥٩ للعمل على تحرير ناميبيا ووضع حد للاستعمار والقمع الذي كان يتعرض له شعبها . وكان زعماء هذه المنظمة يؤمنون في ذلك الوقت بضرورة التوصل الى تحقيق اهدافهم بالطرق السلمية . الا ان تعنت جنوب افريقيا ورفضها لكل القرارات الدولية وفشل كل المحاولات السلمية دفعتهم الى اللجوء الى النضال المسلح .

تم تحديد اهداف المؤتمر في اجتماع تحضيري عقد في بروكسل في ١٤ – ١٥ شباط عام ١٩٧٢ . واهم هذه الاهداف تدويل مشكلة ناميبيا وتذكير الرأي العام العالمي بمسؤولياته تجاه هذا البلد وبضرورة الاعتراف بمنظمة السوابو كالممثل الشرعي الوحيد لشعب ناميبيا وتقديم الدعم السياسي والمادي والمعنوي لها في نضالها المسلح والطلب من دول اوروبا الغربية اعادة النظر في العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية والتجارية التي تربطها بالنظام العنصري في جنوب افريقيا . وافتتح المؤتمر بجلسة عامة القى فيها رؤساء الوفود كلمات الدعم لنضال شعب ناميبيا وقرئت فيها رسائل وجهها للمؤتمر بعض رؤساء الدول والشخصيات العالمية. ووقع حادث في هذه الجلسة كاد يؤدي الى انسحاب الوفود العربية . فقد وصل الى مسامعهم ان في القاعة ممثلا اسرائيليا . فغادر القاعة في الحال ممثل منظمة التحرير وكل اعضاء الوفد الجزائري . وقدموا احتجاجا شديد اللهجة الى مسؤولي منظمة السوابو . ولم يعودوا الى القاعة الا بعد ان تم طرد الاسرائيلي وشطب اسمه من قائمة المدعوين وشطب اسم اسرائيل من قائمة الدول المشتركة في المؤتمر . واكد مسؤولو المنظمة للمندوب الفلسطيني انهم لم يوجهوا اية دعوة لاي مندوب اسرائيلي وانهم يمانعون في ان تشترك اسرائيل في مؤتمرهم . وقد ادى هذا الحادث الى تسليط الاضواء على الوفد الفلسطيني ولفت انتباه

الموجودين الى وجوده . ونعتقد ان منظمة السوابو لم توجه بالفعل اية دعوة للاحزاب الاسرائيلية وان ذلك الشخص قد حصل على دعوة بواسطة مؤتمر السلام العالمي .

وقد ركزت الوفود العربية في الكلمات التي القتها وفي البيانات التي وزعتها على دعم الشعوب العربية لنضال الشعب الناميبي المسلح المشروع بقيادة منظمة السوابو وعلى الارتباط العضوي بين النظام الصهيوني في فلسطين والنظام العنصري الاستعماري في جنوب افريقيا . فقد جاء في بيان حزب البعث العربي الاشتراكي انه « قد عبر في مؤتمره الاخير عن دعمه المطلق لنضال شعب ناميبيا ضد العنصريين في جنوب افريقيا الذين هم الاصدقاء الحقيقيون للعسكرتاريا الصهيونية التي تحتل فلسطيننا واراضي عربية تابعة لمصر والاردن وسوريا ... » وجاء في بيان الاتحاد الوطني للطلبة الجزائيين انه لا بد من قيام وحدة حقيقية وتضامن فعال بين الشعوب التقدمية من اجل تقوية نضالها ضد هجمات الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ...

وبعد ان عمل الوفد الفلسطيني على طرد الممثل الاسرائيلي حقق نصرا اخر اذ تمكن من القاء كلمته في الجلسة الافتتاحية مثله مثل الوفود الرسمية الكبيرة وبعد مبعوث منظمة الوحدة الافريقية مباشرة . وركز ممثل فلسطين في كلمته على نقاط الشبه بين نضال الشعب الناميبي ونضال الشعب الفلسطيني . فكلا الشعبين يواجه محاولات التصفية بعد ان حرم من حقه الطبيعي الشرعي في تحقيق المصير والاستقلال والسيادة . وكلاهما يتعرض لهجمة شرسة واحتلال غير مشروع من قبل القوى الامبريالية العالمية الممثلة بالنظام العنصري في جنوب افريقيا والصهيونية في فلسطين . ثم تطرق الى الحديث عن الازمة الحالية التي تجتازها المقاومة الفلسطينية خصوصا بعد مذابح الاردن واضاف : اننا ما زلنا نتابع النضال بالرغم من كل التحديات ونعمل على توحيد قوانا مستفيدين من الخبرات الماضية اذ لم يبق امامنا من سبيل غير النضال الشعبي المسلح . ووجه نداء الى كل الشعوب المناضلة في افريقيا واسيا واميريكا اللاتينية لكي توحد قواها الثورية لان اهدافها واحدة وعدوها واحد . وقد وزعت احدى لجان مناصرة فلسطين البلجيكية منشورا بينت فيه بالارقام والوقائع العلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعقائدية القائمة بين النظام الصهيوني في فلسطين والنظام العنصري في جنوب افريقيا .

وبعد الجلسة العامة توزع المشتركون في المؤتمر على أربع لجان : اللجنة السياسية واللجنة القانونية واللجنة الاقتصادية ولجنة العمل . ورفعت كل هذه اللجان توصيات تبناها المؤتمر في جلسته الختامية كما اقر بيانا نهائيا اهم ما جاء فيه : عدم شرعية الوجود الجنوب افريقي في ناميبيا وخرق نظام جنوب افريقيا للقرارات الدولية باستمرارها في احتلال ناميبيا واقامة نظام قمعي واستغلالي وعنصري هناك . واعترف المؤتمر بان منظمة السوابو هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب ناميبيا والناطق الوحيد باسمه في المحافل الدولية. كما طالب المؤتمر بضرورة القيام بحملات اعلامية لاطلاع الحكومات على الوضع في ناميبيا وحثها على تقديم الدعم المعنوي والمادي والعسكري والسياسي لمنظمة السوابو لتواصل نضالها المسلح ضد الاحتلال والاستعمار والعنصرية . ووجه المؤتمر نداء الى دول السوق الاوروبية المشتركة تطلب منها فيه عدم التعاون مع جنوب افريقيا والغاء كل ما عقدته معها من اتفاقيات تجارية .

وقد جاء البيان النهائي للمؤتمر نحيلا وغير ثوري. ونقطة الضعف في هذا البيان انه لم يشر الى حركات التحرر العالمية ولا الى الثورة العالمية وذلك بالرغم من كل محاولات الوفد الفلسطيني واصراره . كما لم يشر البيان الى ضرورة قيام وحدة وتعاون فعلي بين حركة تحرير ناميبيا وحركات التحرير في كل من اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية. وكأني بمنظمي المؤتمر ارادوا ان تنفرد منظمة السوابو بدعم المشتركين في هذا المؤتمر . واما مسؤولو هذه المنظمة فقد رضخوا للامر الواقع ولم يحاولوا دعم اقتراح ممثل الثورة الفلسطينية مكتفين بالقول ان ذلك أمر طبيعي وليس من الضروري ذكره في البيان النهائي بوضوح .

اما سبب هذه النحالة والالتباس فيعود الى كون اكثرية الوفود كانت تمثل دولا وحكومات ومنظمات اكثريتها بعيدة عن الثورية بعد الارض عن القمر. كما ان الاحزاب البلجيكية التي تبنت هذا المؤتمر رجعية محافظة ربما دعمت نضال شعب ناميبيا ولكنها ترفض ان تدعم رسميا مثلا الثورة الفلسطينية وحتى الثورة الفيتنامية خصوصا

الحــزب المسيحي والحــزب الاشتراكي البلجيكي الذي تربطه بالاحزاب الاسرائيلية علاقات متينة . وهذه الاحزاب تعترف مثلا بدولة اسرائيل وتنادي بضرورة المحافظة على الكيان الاسرائيلي . وكذلك كان موقف دول كثيرة كانت ممثلة في ذلك المؤتمــر خصوصا الدول الافريقية . ولذا كان لا بـد ان يثير ربط الثورة في ناميبيا بالثورة الفيتنامية والثورة الفلسطينية مثلا المـزيد مـن الجدل والمشـاحنات الجانبية . ففضلوا عزل نضال شعب ناميبيا . غير ان مسؤولي منظمة السوابو حاولوا تدارك هـذا النقص . فاشاد رئيس المنظمة في كلمة الختــام بنضال شعب فيتنام والشعب الفلسطيني ورحب بوجود الوفــد الفلسطيني في المؤتمر واكد دعــم شعبه ومنظمته لنضال شعب فلسطين المشروع .

الواقع انه كان بامكان الوفود العربية ان تنسق جهودها وتتقدم تعديلا خطيا يدخـل على البيــان الختامي وتصر على تبنيه وتركز فيه على ان المعركة في ناميبيا وفي الشرق الاوسط وفي فيتنام واحدة وان العدو واحـد وان دعم نضال شعب في احـدى القارات ضـد الاستعمـار والامبريالية والاحتلال والعنصرية لن يكون مجديا ومخلصا اذا لم يكن في الوقت نفسه دعما لكل القوى الثورية والتحررية في العالم . ومن المؤكـد انه لو اقدمت الوفـود العربية على مثل هذا العمل لاحرجت منظمي المؤتمر واضطرتهم الى قبول المشروع او كشف اوراقهـم وزيف دعم البعض منهم لنضال الشعب الناميبي . ولكن الوفود العربية صمتت مع الاسف . واكتفت بتهنئة ممثل الثورة الفلسطينية على انفراد وبعـد الجلسة على اقتراحه .

ومن التناقضات الاخرى التي تعرض لها المؤتمـر وحلها بشكل غير ثوري هي وجود ممثل لجبهة تحرير اريتريا وممثل رسمي عن حكومة الحبشة . ووقف منظمو المؤتمر وحتى مسؤولـو منظمة السوابـو انفسهم الى جانب الممثل الاثيوبي . وبدوا وكأنهم على علاقة متينـة وقوية بالسفـارة الاثيوبية في بروكسل . وعليه لم يتمكن ممثل اريتريا من القاء كلمة في المؤتمر . وكان الممثـل الفلسطيني هـو الوحيد الذي تعرض في حديثـه الى نضال شعب اريتريا الذي يعاني من الاحتـلال والضم والقمع مثله مثل شعب ناميبيا . امـا الوفـود العربية الاخرى فتناست هي ايضا نضال شعب اريتريا . حتى ان الاخ الاريتري تعرض لمضايقات عديدة . فلم تدفع له اجرة الاوتيل كاملة . ولم تصرف لـه تكاليف الاكل . ولم يجد من يقدم له المعونة بمـا يخص الاقامة وتأشيرات السفر وغـير ذلك مـن المعاملات . ويعود هذا الالتباس بالنسبة لنضال شعب اريتريا الى كون اديس ابابـا مقر منظمة الوحدة الافريقية والى كـون الامبراطـور هايلا سيلاسي يبدو في نظر الافريقيين وكأنه اكبر انصار حركات التحرر الافريقي والـد اعداء الاستعمـار والامبريالية . كما ان اثيوبيا كانت البلد الافريقي الوحيد الذي طلـب من محكمة العـدل العليـا بالاشتراك مع ليبيريا عام ١٩٦٠ بابداء رأيها حول الوجود الجنوب افريقي في ناميبيا . ومرة اخرى لم تكن الوفود العربية عند مستوى المسؤولية .

المؤتمر السنوي الخامس للاتحاد العربي ـ الكندي

هاني احمد فارس

عقد الاتحاد العربي ـ الكندي مؤتمره السنوي الخامس في جامعة مكماستر ، بهاملتون ، اونتاريو ما بين ١٩ و ٢١ أيار ، ١٩٧٢ . وكان الموضوع الرئيسي الذي دارت حوله الابحاث المقدمة هو : الضفة الغربية ، سيناء ، الجولان ـ هل هو دور لبنان الآن ؟ ووجهت الدعوة الى الرئيس اللبناني، سليمان فرنجية ، وكمال جنبلاط ، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، للمشاركة في المؤتمر . كما وجهت الدعوة الى منظمة التحرير ، ونائب رئيس وزراء جمهورية مصر العربية ووزير الاعلام ، الدكتور عبد القادر حاتم .

بعد التعريف بالوفود الممثلة للجاليات العربية في جلسة الافتتاح الرسمية ، تقدم ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بعرض على الحضور لاهم الحوادث التي مرت بها الثورة الفلسطينية في العام الماضي . وجرى بعد ذلك نقاش شارك فيه معظم الحضور حول الاستراتيجية المتبعة من فصائل المقاومة . وكان النقاش حاميا وحادا ولكن ضمن اطار الالتزام الكلي بحركة المقاومة . ويمكن القول أن النقطتين الرئيسيتين اللتين تقدم بهما المشاركون عالجتا ضرورة بناء الهيكل التنظيمي للثورة الاكثر تماسكا والاكثر فاعلية والعمل على تثوير أكبر لمفاهيم وممارسات قيادات الثورة .

عقد في اليوم الثاني من المؤتمر ثلاث جلسات دراسية . كان عريف الجلسة الاول الدكتور روبيرت كننغهام ، استاذ جامعة مكماستر ، وتحدث فيها الدكتور فرانك أيب ، استاذ جامعة واترلو ، والدكتور أيب هو مؤلف كتاب **لمن أرض فلسطين** ومن رجال الدين في كنيسة المانونايتس . ولقد كان للحديث الذي تقدم به الدكتور أيب وقعا كبيرا ، وخاصة حين عرض للحضور تجاربه ومشاعره الشخصية من القضية الفلسطينية . فبعد ان سرد تاريخ كنيسة المانونايتس وأتباعها ، اكد أن المبدا الاساسي الذي يميز هذه الكنيسة هو الايمان المطلق باللاعنف والسلم . وكانت المفاجأة الكبرى حين قال أنه بعد تعرفه للقضية الفلسطينية من خلال زياراته لمنطقة الشرق الاوسط ، أصبح يؤمن أن لا طريق للعرب لاسترداد حقوقهم في فلسطين سوى العنف . وتناولت الحلقة الدراسية الثانية مشاكل العرب في شمال امريكة وشارك فيها كل من صالح زريق وابراهيم حجار ورمزي طوال . وتحدث الاول عن تجربته الاخيرة مع أحد قضاة محاكم السير في تورنتو ، وهي قضية أثارت الرأي العام في كندا وكان لها صدى عالمي . فلقد أهان القاضي هذا الشاب لمجرد قوله أن دينه يسمح له أن يأخذ القسم على الانجيل أو التوراة . وبعد أن اطلع الرأي العام من خلال وسائل الاعلام على القضية وأظهر احتجاجه على المعاملة التي لقيها هذا الشاب ، اضطرت حكومة مقاطعة اونتاريو الى التدخل وطرد القاضي من منصبه . ولكن مما يثير الانتباه أنه وبالرغم عن تناول معظم وسائل الاعلام لهذا الحدث ، غفلت جميعها ، وعن قصد ، عن التعريف بهوية الشاب وأنه عربي فلسطيني . وأما ابراهيم حجار فتحدث عن الضغوطات والتهديدات بالقتل التي تلقاها حين حاول أن ينظم عمال أحد أكبر الشركات في شرق كندا ، المعروفة بمحلات بكر ، في نقابة للمطالبة بحقوقهم تجاه الادارة . وبين كيف أن هذه الشركة تعمل على استغلال المهاجرين الجدد من ايطاليين ويونان وعرب لجهلهم بقوانين البلاد وتهددهم فيما اذا لم يرضخوا لسياستها بأنها ستعمل لطردهم من كندا واعادتهم الى بلادهم . ووجه ابراهيم حجار نداء الى الجوالي العربية لمقاطعة هذه الشركة ومساندته في صراعه معها . وأما رمزي طوال فتقدم من الحضور ببحث اجتماعي ـ نفساني يتناول العوامل التي تؤثر على الانسان العربي المهاجر وكيف أنه يعيش في حالة تمزق وصراع . ووصف رمزي هذا الانسان بأنه كغراب حاول تقليد مشية الحمامة ففشل ، وأراد العودة الى مشيته الاصلية ففشل أيضا . والتصوير الذي استعمله المحدث هو للدلالة على أن العربي غالبا ما يواجه برفض من مجتمع كندا ذات الحضارة والشخصية الانجلو ـ سكسونية ويقع في ضياع وحيرة لانه لا يجد الاطار الذي يمكنه من فرض وتأكيد شخصيته العربية . وعالجت الحلقة الثالثة احداث العالم العربي السياسية في العام المنصرم . وكنت مع فضل النقيب ، من جامعة كوينز ، المتحدثين الرئيسيين في هذه الحلقة . وركز فضل في الدراسة

التي قدمها على موقف الانظمة العربية من الثورة الفلسطينية ، فبين الاسباب التي تحمل هذه الانظمة على العمل لاحتواء هذه الثورة أو الاجهاض عليها. وكان تفسيره لهذه الظاهرة أن الثورة هي في الاصل حركة رفض اجتماعية للواقع العربي وتتعدى مجرد حمل السلاح في وجه العدو . ولهذا فانها تشكل ، وبالضرورة ، خطرا مميتا على المؤسسات والعقليات الرسمية التقليدية التي تعمل للحفاظ على مكتسباتها ومصالحها . وأما الدراسة التي تقدمت بها شخصيا من المؤتمر فكانت محاولة لتحليل الاوضاع الداخلية لحركة المقاومة الفلسطينية ولسياسات « السلم » او « الاستسلام » التي تتبعها حاليا معظم الحكومات العربية . وجرى بعد تقديم الدراستين نقاش ما بين الحضور شارك فيه ممثل الدكتور عبد القادر حاتم . وكانت قناعة الغالبية أن على الشعوب العربية أن تحكم على وطنية حكوماتها استنادا على النتائج ، وليس على الاقوال والنيات .

وعقد في اليوم الثالث من المؤتمر مناقشة مفتوحة، وكان الموضوع المقترح لهذه المناقشة هو : ماذا سنفعل لو غزت اسرائيل لبنان ؟ وقدم مندوب منظمة التحرير في هذه الجلسة عرضا لاوضاع رجال المقاومة في جنوب لبنان ولتصديهم للغارات الاسرائيلية . وقد اقترح المؤتمرون ان يقوم الاتحاد بعمل توائم تحدد امكانات الجوالي العربية والمواهب المتوفرة لدى ابنائها حتى يمكن استغلال هذه الطاقات بطريقة عقلانية في الازمات . وأما الجلسة الاخيرة في المؤتمر فخصصت لسماع رسالة رئيس الاتحاد وللامور التنظيمية ولانتخاب لجنة تنفيذية تتولى شؤون الاتحاد حتى انعقاد المؤتمر السنوي السادس . وتضمنت رسالة الدكتور جورج حجار، رئيس الاتحاد، تأريخا مفصلا للعمل العربي في كندا ومقترحات حول امكانية تنمية هذا العمل . وتمنى الدكتور حجار في نهاية رسالته ان يتبنى الاتحاد فكرة اقامة مجلس عربي عالمي يتكون من ممثلين عن جميع الجاليات العربية في خارج الوطن العربي . وجرى بعد ذلك انتخاب علي جبارة ، وهو من مدينة لندن ، اونتاريو ، ومن مؤسسي الاتحاد العربي ــ الكندي ، رئيسا جديدا للاتحاد . وبعد انتهاء المؤتمر من أعماله ، أقيم في المساء مأدبة تحدث فيها عابدين جبارة ، رئيس جمعية الخريجين العرب في أميركه، وممثل جمهورية مصر العربية ، وممثل منظمة التحرير الفلسطينية. وقرئت برقيات تأييد للمؤتمر وردت من الدكتور عبدالقادر حاتم ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، والدكتور جورج حبش ، وسفير لبنان في كندا ، ووزير العدل في الحكومة الفدرالية الكندية ، وحكومة مقاطعة اونتاريو ، والمجلس البلدي لمدينة هاملتون الذي أوفد مندوبا عنه لحضور الحفل الختامي للمؤتمر .

كلمة اخيرة حول المردود الاعلامي للمؤتمر . لا ريب بأنه كان للمؤتمر تأثير لا بأس به خاصة وأن الذين ينشطون من ابناء الجوالي هم قلة . وعندما نعلم ان تعداد العرب المقيمين في كندا يبلغ لا أقل من تسعين ألفا ، وأن الاتحاد العربي ــ الكندي هو الاطار الوحيد الفعال الذي يربط ما بينهم ، يمكننا حينذاك ان نستوعب ضرورة وأهمية هذا اللقاء السنوي بالنسبة لمستقبل العمل العربي في هذا البلد . وكذلك فلقد وردت اخبار المؤتمر في التلفزيون الكندي وأشارت الى أعماله عدة جرائد. كما وستعمم توصيات ومقررات المؤتمر على وسائل الاعلام الكندية والعربية ويبعث بنسخ عنها الى حكومات الدول العربية . ويقيني ان هذه الحكومات ستجد في التوصيات والمقررات الكثير مما يدين سياساتها ومواقفها ، كما وستجد فيها الحركات الشعبية التحررية في العالم العربي سندا لها في مسيرتها .

مؤتمر الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة

الدكتورة نادرة جميل السراج

عقد في القاهرة فيما بين السادس والحادي عشر من مايو ١٩٧٢ مؤتمر « الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة » الذي دعت له المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية. وقد لبى دعوة المنظمة حوالي خمسة وسبعين عضوا من اثنتي عشرة دولة عربية . وقد اختلفت صفات الحاضرين ما بين ممثلين رسميين للحكومات او مندوبين منتخبين من الجمعيات والاتحادات الادبية والفكرية ومجالس الفنون والاداب والمجامع اللغوية ، بالاضافة الى المدعوين بصفة شخصية . ويعتبر هذا المؤتمر استكمالا للمؤتمر السابق الذي عقدته المنظمة عن « الاصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة » والحلقة التي عقدتها ايضا عن « المأثورات الشعبية في الوطن العربي » .

شمل جدول اعمال المؤتمر خمسة موضوعات رئيسية هي : الاسس النظرية والعوامل المختلفة لفكرة الوحدة والتنوع في الثقافة العربية المعاصرة، المنهج الاقليمي في دراسة تاريخ الادب العربي (عرض وتقديم) ، الفصحى واللهجات المحلية واثرهما في قيمة الثقافة العربية ومحليتها ، وسائل توثيق الروابط بين المثقفين وتيسير تداول الانتاج الثقافي في اقطار الوطن العربي ، النصوص والمواد المختلفة للانتاج الفكري المتكامل بين قومية الثقافة ومحليتها . وقد بحثت الموضوعات الاربعة الاولى في جلسات عامة وجرى النقاش حولها ومنه استخلصت النتائج والتوصيات التي اقرها المؤتمر في جلسته الختامية . أما الموضوع الخامس فقد تفرعت عنه لجنتان رئيسيتان ، بحثت اولاهما : الشعر والقصة والرواية بين القومية والمحلية . وبحثت اللجنة الثانية موضوعات : المسرحية ، والاغنية ، ونصوص الاذاعتين المسموعة والمرئية (التليفزيون) بين القومية والمحلية .

والواقع ان مسألة الفصحى والعامية قد اخذت شوطا كبيرا من النقاش وتبادل الرأي وبالتالي أهمية خاصة عند اصدار التوصيات في الجلسات التي عقدتها اللجنتان المذكورتان وفي الجلسات العامة كذلك . فنجد اللجنة الاولى تقر في النهاية بأن أداة التعبير في الشعر وكذلك في القصة والرواية هي اللغة العربية الفصحى ، خاصة ان اللغة العربية تعتبر عند جميع الباحثين في القومية العربية وفي الوحدة العربية العنصر الاول والاساس من عوامل وحدة العرب وقوميتهم، وكلنا نعلم كيف حاول المستعمر ان يطمس اللغة العربية باحلال لغته محلها ، وكيف عمل على ترويج اللهجات العامية بهدف تشتيت ابناء العروبة والمباعدة بين اقطارهم وتصعيب التفاهم بينهم ، حتى لقد ذهب بعض الغلاة من المستشرقين والمغرضين منهم مثل « ولكوكس » الى ان « أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو انهم يؤلفون ويكتبون باللغة العربية الفصحى ، وانهم لو الفوا وكتبوا بالعامية لاعان ذلك على ايجاد ملكة الابتكار وتنمينها» كما كتبت د. نفوسة زكريا سعيد في بحثها المقدم عن جامعة الاسكندرية . وبناء على ذلك فقد اتفق اعضاء اللجنة على استبعاد النقاش حول ما عرف بالشعر العامي او الشعر الشعبي (أي المكتوب باللهجة المحلية لكل بلد عربي) وانما اكتفت كاتبة هذا التقرير بذكر مثل او نموذج له من خلال مطالعتها لمجموعة صدرت اخيرا للمناضل الفلسطيني «أبو الصادق» تحت عنوان «ثوريات». وذلك في بحثها الذي قدمته للمؤتمر بعنوان : « الشعر العربي المعاصر بين القومية والمحلية » . وكان من الطبيعي ان يشمل البحث المذكور مدخلا مناسبا في مفهوم القومية العربية والعوامل التي تؤلف الوحدة العربية من لغة مشتركة ، وتاريخ مشترك ، وبقعة جغرافية واحدة ، ومصالح عربية مشتركة ومتبادلة ، وبالتالي نفس الامال والمطامح المشتركة المتطلعة الى غد افضل . واوضح البحث أن شعراء العروبة في مختلف اقطارهم لم يغفلوا أهمية هذه العوامل ، بل نادوا بها ودعوا من أجلها . فعل ذلك احمد شوقي وحافظ ابراهيم والرصافي والزهاوى وخليل مردم وبشارة الخوري وبدوي الجبل وابو الفضل الوليد والياس فرحات والشاعر القروي وفوزي المعلوف وغيرهم ، ثم فعل ذلك الجيل التالي من الشعراء بأسلوبهم الخاص بعدما عاصروا الازمات الحالية والمعارك والانتكاسات وشعروا بأهمية الوحدة وضياع الانسان العربي لو طغى عنصر الاقليمية وعمت بواعث التفرقة .

وكان طبيعيا ايضا أن يتحدث البحث بشيء من الاسباب عن نكبة فلسطين وأثرها في نفوس الشعراء وفي انتاجهم المحلي والقومي . لقد وصف بعض الباحثين مأساة فلسطين بانها أعنف تجارب أدبنا المعاصر . وقد قيلت فيها مئات وربما آلاف القصائد وتجمع منها عشرات الدواوين على مدى الوطن العربي كله . وتأتي في المقدمة اشعار ابناء فلسطين انفسهم ابتداء من ابراهيم طوقان وأبي سلمى ، عبر شعراء الغربة والنفي والتشرد ، الى شعراء الارض المحتلة أنفسهم . وقد بهرني ان غالبية الاشعار التي طالعتها في مجموعة غير قليلة من الدواوين قد تميزت بروح الصبر والصمود والتفاؤل والاصرار والامل بتحقيق الانتصار . وقد أثبت البحث نماذج لبعض الشعراء العرب — غير الفلسطينيين — في مأساة بلادنا ، كما اثبت نماذج للقصائد الفلسطينية وغير الفلسطينية في الاحداث القومية العربية الاخرى من مثل ثورة العراق عام ١٩٥٨ ووحدة مصر وسوريا في العام نفسه وثورة الجزائر ثم استقلالها وافراحها بالانتصار . كذلك في بناء السد العالي وفي معركة بور سعيد وحرب السويس .. الخ .

أما عن « المحلية » في الشعر المعاصر فقد اكتفيت بذكر نماذج قليلة لها من مثل قصيدة « شنق زهران » للشاعر صلاح عبد الصبور ، وقصيدة « السويس » للشاعر « امل دنقل » وقصيدة الشاعر بدر شاكر السياب في تحية قريته «جيكور» من مشفاه بلندن قبيل وفاته ، وبعض شعر الارض المحتلة ، وحديث الشاعر ناجي علوش الى قريته، « بئر زيت » اثناء غربته في منطقة الخليج . وقد اعتبرت الحنين الذي عبرت عنه سطوره ، من نوع فلسطيني خاص — اذا صح التعبير — واوضحت ان هذه هي المحلية المقبولة في الشعر ، وليست تلك التي تعتمد على نزعات اقليمية متعصبة كتلك التي دعا اليها نفر باسم الفرعونية او الفينيقية او الاشورية في وقت من الاوقات . واوضح أن تلك النزعات قد ذابت في خضم القومية العربية واسكتتا صيحات الوحدة ودعواتها الصادقة .

ومجمل القول انه من الخطأ أن نتصور ان الوحدة العربية والمشاعر القومية تتنافى مع روح الانتماء الى الوطن الصغير والبيئة المحلية ، كما نخطيء اذا تصورنا ان الشاعر القومي يجب ان يكون صوته دائما بوقا لاحداث وطنه وصدى لمشاعر أمته ، وأنه يجب ان يرتفع دائما على فرديته ولا يعبر عن ذاته ومشاعره الخاصة وهمومه الصغيرة. ولكنا ، من جهة اخرى ، في هذا العصر المليء بالمشكلات الكبيرة والدولية ، وفي هذه المرحلة الدقيقة من وجودنا القومي لا نقبل من الشاعر ان يكون رومانتيكيا دائما ، منغلقا على نفسه ، غير متفاعل مع بيئته ومجتمعه . ولذلك رأت اللجنة أن المحلية المرفوضة في الشعر ، وكذلك في القصة والرواية ، هي التي تنزع الى التميز الاقليمي والعزلة بين اقطار الوطن العربي . ورأت ان من سمات الشعر القومي استلهام العناصر الحية والقيم الاصيلة من تراثنا ، ومعالجة قضايا الانسان العربي المعاصر ، ومشكلات الحياة في المجتمع العربي معالجة ايجابية . كما ان شخصيات القصة والرواية واحداثها يجب ان تستوحى من واقع المجتمع العربي ومقوماته ، وان يكون الحوار المحلي مكتوبا بصورة تجعله مفهوما لقراء العربية. وقد كان من ضمن توصيات المؤتمر ان تهتم وزارات التربية في البلاد العربية بحسن اختيار ما تضمه المكتبات المدرسية من قصص وروايات ، وان تيسر لهذه المكتبات سبل الحصول على افضل اعمال القصاصين والروائيين العرب وكذلك دواوين الشعراء العرب في مختلف اقطارهم .

أما اللجنة الثانية المختصة بدراسة المسرح والسينما والاغنية والاذاعة والتلفزيون بين القومية والمحلية ، فقد اتخذت عدة توصيات هامة ، من بينها : استعمال اللغة العربية الفصحى في كتابة الاعمال المسرحية والاهتمام بالمضمون القومي فيها، ودعوة جميع الدول العربية الى الاشتراك في مهرجان دمشق للفنون المسرحية ، والاهتمام بدراسة النشاط المسرحي الذي يقدمه العدو الصهيوني بمختلف اللغات لتشويه القضية العربية ، والعمل على مواجهته ، واقامة ضوابط على الاغنية العربية من الناحية الخلقية والقومية والتعبيرية ، تجاوزا للابتذال في بعض الاغاني وابقاء على كرامة المستمع العربي . وكذلك استلهام البطولات والمواقف العربية والاسلامية في الموضوعات السينمائية ، وتشجيع اخراج افلام عن القضية الفلسطينية ، وتقديم الجوانب الانسانية والحضارية لهذه القضية لاطلاع العالم على بشاعة الغزو الصهيوني .

وفي مجال الاذاعتين المسموعة والمرئية نصت

التوصيات على أن يكون من بين وسائل دعم القيم العربية القومية والاخلاقية العمل على نشر التراث العربي الصالح وتقريبه الى وجدان المتلقي العربي واستخدام الوسائل الفنية التي تجعل من هذا التراث مادة ملائمة للعرض الاذاعي . كذلك وضع معايير واضحة لاستخدام المواد الاجنبية ، بخاصة في الاذاعات المرئية ، حتى لا تقدم الى الجماهير العربية مواد تحمل قيما تهدد في المضمون والصورة القيم الاصيلة للروح العربية والاسلامية . أما بالنسبة للغة التي يوصى باستخدامها في الاذاعتين فهي ليست الفصحى النحوية التي قد يصعب فهمها على المستمع او المشاهد العادي ، ولا العامية المحلية التي تبعد عن النطق السليم للكلمات العربية الصحيحة ، وانما هي لغة بين بين ، تنازل قليل من جانب الفصحى وارتفاع طفيف بالعامية يوصل الى ما سمي بين الاذاعيين باللغة الثالثة ، او التسمية الاصح : لغة الاتصال بالجماهير . هذا عدا البرامج الادبية الصرفة والثقافية الاكاديمية التي يستحسن فيها استخدام الفصحى الراقية ، بشرط النطق السليم والاعراب الصحيح وعدم اللحن ما أمكن .

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

عملية مطار اللد

بينما كانت أصداء المباهـــاة الاسرائيلية لا زالت مخيمة على مطار اللد بعد تمكن اسرائيل بالتواطؤ مع ممثلي الصليب الاحمر من القضاء على محاولة الشهيد علي طه للافراج عن مئة أسير فدائي ، قام ثلاثة فدائيين يابانيين ينتمون الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعملية جريئة داخل مطـار اللد نفسه ، قضت على المباهاة الاسرائيلية وخلقت بدلا منها « موجة ذعر هستيرية » حسب وصف وكالات الانباء . ففي مساء الثلاثين من أيار ، وفي الساعة العاشرة والنصف تماما وصل الفدائيون الثلاثة على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الفرنسية ، وحين وصلوا الى قاعة الجمارك انتزعوا من حقائبهم الرشاشات والقنابل اليدوية وبدأوا يطلقون النار داخل المطار ، وقتل نتيجة لذلك ٢٦ شخصا وأصيب ٨٧ بجراح كما أعطبت طائرتان ألقيت عليهما قنابل يدوية . وكان بين القتلى البروفيسور أهارون كاتزير الـذي يعمـل مستشارا علميا لجهاز الامن الاسرائيلي . وقتل اثناء الحادث اثنان من الفدائيين اليابانيين وأسر الفدائي الثالث .

وقد تم تنفيذ هذه العملية بمناسبة الذكرى الخامسة لحرب حزيران ، فقال بيان للجبهة الشعبية « ان عملية الاقتحام الباسلة التي نفذتها مجموعة الشهيد باتريك ارغويللو في مطار اللد تأتي على أبواب الذكرى الخامسة لهزيمة حزيران » واضاف البيان يقول ان هذه العملية تؤكد ان القتال لن يتوقف كما انها « رد على المجزرة التي نفذها دايان بالفدائيين علي طه وعبدالعزيز الاطرش قبل ٣ اسابيع » .

الموقف الاسرائيلي : كان رد الفعل الاسرائيلي على العملية عصبيا ومتوترا للغاية واتسم بالانفعال الشديد والتهديد المتواصل بالانتقام ، وكان للبنان النصيب الاوفر في هذه التهديدات ، وتمثل رد الفعل الاسرائيلي بالاتجاهات التالية :

١ — القيام بتحركات عسكرية واسعة قرب الحدود اللبنانية توحي بأن اسرائيل تستعد لتوجيه ضربة عسكرية قوية . وقد بدأت هذه التحركات منذ اليوم الاول لحزيران واستمرت حتى اليوم العاشر منه . فكانت الآليات العسكرية تظهر باستمرار تجـاه الحدود ، بينما قامت الطائرات أكثر مـن مرة باختراق المجال الجوي للبنان ، بالاضافة الى ظهور قطع بحرية اسرائيلية أمام الشواطىء اللبنانية ، وفي مواجهة مدينة صور بالذات .

٢ — شن حملة من التهديدات المتواصلة بالانتقام ، تركزت اولا على لبنان ثم شملت لبنان ومصر . وانطلقت الحملة من القول بأن الفدائيين اليابانيين تدربوا في لبنان . ففي ٣١ ايار ابلغت جولدا مائير الكنيست ان خطـط الفدائيين « تعد في بيروت بعناية ، وبمساعدة الحكومة اللبنانية ومساندتها » . ثم أبلغت الحكومة الاسرائيلية مجلس الامن الدولي أنها تعتبر الحكومات التي تأوي الفدائيين مسؤولة مباشرة عن الحوادث المشابهة لحادث مطار اللد . وفي ١ حزيران قالت صحيفة هاآرتس « ان الحكومة اللبنانية تحولت الى شريكة للمجرمين وستلاحق اسرائيل الارهابيين حيث وجدوا ولن تسمح بـأن تأويهم حكومـات كالحكومـة اللبنانية » . وفي ٢ حزيران أعلن اسرائيل غاليلي وزيـر الدولـة أن اسرائيل سترد على مهاجمة المطار « لكننا لن نتخذ اي قرار متسرع وغير مسؤول » . وفي ٣ حزيران بدأ التهديد يشمل مصر بالاضافة الى لبنان ونشرت الصحف المصرية بعناويـن بارزة انباء التهديـد الاسرائيلي لمصر ، بينما قالت صحيفة الجيروزالم بوست ان اسرائيل وجهت انذارا الى لبنان عن طريق دولة غربية كبرى وحددت مهلة زمنية للانذار ، وان الانذار ذكر بالتحديد ان اسرائيل ستهاجم

الطيران المدني اللبناني ومنشآته ان لم يضع لبنان حدا للعمل الفدائي . وفي يوم ٤ حزيران قال دافيد اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلي « ان لبنان هو المتهم الاول في الحادث لكنه ليس المتهم الوحيد ، فالدول العربية الاخرى التي تشجع الارهابيين مشتركة في الجريمة ويجب محاسبة هذه الدول » ؛ وكرر ابا ايبان وزير الخارجية « ان لبنان مسؤول عن نشاطات حركة الفدائيين التي تعمل في كل انحاء العالم لان مقر قيادات الفدائيين في بيروت ». وفي ٥ حزيران حذر دايان مصر ولبنان بشل مواصلاتهما الجوية « اذا حاول اي منهما ان يشل خطوط مواصلاتنا بمساعدة من الارهابيين » . ويبدو ان المسؤولين الاسرائيليين شعروا عند هذا الحد بأن حملتهم الاعلامية قد أدت اغراضها ، فكتبت صحيفة معاريف يوم ٧ حزيران تقول « ان الوقت قد حان لان تقوم القوات الاسرائيلية بعمليات ضد قواعد الفدائيين في لبنان » وأضافت ان الاسبوع الذي خصصته اسرائيل لنشاط سياسي واعلامي « سمح للرأي العام العالمي بأن يدرك معنى مذبحة اللد » ، وفي ظل هذا التوجه الاعلامي الجديد قام دايان بتحرك مقصود حين تفقد في اليوم نفسه مقر القيادة العامة للبحرية الاسرائيلية ، بينما كانت القطع البحرية الاسرائيلية تتعمد الظهور أكثر من مرة أمام الشواطىء اللبنانية ، وكأنه يريد أن يوحي باحتمال هجوم بحري على لبنان . ثم ارتفعت درجة الوضوح في التهديدات الاسرائيلية حين ذكر شمعون بيريز يوم ٩ حزيران ان اسرائيل « قررت اجراءات تجمع بين الردع بالنسبة الى هجمات مماثلة وحماية طائرات الركاب ، وان الردع موجه ضد أولئك الذين اما نظموا هذا النوع من الحرب أو أيدوه » .

٣ — القيام باتصالات ديبلوماسية متعددة بهدف تحقيق أوسع نطاق من التأييد للموقف الاسرائيلي. ففي ١ حزيران قال جون كنغ الناطق بلسان وزارة الخارجية الاميركية ان اسحاق رابين اجتمع الى وزير الخارجية بالوكالة و« ان البحث تركز بوجه خاص على الوسائل الكفيلة بمنع مثل هذه الاعمال الفظيعة » . وفي يوم ٤ حزيران أعلن في تل ابيب ان الرئيس نيكسون ندد بحادث مطار اللد « الدموي والبشع في عنفه » . ونتيجة للتركيز الاعلامي الاسرائيلي على الدور الياباني في العملية ، وعلى وجود اتصالات بين الجبهة الشعبية ومنظمات ثورية يابانية أعلن يوم ١ حزيران ان اليابان قررت ارسال مبعوث خاص الى اسرائيل للاعتذار عن الهجوم ، وان المبعوث سيحمل رسالة شخصية من رئيس الحكومة الى جولدا مائير . وصرح وزير الخارجية اليابانية قائلا ان اهم شيء بالنسبة الى حكومته الان هو « ازالة العار » الذي ألحقه بها اليابانيون الثلاثة . وفي يوم ٤ حزيران طلب مبعوث الحكومة اليابانية من جولدا مائير « مسامحة اليابان » وتعهد بتقديم تعويضات للضحايا ، وقال ان اليابان قد تساهم بالاضافة الى ذلك بتمويل المشاريع الانشائية في اسرائيل كجزء من التعويض الجزئي عن العملية .

٤ — السعي لاشعار كافة الدول وكافة شركات الطيران ان ما جرى في مطار اللد أمر يعنيها ايضا بل ويهددها كما يهدد أمن اسرائيل . ففي ١ حزيران اجتمع شمعون بيريز وزير النقل الاسرائيلي بممثلي ١٧ شركة طيران وحثهم على زيادة تدابير الامن في مطارات بلادهم . وفي يوم ٣ حزيران قال شمعون بيريز ان ٧ شركات من اصل ١٧ أكدت الى الان أنها ستلتزم بتطبيق اجراءات الامن التي طلبتها اسرائيل . وبدءا من يوم ٤ حزيران اتخذت في كافة مطارات أوروبا احتياطات أمن غير عادية نتيجة لانتشار شائعات تقول ان أعضاء منظمة الجيش الاحمر التي ينتمي اليها الفدائيون اليابانيون الثلاثة سيقومون بعمليات مماثلة في مطارات اوروبا، وكذلك نتيجة لانتشار شائعات أخرى تقول بأن الفدائيين الفلسطينيين سيقومون بمناسبة ذكرى حرب حزيران بهجمات مماثلة على المطارات . وساعد على تثبيت هذا الجو ان الانتربول حذر مطارات العالم من احتمال تكرار هجوم عليها مشابه لهجوم مطار اللد .

الموقف الفلسطيني : ازاء هذا التحرك الاسرائيلي ماذا كان رد الفعل الفدائي الفلسطيني ؟ داخل المخيمات أعلنت حالة الاستنفار تحسبا لاي عمل انتقامي ضد المدنيين الفلسطينيين . وعلى الحدود وضعت القوات الفدائية في حالة تأهب وحذر للعمل على مواجهة اي اعتداء . وعلى الصعيد السياسي أصدرت الجبهة الشعبية (٣١ أيار) بيانا أكدت فيه أنها « هي المسؤولة وحدها عن تخطيط وتنفيذ العملية ، وان هذا العمل برمته تم خارج الوطن العربي من دون استخدام أي أرض عربية ... ان استفادة الجبهة الشعبية من امكانات النشاط الاعلامي المتوفرة في لبنان يجب ألا يعني تحميل

لبنان أية مسؤولية فيما يتعلق بالعمليـة » . ثم عقدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعا درست فيه الموقف الناشىء عن الهجوم أدلى بعده السيد كمال ناصر بتصريح قال فيه « ان العدو يحاول ان يدفع مسؤولية عملية مطار اللد في اتجاه لبنان ... وما الاصرار على تجاهل ارادة العقل الفلسطيني ... الا أدلة تضليلية مكشوفة ليبرر بها العدو أهـدافا معروفـة يسعى الـى تحقيقها » . وفي اليـوم التالي (١ حزيران) استمرت حالة الاستنفار الفدائية ووضعت كافة القوات تحت امرة قيادة عسكرية موحدة ، وعندما اتسع نطاق الحملة الاعلامية الاسرائيلية وتركيزها على تهديد لبنان وزعت منظمة التحرير يوم ٨ حزيران مذكرة في الامم المتحدة قالت فيها ان الدول العربية غير مسؤولة عن حادث مطار اللد وان المسؤول الحقيقي هو اعمال اسرائيل نفسها .

رد الفعـل اللبناني : مع ان التحمـل الفدائي لمسؤولية عملية اللد كان واضحا وكاملا الا ان التركيز الاعلامي الاسرائيلي على دور لبنان كان واسعا الى حد اضطرت معه الحكومة اللبنانية الى اتخاذ احتياطات أمن واسعة والقيام بحملة ديبلوماسية كثيفة . فعلى صعيد الامن اتخذت تدابير استثنائية لحماية مطار بيروت ووضعت قوى الامن الداخلي في المطار تحت أمرة الجيش وعززت بالآليات . واتخذت اجراءات مماثلة على طول منطقة الحدود مع اسرائيـل ، واعلنت حـالة استنفـار للعسكريين ولاجهـزة الدفـاع المـدني والاسعاف .

اما على الصعيد السياسي فقد قام مندوب لبنـان في الامم المتحدة يوم ٣١ أيار باشعار مجلس الامن بتهديدات اسرائيل له وما يمكن ان ينتج عنها من اعتداءات ، واجرت وزارة الخارجية اتصالات مع ممثلي بعـض الدول الكبرى في لبنـان لبحث التطورات . وفي اليوم التالي (١ حزيران) اجرى وزير الخارجية اتصالات هاتفية مع سفراء الدول الاعضاء في مجلس الامن وأطلعهم على وجهة النظر اللبنانية مؤكدا ان لبنان لا علاقة له بحادث مطار اللد ، وبدأت الحكومة اللبنانية اتصالات مـع الحكومة الاميركية للبحث في موقف اميركا ، في حال تقديم شكوى لبنانية ضد اسرائيل ، اذا ما وقـع اعتداء على لبنان . وفي باريس قام السفير اللبناني يوم ٢ حزيران بعقـد سلسلة اجتماعات مـع المسؤولين الفرنسيين لحث فرنسا على ممارسة ضغط على اسرائيل حتى لا تعتدي على لبنان . وحين تكرر خـرق الطائرات الاسرائيلية للمجال الجوي اللبناني ، قدم لبنـان احتجاجا شديـد اللهجة الى مجلس الامن يوم ٦ حزيران ، اجتمع على أثره وزير الخارجية مع السفير الاميركي في بيروت وبحثا في التهديدات الاسرائيلية .

وفيما يتعلق بموقف الحكومة اللبنانية من العمـل الفدائي الفلسطيني فقد كانت هناك اشارات ملفتة للنظر ، اذ أدلى الرئيس فرنجيـة يوم ٢ حزيران بتصريح صحفي أبلغ فيما بعد الى مجلس الامن ، تضمن اشارة الى أن تدابير حكومية قد اتخذت لتحول دون ان يكون لبنـان « مصدر النشاط الاعلامي للمنظمة التي تبنت حادث اللد » ، وقد رفض وزير الاعلام ان يشرح للصحفيين نوع هذه التدابير . ولكن السيد صائب سلام قال « ان الحكومة لا يمكن أن تتخذ اجراءات ضد مكاتب الفدائيين في لبنان ما دامت تعمل في سلام ولا تخرق القوانين اللبنانية » . ومن جهة اخرى طلب لبنان من الفدائيين يوم ٥ حزيران اخلاء ٨ منازل في بلدة الكفير بمنطقة الجنوب حتى لا تتعرض القرية لاي عدوان ، ووعد الفدائيون بتلبية الطلب .

المواقف العربية : تميزت بعض المواقف العربية ازاء عملية اللد بالتحفظ أحيانا ، وبالتحول احيانا أخرى من التأييد الى الادانة .

ففي القاهرة مثلا قال تعليق الاذاعة على العملية في اليوم الاول (٣١ أيار) ان « حركة التحرير الفلسطينية نجحت في كسب التأييد العالمي والارتباط بالثورة العالمية » . وفي اليوم التالي (١ حزيران) أعلن رئيس الوزراء السيد عزيز صدقي « ان هذه العملية كشفت حقيقة اسرائيل وزيف مـا يردده الاستعماريون من ان اسرائيل ... قوة لا تغلب ». وقد قامت الولايات المتحـدة بتوجيه احتجاج رسمي الى مصر حول هـذه التصريحات « غير المسؤولة وغير المفهومة » وذلك يوم ٥ حزيران . وقد رد الدكتور الزيات الناطق الرسمي في مصر يوم ٨ حزيران رافضا هذا الاحتجاج ومعلنا في نفس الوقت ان عملية اللد « لا معنى لها » ، وان مصر ضد عمليات خطف الطائرات.

اما لبنان فقد أعلن بلسان وزيـر خارجيته انه « يستنكر كل عمل من أي نوع كان وعن اي جهة

صدر من شأنه أن يلحق ضررا بأشخاص مدنيين أبرياء وغرباء عن النزاع » .

وفي الاردن كان رد الفعل الاول قيام شركة الطيران الاردنية بايقاف رحلاتها الى لبنان ، ثم أعلن الملك حسين انه يدين الهجوم على مطار اللد لانه « جريمة حاكتها نفوس مريضة » .

المواقف الدولية : كان الطابع الغالب على المواقف الدولية الاهتمام باجراءات الامن في المطارات خوفا من عمليات خطف جديدة . ولكن بعض العواصم تعدت ذلك الى تحديد موقف سياسي من العملية . ففي لندن وصفت الحكومة البريطانية الهجوم بأنه « مذبحة عمياء » . وفي باريس رفضت الحكومة الفرنسية تحميل اسرائيل لها بعض المسؤولية،وقالت أنها تتخذ كل الاجراءات الضرورية في مطار أورلي منذ أيلول الماضي . اما مواقف اليابان وواشنطن فقد تميزت بانحيازها لاسرائيل وبصورة تتعدى حتى المنطق الديبلوماسي . ففي طوكيو لم تكتف الحكومة اليابانية باعتبار نفسها مسؤولة معنويا عن الحادث، ولم تكتف باعلان استعدادها للتعويض على عائلات المصابين ، بل تعدت كل ذلك لتعلن عن انشاء مزيد من العلاقات الاقتصادية بينهما وبين اسرائيل . اما في واشنطن فقد اندفعت الولايات المتحدة ومنذ اليوم الاول لادانة العملية بقوة فندد السيد جورج ايروين وزير الخارجية بالوكالة بالعملية وقال أنه أصبح من الضروري اتخاذ اجراءات اكثر فعالية لمواجهة مثل هذه الحوادث. وبالاضافة الى ذلك تبنت الولايات المتحدة موقف اسرائيل الداعي الى قيام لبنان بضرب الوجود الفدائي فوق أراضيه وذلك حين قالت مصادر مطلعة في واشنطن ان الولايات المتحدة تحث لبنان على كبح نشاط المنظمات الفدائية وتسعى في الوقت ذاته الى منع اسرائيل من شن هجوم على لبنان . وسار فالدهايم الامين العام للامم المتحدة على نفس المنوال حين وضع اسرائيل ، ووضع لبنان الذي يتلقى يوميا تهديدات اسرائيل ، على نفس المستوى من المسؤولية داعيا الطرفين الى « ضبط النفس ».

تقييم العملية : وبصدد تقييم عملية اللد ابرزت الصحافة العربية في تعليقاتها الاتجاهات التالية :

١ — ان العملية بالاضافة الى الجرأة التي تميزت بها ، والى أنها تمت داخل الاراضي المحتلة ، فقد أكسبها التوقيت الذي تمت فيه أهمية خاصة ، فقد انجزت العملية في ذكرى هزيمة حزيران الخامسة ، وفي الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تستعد للاحتفال بذكرى نصرها ، لتكون بمثابة تذكير بصوت الشعب الفلسطيني الذي تروج الدعاية الاسرائيلية انه استكان لمنطق الاحتلال .

٢ — قضت هذه العملية تماما على الاثار التي نتجت عن عملية اللد الاولى التي نفذتها منظمة أيلول الاسود . ففي العملية الاولى استغلت اسرائيل العامل الانساني الذي التزم به الفدائيون بامتناعهم عن نسف الطائرة بركابها لتنفذ بهم مجزرة مدروسة دفعتها الى التباهي والقول على لسان دايان « ان نجاح هذه العملية كان سيعني اعطاء العمل الفدائي تحركا كبيرا للانطلاق » . وقد جاءت العملية الثانية لتضع هذا التباهي في موضعه الحقيقي .

٣ — اعتبرت العملية مظهرا لانفتاح الثورة الفلسطينية على تعاون وثيق مع قوى الثورة العالمية . تضاف الى مظاهر سابقة تمثلت في انفتاح الثورة الفلسطينية على القوى المناضلة في ايران وتركيا . ولذلك لوحظ ان اسرائيل ركزت في دعايتها على تشويه اليسار العالمي ، وخصوصا ذلك الجزء من اليسار المرتبط بالكفاح المسلح .

٤ — احدثت العملية هزة معنوية كبيرة داخل اسرائيل استطاعت ان تخترق جدار الطمأنينة الذي سعت السلطات الى زرعه في اوساط السكان طوال السنوات السابقة ، من خلال التهوين من شأن العمل الفدائي والنتائج التي يمكن ان يحققها . ولذلك ليس من قبيل الصدفة ان الاعلام الاسرائيلي تعمد توسيع نطاق المسؤولية في حادث اللد ، محملا اكثر من دولة مسؤولية التهاون في تنفيذ اجراءات الامن في مطاراتها ، حتى يخفف من وطأة الصدمة داخل اسرائيل .

الوحدة الوطنية

تابعت الفصائل الفدائية اجتماعاتها ومناقشاتها سعيا وراء استكمال الوحدة الوطنية حسب قرارات وتوصيات المجلس الوطني والمؤتمر الشعبي الاخير. وكانت اللجنة التنفيذية قد أقرت في اجتماع سابق لها انجاز الوحدة الاعلامية يوم الخامس من حزيران . وتنفيذا لذلك وجهت حركة فتح يوم ٣٠ أيار رسالة الى السيد كمال ناصر رئيس دائرة الاعلام في منظمة التحرير أعلنت فيها وقف نشاطها الاعلامي المستقل ووضعه تحت تصرف دائرة الاعلام ، وكان ذلك يعني ايقاف جريدة فتح

الاسبوعية ، وايقاف نشرة فتح اليومية ، واعتبار اذاعات فتح في العواصم العربية ناطقة باسم منظمة التحرير الفلسطينية . وفي يوم ٥ حزيران بالذات صدر العدد الاول من نشرة وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ، وذكر في هذا العدد ان صدوره تعبير عن تنفيذ الوحدة الاعلامية بين المنظمات ، وانه يجري بالاضافة الى ذلك اعداد متواصل لاصدار صحيفة موحدة ، حدد لها مبدئيا يوم ٢٧ حزيران لتصدر فيه . كذلك اعلنت نشرة (وفا) في عددها الاول انه تم تشكيل مجلس عسكري اعلى يتابع بحث توحيد القوات الفدائية .

جرت هذه التطورات في الوقت الذي كانت فيه الفصائل الفدائية متفقة حول مبدأ التوحيد الاعلامي ، ومختلفة حول توقيته ، بين فريق يرى البدء بتنفيذ ما يتفق عليه فورا ، وفريق آخر يرى ارجاء التنفيذ الى ان يتم الاتفاق على كافة مجالات التوحيد . وبالرغم من ذلك ابلغت جبهة التحرير العربية اللجنة التنفيذية موافقتها على الالتزام بقرارات التوحيد بعد أن تم الاتفاق على البرنامج السياسي . ثم قامت الجبهة الديمقراطية باعلان موافقتها على الوحدة الاعلامية واوقفت تنفيذا لذلك نشرتها اليومية « المقاومة » عن الصدور . والتزمت الجبهة الشعبية بنفس الموقف بعد الاتفاق على ان جريدة الهدف سوف تكون ناطقة باسم حزب العمل العربي الاشتراكي ، وليس باسم الجبهة الشعبية .

ولكن كانت هناك مشكلة بارزة بصدد موقفين : الاول موقف جيش التحرير الذي أصدر العدد رقم ٥٣ من مجلة صوت فلسطين وهو يحمل هجوما عنيفا على حركة فتح متهما اياها بالسعي لابتلاع المنظمات الفدائية والسيطرة عليها من خلال اصرارها على تنفيذ الوحدة الوطنية قبل الاتفاق على كافة مجالات التوحيد . والثاني موقف منظمة الصاعقة التي أصدرت عددا من مجلتها الاسبوعية « الطلائع » ناسجا على نفس منوال مجلة جيش التحرير . ونتيجة لهذين الموقفين بدا واضحا تماما أن قضية التوحيد الاعلامي تواجه مأزقا حرجا لم تظهر حتى الآن بوادر تشير الى امكانية تخطيه .

وفي هذه الاثناء عقدت لجنة المتابعة المنبثقة عن المؤتمر الشعبي الفلسطيني اجتماعها الثاني يوم ١٥ حزيران في بيروت . واستمعت في هذا الاجتماع الى تقريرين . قدمت التقرير الاول امانة سر لجنة المتابعة وعرضت فيه مطالعتها حول الاجراءات التوحيدية التي تمت ومواقف كل فصيل منها . وقدمت التقرير الثاني اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير التي حضرت الاجتماع بطلب من أمانة السر حتى يقوم ممثل كل تنظيم فيها باطلاع لجنة المتابعة على موقف تنظيمه من القضايا المطروحة . وقررت اللجنة متابعة اتصالاتها والبحث في نتائج هذه الاتصالات في اجتماع ثالث تقرر عقده في منتصف تموز المقبل .

اوضاع فتح الداخلية

جرت يوم التاسع من حزيران محاولة لخطف فدائي من فتح في مخيم تل الزعتر القريب من بيروت . وأسفر الحادث عن اصابة هذا الفدائي بجراح ، ونشرت الصحف البيروتية الخبر في اليوم التالي بدون أي تعليق . ولكن جريدة النهار انفردت في يوم ١١ حزيران بنشر خبر يقول ان محاولة انقلابية جرت داخل حركة فتح وأن قيادة الحركة استنفرت قواتها في كل المخيمات ، وقامت جهات فلسطينية مختلفة بالوقوف بين الفريقين المتنازعين داخل فتح . وذكرت النهار أن هذه المحاولة الانقلابية أدت الى تأجيل سفر السيد عرفات الى موسكو حتى تموز بعد أن كان مقررا لزيارته ان تتم في النصف الاول من حزيران . ولكن حركة فتح أصدرت في اليوم التالي بيانا توضيحيا قالت فيه انه «راجت اشاعات مختلفة في اليومين الماضيين حول انشقاقات وانقسامات داخل فتح » وهي تعلن ما يلي : ١ — جرى حادث تبادل اطلاق نار في مخيم تل الزعتر نتيجة خطأ مسلكي . ٢ — حاولت جهات كثيرة تضخيم الحادث واثارة البلبلة في صفوف الجماهير وترديد الاشاعات ، مما دفع الحركة لاتخاذ بعض الاجراءات لمنع أية عناصر مدسوسة من التحرك لتأزيم الموقف . ٣ — تؤكد فتح لجماهيرها أن الحركة كما عرفتها الجماهير يد واحدة ، لن تسمح لاي عبث أو لغط ان يؤثر على وحدتها وتماسكها .

وقد نقلت نشرة (وفا) اليومية النص الحرفي لبيان حركة فتح ، وأضافت على لسان ناطق رسمي أن زيارة السيد عرفات لموسكو ستتم في الموعد المحدد لها . ولم تنشر اضافة الى ذلك أية معلومات تلقي أضواء أخرى على هذا الحادث الذي يعتبر الاول من نوعه داخل حركة فتح .

بلال الحسن

ملحــق :

حول عملية دير ياسين على ارض مطار اللد

اتت عملية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على ارض مطار اللد ، كالنـور الساطع وسط ظـلام محفوف بالغموض والشك والضياع . وقـد تمكنت الشرارات المندلعة مع طلقات رشاشات الابطال الثلاثـة ، فدائيي الخليـة الصدامية الخاصة ، مجموعة الشهيد باتريك اورغيللو ، في انحاء مطار اللد ، أحد حصون العدو ، أن تبدد جزءا مهما من الظلام ، وتقهر حيزا كبيرا من آثاره علـى امتداد القضية كلها .

وحتى يأخذ حديثنا عن الابطال الابعاد التي عمقتها وحفرتها بالدم الغالي البطل ، هـذه العملية ، حجمه الحقيقي والطبيعي لا بد مـن التأكيد منـذ البداية على حقيقة مؤداها أن أية عملية فدائيـة ضد معسكر العدو في أي موقع من المواقع تصبح ملكا للثورة الفلسطينيـة والشعب الفلسطينـي والعربي ايضا وحتـى لجميـع التقدميين الثوار الاحرار في كافة انحاء الارض ، منذ اللحظة الاولى لبدء تنفيذها ، تعود عليهم جميعا بالنصر والفخـر عند نجاحها الكامل ، كما حدث على ارض مطار اللد في ٣٠ أيار ١٩٧٢ ، وتصيبهم بالاذى والالم ، عند فشلها أو ارتباك احدى حلقاتها .

ثمة حقيقة أخرى لا بد ان تظل ماثلة في اذهاننـا ونحن في صدد تحليل العمليات الفدائية البطولية ، (وكافة العمليات الفدائية ضد العدو وضد اركان معسكره الكبير والممتد والمتشعب انما هي اعمال بطولية ، اذ انها تأخذ من صفتها جوهـر بطولتها وحيويتها) تلك الحقيقة تتركز في وجـوب اعتبار الفكر المخطـط والمحـرك وراء تلك العمليات ، ابعاده ، منحاه ، اهدافه واساليبه . وفي حالـة غياب أو تغييب تلك الحقيقة تمسي القضايا ذات مدلولات مجتزأة ومبتورة ولا تعود آثارها على مسيرة النضال بالحجم الفعلي والمستهدف . ولعل عملية اختطاف طائرة الجمبو – جيت التابعة للوفتهانزا الى عدن في ١٩٧٢/٢/٢١ والتي اعلنت منظمـة « ضحايا الاحتلال الصهيوني » مسؤوليتها عنها ، خير مثال على ما نقصده : اختلفت الآراء في هذه العمليـة حـول الهـدف الذي حققتـه المنظمـة بنجاح كامل وهو الحصول على مبلغ كبير من المال.

ولم تتعمق الآراء في طبيعة العملية من حيث العدو الذي استهدفته ، ومن حيث الغاية التي اعلنت المنظمة استخدام المال من أجلها وكذلك من حيث دقة التخطيط والتنفيذ التي سادت كل خطوة وحركة طيلة العملية . لو جـرى التحليـل على الاسس المذكورة ، لاخذت العملية مدلولاتها الكاملة وأثرها الفعلي واللازم في مسيرة النضال الفلسطيني :

١ – العدو الذي وجهت ضده العملية كان حكومة المانية الغربية ، احـد اركـان معسكر الاعداء وأشدها حقـدا وغرورا تجاه حركة المقاومـة الفلسطينيـة وأكثرهـا اندفاعا في دعم العـدو الاسرائيلي ماديا ، عسكريا ومعنويا ، تنفيـذا لرغبات واوامر الامبريالية الامريكية ،

٢ – اعلنت منظمة ضحايا الاحتلال الصهيوني عن حقها وحق المقاومة الفلسطينية أن تنتزع المال من أية جهة في معسكر الاعداء لتستخدمه من أجـل استمرار نضالها وصمودها داخل الارض المحتلة وخاصة في غزة الباسلة ،

٣ – الخطة التي اتبعت في العملية كانت تقصد ، وقد فعلت ان تمرغ غرور اركـان حكومة المانية الغربية (وخاصة وزيري الداخلية والمواصلات ، المعروفين بحقدهما واستخفافهما بحركة المقـاومة الفلسطينية) بالوحل ، وان تجرهم من انوفهم كالنعاج يأتمرون بأوامر ممثلي المنظمـة وينفـذون تعليماتهم خطوة خطوة ، دون ان تترك لهم سانحة يبثون من خلالها حقدهم أو غرورهم .

ولعل عملية الاقتحام البطوليـة على أرض مطـار اللد ، التي قامت بها مجموعة من فدائيي منظمة « ايلول الاسود » في ١٩٧٢/٥/٩ ، حيث تمكنت من السيطرة على طائرة تابعـة لشركة سابينـا واقتحمت بها مطـار اللد وفرضت على العدو ، بكافة رجالاته وقواه ، ساعات مرة تجلت فيهـا بطولة شعبنا ومقاتليه . لعل هذه العملية مثـال آخر على ما نقصده : اصيبت غالبية شعبنا بما يشبه النكسة حين تمكن العدو من افشال العملية في النهاية . ولو ان تحليلا عميقـا لابعاد العملية ومعانيها ، تناول حقيقة الاقتحام وحقيقة السيطرة الفعلية على مطار اللد ، وارباك العدو طيلـة

الساعات القاسية ، لما كان الشعور بالنكسة هو الذي هيمن في النهاية .

***

بعد هذا كله وعلى ضوئه ، نطل على عملية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، التي انجز جزءها المعلن والتنفيذي ثلاثة فدائيين يابانيين ، من احدى خلايا الجبهة الصدامية :

١ — سوف تظل هذه العملية من اجرأ وأعنف العمليات العسكرية ضد اسرائيل (حتى الآن) وأشدها ايلاما وتحديا ومجابهة . وقد لوحظ من آثارها التي ما زالت تتراكم حتى الآن ، أنها ذات ابعاد ومدلولات عميقة ومتمادية في العمق بحيث لا ولن يمكن حصرها حتى وقت بعيد . ولعل ابرز آثارها ، ذلك الرعب والارتباك المنقطع النظير الذي أصاب العدو الاسرائيلي ، والذي كشف حقيقة قدرته على تلقي الصدمات المفاجئة . كان الشلل والذهول ، هما السمتان الرئيسيتان لحالة العدو خلال العملية الخارقة وبعدها .

٢ — جاءت العملية ، عملية « دير ياسين » كما سمتها الجبهة الشعبية ، « على ابواب الذكرى الخامسة لهزيمة حزيران » : وأورد بيان الجبهة الاول « انها رد على المجزرة التي نفذها ديان بالفدائيين علي طه وعبد العزيز الاطرش ، اللذين اشتركا مع فدائيتين في خطف الطائرة البلجيكية الى مطار اللد قبل ٣ اسابيع » . وذكر البيان ايضا « ان الذكرى الخامسة للهزيمة هي ايضا مناسبة للثوار كي يعلنوا للعدو ، في صميم قلعته المزروعة وسط ارضنا المحتلة ، وبأشد ما يمكن من العنف ، ان حرب الخامس من حزيران لم تنته بعد ، وان الجماهير التي طحنتها همجية الامبرياليين والصهاينة والرجعيين تنبعث من جديد وتخطو خطوة أخرى نحو وطنها المغتصب وتضرب عدوها حيث ينزف . ان فقراء هذا الوطن ومشرديه ، وان قوى الثورة والتحرر في العالم — في وجهها التضامني الاممي العملي المشرق — تواصل مسيرتها نحو النصر ، وتدق مسمارا جديدا في نعش العدو الرابض فوق وطننا والعامل على قهر ارادات شعبنا الرازح تحت نير الاحتلال » .

٣ — كما جاءت العملية ، بتوقيتها واسلوبها والفكر المحرك وراءها ، لتقول لشعبنا ولعدوه ، أن النضال الفلسطيني لن يعجز ولن يستسلم ، ولن ينحني مهما حاولت الهامات ان ترتفع في وجهه . ورد في البيان الاول : « ان كل مؤامرات التصفية التي تتعرض لها قضيتنا لا تشكل عقبة امام اصرار جماهيرنا على مواصلة نضالاتها ، والبذل حتى أعلى الدرجات في سبيل تحقيق اهدافنا . وأن كل اجراءات التطويق والحصار والتجويع ، لا تستطيع ان تشكل حاجزا أمام عزمنا على المضي في ممارسة العنف الثوري ، وضرب عدونا في الاماكن التي لا يمكن ان تمحى من ذاكرته بسرعة » .

٤ — تجلى في العملية شموخ شعبنا وثورتنا ، وعلى اقدام هذا الشموخ تتحطم بحقارة هلوسات العدو وهذيانات اصدقائه في العالم (مثل نيكسون) وفي وطننا (مثل حسين) حول الانسانية وقتل الابرياء ، اذ انه عدا عن أن ثورتنا قد حذرت كل الدنيا بأنها لا تعتبر أيا كان بريئا عندما يساهم زائرا او سائحا في دعم ترسانة العدو المتعجرفة ، عدا عن ذلك فانه في اعناق العدو واصدقائه حياة الآلاف من الابرياء من ارض فيتنام البطلة حتى عمان الجريحة ، حيث الجرائم ترتكب بوحشية وبربرية وبدون حساب يوميا . ولا نريد أن نفتح سجل عدونا الوحشي ، اذ ان الدنيا كلها تعرف حقيقة ما يرتكبه يوميا على ارض فلسطيننا الحبيبة المغتصبة .

٥ — لقد حفرت العملية الانتحارية البطلة ، اسس نمط جديد في المجابهة يرتفع الى مستوى التحدي المباشر والموجع لعدونا الغاشم . جاء في بيان الجبهة الثاني: «اننا في هذه المناسبة نحذر، ونطالب بأن تؤخذ تحذيراتنا بكل الجدية الممكنة بأن أي عمل اسرائيلي طائش ضد لبنان أو أي بلد عربي آخر سنرد عليه بعنف لا يتصوره العدو ، وسنضرب حيث الوجع اشد وسنجعل العدو يندم على خطواته مهما كانت حساباتها » . سوف تشهد الدنيا بطولات مضرجة بالدم على أرض فلسطين ، تنتعش به أرضنا الطيبة ، تعانقه وهي واثقة انه بداية هدير جحافل اليها لفك اسرها .

٦ — تضج العملية نفسها بالمعاني والمدلولات التي تعتبر كفيلة بالرد على كافة ردات الفعل المريضة وخاصة من ناحية ان الذين نفذوها هم من اليابانيين وليسوا فلسطينيين أو عربا ، اذ أنه بالاضافة الى بطلان اغراض ردات الفعل هذه ، حيث ان الجهة التي قامت بالعملية هي الجبهة الشعبية نفسها وليس أحد غيرها فقد ورد في أحد

بيانات الجبهة : « لقد تلقينا اليوم من خلايانا السرية في الداخل معلومات أولية عن الدور الذي لعبته عناصر أخرى من المجموعة التي قامت بتنفيذ عملية الهجوم على مطار اللد ، هذه المعلومات تفسر كثيرا من الحلقات الغامضة في العملية . فقد قام فدائيو الجبهة من الخلايا السرية التابعة لمجموعة « باتريك اورغويللو » بفتح النار في مناطق تقع حول مطار اللد لحظة البدء بالهجوم ، وقد القت المجموعة ، اثناء اطلاق النار ، خمس قنابل يدوية ، ثلاثا منها على الطائرات الجاثمة في ساحة المطار ، وواحدة على قسم الجمارك ، والخامسة وسط ساحة انتظار السيارات . واستمرت هذه العملية عشر دقائق ، انسحبت المجموعة بعدها حيث اضطرت للاشتباك مع سيارة دورية اسرائيلية قرب سجن الرملة ، وأصيب ركاب السيارة الخمسة بجروح بعضهم كانت جروحه مميتة ، وعاد الرفاق الى قواعدهم دون اصابات » .

٧ — ان القول بأن هذه العملية قد عادت علينا بالخسارة اعلاميا في مجال الرأي العام العالمي ، انما هو قول مردود من الاساس ، وما هو الا التعبير المختنق عن العقد والحقد تجاه الجبهة الشعبية ، ان الرأي العام الحاقد ازداد حقدا والرأي العام الصديق ازداد اعجابا واحتراما ، وفي هذا الصدد قال احد الاعلاميين اليابانيين ان هناك ما يزيد عن المئة مليون ياباني لم يكونوا قد سمعوا قبل العملية بالقضية الفلسطينية ، وقد جرتهم العملية الخارقة الى بداية الاهتمام وبداية التأييد .

نكتفي بهذا القدر حول مدلولات العملية ، لنعود الى مناقشة ما قد يتفتح في القريب من ابعاد جديدة ، لنسجل قبل الختام بعض الملاحظات الهامة : أ — ان العدو الاسرائيلي سوف يرد ، ولا بد ان نظل متنبهين الى قضيتين : ضرورة تلقي الرد واستيعابه مهما كان عنيفا ، هذا هو قدر الثورات تضرب وتضرب ولا مجال للخوف أو الندم. ثم ضرورة الحاق رده ، بعنف مماثل يستمر في تحطيم غطرسته وعنجهيته وعنصريته . ب — تظل القيمة الاساسية لمثل هذه العملية الرائعة ، متركزة في استمرار نمطها وتكراره وبشكل سريع وموجع ومتصاعد ، ويجب أن لا نتبرع للعدو بمعلومات أكثر في هذا الصدد . ج — لقد دلت آثار العملية حتى الآن على امكانية خروج ثورتنا من اسر كوابح انطلاقها وتفجيرها لكل شيء في مواقع العدو .

الدكتور سعيد حمود

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

بدأت العلاقات العربية ــ السوفياتية سنة ١٩٥٥، ومن خلال صفقة الاسلحة لمصر . وكانت هذه الصفقة خروجا على سياسة احتكار السلاح التي ينتهجها الغرب ، وضربة للسيطرة الغربية على بلادنا ، وبداية عهد جديد في حياتنا . وكانت هذه الصفقة مدخلنا الى المعسكر الاشتراكي كله . وهكذا يكون لقاؤنا الاول مع الاتحاد السوفياتي ومع المعسكر الاشتراكي كله من خلال خروجنا على السياسة الاستعمارية التي ظلت متحكمة بنا سنين طويلة .

واستمرت هذه العلاقة تتوطد وتتسع وتتعمق وقد مرت بامتحانات عسيرة اهمها : معركة عام ١٩٥٦ حين تصدى الاتحاد السوفياتي للمعتدين بانذاراته «الصاروخية»، وسنة ١٩٥٧ حين تصدى لقضية بناء السد العالي ، ثم حين قدم بعد حرب حزيران بديلا للاسلحة التي ضاعت في حرب حزيران سنة ١٩٦٧ . « ... وحتى اواسط عام ١٩٦٨ بنى الاتحاد السوفياتي ، وقدم مساعدة اقتصادية وفنية في بناء ٢٢٠ مؤسسة صناعية وغيرها من المشاريع في البلدان العربية ، بما فيها ١٢٨ مشروعا في الجمهورية العربية المتحدة ، و ٦٩ مشروعا في الجزائر ، و ٤٨ مشروعا في العراق ، و ١٧ مشروعا في سورية و ١٤ مشروعا في السودان و ٧ مشاريع في تونس . وينبغي ان نشير الى ان حصة البلدان العربية شكلت في اواسط عام ١٩٦٩ حوالي ٥٠٪ من مجمل المساعدة التي قدمتها بلدان مجلس التعاون الاقتصادي (الاتحاد السوفياتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وجمهورية المانيا الديمقراطية وهنغاريا ومنغوليا ورومانيا) لبناء المشاريع الصناعية التي انجزت، او هي في طريق الانجاز في البلدان النامية الآسيوية الافريقية . وعمل في البلدان العربية حوالي ٤٠٪ من مهندسي وتكنيكي بلدان مجلس التعاون الاقتصادي الموفدين الى الخارج »(١).

وتكتسي المساعدات السوفياتية اهمية خاصة في مجالين :

الاول : ميدان التسليح ، حيث يعتمد عدد من الدول العربية اعتمادا كليا او شبه كلي او جزئي على الاسلحة السوفياتية . ويجب ان نلاحظ في هذا المجال : أ ــ أن الدول العربية ، المعتمدة على التسلح من المعسكر الاشتراكي هي التي تمتلك السلاح الاكثر والاوفر ، من بين الدول العربية . ب ــ ان الدول العربية ، المعتمدة في تسليحها على الغرب ، هي الدول الخاضعة للمخططات الامبريالية ، ابتداء من التنمية الاقتصادية وانتهاء بقضية فلسطين .

الثاني : ميدان : « تأمين ظروف تطور صناعة استخراج المعادن والصناعة البترولية ... » وقد اكتشف خلال السنوات الاخيرة ، « وبفضل التعاون السوفياتي ــ المصري ... في عدة مناطق بالجمهورية العربية المتحدة حقول كبيرة جدا ، للبترول والغاز ومكامن خامات الحديد والفحم الحجري وخامات الرصاص والزنك والفوسفات والكلس وهلم جرا » . وفي الجزائر تم اكتشاف الزئبق ، وسوف تحتل الجزائر « مكانها بين اكبر البلدان المنتجة للزئبق في العالم » . « كما يجري بمساعدة الاتحاد السوفياتي ايضا بناء معمل لتركيز خامات الرصاص والزنك . وذلك في مكمن كبير للمعادن المتنوعة اكتشف في الجزائر » . وقد ساعد السوفيات على اكتشاف البترول في سورية. كما انهم يساعدون على تطوير صناعة النفط في العراق ، وعلى اكتشاف معادن اخرى مثل الفوسفات والكبريت(٢). وبفضل مساعدة الاتحاد السوفياتي كان ممكنا تأميم النفط العراقي اخيرا . ذلك أن الدولة التي يتاح لها ان تبنى صناعة مستقلة عن السيطرة الاستعمارية ، ويتاح لها ان تمتلك السلاح ، تمتلك ناصية التقدم اذا احسنت استخدام هذه الامكانيات . فمن اي منطلق تأتي هذه المساعدات ؟ ان هذه المساعدات تأتي من منطلق مساعدة الدول النامية على التخلص من السيطرة الامبريالية ومن التخلف . وهي مساعدات تقع ضمن خط المعسكر الاشتراكي ، المعادي للامبريالية ، ولكنها تقع ايضا ضمن خط الاتحاد

---

١ ــ عطاالله ، مولود ، **نضال العرب من اجل الاستقلال الاقتصادي** ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧١ ، ص ٣٤٣ .

٢ ــ عطاالله ، مولود ، **المرجع السابق** ، ص ٣٤٥ .

السوفياتي في المباراة السلمية والتعايش السلمي ، وليست منفصلة عن المخططات الاستراتيجية السوفياتية . الا أن هنالك فروقا بين هذه المساعدات ، المادية والمعنوية ، وبين مساعدات الغرب . وأهم هذه الفروق :

اولا : ان المساعدات الاشتراكية تتجه نحو تطوير امكانيات الاستقلال السياسي والاقتصادي ،ولذلك فهي تتجه نحو بناء الصناعات الاساسية ونحو توفير الاسلحة اللازمة : بينما تستهدف المساعدات الامبريالية اخضاع السوق المحلية للسوق الامبريالية وابقاء البلدان المتخلفة تابعة للمعسكر الامبريالي .

ثانيا : ان المساعدات الامبريالية هي بعض فتات استغلال البلدان المتخلفة ، اما « القروض التي يمنحها الاتحاد السوفياتي [وكذلك الدول الاشتراكية ن. ع] والتجهيزات المجموعية والمواد التي يقدمها للبلدان العربية النامية » ... « فليست فائضة عن حاجته ابدا ، ويمكن استخدامها كليا وبنجاح تام في متابعة تعزيز الاقتصاد السوفياتي »[1].

ونحن هنا لا نناقش هذه المساعدات مناقشة شاملة لنتحدث عن عيوبها وثغراتها ، لان هذا خارج موضوعنا الآن .

لقد كانت هذه المقدمة ضرورية جدا ، لانها مدخل لا بد منه لمناقشة الحملة التي تشن اليوم على الاتحاد السوفياتي ، وعلى العلاقات العربية — السوفياتية . وما كنا لنناقش الموضوع هنا لولا أنه مطروح من حيث تأثير هذه العلاقات على المعركة . وكثر في هذه الايام اولئك الذين يعتبرون ان مسؤولية الوضع الراهن : « اللاحرب واللاسلام » تقع على الاتحاد السوفياتي .. وهم ينطلقون من هذا المنطلق ليشنوا هجمات مقذعة وافتراءات لئيمة على العلاقات العربية — السوفياتية :

وتقوم هذه الهجمات والافتراءات على ما يلي :

اولا : « ... ان الذي اوصل القضية الى مرحلة « اللاحرب واللاسلم » والطريق المسدود هو تواجد الاتحاد السوفياتي وامريكا في الشرق الاوسط » . ولذلك فان « قضيتنا ستحل سياسيا في اللحظة التي تتحقق فيها مصالح الدولتين » (الاهرام ، ٧٢/٥/١٩ ، ندوة) .

ثانيا : « ... ان سياسة الاتحاد السوفياتي في العالم كله سواء نشطوا الموقف في منطقة او خمدوه ، فان هدفها في النهاية هو التوصل الى نوع من التفاهم المعين في العالم . وليظل للعالم الى مدة طويلة قادمة — وحتى تتطور الصين — محوران اساسيان هما موسكو وواشنطن » (الاهرام ٧٢/٥/١٩) .

ثالثا : « ... هناك علاقة خاصة بين امريكا واسرائيل ، وهي علاقة لم تكن موجودة بهذا المفهوم على الاطلاق من قبل ، وهناك علاقة خاصة بين الاتحاد السوفياتي وبين مصر لم تكن موجودة من قبل ، ولا اعتقد ابدا ان امريكا تمانع في ذلك والقول بانهم يخشون الوجود السوفياتي في المنطقة غير صحيح ... » (الاهرام ٧٢/٥/١٩).

رابعا : ان زيارة مئير لرومانيا « حصلت على تأييد السوفيات الضمني » وان المعسكر الاشتراكي يعمل على «ان يقيم علاقات متوازنة مع الطرفين» ، أي العرب ودولة الاحتلال الصهيوني (الجديد ، ٢٨٧ ، ٧٢/٦/٩) . والاتحاد السوفياتي الذي « يمارس سياسة تأييد للعرب ، فانه عمليا لا يظهر عداءه لاسرائيل ، بل على العكس يزاول سياسة تأييدية بالسماح للمهاجرين اليهود في الاتحاد السوفياتي بالسفر الى اسرائيل بنسب كبيرة ... » (الجديد ، المرجع السابق) .

خامسا : ان « دول المعسكر الاشتراكي بدأت تعيد النظر في مواقفها السياسية الدولية منذ ان تلقت الضوء الاخضر من قمة موسكو » ولهذا فتيتو مثلا لم يسمح بمرور الاسلحة السوفياتية عبر يوغسلافيا الى مصر بعد قمة موسكو (الجديد، المرجع السابق) .

سادسا : ان تجربة صداقتنا مع الاتحاد السوفياتي هي « تجربة صداقة مع دولة كبرى كان كل همها ان تبيعنا السلاح بالنقد النادر ، وان ترهن اقتصادنا مقابله ... وان تطعننا في الظهر في اللحظة الحرجة » (الجديد ، ٢٨٧ ، فوق الجراح وفوق الالم في ٧٢/٦/٩) .

سابعا : أن الدول العربية لا تحارب لان الاتحاد السوفياتي لا يزودنا بالاسلحة التي نحتاجها ، وبالاسلحة الهجومية خاصة .

---

١ — عطاالله ، مولود ، **المرجع السابق** ، ص ٣٤١ .

وانطلقت في هذا الوقت أوساط متخلفة ، ومعادية للاشتراكية والماركسيــة والشعب تزايد علـى العلاقات العربية ــ السوفياتية بالعلاقات العربية الصينية . (الحوادث ٧٢/٦/٢ ، العدد ٨١٢) . حدث هذا داخل حركة المقاومة الفلسطينية ، كما حدث خارجها . فلماذا قامت هذه الحملة المعادية للاتحاد السوفياتي ، وما هي اهـدافها ؟ قبل ان نجيب على هذا السؤال لا بد لنا من أن نشير الى الظروف التي رافقت هذه الحملة . وهذه الظروف هــي :

أ ــ هجمة امبريالية شرسة تقودها الولايـات المتحدة من اجل فصم العلاقات العربية السوفياتية، وذلك لتسهيل السيطرة الامبريالية الصهيونية على المنطقة . ولقد تحدث نيكسون علنا عن قلقه مـن الوجود السوفياتي في مصر والمتوسط . كما أن الاوساط الصهيونية العالمية وفي الارض المحتلـة ركزت كثيرا على قضية الوجود السوفياتي في مصر وبقية البلاد العربية .

ب ــ زيادة نشاط الاتحاد السوفياتي من اجـل تمتين علاقاته مع الدول العربية وانتهاج سيـاسة اكثر حيوية واكثر تشددا ، وهو ما عبرت عنـه احدى المجلات بالتالي : « تثبيت المواقع المعاديـة لاميركا في الواقــع العربي ، عبر المعاهـدات العربية ــ السوفياتية من جهة . وعبر خطـوات التقارب العربي ، والحملة ضد التيارات الاميركية في الواقع العربي ، وزيادة حجم التسليح للبلدان العربية ، وكذلك مشاركة حركة التحرر العـربي اقتناعها « بأن هناك وسيلة أخرى » لتحرير الاراضي العربية المحتلــة » (البــلاغ ، العدد ٢٢٠ . ٧٢/٥/٢٢) .

جـ ــ تحرك الفئات العميلة والمرتبطة بسيـاسة الولايات المتحدة في الوطن العربي تحركا واسعا من أجل محاصرة المقاومة الفلسطينية وضربها ، ومن اجل ضرب الحركة الوطنية العربية ، وذلك بهدف تصفية القضية الفلسطينية وفرض الهيمنة الامبريالية على المنطقة .

بعد هذا نستطيع الاجابة على السؤال : لمـاذا قامت هذه الحملة وما هي اهدافها ؟ اما لمـاذا قامت الحملة ، فيبدو واضحا من الوقائع البارزة. أهمها أن الولايات المتحدة اخذت تقتنع يوما بعد يوم أن حركة التحرر العربي ، تحقق انتصـارات جديدة ، رغم النكسات والهزائم والتراجعات . فالخط العام لحركة التحرر العربي هو في صعود ، منذ سنة ١٩٥٥ ، على الرغـم من الانحـدارات الهائلة والذبذبات الكبيرة . والذي يقارن وضـع البلدان العربية اليوم ، بوضعها سنة ١٩٥٥ ، أو ١٩٦٥ ، يلمس هذه الحقيقة . ويكفي ان نشير الى مجموعة من الظواهر :

اولها : ان كل البلدان العربية مستقلة اليوم ، استقلالا تاما أو شبه تام أو صوريا ، ولقد كان عدد منها غير مستقل سنة ١٩٥٥ . لقد استقلت تونس والمغرب ، ثم الجزائر ، واستقلت اليمن الديمقراطية وبلدان الخليج بعد هذا التاريخ .

ثانيها : أن كثيرا من الانظمة الرجعية قد سقـط خلال هذه المرحلة (ليبيا ، اليمن ، العراق) ، وان الاستقلال الوطني قد تعزز في اكثر من بلد (مصر ، سورية ، العراق ، الجزائر) .

ثالثها : أن هذه المرحلة شهدت تطورا اقتصاديا كبيرا : الاصــلاح الزراعي في مصر وسوريـة والعراق والجزائر ، انشاء القطاع العام في البلدان المذكورة آنفا ، السيطرة على صناعة النفط فـي مصر وسورية والجزائر والعراق وليبيا .

ولقد كان كل هذا التقدم على حساب المواقــع الامبريالية في المنطقة . وهو تقدم يهدد بقايا المواقع الامبريالية تهديدا مباشرا ، ويطرح قضية وجودها في المنطقة من الاساس ، على الرغم من بطئه وعلى الرغم من الذبذبات التي يعيشها ، وعلى الرغم من قوة مواقع الامبريالية ونفوذها وعلى الرغم من ان وجود دولة الاحتلال يمثل خطرا على كل منجزات الاستقلال ، بالاضافة الى كونه احتلالا .

ثم ، واضافة الى ما سبق ، فان الولايات المتحدة أخذت تشعر ، بعد تصاعد المقاومة الفلسطينية، أن استمرار نمو المقاومة سيهدد كل الوجــود الامبريالي في المنطقة . ولهذا قررت ان تعمل على اعادة ترتيب الاوضاع في المنطقة بحيث تصبــح منطقة هدوء وسلام . وهذا لن يكون الا بالقضاء على المقاومة الفلسطينية وسحق قوى حركة التحرر الوطني العربية وتكريس **« انظمة معتدلة »** تضمن **« الاستقرار والامن »** .

وتشارك الولايات المتحدة خـوفها وقلقها اوساط عربية ، خصصت لمحاربة الشيوعية اموالا لـم تخصصها لتحرير فلسطين ، وصرفت في هذا المجال

آلاف الملايين خلال السنوات العشر الماضية . كما أن هذه الاوساط لا ترى ان معركتنا مع الصهيونية والامبريالية اولا ، بل تراها مع الشيوعية ، وقبل كل شيء .

ولذلك فان هذه الاوساط تشن حملاتها على الاتحاد السوفياتي والشيوعية ، محاولة ان تخدع الجماهير بوجود علاقات بين الشيوعية والصهيونية وبين الاتحاد السوفياتي واسرائيل . كما أنها تحاول ان تقنع الجماهير بأن العرب لا يحاربون لان الاتحاد السوفياتي لا يريد الحرب .

وتعمل هذه الاوساط لتضع المقاومة الفلسطينية ضمن مخططاتها ، وذلك فهي تخوف من الاتجاهات الماركسية داخل المقاومة ، ومن علاقتها بالاتحاد السوفياتي ، وتطالبها بأن تكون «مقاومة مشروعة» من اولى مسؤولياتها : « الوحدة فيما بينها وتوثيق الصلة مع الاهل في الضفة الغربية المحتلة وتحقيق الانسجام الاكبر مع العمل العربي الموحد » (الجديد ، ٢٧٩ ، ٧٢/٤/١٤) .

وتضيف هذه الاوساط : « ان وحدة المقاومة التي تطالب بها القيادات العربية الحاكمة تختلف جذريا عن وحدة المقاومة التي يجري بحثها الان في القاهرة والتي جند لها العديد من الاحزاب الماركسية في انحاء العالم للمشاركة ... » (المصدر اسابق) .

ان هذه الاوساط لا تريد المقاومة ان تكون عملا شعبيا ثوريا ، يعتمد على الجماهير ويقاتل من خلال توعيتها وتنظيمها ، بل تريدها جهازا تابعا للانظمة ، تحدد له الانظمة واجباته ومهماته واولها: سحق ارادة الشعب الفلسطيني . وهذا الاتجاه في السياسة العربية ، هو المسؤول عن عمليات تصفية المقاومة وعمليات محاصرتها التي عرفتها خلال مسيرتها منذ ١٩٦٥ وحتى الان . وهو يعمل الان ، وبكل ما أوتي من قوة لتوجيه الضربة القاضية للمقاومة ، ضمن المخطط الامبريالي — الصهيوني المرسوم .

تبدو ، بعد هذا كله ، اهداف هذه الحملة واضحة جلية ، انها : ١ — عزل حركة التحرر الوطني العربية ، ومنها المقاومة الفلسطينية ، عن حليفها المعسكر الاشتراكي ، وعلى رأسه الصين والاتحاد السوفياتي . ٢ — قيادة الامة العربية على طريق الاستسلام بضرب منجزاتها ومكتسباتها وبتمكين مواقع القوى المضادة للثورة وزيادة فعاليتها ونشاطها وقدراتها ، والعمل على توسيع رقعة سيطرتها باعادة مواقعها التي خسرتها اليها .

وتغطي هذه الاوساط الامبريالية ، العميلة ، المضادة للثورة عملياتها باظهارها الحرص على قوة الامة العربية وكرامتها ، وبتباكيها على الوطن السليب . ولكنها تفضح نفسها حين يزداد ارتباطها يوما بعد يوم بالولايات المتحدة الاميركية ، وحين يزعجها ، مثلا ، هجوم الشقيري على واشنطن في المؤتمر الشعبي الفلسطيني (الجديد ، ٢٧٩ ، ٧٢/٤/١٤) ، كما أنها تفسر زيارة احد سلاطين هذا الاتجاه الى واشنطن بأنها ذات « علاقة مباشرة بموضوع التسلح العربي وضرورة تطويره ليستطيع مواجهة العربدة العسكرية الاسرائيلية ... » (الجديد ، ٢٨٧ ، ٧٢/٦/٩) . وهكذا تتكشف الحقائق عارية . ذلك ان هؤلاء الحريصين على فلسطين والتحرير والكرامة العربية المهدورة يشنون اشد الحملات ضد العلاقات العربية السوفياتية ، ولكن يصمتون عن العلاقات العربية — الاميركية وعن العلاقات الاسرائيلية — الاميركية ، يهاجمون الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية التي تقدم للدول العربية ، وخاصة مصر وسورية والعراق والجزائر اسلحتها ، والمساعدات اللازمة لبنائها الاقتصادي ، ويصمتون عن الولايات المتحدة الاميركية التي تقدم لاسرائيل اسباب البقاء والقوة والسيطرة ، ولا تعطي العرب الا ما يضمن لها سحق ارادتهم وابقاءهم ضعفاء أمام العنجهية الاسرائيلية .

ثم ترتفع الاصوات بعد ذلك معلنة أن الاتحاد السوفياتي مسؤول عن حالة اللاحرب واللاسلم . لماذا لانه لا يقدم للعرب الاسلحة اللازمة .

ولكن هل الاسلحة وحدها هي التي تجعل الناس يقاتلون ؟ سنجيب عن هذا السؤال بمجموعة من الارقام :

أ — مقارنة بين فيانام والولايات المتحدة الاميركية :

فيانام الشمالية سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ : ١٧،٥٠٠،٠٠٠ عدد السكان ، ٤١٨،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار اميركي ميزانية الدفاع، ٤١٠،٠٠٠ الجيش، ٥٠،٠٠٠ الميليشيا،

١٠٠ سيارة مدرعة مختلفة، بما في ذلك ت — ٣٤ و ب — ت (دبابات استطلاع) ، ٦٠٠٠ مدفع مضاد للطائرات ، ١١٨ طائرة مقاتلة ، منها ٢٠ ميج ٢١ فقط . ومع ذلك فقد كانت فياتنام تقاتل سنة ١٩٦٧ — ١٩٦٨ الولايات المتحدة الاميركية وحلفاءها وجيش فياتنام العميل .

ب — مصر ١٩٦٧ — ١٩٦٨ : ٣١،٠٠٠،٠٠٠ عدد السكان ، ١٨٠،٠٠٠ القوات المسلحة ، ١٤٠،٠٠٠ الجيش ، ٦٥٥،٠٠٠،٠٠٠ ج.م ميزانية الدفاع ، ٢٥٠ دبابة ت ٥٤ و ٥٥ ، ٧٠ دبابة ت ٣٤ ، ٢٠ ج.س — ٣ ، ٣٠ سنتوريون (مارك ٣) ، ٢٢٥ طائرة مقاتلة ، منها ١٠٠ ميج ٢١ .

ج — دولة الاحتلال — اسرائيل ١٩٦٧ — ١٩٦٨ : ٤،٠٠٠،٠٠٠ السكان (خطأ على ما يبدو) ، ٧١،٠٠٠ القوات المسلحة (النظاميون) ، ٢٧٥،٠٠٠ مع الاحتياط ، ٢٢٥ م — ٤٨ باتون ، ٢٥٠ سنتوريون ، ٢٠٠ ت — ٥٤ (يبدو ان هذا الرقم ليس صحيحا) ، ١٧٥ سوبر شيرمن ، ١٤٠ أ.م.اكس ، ٢٣٠ طائرة مقاتلة . ومع ذلك فان مصر لم تستطع ان تقاتل سنة ١٩٦٧ (١).

د — الولايات المتحدة الاميركية (١٩٧٠ — ١٩٧١): ٣،١٦١،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٧١،٧٩١ مليون دولار نفقات الدفاع .

هـ — فياتنام الديمقراطية ١٩٧٠ — ١٩٧١ : ٢١،٩٠٠،٠٠٠ السكان ، ٤٣٢،٧٥٠ القوات المسلحة ، ٥٠٠ مليون دولار ميزانية الدفاع ، ٤٢٥،٠٠٠ الجيش ، ٤٠٠ آلية مصفحة بما في ذلك دبابات ت — ٣٤ و ت — ٥٤ ، ٧٦ ب.ت دبابة برمائية خفيفة ، ١٣٣ طائرة مقاتلة ، منها ٣٠ ميج ٢١ ، ومع ذلك فان فياتنام الديمقراطية تقاتل الولايات المتحدة منذ سنوات .

و — مصر ١٩٧٠ — ١٩٧١ : ٣٣،٠٠٠،٠٠٠ السكان ، ٢٨٨،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٥٥٣ مليون جنيه مصري (١،٢٧٢ مليون دولار) ، ٢٥٠،٠٠٠ الجيش ، ٩٥٠ دبابة ت — ٥٤ و ٥٥ ، ٢٥٠ دبابة ت — ٣٤ ، ١٠ سنتوريون م — ٣ ، ١٥ شيرمان ، ١٥٠ ب.ت — ٧٦ برمائية ، ٢٠ أ.م.اكس ، ١٣ دبابة خفيفة ، ٩٠٠ حاملات جنود مختلفة .

ز — دولة الاحتلال — اسرائيل ١٩٧٠ — ١٩٧١ : ٢،٩٠٠،٠٠٠ عدد الاسكان ، ٧٥،٠٠٠ القوات المسلحة ، ٣٬٧٦٢،٥ مليون ليرة ميزانية الدفاع ، ٢٧٥،٠٠٠ الجيش ، النظامي والاحتياط. ٣٠٠ دبابة م — ٤٨ باتون ، ٤٥٠ سنتوريون ، ١٠٠ ت — ٥٤ و ٥٥ ، ٢٠٠ سوبر شيرمن ، ١٥٠٠ (حوالي) ناقلات جنود(٢). ومع ذلك ، ومع ان هذا هو سلاح مصر وحدها فاننا ما زلنا لا نستطيع ان نقاتل دولة الاحتلال .

لماذا ؟ لاننا لا نملك ارادة القتال اولا ، ولاننا ثانيا لم نقرر اسلوب القتال المناسب ، وهو حرب الشعب ، ولاننا ثالثا ، لا نجمع امكانياتنا بعضها الى بعضها الاخر . والقضية ليست في اننا نملك أو لا نملك القدر الكافي من السلاح ، فنحن نملك العدد الكافي والنوع المناسب للحرب الحديثة ، وحتى النظامية منها . ثم ان القتال هو الذي يأتي بالسلاح . فحرب الاستنزاف جاءت بصواريخ سام، وبمزيد من الاسلحة (طائرات ودبابات الخ) . وليس من المنتظر ان يجيء « الهدوء » بسلاح فعال . وليس من المتوقع أن يدفعنا الاتحاد السوفياتي الى المعركة دفعا ، ولن نستطيع الانتصار اذا دفعنا الى المعركة دفعا ، ولكن اندفاعنا الى القتال : بمختلف اشكاله سيدفع الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية حتما الى زيادة مساعداتها لنا . وفياتنام خير شاهد على ذلك .

وهنالك حقيقتان لا بد من ذكرهما هنا : الاولى : ان ربط بدء القتال بالمباراة التكنولوجية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، من خلال انعكاسها علينا وعلى دولة الاحتلال ، سيجعل بدء القتال مستحيلا ، لان المباراة قائمة ، وهي لن تنتهي . الثانية : أن مطالبة الاتحاد السوفياتي بالحسم ، أي ان يدخل الحرب عنا ، والتمثل بموقفه في اماكن أخرى ، تتجاهل مجموعة حقائق موضوعية ، كما أنها تبدأ من منطلق منحرف . فما نريده هو ان يساعدنا لا أن يحارب عنا .

ان الذين يحاربون العلاقات العربية — السوفياتية

(١) The Institute for Strategic Studies: *The Military Balance 1967 - 1968*, p. 12

(٢) The Institute for Strategic Studies: *The Military Balance 1970 - 1971*, p. 38 and 56.

هم ليسوا الوطنيين الحريصين على القتال ، وعلى تطوير العلاقات لمصلحة تطور بلادنا وقوتها ، بل هم الاستسلاميون الهيابون ، الذين يريدون دفعنا الى اليأس ، والى السقوط في شرك السيطرة الاميركية . ومثل هؤلاء لا يخدمون الا الاحتلال الصهيوني والولايات المتحدة الاميركية .

ونحن نطالب هؤلاء ، الذين يزايدون بطرح العلاقات العربيـــــــة ــ الصينية بديــــلا للعلاقـــــات العربية ــ السوفياتية ، بأن يرفعوا صوتهم مـــن أجل الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية ، ومـــن اجل توطيد العلاقات معها ، كمـا نناشدهم ان يتبنوا حرب الشعب . وعندها لن يتحدثوا عـــن عدد الطائرات والدبابات .

ولكن هذا كله هل يعني أنه ليس هنالك من خلافات بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ؟ بالطبع هنـــالك خلافات ، وأهم هذه الخلافات : ١ ــ ان الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، ما عدا الصين والبانيا وفياتنام الديمقراطية وكورية الديمقراطية ، تعترف بدولة الاحتلال .

٢ ــ ان الاتحاد السوفياتي يدعو الان الى تسوية سلمية ، تزول بموجبها آثار عدوان حزيران فقط .

٣ ــ ان الاتحاد السوفياتي ، قد يجد في ايـــة لحظة ، من المناسب ضمن استراتيجيته العالمية ان يتفق مع الولايات المتحدة على حلول لمشاكـــل العالم الرئيسية ، ومنها قضيتنا ونحن ننبه الى خطورة مثل هذا الاتفاق السوفياتي ــ الاميركي ، مما يتطلب شحذ القضية والاستعداد الـدائـــم لمقاومة كل الحلول التصفوية بما في ذلك قـــرار نوفمبر ١٩٦٧ .

٤ ــ ان الاتحاد السوفياتي يسمح الآن بهجـرة اليهود السوفيات الى الارض المحتلة ، تحت ضغط الصهيونية العالمية والدول الامبريالية ، وهـــذه الهجرة ليست في مصلحتنا .

هذا على الصعيد الفلسطيني والعربي ، أما على الصعيد العالمي ، وصعيد العلاقات الدولية وقضايا التحـــرر الوطني الماركسية فهنالـــــك الكثير مـــن الخلافات ، التي لا نرى ان هذا المجال هو مجال بحثهـــا .

وعلى هذا ، فاننا ونحن نحارب الهجمات الشرسة ضد العلاقات العربية ــ السوفياتية ، لانها تريد السير بنا نحو الاستسلام ، نعتقد بأن خروجنا من دائرة الحلول الاستسلامية لا تكون الا بتنمية قوانا الذاتية وبالاعتماد على جماهيرنا ، بتعبئـــة هـــذه الجماهير وتنظيمها واعدادها للقتال . وبذلك فقط نضمن عدم تصفية القضية ، وبذلك فقط نضمـــن الخروج من دائرة الحلول الاستسلامية والتسويات الدولية . وبذلك ، لا بغيره ، نضمن تطويـــر علاقاتنا مع حلفائنا واصدقائنا ، وزيادة مساندتهم ومساعدتهم لنا ، ماديا ومعنويا .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

بالرغم عن ان سلسلة مهمة من التطورات العالمية الهامة جدا قد حدثت في الفترة الاخيرة بقي النزاع العربي الاسرائيلي على جموده على الصعيدين المحلي والدولي . ويبدو أن احداثا عالمية مثل انتصار التحالف الهندي - السوفياتي ضد التحالف الباكستاني - الامريكي في الحرب الهندية الباكستانية الاخيرة ، وزيارة الرئيس نيكسون للصين ، وعودة الولايات المتحدة الى شن عدوانها البحري والجوي على جمهورية فيتنام الديمقراطية، واجتماع القمة الامريكي السوفياتي الاخير في موسكو لم تترك أية اثار هامة مباشرة على الوضع الراكد في الشرق الاوسط لجهة تحريكه باتجاه ما واخراجه من الجمود الذي استقر عليه منذ الخريف الماضي .

وبالنسبة للموضوع الذي يهمنا في هذا الباب لا شك ان الحدث الدولي الاهم الذي ينبغي علينا رصده ورصد صلته بأزمة منطقتنا هو اجتماع القمة الامريكي السوفياتي الذي انعقد في النصف الثاني من شهر ايار المنصرم ، خاصة وأن جوا من الترقب والانتظار كان قد سبق الاجتماع ، كما صدرت تلميحات تدعو الى المزيد من الانتظار وتوجيه الانظار الى موسكو على أمل ان تؤدي القمة الى بعض النتائج « الايجابية » بالنسبة للشرق الاوسط . على سبيل المثال نذكر تصريح سيسكو في اوائل شهر ايار حيث قال ان النشاط الدبلوماسي الامريكي ما زال معلقا بالنسبة للشرق الاوسط بسبب ارتباطه بنتائج مؤتمر القمة المقبل ، وزيارة الرئيس السادات الى الاتحاد السوفياتي في شهر نيسان الماضي من أجل التشاور والتنسيق مع القيادة السوفياتية حول كل ما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط في محادثات القمة . ولكن يبدو ان القمة في موسكو لم تسفر (كما كان متوقعا) عن اية تطورات دراماتيكية او اتفاقات مفاجئة ، أو اية خطوات جذرية جديدة من شأنها اخراج النزاع في منطقتنا من جموده . كذلك يبدو ان مبدأ تجميد الازمة ، المتفق عليه دوليا ولو بصورة ضمنية ، سيبقى سائدا في المستقبل المنظور .

من نافل القول ان موضوع النزاع العربي - الاسرائيلي لم يكن الا بندا من بنود رئيسية اخرى على جدول اعمال مؤتمر القمة ومن المؤكد انه لم يكن البند رقم ١ بالرغم عن محاولات بعض الاوساط العربية الرسمية التشديد باستمرار على أن ازمة الشرق الاوسط هي اخطر واهم مشكلة دولية راهنة ولذلك يجب ان تنصب عليها جهود الدول الكبرى من اجل تسويتها تسوية « عادلة » وسلمية . بالاضافة الى مسألة الشرق الاوسط يتبين من رصد الاخبار التي ترددت حول اجتماع القمة ان الموضوعات الرئيسية التي تم التركيز عليها في المناقشات هي : (١) اتفاقية الحد من انتشار الاسلحة النووية ، (٢) امكانية التوصل الى اتفاقية حول التبادل التجاري بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، (٣) تطورات الحرب الفيتنامية ، (٤) الوضع في اوروبا ، خاصة بعد الاتفاقية التي تمت بين الدول الكبرى المعنية حول برلين وابرام معاهدتي المانيا الغربية مع كل من الاتحاد السوفياتي وبولونيا . وقد اوضحت الوثائق الصادرة عن المؤتمر ان بحث كافة هذه القضايا قد تم ضمن اطار عام متفق عليه من كلا الجانبين الا وهو التأكيد من جديد على سياسة التعايش السلمي وتسوية كل الخلافات بين البلدين على اسس سلمية ومن خلال المفاوضات ، والعمل باستمرار على تجنب اية مجابهة خطرة بين الدولتين الكبيرتين ، مما يعني دوما عزل الصراعات المحلية (كما في الفيتنام) او تجميدها (كما في الشرق الاوسط) بحيث لا تؤدي الى مواجهة نووية خطرة بين العملاقين الدوليين . وتعني هذه السياسة على الصعيد العملي انه عندما يتوفر للاتحاد السوفياتي حليف يقاتل بتصميم وقوة من أجل قضية تحررية مع ضمانة جيدة لاحتمالات انتصاره سيدعم الاتحاد السوفياتي هذا الحليف الى اقصى الحدود الممكنة مع العمل على عزل الصراع بصورة من الصور بحيث لا يؤدي الى مجابهة نووية خطرة مع الولايات المتحدة ، وهذا ما حدث في الحرب الهندية - الباكستانية الاخيرة ويحدث حاليا في الفيتنام . اما في حال غياب هذا النوع من الحلفاء وبذلك غياب الضمانات المعقولة بالنسبة لاحتمالات الانتصار فان البديل الوحيد الذي تسمح به السياسة المتفق عليها في مؤتمر القمة هو تجميد الازمة الى ان تتبدل معطياتها الاولية بصورة من

الصور أو لسبب من الاسباب ، وهذا ما هو حادث في الشرق الاوسط . وبطبيعة الحال تضع هذه السياسة المسؤولية الاولى في شن الكفاح المسلح التحرري على الاطراف المعنية به مباشرة من اجل حل التناقض مع القوى الامبريالية المعادية والا تحول الصراع الى مجابهة نووية غير مرغوب فيها حتما . وفي حال تقاعس هذا الطرف المعني مباشرة في السير على هذه الطريق وعقد الآمال على حسم التناقض عن طريق التسويات الدولية والضغوط العالمية فان طبيعة السياسة التي اقرها مؤتمر القمة الاخير لا يمكن ان تؤدي الا الى الجمود والمساومات وكلاهما يخدم المصالح الامبريالية على المدى الابعد . وعلى اساس هذا الواقع العام الذي يحكم علاقة الدولتين واعترافا بأهميته من قبل الطرفين تجنب الرئيس بودغورني في خطابه العلني الحديث مباشرة عن ازمة الشرق الاوسط والحرب الفيتنامية ولكنه شدد على ان العلاقات الودية بين البلدين « لا يمكن ان تكون على حساب أي بلد أو شعب آخر » وعلى ضرورة « الاخذ بعين الاعتبار أماني الشعوب وارادتها » عند تسوية أية قضية من قضايا العالم العالقة . كذلك قال كوسيغين انه « من اجل التقدم نحو اهدافنا يجب ان نزيل اسباب الحرب في المناطق الحساسة . في فيتنام والشرق الاوسط يجب ان نصنع كل شيء لاحترام استقلال هذه البلاد وسلامة اراضيها . » بالاضافة الى ما ورد ذكره نجد في هذه العبارات تأكيدا على ان الاتحاد السوفياتي لن يعقد اية صفقات مع الولايات المتحدة من خلف ظهر اية قضية تحررية تعتبره حليفا لها (ولكن بدون ان تطلب منه التورط في مواجهة نووية مع امريكا) . اما الرئيس نيكسون فقد اعترف ايضا (على طريقته الخاصة طبعا) بأن الدور الرئيسي في الصراعات التي تخوضها الشعوب ضد الامبريالية (التي يمثلها هو) يجب ان يقع على الاطراف المعنية مباشرة من أجل الابتعاد عن أية مجابهة نووية مع الاتحاد السوفياتي . قال نيكسون في خطاب الرد على الرئيس بودغورني « يجب ان نعترف بأن من مسؤولية الدول الكبرى بذل ما لديها من نفوذ عند الامم الاخرى المشتركة في حرب او العالقة في ازمة من أجل دفعها الى الاعتدال . وعلى الدول النووية الكبرى أن تكون معتدلة في الازمات . وان تتخذ الاجراءات الايجابية من أجل ابعاد خطر المواجهة المباشرة » .

وقد تم تكريس الخطوط العريضة للصيغة الجديدة لسياسة التعايش السلمي وكيفية الابتعاد عن المجابهات الخطرة بين البلدين في وثيقة مؤلفة من ١٢ بندا صدرت عن مؤتمر القمة ووقعها كل من نيكسون وبريجنيف حيث تم تحديد الاسس التي ستقام عليها العلاقات المستقبلة بين البلدين . وعلى سبيل المثال يقول البند الاول ان البلدين « سينطلقان من الاقتناع المشترك بأنه ليس هناك في العصر النووي اساس اخر لاقامة العلاقات بينهما سوى التعايش السلمي . وان الاختلاف في الايديولوجية والنظامين الاجتماعيين في الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة لا يشكل عقبة في طريق تطوير علاقات طبيعية بينهما تقوم على مبادىء السيادة والمساواة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والمنفعة المتبادلة » . ويقول البند الثاني من جملة ما يقوله : أن الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يبديان « اهتماما بالغا لتفادي قيام اوضاع يمكن ان تثير تأزما خطيرا في العلاقات بينهما . وانطلاقا من هذا ، فانهما سيبذلان كل الجهد المستطاع لتجنب المواجهات العسكرية ومنع الحرب النووية. وسيظهران بعض الاعتدال في علاقاتهما المتبادلة وسيكونان على استعداد لاجراء محادثات وتسوية الخلافات بطرق سلمية » .

اذا انتقلنا الى الصعيد التفصيلي بالنسبة لما حققه مؤتمر القمة نجد ان الانجاز الهام الوحيد الذي تم التوصل اليه هو الاتفاق بين الدولتين على الحد من انتشار الاسلحة النووية الاستراتيجية ، وهو بلا شك خطوة هامة جدا على طريق التخفيف من اعباء سباق التسلح بين الدول الكبرى . يضاف الى ذلك توقيع اتفاقين جزئيين حول التعاون في مجالات ابحاث الفضاء والعلوم والتكنولوجيا . أما فيما يتعلق بالاتفاق التجاري بين الدولتين فقد تم تشكيل لجنة مشتركة للبحث في الموضوع .

اما بالنسبة للحرب الفيتنامية وازمة الشرق الاوسط ، فقد تركت مباحثات القمة كل شيء على حاله على ما يبدو ، ولكن مع فارق هام انعكس في الطريقة التي اشار اليها البيان المشترك الى كل من الفيتنام والنزاع العربي — الاسرائيلي . بسبب الطبيعة المتحركة للصدام في جنوب شرقي آسيا ووضوح المواقف وضوحا كليا هناك والانتصارات التي حققها الثوار مؤخرا لم يتمكن مؤتمر القمة من تحديد حتى موقف لفظي مشترك

من قضية فيتنام . لذلك تعرض البيان المشترك للخطوط العريضة لكل من الموقفين الامريكي والسوفياتي من الموضوع بصورة مستقلة وفي فقرات منفصلة . ومن ناحية اخرى نجد انه بسبب الركود الذي يخيم على الصراع العربي — الاسرائيلي والغموض الذي يلفه حاليا جاءت الفقرة المتعلقة بأزمة الشرق الاوسط في البيان المشترك باهتة جدا ودون المستوى المطلوب حتى بمعايير قرارات هيئة الامم المتحدة ومعايير ما تم اقتراحه في السابق من قبل جهات دولية غربية لتسوية الازمة . أكد البيان بالنسبة للازمة في منطقتنا على تأييد الدولتين للتسوية السلمية وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وعلى اهمية التعاون البناء من قبل الفرقاء المعنيين مع الوسيط الدولي يارينغ ، كما اكد رغبة الدولتين في الاسهام في تحقيق النجاح لمهمته . وذكر البيان ايضا ان كلا من البلدين يرى « ان تحقيق مثل هذه التسوية سيفتح الباب امام احتمالات اعادة الوضع في الشرق الاوسط الى طبيعته وسيسمح في شكل خاص بالبحث في اتخاذ خطوات اخرى لتحقيق انفراج عسكري في تلك المنطقة » . ولا لزوم لنا للاستفاضة في التعليق على مدى ضعف هذه « الالتفاتة » في البيان المشترك الى ازمة الشرق الاوسط فقد غابت منه كل اشارة الى الشعب الفلسطيني وحقوقه ، والى رفض اسرائيل الصريح « والخطي » الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة ، والى حق العرب في اللجوء الى « وسائل اخرى غير الوسائل السياسية » من اجل تحرير اراضيهم المحتلة .

وعلى صعيد آخر قام وزير الدفاع السوفياتي الماريشال غريشكو بزيارة كل من سوريا ومصر في النصف الاول من شهر أيار . وترأس الماريشال وفدا على مستوى رفيع جدا ضم رؤساء اركان القوات البرية والجوية والبحرية بالاضافة الى عدد من كبار ضباط الجيش السوفياتي وخبرائه . ويدل تشكيل الوفد على اهمية المحادثات التي جاء الماريشال لاجرائها في البلدين العربيين . وقد استغرقت زيارته لسوريا ٤ أيام قام خلالها بمقابلة الرئيس حافظ الاسد وبزيارة ميناء اللاذقية الذي يستخدمه الاسطول السوفياتي ، كما وقع عدة اتفاقات تقضي بالمزيد من الدعم العسكري السوفياتي للقوات المسلحة السورية . ومن الامور التي لفتت الانتباه في هذه الزيارة عودة الماريشال غريشكو الى التأكيد من جديد على انه للبلدان العربية كل الحق في اتباع « وسائل اخرى » غير التسوية السياسية لاسترداد الاراضي العربية المحتلة وهو الكلام الذي كان قد جاء للمرة الاولى في البيان السوفياتي — المصري المشترك الذي صدر على اعقاب زيارة الرئيس السادات الاخيرة الى موسكو . وبطبيعة الحال تناولت المحادثات بصورة رئيسية ازمة الشرق الاوسط والعلاقات الثنائية بين البلدين وتعزيز « التعاون العسكري بينهما » كما جاء في البيان المشترك الذي صدر على اثر انتهاء الزيارة . وقد ترددت انباء صحفية تقول بأن من اهداف الزيارة ايضا حصول الاتحاد السوفياتي على تسهيلات في سوريا (ومصر ايضا) . وأثناء زيارته لمصر قابل الماريشال الرئيس السادات ووزير الحربية الفريق اول محمد صادق واسفرت المحادثات عن توقيع البلدين اتفاقا جديدا للتسلح كما تابع الضيف برفقة الفريق صادق مناورات بحرية سوفياتية استمرت يومين وهي الاولى من نوعها التي يجريها الاسطول السوفياتي في شرقي البحر الابيض المتوسط .

وبمناسبة الزيارة التي قام بها وزير الخارجية السوري ، عبد الحليم خدام ، الى الصين في النصف الثاني من شهر أيار عادت الحكومة الصينية الى تأكيد موقفها المبدأي والمعروف من موضوع النزاع العربي الاسرائيلي ونضال الشعب الفلسطيني حيث صرح نائب رئيس وزرائها بأن « الحكومة الصينية والشعب الصيني يؤيدان بحزم النضال العادل لشعبي فلسطين وسوريا وشعوب البلاد العربية الاخرى . اننا سنظل دائما نقف الى جانبكم في النضال ضد العدوان والاستفزازات من جانب الامبريالية » .

كذلك أثار الرئيس اليوغوسلافي موضوع الشرق الاوسط مع الزعامة السوفياتية اثناء زيارته لموسكو في الاسبوع الاول من شهر حزيران . وترددت انباء موثوقة بأن الرئيس تيتو شدد في المحادثات على أهمية السلام في الشرق الاوسط بالنسبة لامن أوروبا وللاستقرار في البحر الابيض المتوسط .

اما بالنسبة للولايات المتحدة واوروبا الغربية فلم يطرأ جديد على مواقف أي منهما بما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط . وتلخصت آخر التطورات الجزئية على هذا الصعيد بما يلي : (١) عودة روجرز ، عشية مؤتمر القمة في موسكو ، الى الدعوة لبدء

مفاوضات حول ازمة الشرق الاوسط على ان تجري ضمن اطار قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . (٢) توقيع اتفاق امريكي اسرائيلي جديد في النصف الاول من شهر ايار تحصل اسرائيل بموجبه على ٥٠ مليون دولار كمساعدة امريكية لها « من اجل المحافظة على استقرار اقتصادها في وجه النفقات الدفاعية الباهظة التي تتحملها » . ويضاف الى ذلك مبلغ مليوني دولار أمر الرئيس نيكسون بتخصيصها لاسرائيل من اجل « مساعدة اليهود السوفيات في الهجرة لاسرائيل » . (٣) طلب وزارة الخارجية المصرية من الحكومة الامريكية خفض عدد اعضاء بعثتها في القاهرة الى النصف وسحبهم من البلد خلال شهر وقد جاء هذا الطلب بعد ساعات من انتهاء زيارة الماريشال غريشكو لمصر . واعتبرت الحكومة المصرية هذا الطلب « ردا على السياسة السافرة التي تتبعها الولايات المتحدة في دعم العدوان الاسرائيلي » . وجدير بالذكر ان عدد اعضاء البعثة الامريكية كان قد رفع على اثر زيارة روجرز الى القاهرة في ربيع عام ١٩٧١ . ويبدو ان النتيجة الملموسة الوحيدة التي اسفرت عنها تلك الزيارة قد أزيلت الان . (٤) موافقة الحكومة البريطانية على قيام الشركات الانكليزية ببناء ٣ غواصات لحساب الاسطول الاسرائيلي . وكان هذا الموضوع مدار أخذ ورد بين بريطانيا وبعض الحكومات العربية في محاولة يائسة من قبل الاخيرة لوقف الصفقة او تأخيرها على اساس التذكير بالعلاقات الحسنة التي بدأت تسود بين بريطانيا والعالم العربي .

لا شك في أن أفضل رد على سياسات الدول الامبريالية في منطقتنا كان الخطوة الهامة جدا التي أقدمت عليها السلطات العراقية بتأميم شركة نفط العراق (الاي بي سي) وتضامن الحكومة السورية المباشر عن طريق تأميمها لكافة منشآت الشركة وممتلكاتها في الاراضي السورية . ولا جدال في أن هذا الاجراء يشكل أهم ضربة تم توجيهها الى السيطرة الامبريالية في العالم العربي منذ تأميم قناة السويس . كما انه يشكل تحولا هاما باتجاه تصاعد امكانات استخدام سلاح البترول العربي بصورة فعالة في خدمة أهداف الكفاح التحرري العربي وخاصة كفاح الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة . وبما ان اجراء التأميم هو اول مس حقيقي موجع للمصالح الامبريالية في منطقتنا منذ حرب ١٩٦٧ على القوى الثورية العربية عامة والفلسطينية خاصة التنبه الى احتمال لجوء الاطراف المتضررة ليس فقط الى المزيد من الشراسة في دفاعها عن مواقعها ومصالحها بل ايضا الى اساليب من نوع آخر تتلخص في اظهار مرونة اكبر حيال العودة بصورة أكثر جدية الى فكرة التسوية السلمية وتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ باعتبار ان استمرار وضع أزمة الشرق الاوسط على حاله أخذ يفرز نتائج تمس العصب الحساس للمصالح الاستعمارية في المنطقة . ان السير في مثل هذا الاتجاه يشكل احتمالا ذكيا ممكنا لسلوك الدول الامبريالية على المدى المتوسط ويجدر بنا التنبه الى ذلك منذ الان .

اما على صعيد هيئة الامم فلم يطرأ اي تطور جديد بالنسبة لازمة الشرق الاوسط باستثناء اشعار الحكومة اللبنانية رئاسة مجلس الامن بتهديدات اسرائيل الكثيفة بالاعتداء على الاراضي اللبنانية نتيجة للهجوم الذي قام به الفدائيون اليابانيون على مطار اللد مؤخرا . وشددت شكوى لبنان على ما يمكن ان تؤدي اليه هذه التهديدات من اعتداءات على اراضيه بسبب قضية لا علاقة له بها أصلا . كذلك احتج لبنان الى مجلس الامن على اختراق الطائرات الحربية الاسرائيلية مجاله الجوي على اثر احداث مطار اللد . كما أجرى سلسلة من الاتصالات الدولية لتوليد ما يمكن من الضغط العالمي على اسرائيل للحؤول دون قيامها بأي عمل انتقامي فيه خرق للسيادة اللبنانية . ونتيجة لهذه الاتصالات طلب الامين العام لهيئة الامم من اسرائيل ولبنان (!!) ضبط النفس ، ولم يتخذ مجلس الامن اي اجراء محدد بصدد الشكاوي اللبنانية .

ص. ج. ع.

(٤) المناطق المحتلة

في اعقاب حالة الهيجان المشفوعة بالتوتر التي سادت المناطق المحتلة ، الناجمة عن مهزلة الانتخابات البلدية التي فرضتها سلطات الاحتلال بغرض خلق نواة من الزعامة التقليدية تكون مؤهلة للعمل لحسم القضية الفلسطينية لصالح الاحتلال ، والنابعة من مشروع الملك حسين المؤدي ايضا الى نفس النتيجة ولكن على امل أن ينال النظام الاردني حصة الثعلب من الغنيمة ، أخذت حالة الهدوء والتقاط الانفاس تطبع احداث الشهر الماضي . ووسط حالة الهدوء ظهرت بعض الموضوعات مثل تحركات من قبل الزعامة التقليدية في الضفة الغربية والقطاع تهدف الى خلق كيان فلسطيني ضمن الاحتلال الاسرائيلي . اما الطرف الاسرائيلي فانه يبارك هذه التحركات ويعمل على تسييرها في الاتجاه الذي يخدم مخططاته ، وفي نفس الوقت استمر في سياسته المستمرة والثابتة في المناطق المحتلة : ازالة معالم قديمة واقامة معالم جديدة .

حركة الاستيطان : بعد مرور خمسة اعوام على الاحتلال الاسرائيلي بلغت حصيلة النشاط الاستيطاني في المناطق المحتلة ٣٩ مستوطنة (باستثناء الاستيطان المديني في القدس والخليل): ٢٠ مستوطنة منها اصبحت مدنية و ١٩ مستوطنة ناحال من بينها ست مستوطنات يجري تأهيلها بالسكان المدنيين . وتسير حركة الاستيطان في الوقت الحاضر باتجاهين رئيسيين : ١ – تثبيت ودعم ما اقيم من مستوطنات ، ٢ – العمل على اقامة مستوطنات جديدة .

ففي هضبة الجولان التي تم بها اقامة ١٧ مستوطنة ، تنهمك السلطات المسؤولة عن الاستيطان بتعزيز ودعم المستوطنات هناك . فقد ازدادت ميزانية الاستيطان في الهضبة من ١٦ الى ٢١ مليون ليرة اسرائيلية كما وقررت تخصيص ٤٠٠ دونم في جنوب الهضبة لزراعة حمضيات الكريب فروت التي تعطي اثمارا مبكرة ، خصص ٢٠٠ دونم لمستوطنة « جبعات يوآب » و ٢٠٠ دونم لمستوطنة رموت . وفي نفس الوقت احتفلت السلطات المسؤولة عن الاستيطان بحضور وزير الزراعة « حاييم جباتي » وقائد سلاح الناحال العقيد « تسفي لبنون » بتحويل مستوطنة ناحال جولان الى مستوطنة مدنية . الا ان الامر اللافت للنظر في النشاط الاستيطاني في الهضبة يكمن في موافقة « هكيبوتس هآرتسي » التابع لحزب مبام لاقامة كيبوتس جديد تابع له في الهضبة . ومن الجدير بالذكر ان حزب مبام يؤيد اقامة مستوطنات « امنية » فقط في الهضبة على ان لا يكون اعضاء حركة « هشومير هتسعير » التابعة له هم الذين يشكلون « نواة » المستوطنات، هذا مع العلم ان حركة هشومير هتسعير كانت قد اقامت في السابق كيبوتس « شنير » في شمال الهضبة . ومن الطريف ان اعضاء الحركة كانوا قد بررووا عملهم المناقض لموقفهم بأن كيبوتس شنير لا يقع ضمن هضبة الجولان بل ضمن المنطقة المنزوعة السلاح بين سوريا واسرائيل ، اما الكيبوتس الجديد الثاني الذي سيتبع حزب مبام فسيقام بالقرب من منطقة خسفين وجبين في جنوب الهضبة ، وسيكون من الصعب على الحزب هذه المرة ان يبرر التناقض القائم بين مواقفه وممارساته اللهم الا اذا اعتبر هضبة الجولان برمتها منطقة منزوعة السلاح !

تهويد غور الاردن : لا تزال السلطات الاسرائيلية منهمكة في مخططاتها الرامية الى تهويد منطقة الاغوار . فبالرغم من اقامة شبكة من المستوطنات على امتداد النهر (تسع مستوطنات مدنية وعسكرية) اكتمل بموجبها مشروع الون الخاص بمنطقة الاغوار ، حسب ما ادعت المصادر الاسرائيلية ، فان سلطات الاحتلال لم تكتف بذلك، وتشير مخططاتها بشكل واضح ان مشروع الون لم يكتمل تطبيقه بعد ، فقد كشفت الصحافة العبرية مؤخرا عن وجود مخطط اساسي لاستيطان الاغوار، اعده قسم الاستيطان في المنطقة الشمالية بناء على طلب من الهستدروت الصهيونية العالمية ، وهي الهيئة المسؤولة عن الاستيطان في المناطق المحتلة .

وتبلغ تكاليف المشروع الجديد الذي من المقرر انجازه خلال الاعوام الخمسة او الستة القادمة حوالي نصف مليار ليرة اسرائيلية . ويتضمن المشروع الجديد ثلاث وجهات نظر حول عدد المستوطنات التي ستشاد خلال المدة الانفة الذكر :

(١) وجهة نظر ترى انه من الممكن اقامة ٣٥ مستوطنة ، ويقف وراءها ما يسمى بـ «الامنيين».
(٢) وجهة نظر ترى انه يمكن اقامة ما بين ٢٠-٢٥ مستوطنة ، تعتمد على الزراعة والصناعة .
(٣) وجهة نظر تعتقد بأنه لا تتوفر مصادر مياه واراض كافية لاقامة هذا العدد من المستوطنات ، ولذا فانها تدعو بأن يتضمن المشروع الاساسي اقامة ١٦ - ١٧ مستوطنة ، تعتمد على الزراعة والصناعة .

وقد اظهرت الدراسات التي اجريت في منطقة الاغوار انه يوجد هناك حوالى ١٣٠ ألف دونم من الاراضي القابلة للزراعة تعتبر من اراضي الدولة . وحسب المشروع سيتم بناء مئة وحدة سكنية في كل مستوطنة تؤهل بالعائلات المدنية ، وهذا يعني بأن منطقة الاغوار ستصبح في حال تنفيذ المشروع منطقة يهودية صرفة ، ويكون الاستيطان الاسرائيلي قد أكمل الحلقة من كافة الجوانب على الضفة الغربية التي سيصبح ابتلاعها وهضمها سهلا .

اما حركة الاستيطان في منطقة الخليل فقد أخذت تتعزز حين اتخذت الحكومة بأكثرية الاصوات ومعارضة وزير الاستيعاب نتان بيلد (مبام) قرارا في اواخر شهر ايار ، يدعو الى اقامة ٢٠٠ وحدة سكنية جديدة أخرى في ضاحية كريات أربع في منطقة الخليل ، بالاضافة الى الـ ٢٥٠ وحدة سكنية التي يكتمل بناؤها الان .

وفي قطاع غزة ، حيث اشيدت مستوطنتان ، كفار داروم وناحال نتسريم ، من المقرر ان تكون مستوطنة ثالثة تحمل اسم ناحال مراد قد برزت على الارض بالقرب من مدينة خانيونس . وقد خصصت سلطات الاحتلال للمستوطنة الجديدة ١٣ ألف دونم . ومن الجدير بالذكر ان مستوطنات القطاع تعاني من النقص في كميات المياه ، ولذا فان السلطات الاسرائيلية ستربط هذه المستوطنات بمشروع المياه القطري .

وفيما يتعلق بمشارف رفح في المنطقة الشمالية من سيناء ، حيث اقيمت مستوطنة « سدوت أ » وهي تتشكل من ٥٠ وحدة سكنية ، ويجري العمل على قدم وساق لاقامة مستوطنة ثانية تحمل اسم « سدوت ب » من المقرر ان يتم تدشينها في العام القادم ، كما وهنالك مستوطنة ثالثة في طور الاعداد ، فان نشاط السلطات الاسرائيلية يتمثل الان في ارضاء واسكان السكان العرب الذين اجلوا عنها ، بواسطة منحهم تعويضات عن اراضيهم وبيوتهم ومزروعاتهم التي اصبحت محاطة بسياج بغرض تهويد المنطقة . وقد بذل وزير الدفاع موشيه ديان في الاونة الاخيرة جهودا لاقناع العشائر التي أرغمت على ترك اراضيها قبول تعويضات عنها . ومن الجدير بالذكر أن حجم هذه التعويضات ضئيل (حوالى ٢٠٠ الف ليرة اسرائيلية) مما دفع بعض صحف المعارضة في اسرائيل الى التهكم على الحكومة التي تعتزم تقديم تعويضات عن ١٦٠ ألف دونم بثمن بخس « يعادل قيمة مبنى واحد في شمال تل ابيب » . الا ان افراد القبائل التي اجليت يرفضون حتى الان فكرة التعويضات ويطالبون باعادتهم الى اراضيهم . وقد بعثوا برسائل بهذا المعنى الى رئيسة الحكومة غولدا مئير والى رئيس الكنيست اعلنوا فيها رفضهم لفكرة تلقي اية تعويضات وقال احد زعمائهم الشيخ احمد الحلو : « اننا لن نقبل بالتعويضات ، حتى ولو دفعوا لنا مقابل كل متر مليون ليرة . ان هذه الارض ملكنا وهي لنا على مدى الاجيال ولن نتخلى عنها » (دافار ٧٢/٥/٨) .

تحركات الجعبري والشوا : أخذ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل ، بعد الانتهاء من مهزلة الانتخابات البلدية التي فرضتها سلطات الاحتلال في الضفة الغربية ، يتحرك في محاولة منه لخلق زعامة جديدة في الضفة الغربية تكون مؤهلة للبت في مصير المناطق المحتلة بالقدر الذي تسمح به سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، فهو يدرك كما جاء على لسانه « ان أي حل لا يحظى بموافقة اسرائيل لن تكون له اية قيمة » . ومن خلال هذا المفهوم ومن أجل السعي الى حل يخدم في نهاية المطاف المخططات الاسرائيلية ، تقدم رئيس بلدية الخليل عند منتصف شهر أيار بطلب الى القائد العسكري للضفة الغربية العقيد رفائيل فاردي للسماح بعقد مؤتمر يضم رؤساء البلديات الجدد لكي يتدارسوا اوضاع السكان العرب ويديروها بشكل افضل ، كما طالب بأن تمنح البلديات صلاحيات اوسع بحيث يكون لرئيس البلدية صلاحيات محافظ ، وقال : « انني اعتقد بأن الشعب في الضفة الغربية قلق على مستقبله ولا يدري اين المصير فقد سئمنا الخطابات والتصريحات والمؤتمرات ، ولذا نرجو ان يباح لهم الاجتماع للبحث فيما يهمهم » .

ان دعوة الجعبري لعقد مؤتمر لرؤساء البلديات ليست جديدة ، فقد سبق له وان دعا لعقد مثل هذا المؤتمر اكثر من مرة ، غير ان الجديد في دعوة الجعبري يتمثل في الطلب من أجل توسيع صلاحيات رؤساء البلديات بحيث «يكون لرئيس البلدية صلاحية المحافظ» . ومن المعروف ان اوساطا اسرائيلية معتدلة تدعو الى منح رؤساء البلديات العرب هذه الصلاحية بغرض خلق نواة من الحكام المحليين لاضفاء صفة الليبرالية على الاحتلال الاسرائيلي ، وتنمية هذه النواة لتقود الكيان الفلسطيني لصالح المخططات الاسرائيلية .

الى جانب ذلك ، ومن اجل الحصول على مزيد من الصلاحيات للزعامة التقليدية في الضفة دعا الجعبري الى اقامة مجلس اسلامي اعلى للاهتمام في قضايا المسلمين في الضفة الغربية وفي اسرائيل! ان خطورة الطلب لا تكمن في الدعوة الى اقامة مجلس اسلامي اعلى في الضفة ، بل تكمن في اشتمال الدعوة على عرب المنطقة المحتلة منذ ١٩٤٨ ، وهذا يعني ان الجعبري يريد ان يربط مصير عرب المناطق المحتلة حديثا بمصير عرب المنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ الذين اصبحوا « مواطنين اسرائيليين » بموجب القوانين الاسرائيلية . ان المصير المشترك لكافة ابناء الشعب الفلسطيني امر يفرضه الواقع النضالي ، الا انه في حالة الجعبري يعني شيئا اخر ، المصير المشترك تحت ظل الهيمنة الصهيونية .

وثالثة الاثافي في تحرك الجعبري تكمن في دعوته الى اقامة اذاعة في رام الله تحت اسم « صوت الضفة الغربية وقطاع غزة » . وقد احدثت هذه الدعوة موجة من الاستياء في المناطق المحتلة ، الامر الذي جعل الجعبري يعمل من خلال التستر والتكتم ، الا انه لم يستطع الانكار امام الصحفيين الاسرائيليين بأنه قد تقدم بطلب بهذا الخصوص الى جهاز الحكم العسكري . ويقف الى جانب الجعبري في دعوته هذه صحفيان من الضفة الغربية من عملاء السلطتين الاسرائيلية والاردنية على حد سواء هما صبحي الشريف وعبد الوهاب زاهدة ، وقد قام صبحي الشريف بزيارة لعمان حيث اجتمع هناك مع اركان النظام الاردني ، ثم عاد الى الضفة واجتمع مع ممثلي الجهاز العسكري الاسرائيلي ، خاصة مع العقيد « دافيد فرحي » موضحا له الهدف من وراء اقامة الاذاعة : « من أجل شرح موقف سكان المناطق للدول العربية والعالم كله — انني لا اؤمن بالحروب ... ينبغي على الاسرائيليين ان ينسوا انتصارهم ، وعلى الفلسطينيين ان ينسوا معاناتهم وهزيمتهم » (دافار ٧٢/٥/٩) . ومن المعروف ان صبحي الشريف من المقربين للشيخ محمد علي الجعبري لدرجة ان البعض يلقبه بـ « وزير خارجية الجعبري » . وكان صبحي الشريف قد شغل في الماضي منصب مستشار لشؤون الاعلام في المملكة العربية السعودية ، اما بعد الاحتلال فقد اصبح مقربا من السلطتين الاسرائيلية والاردنية ، ويقوم بين الفينة والاخرى بزيارة عمان للاجتماع باركان النظام الاردني .

الى جانب تحرك رئيس بلدية الخليل وتصريحاته الداعية الى خلق كيان فلسطين تحت كنف الاحتلال ، تحرك زعيم تقليدي اخر في المناطق المحتلة عينته سلطات الاحتلال رئيسا لبلدية غزة « لملء الفراغ الذي نجم عن حملات تصفية المقاومة في غزة » الا وهو رشاد الشوا . لقد اخذ الشوا في الاونة الاخيرة وعلى اثر اعمال التهويد في رفح والقطاع وتصريحات الزعماء الاسرائيليين المتتالية بأن القطاع جزء لا يتجزأ من دولة اسرائيل ، أخذ يدلي بتصريحات مناقضة لمواقف سلطات الاحتلال ويدعو الى ادارة القطاع بواسطة هيئة الامم المتحدة الى ان يحين تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كما ويصرح بأن « القطاع يعتبر جزءا من فلسطين العربية ، كالضفة الغربية ، ونحن سكان المنطقتين اصحاب مصير مشترك » ، الا ان هذه التصريحات التي تبدو في بعض اجزائها وطنية تعتبر لا غطاء لها اذا أخذنا بعين الاعتبار الصداقة التي أخذت تتوطد بين رئيس بلدية الخليل محمد علي الجعبري ورئيس بلدية غزة رشاد الشوا الذي حل في الاونة الاخيرة على رأس وفد يتشكل من ٨٠ وجيها من وجهاء القطاع ضيفا على زميله الجعبري .

وخلال ذلك انهمك قسم اخر من الزعامة التقليدية في الضفة بالعمل على حل بعض القضايا المعلقة مثل تزويد الضفة الغربية بالاسمنت من الضفة الشرقية ، ومسألة فتح البنوك المغلقة في الضفة الغربية . وقد وافقت السلطات الاردنية حسب ما ذكر كل ما لمائق بركات رئيس الغرفة التجارية في القدس ومعزوز المصري رئيس بلدية نابلس ، على اثر زيارة قام بها الاول الى عمان واجتماعه مع اركان النظام الاردني ، على تزويد الضفة الغربية

بالاسمنت من الضفة الشرقية . ومن المقرر ان تصل كمية الاسمنت التي ستشحن الى الضفة ألف طن شهريا . ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاردنية كانت تمانع في الماضي تزويد الضفة الغربية خشية أن يتسرب الى اسرائيل باعتباره « مادة استراتيجية » .

وفي غضون ذلك ، يقوم بعض اثرياء مدينة بيت لحم بالعمل على تأسيس بنك لخدمة سكان الضفة الغربية ، وستقتصر فروعه على الضفة الغربية فقط ، ولن تكون له ارتباطات مع الضفة الشرقية !

المناطق المحتلة في خدمة الاقتصاد الاسرائيلي : تمكنت سلطات الاحتلال خلال الاعوام الخمس الماضية من تحويل المناطق المحتلة الى عامل منعش لاقتصادها سواء عن طريق استغلال الموارد الطبيعية أو استغلال القوى البشرية . وتتمثل العوامل المنعشة للاقتصاد الاسرائيلي في العوامل التالية :

١ ــ استغلال البترول : يشكل بترول المناطق المحتلة عاملا منعشا للاقتصاد الاسرائيلي ، هذا فضلا عن كونه سلعة استراتيجية تطوع لخدمة آلة الحرب الاسرائيلية . فقد بلغت كميات البترول التي تستخرجها سلطات الاحتلال من آبار البترول البرية في منطقة ابو رودس والبحرية في خليج السويس ٦ ملايين طن سنويا ، تقدر بــ ٨٠ مليون دولار . وهذه الكمية تكفي احتياجات اسرائيل من النفط .

٢ ــ الجسور المفتوحة : لقد استغلت اسرائيل الجسور المفتوحة على ضفتي نهر الاردن ، وعملت على تسريب بعض منتوجاتها الفائضة عن حاجتها ضمن منتوجات المناطق المحتلة المشحونة الى الضفة الشرقية والدول العربية الاخرى ، كما وتقوم من خلال هذه الجسور باستيراد المنتوجات التي تحتاجها ، فمثلا تقوم اسرائيل باستيراد الخضار المبكرة التي ينتجها مزارعو الاغوار في الضفة الشرقية بواسطة تجار عرب من سكان المناطق المحتلة ، كما ويقوم هؤلاء بتزويد اسرائيل بما تحتاج اليه من منتوجات من البلدان العربية وعلى سبيل المثال فان المشمش المجفف (قمر الدين) المصنوع في سوريا (انظر ملحق هآرتس ٧٢/٤/٢٢) اصبح يغطي سوق الكرمل في تل ابيب ، بفضل سياسة الجسور المفتوحة .

٣ ــ علاوة على استغلال المناطق المحتلة كمحطة مرور للاستيراد والتصدير بين اسرائيل والعالم العربي ، فان هذه المناطق تعتبر سوقا رائجا للمنتوجات الاسرائيلية وخاصة الصناعية منها .

٤ ــ اقامة معامل اسرائيلية في المناطق المحتلة : نتيجة النقص في الايدي العاملة اليهودية في بعض المرافق ، شجعت الحكومة الاسرائيلية الصناعيين الاسرائيليين على اقامة معامل لهم في المناطق المحتلة بمشاركة وتعاون بعض ارباب العمل العرب ، وتقوم هذه المعامل بانتاج الملابس الجاهزة ومواد البلاستيك والنجارة ومواد البناء .

استغلال الايدي العاملة : تقوم اسرائيل باستغلال الايدي العاملة العربية لصالح اقتصادها . وقد بلغ عدد العمال الذين يعملون عن طريق مكاتب العمل الحكومية حوالى ٤٢ الف عامل حسب الاحصائيات الاخيرة . ومن المحتمل ان يطرأ ارتفاع على هذا الرقم خاصة بعد فتح الحدود عند مطلع شهر ايار بين القطاع واسرائيل ، ويتوزع العمال العرب على مجالات العمل المختلفة بالنسب التالية: ٥٥٪ يعملون في البناء و ٢٦٪ في الزراعة و ١٢٪ في الصناعة و ٧٪ في الخدمات (للتوسع في هذا الموضوع انظر شؤون فلسطينية رقم ٧ ص ٢٦٤) .

عبد الحفيظ محارب

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١/١ — ١٩٧٢/٥/٣١

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	ق.ع.ق.ث.	١/١	١٢٠٠	الجولان/القنيطرة وبير عجم	تفجير	لغم	غير محدود		ناقلة جنود	—	—	—	ح.ع.	٣/
٢	ق.ت.ش.	١/١		الخليل	اشتباك	اسلحة رشاشة	١	١	رشاش عوزي	—	—	—	ص.ف. العدد ٤٩	شباط
٣	ق.ع.ق.ث.	١/٢	١٣٠	الجليل الاعلى/الشيخة	قصف	مدفعية ثقيلة	غير محدود		مهجع وعدد من نقاط المراقبة	—	—	—	ح.ع.	١/٣
٤	ط.ح.ت.ش.	١/٢		غزة/ناحل عوز	تفجير	لغم	غير محدود		سيارة نقل	—	—	—	ط.وج. العدد ٩	شباط
٥	ق.ع.ق.ث.	١/٣	١٧٠٠	الجليل الاعلى/العلم	هجوم	قنابل ورشاشات	غير محدود		كمين	—	—	—	ح.ع.	١/٥
٦	ق.ع.ق.ث.	١/٣	٦٣٠	الجولان/خسفين	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		تجميع للاليات والافراد	—	—	—	ح.ع.	١/٥
٧	ق.ع.ق.ث.	١/٣	٩٠٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	تنص		١						ح.ع.	١/٥
٨	ج.ش.ت.ف.	١/٣	١٠٠	بئر السبع/لاهف	تفجير	عبوات ناسفة		١	تفجير طائرة لرش الاراضي الزراعية	—	—	—	هـ. العدد ١٣٦	١/٢٩
٩	ج.ش.ت.ف.	١/٥	٧٠٠	نتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود			—	—	—	هـ. العدد ١٣٦	١/٢٩
١٠	ج.ش.ت.ف.	١/٥	٢٠٠	كفار سابا	تفجير	عبوات ناسفة	١(١)		عدد من الباصات	—	—	—	هـ. العدد ١٣٦	١/٢٩
١١	ج.ش.ت.ف.	١/٥	١٧٠٠	بئر السبع/اورين	تفجير	عبوات ناسفة			طائرة لرش الاراضي الزراعية	—	—	—	هـ. العدد ١٣٦	١/٢٩
١٢	ق.ع.ق.ث.	١/٦	٢٤٠٠	الجليل الاعلى/ مرجليوت كريات شمونة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/٨
١٣	ق.ع.ق.ث.	١/٦	١٠١٥	الجليل الاعلى/مسكاف عام كفار جلعادي وهونين	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود						ح.ع.	١/٨
١٤	ط.ح.ت.ش.	١/٦		غزة/دير البلح	تفجير	عبوات ناسفة			مبنى الجوازات والهجرة	—	—	—	ط. وج. العدد ٩	شباط
١٥	ج.ش.د.+ف.	١/٧		الجولان	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدود			—	—	—	م.	١/١١
١٦	ف.+ج.ش.ت.ف	١/٩		الجليل الاعلى/المنارة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح. ع.	١/١١
١٧	ق.ع.ق.ث.	١/٩	٦٠٠	صفد	اشتباك	اسلحة خفيفة	غير محدود		غيرمحدود	٣	—	—	ح. ع.	١/١١
١٨	ق.ع.ق.ث.	١/١١	١٢٠	العرقوب	اشتباك	اسلحة خفيفة	٢٠ اصابة			٢	—	—	ح.ع.	١/١٢
١٩	ق.ع.ق.ث.	١/١١		الجليل الاعلى/كريات شمونة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.	١/١٣

				الجليل الاعلى/مسكاف عام/									
٢٢	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/١٣	١٠٠	كفار جلعادي	قصف	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ح٠ع٠	١/١٤
٢٣	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/١٣	٨١٠	الجولان/معسكر تل ابو الذهب	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ح٠ع٠	١/١٥
٢٤	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/١٤	٢١٥	العرقوب	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	٢	٢	—	م٠	١/١٥
٢٥	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/١٥	١٣٠	الجليل الاعلى/أفنيم	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م٠	١/١٦
٢٦	ج٠ش٠ت٠ف٠	١/١٧	٧٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير محولات الضغط العالي للكهرباء	—	—	—	هـ٠ العدد ١٣٨	٢/١٢
٢٧	ج٠ش٠ت٠ف٠	١/١٧	١٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية جامعة تل ابيب وزجاجها	—	—	—	هـ٠ العدد ١٣٨	٢/١٢
٢٨	ج٠ش٠ت٠ف٠	١/١٨		حيفـــا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من معهد نادي حيفـــا	—	—	—	هـ٠ العدد ١٣٨	٢/١٢
٢٩	ج٠ش٠ت٠ف٠	١/١٨		حيفـــا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير مقهى وملهى البحرية	—	—	—	هـ٠ العدد ١٣٨	٢/١٢
٣٠	ج٠ش٠ت٠ف٠	١/١٩	١٨٠٠	غزة/معسكر جباليا	كمين	اسلحة رشاشة	غير محدود	سيارة عسكرية	—	—	—	هـ٠ العدد ١٣٨	٢/١٢
٣١	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/١٩	١٩٠٠	الجولان/القنيطرة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ط٠ وج٠ العدد ٩	٢/١٣
٣٢	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٠	٢٣٠٠	الجولان/نحال هاجولان	قصف	صواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢١
٣٣	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٠	٢٢٢٠	الجولان/معسكر تل ابوالذهب	قصف	هاون ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢٢
٣٤	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٠		الخليـــل	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢٣
٣٥	ج٠ش٠ت٠ف٠	١/٢٣	٢٣٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية الميجر دافيد سمبسون	—	—	—	هـ٠ العدد ١٣٨	٢/١٢
٣٦	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٣	٢٣٣٠	الجولان/خسفين والقنيطرة	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود	آلية	٣	—	—	ح٠ع٠	١/٢٥
٣٧	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٤	١٦٠٠	درعـــا	غـــارة	قنابل			—	١	—	ح٠ع٠	١/٢٦
٣٨	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٤	٥٠٠	مسادة	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢٨
٣٩	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٤	٥٠٠	الجولان/شعار هاجولان	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢٨
٤٠	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٦	١٩٣٠	بيسان	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود	عدد من المنشآت	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢٨
٤١	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٦	٦٣٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	قنص		١	——	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢٨
٤٢	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٦	١٠٣٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	قنص		١	——	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢٨
٤٣	ق٠ع٠ق٠ث٠	١/٢٦		الجولان/تل ابو الغيتار	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدود	عدد من الاليات	—	—	—	ح٠ع٠	١/٢٨
٤٤	ج٠ش٠ت٠ف٠	١/٢٦		غـــزة	تفجير	قنبلة	غير محدود	سيارة عسكرية	—	—	—	هـ٠ العدد ١٣٨	٢/١٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٤٥	ج.ش.ت.ف.	١/٢٧	٩٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠ اصابة		تدمير جزء كبير من مبنى كوبات حوليم	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٤٦	ق.ع.ق.ث.	١/٢٨	٢٠٣٠	الجولان/تل ابو الغيتار وكفر الما	كمين	اسلحة رشاشة	غير محدود		——	—	—	—	ح.ع.ح.	٢/١
٤٧	ق.ع.ق.ث.	١/٢٩	٥٤٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	قنص	—	١	—	——	—	—	—	ح.ع.ح.	٢/١
٤٨	ق.ع.ق.ث.	١/٣٠	٩٣٠	الجولان/ابو الغيثار	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل	٣	—	لاندروفر	—	—	—	ح.ع.ح.	٢/١
٤٩	ق.ع.ق.ث.	١/٣٠	١٨٤٥	الجولان/شعار هاجولان	تصف	صواريخ ثقيلة	—	—	منشآت حيوية	—	—	—	ح.ع.ح.	٢/١
٥٠	ج.ش.ت.ف.	١/٣١	١٢٠٠	ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	٤ اصابات		تدمير سيارتين عسكريتين	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
٥١	ج.ش.ت.ف.(٢)	١/٣١	١٩٠٠	بتاح تكفا	هجوم	اسلحة رشاشة وقنابل	٨ اصابات		تدمير «لوري» عسكري	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
٥٢	ج.ش.ت.ف.	١/٣١	١٨٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		حرق كراج العيزر	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
١	ق.ع.ق.ث.	٢/ ١	١٠٣٠	الجولان/القنيطرة وبقعاتا	نسف	شبكة ألغام	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.ح.	٢/١
٢	ق.ع.ق.ث.	٢/ ٢	١٧٠٠	سيناء	نسف	لغم	غير محدود		سيارة عسكرية	—	—	—	ح.ع.ح.	٢/٥
٣	ج.ش.د.	٢/ ٢	١٢٠٠	الجولان/معسكر الفرضاوي	تصف	صواريخ	غير محدود		تدمير شاحنة عسكرية	—	—	—	م.	٢/٤
٤	ج.ش.ت.ف.	٢/ ٢	١٧٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير وحرق معرض موبيليات ومقهى ومطعم	—	—	—	هـ. العدد ١٣٨	٢/١٢
٥	ق.ع.ق.ث.	٢/ ٥		غزة/حي الزيتون	كمين	اسلحة رشاشة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ح.ع.ح.	٢/٨
٦	ج.ش.ت.ف.	٢/ ٥	١٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير وحرق ثلاث محلات تجارية في شارع هرتسل	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦

٨	ج.ش.ت.ف	٥ /٢	٨٤٥	تل ابيب	تفجير	تنبلة موقوتة	٥ اصابات	تدمير مطعم هتكفا	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
٩	ج.ش.ت.ف.	٥ /٢	١٧٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير مبنى بيت همشلاه	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
١٠	ج.ش.ت.ف.	٥ /٢	١٧٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	ثلاث محلات في شارع حتسمو نشيم (٨٣)	—	—	—	هـ. العدد ١٤٠	٢/٢٦
١١	ق.ع.ق.ث.	٦ /٢		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	حرق مستودع ومطبعة ومتجر	—	—	—	ح.ع.٠	٢/٨
١٢	ق.ع.ق.ث.	٩ /٢	٢٣٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	حرق بعض المنازل وبيت للطلبة	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١١
١٣	ط.ح.ت.ش.	٩ /٢	١٩١٥	غزة	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ط. العدد ١١٩	٣/٦
١٤	ق.ع.ق.ث.	٢/١٠		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	حرق مستودع معسكر دايفيد	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١١
١٥	ج.ش.د.	٢/١١	٧٠٠	الجولان/الدبوسية	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل	غير محدود	مجنزرة	—	—	—	م.٠	٢/١٢
١٦	ق.ع.ق.ث.	٢/١١		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	مستودع بريدي	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٣
١٧	ق.ع.ق.ث.	٢/١٢	٨٢٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٥
١٨	ق.ع.ق.ث.	٢/١٢	٩٢٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٥
١٩	ق.ع.ق.ث.	٢/١٣		غزة/بيت حانون	اشتباك	اسلحة خفيفة	غير محدود	ــــ	١	—	—	ح.ع.٠	٢/١٥
٢٠	ق.ع.ق.ث.	٢/١٣	١١٣٠	الجولان/سحيتا ومسادة	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدود	سيارة عسكرية	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٥
٢١	ج.ش.ت.ف.	٢/١٣	١٨٣٠	غزة/معسكر الشاطىء	تفجير	تنبلة	غير محدود	اعطاب لاندروفر	—	—	—	هـ. العدد ١٤٢	٣/١١
٢٢	ق.ع.ق.ث.	٢/١٤	٢٢٠٥	ناحال هاجولان	قصف	صواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٧
٢٣	ج.ش.د.	٢/١٤		الجولان/قنيطرة	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدود	مدفع رشاش ٥٠٠ ملم	—	—	—	م.٠	٢/١٧
٢٤	ق.ع.ق.ث.(٣)	٢/١٦		تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	مستودعات شركة «امبا»	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٨
٢٥	ق.ع.ق.ث.	٢/١٧	١٦٠٠	يافا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	منجرة	—	—	—	ح.ع.٠	٢/١٩
٢٦	ط.ح.ت.ش.	٢/١٧	١٨٤٥	غزة/دير البلح	تفجير	تنبلة	غير محدود	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	ط. العدد ١١٩	٣/٦
٢٧	ج.ش.د.	٢/١٨		الجولان/موقع جلع ابو تيانة	هجوم	اسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غير محدود	تدمير مجنزرة ودشمه	—	—	—	م.٠	٢/١٩
٢٨	ق.ع.ق.ث.	٢/١٨		حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير مخيم وعدد من السيارات	—	—	—	ح.ع.٠	٢/٢٣
٢٩	ج.ش.د.	٢/١٩	٢٠٠	الجولان/تل ابو ابرهيم	هجوم	اسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غير محدود	تدمير رشاش واصابة مرصد لعدو	—	—	—	م.٠	٢/٢١

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٣٠	ق·ع·ق·ث·	٢/١٩	٢١٣٠	اللد	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		اصابة غرف مطار اللد	—	—	—	ح·ع·ج·	٢/٢٣
						اسلحة رشاشة			تدمير مهجع للعدو					
٣١	ج·ش·د·	٢/٢١	١٢٠٠	الجولان/عين الامام	هجوم	وقذائف صاروخية	غير محدود		اسكات رشاش ١٠٠٦	—	—	—	م·	٢/٢٣
٣٢	ج·ش·د·	٢/٢٢	٢٠٠	الجولان/القنيطرة	كمين	قذائف صاروخية	غير محدود		تدمير نصف مجنزرة	—	—	—	م·	٢/٢٣
٣٣	ج·ش·د·	٢/٢٢		الجولان/تل الصرمان	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود		——	—	—	—	م·	٢/٢٣
									تدمير اجزاء من بنايات					
٣٤	ج·ش·ت·ف·	٢/٢٣	١٢٠٠	بني براك	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		اربع مصانع	—	—	—	هـ· العدد ١٤٢	٣/١١
٣٥	ق·ع·ق·ث·	٢/٢٣	٢٣٠٠	صفد — نهاريا	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود		تدمير سيارة عسكرية	—	١	—	ط· العدد ١١٨	٢/٢٨
٣٦	ق·ع·ق·ث·	٢/٢٣	٢٠٠٠	الجولان/الياقوصة	كمين	اسلحة رشاشة	غير محدود		تدمير آلية	—	—	—	ف·	٢/٢٨
٣٧	ق·ع·ق·ث·	٢/٢٣	١٠٠	الجولان/الياقوصة	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود		غير محدود	—	—	—	ف·	٢/٢٥
									تدمير آلتين للجنود					
٣٨	ج·ش·ق·ع·	٢/٢٤	١٩٤٠	الجليل الغربي/المنصورة	كمين	صواريخ	١٢—١٤ اصابة		ورشاشين ثقيلين	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٠	شباط
٣٩	ج·ش·ت·ف·	٢/٢٤	١٥٠٠	غزة	تفجير	تنبلة	٥ اصابات		اعطاب سيارة	—	—	—	هـ· العدد ١٤٢	٣/١١
٤٠	ق·ع·ق·ث·	٢/٢٤	٢١٣٠	صفد سعسع	كمين	تذائف صاروخية	٧ اصابات		تدمير سيارتين	—	—	—	ف·	٢/٢٦
									تدمير واحراق سيارة					
٤١	ج·ش·ق·ع·	٢/٢٥		الجولان/برختا	تفجير	شبكة الغام	٦ اصابات		ناقلة للجنود	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٢	شباط
٤٢	ج·ش·ت·ف·	٢/٢٦	١٧٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير مستودع للادوية	—	—	—	هـ· العدد ١٤٢	٣/١١
									تدمير مصنع لصناعة					
٤٣	ج·ش·ت·ف·	٢/٢٦	١٧٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		الصناديق	—	—	—	هـ· العدد ١٤٢	٣/١١
٤٤	ج·ش·ت·ف·	٢/٢٦		تل ابيب/كفار كرمي	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير جزء من بناية	—	—	—	هـ· العدد ١٤٢	٣/١١
									تدمير جزء من مصنع					
٤٥	ط·هـ·ت·ش·	٢/٢٧	٢٢٠٠	غزة	تفجير	تنبلة موقوتة	غير محدود		للحمضيات	—	—	—	ط· العدد ١١٩	٣/٦
									تدمير وحرق اجزاء من					
٤٦	ج·ش·ت·ف·	٢/٢٧	٩٠٠	باقة الغربية	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		ثلاثة مصانع للتجارة	—	—	—	هـ· العدد ١٤٢	٣/١١

٤٧	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٧	٢٢٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠ اصابة	تدمير جزء من فندق مزراحي	—	—	—	هـ. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٨	ج.ش.ت.ف.	٢/٢٧	٢١٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير وحرق معمل للنجارة ومستودع	—	—	—	هـ. العدد ١٤٢	٣/١١
٤٩	ج.ش.د.	٢/٢٨	٣٠٠	الجولان/الصرمان والقنيطرة	نسف	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير ٥٠٠ متر من الشبك الالكتروني	—	—	—	م.	٢/٢٩
٥٠	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٨	١١٠٠	الجولان/خسفين	قصف	الهاون	غير محدود	عدد من المنشآت	—	—	—	ف.	٣/١
٥١	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٨	١٢٠٠	الجولان/ابو خيط	قصف	الهاون	غير محدود	حرق تجمع للآليات	—	—	—	ف.	٣/١
٥٢	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٨	٢٣٣٠	الجولان/كفر الما ومعسكر ابو خيط	قصف	الهاون	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/١
٥٣	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٨		الجولان/الحمة	قصف	تذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/١
٥٤	ق.ع.ق.ث.	٢/٢٩	٥٠٠	الجولان/خربة عيون	قصف	تذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/١
٥٥	ق.ع.ق.ث.(٤)	٢/٢٩	١٠٠	بيادر شبعا ومنطقة رويسات الشرقية	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدود	اصابة آلية	—	—	—	ف.	٣/١
١	ج.ش.ت.ف.	٣/١		عكا	تفجير	ألغام	٢٠ اصابة	تدمير سيارة نقل عسكرية	—	—	—	هـ. العدد ١٤١	٣/٤
٢	ج.ش.د.	٣/١	٥٣٠	الجولان/الدبوسية	كمين	اسلحة رشاشة وصواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.	٣/٢
٣	ق.ع.ق.ث.	٣/١		تل ابيب	تفجير	القاء قنبلة	غير محدود	اعطاب سيارة	—	—	—	ف.	٣/٣
٤	ق.ع.ق.ث.	٣/١	٢٣٠٠	الجولان/القنيطرة	هجوم	مدافع صاروخية ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/٤
٥	ف.+ج.ش.د.	٣/٣	٢٤٥	الجولان/الفرضاوي	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.	٣/٤
٦	ق.ع.ق.ث.	٣/٤		تل ابيب	تفجير	عبوات حارقة	غير محدود	تدمير مصنع للحلوى	—	—	—	ف.	٣/٥
٧	ق.ع.ق.ث.	٣/٨		النقب/عين ياهيف	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	٣	—	—	ط. العدد ١٢٣	٤/٣
٨	ج.ش.ت.ف.	٣/٩	١٧٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير وحرق اربع محلات تجارية	—	—	—	هـ. العدد ١٤٤	٣/٢٥
٩	ج.ش.ت.ف.	٣/١٠	٢٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير اجزاء من ثلاث مبان	—	—	—	هـ. العدد ١٤٤	٣/٢٥

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
١٠	ج.ش.د.	٣/١١	١٢١٠	ترشيحا	تفجير	عبوات ناسفة وألغام	غير محدود	تدمير جزء من مبنى مدرسة ترشيحا وتدمير سيارة لاندروفر	—	—	—	م.	٣/١٥
١١	ق.ع.ق.ث.	٣/١٢		طبريا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير مطعم حونشي	—	—	—	ط. العدد ١٢١	٣/٢٠
١٢	ق.ت.ش.	٣/١٢		تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية	—	—	—	ط. العدد ١٢٠	٣/١٣
١٣	ج.ش.د.	٣/١٥		حوارة (الاردن)	هجوم	اسلحة رشاشة صواريخ وتنابل	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م	٣/٢٠
١٤	ج.ش.د.	٣/١٦		اربد/عقربة	تفجير	شبكة الغام	غير محدود	تدمير ناقلة جنود	—	—	—	م	٣/٢٠
١٥	ج.ش.ت.ف.	٣/١٦		عكـا	تفجير	شبكة الغام	٧ اصابات	غير محدود	—	—	—	هـ. العدد ١٤٤	٣/٢٥
١٦	ق.ع.ق.ث.	٣/١٨		المفرق/المرجلة	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/٢٣
١٧	ج.ش.د.	٣/١٩	٢١٣٠	الجولان/القنيطرة	كمين	تذائف صاروخية	غير محدود	تدمير جزء من اسلاك الانذار الالكترونية	—	—	—	م.	٣/٢١
١٨	ج.ش.د.	٣/٢٢	٢٠٠	الجولان/كفر الما	كمين	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	تدمير آلية نصف مجنزرة	—	—	—	م.	٣/٢٣
١٩	ق.ع.ق.ث.	٣/٢٣		خان يونس	اشتباك	اسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	٢	—	—	ف.	٣/٢٤
٢٠	ج.ش.د.	٣/٢٣	٧٠٠	الجولان/عين الواويات	قصف	صواريخ	غير محدود	غير محدود	١	—	—	م.	٣/٢٨
٢١	ق.ع.ق.ث.	٣/٢٣	٧٠٥	الجولان/معسكر تل ابوالذهب	هجوم	تذائف صاروخية واسلحة ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٣/٢٦
٢٢	ج.ش.د.	٣/٢٤	٦٣٠	الجولان/الدبوسية	كمين	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	٤	تدمير نصف مجنزرة	—	—	—	م.	٣/٢٥
٢٣	ج.ش.د.	٣/٢٤	٣٠٠	الجولان/كفر الما	هجوم	اسلحة رشاشة وتذائف صاروخية	غير محدود	اعطاب عدد من الاليات	—	—	—	م.	٣/٢٥
٢٤	ط.ح.ت.ش.	٣/٢٤	٥٠٠	خان يونس	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	١	—	—	ط. العدد ١٢٥	٤/١٧
٢٥	ق.ت.ش.	٣/٢٥		غزة/بيت لاهيا	اشتباك	اسلحة رشاشة وتنابل	غير محدود	غير محدود	١	—	—	ط. العدد ١٢٣	٤/٣

٢٦	ق.ع.ق.ث.	٣/٢٦	٢٠٠	الجولان/الدبوسية	هجوم	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.		٣/٢٧
٢٧	ج.ش.د.	٣/١٧	٢٠٠	الجولان/القنيطرة	تصف	صواريخ وأسلحة متوسطة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.		٣/٢٨
٢٨	ج.ش.د.	٣/٢٩			دورية	—	—		١	—	—	م.		٣/٣٠
٢٩	ج.ش.د.	٣/٢٩		الاردن/الزرقاء	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اصابة مقر المشير حابس المجالي	١	—	—	م.		٤/٢
٣٠	ط.ح.ت.ش.	٣/٢٩	٨٣٠	غزة	تفجير	الغام	غير محدود	سيارة عسكرية	—	—	—	ط.	العدد ١٢٥	٤/١٧
٣١	ج.ش.ت.ف.	٣/٢٩		تل ابيب	هجوم	قنابل	١	استيلاء على ١٩ الف ليرة من بنك لئومي	—	—	—	هـ.	العدد ١٤٧	٤/١٥
٣٢	ج.ش.ت.ف.	٣/٣٠	١٩٠٠	اسدود	تفجير	عبوات ناسفة	٤	غير محدود	—	—	—	هـ.	العدد ١٤٧	٤/١٥
١	ج.ش.د.	٤/ ٢	٢٢١٥	حانوتا والبصة	تصف	شبكة صواريخ	غير محدود	عدد من المنازل ومطعم ودار سينما	—	—	—	م.		٤/٥
٢	ج.ش.ت.ف.	٤/ ٢		تل ابيب/محطة الباصات المركزية	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	هـ.	العدد ١٤٧	٤/١٥
٣	ق.ع.ق.ث.	٤/ ٣		البيرة ورام الله	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	نسف خط انابيب المياه	—	—	—	ف.		٥/٢٤
٤	ج.ش.ت.ف.	٤/ ٧	٨٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية	—	—	—	هـ.	العدد ١٥٠	٥/٦
٥	ق.ع.ق.ث.	٤/ ٨		عمان/الاردن	تفجير		—	تدمير سيارتي عبدالله التل وموسى ابو الراغب	—	—	—	ف.		٤/١٩
٦	ق.ع.ق.ث.	٤/ ٩		مجدل بني فاضل	تفجير	عبوات ناسفة	—	تدمير انابيب المياه	—	—	—	ف.		٥/٢٤
٧	ق.ع.ق.ث.	٤/١٠		عمان/الاردن	تفجير		١ —	تدمير سيارة الشريف ناصر بن جميل	—	—	—	ف.		٤/١٩
٨	ج.ش.ت.ف.	٤/١٢	٢٢٠٠	ايلات	تفجير	عبوات ناسفة في سيارتين استولت عليهما	غير محدود	تدمير كبير في شركة كهرباء تل ابيب — يافا وتحطيم زجاج مبنى الشرطة « الماتيه ارتسيه »	—	—	—	هـ.	العدد ١٥٠	٥/٦

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
٩	ج.ش.ت.ف.	٤/١٢		صفد	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النار في عدة ابنية	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
١٠	ق.ع.ق.ث.	٤/١٢		العريش/سيناء	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من استراحة للعدو	—	—	—	ف.	٤/١٧
١١	ج.ش.د.	٤/١٢	٢٤٠٠	الجولان/القنيطرة	قصف	شبكة صواريخ	غير محدود	تدمير سيارة عسكرية وتدمير مخزن وقود	—	—	—	م.	٤/١٤
١٢	ج.ش.د.	٤/١٣		الجولان/معسكر عين الواويات	قصف	صواريخ	٧ اصابات	تدمير نصف مجنزرة واشعال النار في بركس	—	—	—	م.	٤/١٤
١٣	ج.ش.ت.ف.	٤/١٣		رمات جان	تفجير	لغم	غير محدود	سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
١٤	ج.ش.ت.ف.	٤/١٣	٩٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النار في مبنى صحيفة يديعوت احرونوت	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
١٥	ق.ع.ق.ث.	٤/١٣		عمان/الاردن	هجوم على موكب الامير حسن		غير محدود	تدمير سيارتين	٢	—	—	ف.	٤/١٩
١٦	ق.ع.ق.ث.	٤/١٦	٢٠٠٠	العريش/سيناء	تفجير	الغام	٤ اصابات	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	ف.	٤/١٧
١٧	ق.ع.ق.ث.	٤/١٦	١٧٣٠	ادنه/الخليل	اشتباك	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غير محدود	غير محدود	—	—	١	ف.	٤/١٩
١٨	ج.ش.ت.ف.	٤/١٦	٢١٠٠	ايلات	تفجير	الغام	١٧ اصابة	تدمير شاحنة عسكرية	—	—	—	هـ. العدد ١٥٠	٥/٦
١٩	ط.ح.ت.ش.	٤/١٧		عين هاشلوت ونيرم	تفجير	شبكة الغام	٢ —	تدمير نصف مجنزرة	—	—	—	ط. وج. العدد ١٣	حزيران
٢٠	ج.ش.د.	٤/١٧	١٠٠	الجولان/جسر الرقاد	قصف	شبكة صواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.	٤/١٨
٢١	ق.ع.ق.ث.	٤/١٧		تل ابيب/حي ابادين	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة واعطاب عدد آخر	—	—	—	ط. وج. العدد ١٣	حزيران
٢٢	ق.ع.ق.ث.	٤/١٨	٢١٣٠	الجولان/الياقوصة	هجوم	تذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.	٤/١٩

٢٣	ج.ش.ت.ف.	٤/١٨	٩٠٠	الرملة	تفجير	عبوات ناسفة في سيارة استولي عليها	غير محدود	تدمير جزء من « شركة الصناعة »	—	—	—	ه.	العدد ١٥٠	٥/٦
٢٤	ج.ش.د.	٤/١٩	٩٠٠	الجولان/تل الصرمان	قصف	صواريخ	غير محدود	تدمير سيارة لاندروفر واصابة موقع رشاش ٥٠٠	—	—	—	م.		٤/٢٠
٢٥	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٠	١٠٠	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية	—	—	—	ف.		٤/٢٣
٢٦	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٠		قرية ساقية/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير ٣ سيارات	—	—	—	ط. وج.	العدد ١٣	حزيران
٢٧	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٠		الشجرة/شمال الاردن	رد على نيران الجيش الاردني	اسلحة رشاشة وقذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.		٤/٢٤
٢٨	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٠		ام القطين/الاردن	رد على نيران الجيش الاردني		غير محدود	تدمير آلية عسكرية	—	—	—	ف.		٤/٢٦
٢٩	ج.ش.ق.ع.	٤/٢١	١٩٥٥	مزرعيت والبصة	اشتباك	اسلحة مختلفة	٤ اصابات	غير محدود	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٣		
٣٠	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٢		الطرة/الاردن	رد على نيران الجيش الاردني	اسلحة مختلفة	غير محدود	اصابة مخفر الطرة	—	—	—	ف.		٤/٢٣
٣١	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٢		كركوف/الاردن	رد على نيران الجيش الاردني	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.		٣/٢٤
٣٢	ج.ش.ت.ف.	٤/٢٤	١٢٠٠	شمونات افيفيم/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة في سيارة استولي عليها	غير محدود	تدمير بناية مصنع « بهللوم » للماس والذهب	—	—	—	ه.	العدد ١٥٠	٥/٦
٣٣	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٤		كوم الرف/شمال الاردن	رد على نيران الجيش الاردني	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير سيارة عسكرية اصابة مقر لواء الامام	—	—	—	ف.		٤/٢٦
٣٤	ج.ش.د.	٤/٢٤	٢٠٠	اربد/شمال الاردن	قصف	صواريخ	غير محدود	علي	—	—	—	م.		٤/٢٧

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	خسائر المقاومة جريح	خسائر المقاومة مفقود	المصدر	تاريخه
٣٥	ج.ش.د.	٤/٢٥		الجولان/تل ابو القيثار	قصف	صواريخ	غير محدود	تدمير احد المواقع العسكرية ورشاش ٥٠٠	—	—	—	م.	٤/٢٧
٣٦	ج.ش.د.	٤/٢٦		الجولان/الياقوصة	اقتحام	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير رشاش ٨٠٠ وحاملة جنود	—	—	—	م.	٤/٢٧
٣٧	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٦	١٨٠٠	ناتانيا وكفار يونا	تفجير	عبوات ناسفة	٣ اصابات	غير محدود	—	—	—	ف.	٥/٢٤
٣٨	ج.ش.د.	٤/٢٧		الجولان/القنيطرة	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير ٥٠٠ متر من التحصينات الالكترونية	—	—	—	م.	٤/٢٩
٣٩	ج.ش.د.	٤/٢٧	٣٣٠	الجولان/قرية الحميدية	قصف	صواريخ	٥ اصابات	تدمير سيارة عسكرية واصابة مهجع للعدو	—	—	—	م.	٤/٢٩
٤٠	ق.ع.ت.ث.	٤/٢٧		قرية ساقية اوريهودا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة وحرق اخرى	—	—	—	ف.	٤/٢٨
٤١	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٧		قرية بني غراب/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة	—	—	—	ف.	٤/٢٨
٤٢	ق.ع.ق.ث.	٤/٢٨	٢٠٣٠	دير البلح	كمين	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير آلية واعطاب اخرى	١	—	—	ف.	٥/٣
٤٣	ج.ش.ت.ف.	٤/٢٨		تل ابيب ويافا	هجوم	غير محدود	٤ اصابات	الاستيلاء على ١٠ آلاف ليرة اسرائيلية من بنك لئومي في تل ابيب وبنك هبوعليم في يافا	—	—	—	هـ. العدد ١٥٢	٥/٢٠
٤٤	ج.ش.ق.ع.	٤/٢٩			تفجير	شبكة ألغام صواريخ وأسلحة	٥ اصابات	تدمير نصف مجنزرة ورشاش ٥٠٠	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٤	
٤٥	ج.ش.د.	٤/٢٩		الجولان/عين الامام	كمين	رشاشة	غير محدود	تدمير آلية	—	—	—	م.	٤/٣٠

١	ق.ع.ق.ث.	١/٥		القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	ف.		٥/٢
٢	ج.ش.د.	١/٥	٢٠٠	الجولان/تل ابو القيثار	هجوم	صواريخ	٨ اصابات	تدمير موقع عسكري	—	—	—	م.		٥/٣
٣	ج.ش.ت.ف.	١/٥	١٠٠٠	غـزة	تفجير	القاء قنبلة	١ ١	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	هـ.	العدد ١٥٢	٥/٢٠
٤	ج.ش.ت.ف.	٢/٥	٧٠٠	شخونات ناتانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من مبنى	—	—	—	هـ.	العدد ١٥٢	٥/٢٠
٥	ق.ع.ق.ث.	٢/٥	١٧٣٠	الجولان/تل عباس	تفجير	شبكة ألغام	غير محدود	تدمير آلية للعدو	—	—	—	ف.		٥/٦
٦	ج.ش.ت.ف.	٤/٥		ديمونه	تفجير	شبكة الغام	١٥ اصابة	تدمير سبعة امتار من خط سكة الحديد وقاطرتين	—	—	—	هـ.	العدد ١٥٢	٥/٢٠
٧	ج.ش.د.	٥/٥	٥٠٠	الجولان/معسكر عين الواويات	قصف	صواريخ	غير محدود	تدمير آليات واشعال النيران في المعسكر	—	—	—	م.		٥/٧
٨	ج.ش.د.	٦/٥	٢٣٠٠	الجولان/الياقوصة	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	تدمير صهريج للماء وناقلة جنود	—	—	—	م.		٥/٩
٩	ق.ع.ق.ث.	٦/٥		رامات جان/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة	—	—	—	ف.	اسبوعية العدد٣٣٧	٥/١٠
١٠	م.ا.ا.	٨/٥	١٩٣٠	مطار اللد/تل ابيب	خطف طائرة	اسلحة خفيفة	——	——	٣	—	١	ف.		٥/٩
١١	ج.ش.د.	٨/٥	٢٠٠	الطرة/الاردن	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود	تدمير آلية واشعال النيران في مركز قيادة لواء اليرموك	—	—	—	م.		٥/١٠
١٢	ج.ش.ت.ف.	٨/٥		ايلات	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النيران في مكاتب شركة زيم	—	—	—	هـ.	العدد ١٥٢	٥/٢٠
١٣	ج.ش.د.+ف.	٥/١٥		الجولان/تل ابو القيثار	قصف	صواريخ	غير محدود	اشعال النيران في الموقع وتدمير آليات	—	—	—	م.		٥/١٨
١٤	ج.ش.د.+ف.	٥/١٦	٢٤٠٠	الجولان/جبين	قصف	صواريخ ثقيلة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.		٥/١٨
١٥	ج.ش.د.+ف.	٥/١٦	٢٤٠٠	الجولان/الدبوسية	قصف	صواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	م.		٥/١٨
١٦	ق.ع.ق.ث.	٥/١٦		سمخ	قصف	صواريخ	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف.		٥/١٨
١٧	ق.ع.ق.ث.	٥/١٧	٢٢٣٠	الجولان/ناحال هاجولان	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غير محدود	تدمير موقع رشاش ٥٠٠	—	—	—	ف.		٥/١٨
١٨	ق.ع.ق.ث.	٥/٢٣	٢١٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير كافتيريا تقع في شارع بن يهودا	—	—	—	ف.		٥/٢٥

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١٩	ج.ش.د.	٥/٢٣	٢٠٠	الجليل/مستعمرة المنصورة	قصف	صواريخ عيار ٣٥ بوصة	غير محدود		تدمير مصنع للحليب تدمير جزء من خط سكة الحديد (تل ابيب — بئر السبع)	—	—	—	م.	٥/٢٤
٢٠	ق.ع.ق.ث.	٥/٢٤		منطقة كريات جان	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود			—	—	—	ف.	٥/٢٤
٢١	ف.+ج.ش.د.	٥/٢٧		الشجرة/الاردن	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود		تدمير آلتين	—	—	—	م.	٥/٢٩
٢٢	ف.+ج.ش.د.	٥/٢٨		حرساء/الاردن	اشتباك	غير محدود	غير محدود		غير محدود	—	—	—	م.	٥/٢٩
٢٣	ق.ع.ق.ث.	٥/٣٠	٥٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود		تدمير واشعال النيران في الملهى الليلي مندلي	—	—	—	ف.	٥/٣١
٢٤	ج.ش.ت.ف.	٥/٣٠	٢١٤٥	مطار اللد/تل ابيب	هجوم على مطار	اسلحة رشاشة وتنابل	٢٦	٧٨	تدمير طائرتين وتدمير قاعة الوصول	٢	—	١	هـ. العدد ١٥٤	٦/٣

(١) ضابط المخابرات زلمان زيلبرغ

(٢) لا بد في نهاية جدول شهر كانون الثاني من الاشارة الى عملية « الطرود المتفجرة » التي اعلنت كل من « فتح » و « الجبهة الشعبية — القيادة العامة » مسؤوليتها عنها حيث أثارت هذه العملية القلق والخوف في مختلف انحاء اسرائيل طوال هذا الشهر .

(٣) أعلنت جبهة التحرير الوطني الفلسطيني (ج. ت. ف.) مسؤوليتها عن الحادث في بيان نشرته « المقاومة » بتاريخ ٧٢/٢/١٩ .

(٤) هناك حدثان في شهر شباط يجب اضافتهما : ١ — نفذت منظمة ايلول الاسود يوم ٢/٦ عمليتين واحدة في بافنشتاين في هولندا واستهدفت شركة ضخ الغاز « نيدير لاندس غازونو » ، وأخرى في هامبورغ في المانيا الغربية واستهدفت مصانع شفريزر التي تنتج وحدات الكترونية ومعدات كهربائية ، وذلك لتعاون كلا المؤسستين مع اسرائيل . ٢ — قام العدو الاسرائيلي بهجوم شامل على العرقوب بين ٢/٢٥ — ٢/٢٩ وقد اسقطت للعدو طائرتا فانتوم وسكاي هوك كما تم تدمير ١١ آلية وخسر ١٣٠ جنديا وضابطا بين قتيل وجريح . هذا وسقط على ارض المعركة ٤٧ شهيدا من قوات الثورة وجرح ٦٤ آخرين . تفاصيل العدوان والمعارك يمكن مراجعتها خلال نشرة « فتح » ونشرة « المقاومة » .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

١ — ق.ع.ق.ث. : القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية

٢ — ط ح ت ش : طلائع حرب التحرير الشعبية — قوات الصاعقة

٣ — ج ش ت ف : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

٤ — ج ش د : الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين

٥ — ج ش ق ع : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة

٦ — ق ت ش : قوات التحرير الشعبية

٧ — ح.ع. : حصاد العاصفة : نشرة اخبارية كانت تصدر عن مكتب اعلام فتح في بيروت .

٨ — ص.ف. : صوت فلسطين : مجلة شهرية تصدرها ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني .

٩ — ط. وج. : الطلائع والجماهير : مجلة شهرية تصدر عن طلائع حرب التحرير الشعبية في لبنان .

١٠ — هـ. : الهدف : مجلة اسبوعية تصدر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيروت .

١١ — م. : المقاومة : نشرة اخبارية يومية تصدر عن الجبهة الشعبية الديمقراطية في بيروت .

١٢ — ط. : الطلائع : مجلة اسبوعية ناطقة بلسان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية تصدر في دمشق .

١٣ — ف. : فتح : نشرة اخبارية يومية صدرت بعد توقف نشرة حصاد العاصفة عن الاعلام المركزي لحركة « فتح » .

١٤ — م. ا. ا. : منظمة ايلول الاسود .

اسرائيليات

محمود درويش

[١]

ستة أيام .. وخمسة أعوام

هل أنتهت ؟

هل تحولت الى ذكريات ؟

لقد مرت خمس سنوات ، ومـا زالت الاسئلة ملتهبة . سكوت المدافع لا يكـون دائما نهاية الحرب . مرة يقولون : في الصيف القادم ، ومرة أخرى في الخريف القادم. وحين يستعيد الاسرائيليون أحداث معارك الخامس من حزيران فانهم لا يتكلمون عن شيء مضى وانقضى . انهم يتحدثون عن فصل له بقية ، ويتساءلون : متى تنشب الحرب القادمة؟ ويعترفون بأنهم أخطأوا التقدير حين اعتقدوا ان حرب الايام الستة هي خاتمة الحروب في هذه المرحلة التاريخية من صراعهم مع العرب . ومن هنا ، لا يحتاج المراقب الى كثير من الجهد حين يلاحظ ان الاسرائيليين يستعدون للحرب القادمة . ولكن ، ما هو شكل هذه الحرب ، هل هي نسخة عن حروبهم السابقة ؟

وحين ينظر الاسرائيليون الى الخامس من حزيران الاول ، فهل يكشفون كل اسرار الحرب ؟ في كل ذكرى يقدمون سرا جديدا . ولكن اسرار الحرب الاساسية لا تزال طي الكتمان لانها شديدة الصلة بالحرب القادمة . ومـن الاسرار التي كشفها مسؤولون اسرائيليون في حديثهم اليوم عن تلك الايام موضوعان هامان : الدور الامريكي ، أولا ، ودافعهم الى شن الحرب ثانيا .

وحين يستعرض الاسرائيليون حصيلة السنوات الخمس ، فكيف يبدون ؟ قلقين أم راضين . وكيف يقيمون مكاسبهم ؟

وحين يراجع الاسرائيليون هذه المكاسب ، وعلى رأسها التوسع الاقليمي ، فكيف يفكرون بمستقبل المناطق التي احتلوها ؟ وكيف يفهمون السلام ، وما هي شروطهم لاحلال السلام ؟

هذه الاسئلة ، وكثيرة غيرها أخذت شكلا ملحا من الطرح ، حين احتفلوا بالذكرى الخامسة لحرب حزيران. وسنحاول الاجابة عليها من خلال استقراء تصريحاتهم ومواقفهم التي أعلنوها أو جددوا اعلانها في هذه الذكرى . ولا ينبغي ان نمر دون تسجيل ملاحظة على جو الاحتفال الاسرائيلي بذكرى نصرهم العسكري . لقد كانت السنة التي سبقت الذكرى الاخيرة تشير ، لاسباب محلية وعربية ودولية ، الى ان احتفالهم الخامس سيكون « أجمل الاحتفالات » بالنسبة لهم ، وأكثرها أمانا واحساسا بالاستقرار والطمأنينة ، الى ان جاءت عملية مطار اللد وقلبت الحسابات النفسية رأسا على عقب ، **لانها لطمت الاسرائيليين بالسؤال التاريخي الشهير : أين الامن؟** ولقد أراد رئيس الاركان الجنرال دافيد اليعازر ان يلغي شرعية السؤال ، وان يطمئن الاسرائيليين الى ان هذه العملية ليست نهجا قتاليا أو طريقة في محاربة الاسرائيليين ، وانما هي بمثابة **« كارثة طبيعية »** . « قد تحدث كارثة طبيعية واحدة او أكثر ، ولكنها لا تشير الى أسلوب والى طريق حرب جديدة » . ولعل الجنرال الاسرائيلي لم يفطن الى ان تقديره للحادث بأنه « كارثة طبيعة » يسقط عن التهديدات الاسرائيلية التي أعقبتها كل المبررات القانونية والسياسية . **فليس من المنطق بشيء ان تقوم دولة بتهديد دول اخرى بسبب وقوع زلزال او هزة ارضية في تلك البلاد** . فان هذا السلوك يشبه التهديد باحتلال الالهة والسيطرة على القضاء والقدر . ليس الجنـرال الاسرائيلي ،

بالطبع ، ساذجا الى هذا الحد . فالاولوية عند الاسرائيليين ليست البحث عن شرعية الاعتداء ، وانما هي اختيار مناسبة للاعتداء ، مع الاستهانة الشديدة بقدرات الاخرين واهانتهم .

وهكذا ، تميز الاحتفال الاسرائيلي الخامس بذكرى الخامس من حزيران بالتساؤل عن الامن لدى المواطن العادي ، وباشاعة الجو الحربي وتنمية مشاعر الثار من جانب السلطة .

« ستة أيام ، وخمس سنوات » .

تحت هذا الشعار أجرى الاسرائيليون حسابات الماضي والحاضر والمستقبل .

« ستة أيام من التقاط الانفاس ، بوحدة عجيبة ، ورأس منحنية ، وقبضة مطبقة نحو هدف واحد مشترك ... ستة أيام من الجهود الضخمة للفرد في خدمة المجموع . مجهود تكلل بالنجاح . وبعد ذلك خمس سنوات . كل واحدة منها تتميز بميزة خاصة . سنوات يتألم كل واحد فيها من مشاكله ، المواطن والدولة : سنة **من الانتظار لرنين التليفون من الجانب الاخر** . وسنة **من المعارك السياسية والضغوط من اجل الانسحاب دون قيد او شرط .** وسنة **من الاستنزاف انتهت بوقف اطلاق النار .** وسنة **من المبادرات الامريكية المرفوضة** . وسنة **من التعرض للنقل الجوي » .**

بهذا التحديد الدقيق لكل سنة من السنوات الخمس التي تلت المعارك ، احتفل راديو اسرائيل بالذكرى . ولم ينس تسجيل خيبة أمل واحدة تلهث وراءه كل هذه السنين ، وهو يزداد ابتعادا : السلام — السلام الذي انتظره ديان بمكالمة تليفونية من العرب . وقال الوزير يسرائيل غاليلي عشية الذكرى الخامسة : « لقد ارتكبنا خطأ في تقييم التطورات . لقد أملنا بأنه بعد الانتصار في حرب الايام الستة ستكون هنالك استجابة عربية للسلام ، حيث كان لهم ما يسترجعونه ، لكن هذا الامل لم يتحقق حتى الان » .

ولكن رئيسة وزراء اسرائيل غولدا مئير تعتقد انه بعد خمس سنوات من الحرب يبدو لها ان «اسرائيل والعرب أصبحوا أكثر اقترابا من السلام مما كانوا عليه في الماضي . ولا أقصد ان الزعماء العرب أصبحوا على استعداد للجلوس معنا ، ولكنني متفائلة مما يحدث في السنوات الاخيرة » (معريف ٧٢/٦/٥) .

وفي السنة الخامسة ، يبدو الاسرائيليون أكثر صراحة مما كانوا عليه في الماضي ، في ربطهم الوثيق بين السلام والتوسع الاقليمي . وقد نشأ ذلك عن غياب عوامل الضغط العملية عليهم خاصة في الفترة التي أعقبت انتهاء حرب الاستنزاف ومذبحة أيلول وتصاعد المساعدات الامريكية لهم .

وقد حدد وزير الدفاع الاسرائيلي موشه ديان في حديث نشرته معريف في ٧٢/٦/٦ الخطوط الاساسية التي تضعها اسرائيل شرطا للسلام بما يلي : « فيما يتعلق ببرنامج السلام الاسرائيلي ، فان خطوطه العامة واضحة . قالت اسرائيل انها لن تنزل عن هضبة الجولان ، وان نهر الاردن هو حدودها الامنية ، وانها لن تعود الى الحدود السابقة . وستبقى في شرم الشيخ » . وأوضح ديان أن هذه الخطوط ليست دقيقة ولكنها الخطوط التي ستكون اسرائيل « مستعدة » للتفاوض حولها. وقال بتحديد أكثر : « ان السلام ، بالنسبة لنا ، ليس استسلاما . **والبرنامج الذي سيقبله العرب شرطا للسلام لن تقبله اسرائيل » .**

وفي السنة الخامسة أيضا ، اضافت اسرائيل الى مطالبها الاقليمية مطلبا آخر لم تعلنه ، بشكل سافر ، من قبل وهو : قطاع غزة . **فلأول مرة ، تعلن غولدا مئير عن أن التغييرات الاقليمية التي تطالب بها تتضمن قطاع غزة .** وكان موشه ديان ويسرائيل غاليلي قد لمحا من قبل الى رغبة اسرائيل في الاحتفاظ بقطاع غزة (معريف ٦/٥) اما غولدا مئير فقد أعلنت ذلك صراحة في حديث أدلت بـه لمراسل مجلة « برايد » الامريكية بمناسبة الذكرى الخامسة لحرب حزيران . قالت غولدا مئير : **« ان قطاع غزة لن يعاد الى أي حكم عربي في نطاق اتفاقية السلام مع الدول العربية » .**

هذا عن السلام .

فكيف يواجه الاسرائيليون حقيقة استحالة هذا السلام ، واحتمال تجدد القتال ؟

الكلمة الاولى للجيش . يقول رئيس أركان الجيش الاسرائيلي بمناسبة الذكرى الخامسة للحرب الماضية : « اذا لم يطرأ تقدم سياسي ، فان هناك خطر العودة الى تجدد اطلاق النار . وعن طريق التعاظم الذي لا يتوقف لقوتنا العسكرية نتمكن من الحيلولة دون تجدد القتال . ولذلك ، سنضطر للمحافظة على التوظيفات الكبيرة في الامن . وفي السنة القادمة ، لن تكون الميزانية الامنية أقل مما

كانت عليه في هذه السنة » (معريف ٦/٥) . وقال : « ان الجيش الاسرائيلي قادر اليوم على ان يكون جيشا عصريا ذا قدرة تكنولوجية عالية بمستوى عالمي . جيش السبعينات مع استعدادات جادة لتحوله الى جيش الثمانينات » .

وكان موشه ديان قد تحدث في معهد وايزمن عن الجيش الاسرائيلي (نشر الحديث في صحيفة « دافار » ٥/٢٥) فأكد ان بناء قوته العسكرية يقوم الان على سلاح الطيران والمدرعات . وقال ان سلاح الطيران الاسرائيلي يحتل المرتبة الرابعة، من حيث الحجم ، في أوروبا ، والمرتبة الاولى في منطقة البحر الابيض المتوسط . وقال ديان ان سلاح الجو الاسرائيلي قد تضاعف منذ عام ١٩٦٧ (وامتنع عن ذكر عدد الطائرات التي تملكها اسرائيل) . اما قيمته المالية فقد ارتفعت بنسبة ستة أضعاف (من ١٢٠ مليون دولار عام ٦٧ الى ٦٦٠ مليون دولار عام ٧٢) . وكان سلاح الجو يحتل ٢٨ ٪ من ميزانية عام ٦٧ . اما اليوم فانه يحتل ٥١ ٪ من الميزانية . وقال ديان ان سلاح الجو وسلاح المدرعات يحتلان ٨٢ ٪ من ميزانية الامن « وهذا تغيير راديكالي في تركيب قوة اسرائيل » . وقال ان ميزانية وزارة الدفاع قد ازدادت ، في الفترة ذاتها ، ثلاثة أضعاف عما كانت عليه عام ٦٧ .

وأعرب الوزير الاسرائيلي عن اعتقاده بأن القتال قد يتجدد في عام ١٩٧٣ للاسباب التالية : « المصريون يحتاجون الى وقت كبير لاستيعاب الاسلحة . وسوريا لا تستطيع القتال في شهور الشتاء . ولذلك ، يجب ان نكون مستعدين لتجدد القتال عن طريق المصريين في سنة ١٩٧٣ . وقد تحول أسباب دون تجدد القتال منها قضايا مصر الداخلية ، واسباب دولية يصعب فيها على الاتحاد السوفييتي تجديد القتال » . وأعرب ديان عن تمنيه لحدوث اسباب أخرى منها « التقدم نحو تسوية جزئية غير مضمونة الاحتمال . ولكن اذا حدث ذلك فسيكون أكثر العناصر ايجابية للحيلولة دون تجدد القتال » .

وفي حديث آخر نشرته « معريف » في ٦/٦ ، قدم موشه ديان تصوره للحرب القادمة بأنها « لن تكون نسخة عن الماضي . تغيرت أشياء ، تغير السلاح. وقبل هذا كله ، تغير التوجه العربي . لقد خسر العرب حرب الاستنزاف ، ولن يجددوها كما كانت في السابق » . وحدد مبدأين في خطة الحرب القادمة . الاول : ضرورة الانتصار الاسرائيلي . « **واذا كان يجب ان نعبر القناة ، فان كلمة « يجب » معناها انه بدون ذلك لا يمكن ان ننتصر في الحرب** » . وحدد معنى الانتصار بقوله : « الانتصار لا يعني ، بالذات ، الوصول الى عاصمة العدو ، وانما الوصول الى هزمه ودفعه الى التوقف عن القتال » . والمبدأ الثاني هو : « احراز النصر بدون توسيع الحرب ، بدون التوصل الى مجابهة **كبيرة مع الروس** . وفي هذه النقطة أقصد السوفييت وأقصد دولا عربية . فاذا كانت هنالك دول عربية لن تنضم الى القتال ، يجب علينا أن ننتهج سياسة لا تلزم هذه الدول بالانضمام الى الحرب » .

ولعل كلام ديان هو أخطر كلام اسرائيلي قيل في هذا المعنى . **واذا جمعنا معطياته المكونة من : التركيز البالغ على قوة سلاح الطيران والمدرعات . ضرورة عبور القناة . عدم احتلال عاصمة العدو . عدم توسيع الحرب . عدم « المجابهة الكبيرة » مع السوفييت . وعدم دفع الدول العربية الى الاشتراك في المعركة ، لسهل علينا تحديد مسار الضربة الاسرائيلية القادمة** . ولاصبح من حقنا التشكيك بصحة الاراء القائلة ان احتفاظ اسرائيل بالمواقع الحالية نقلها من حالة الهجوم الى حالة الدفاع .

●

ما هي حصيلة السنوات الخمس ، كما يراها الاسرائيليون ؟ أو هل حلت الحرب مشاكل اسرائيل ؟

يعترف وزير الخارجية أبا ايبن بأن مظاهر عدم ارتياح تجتاح المجتمع الاسرائيلي في الذكرى الخامسة لحرب حزيران . ويعزو أبا ايبن هذه المظاهر ، في مقال نشرته « هآرتس » (٦/٢) الى انتقال المجتمع الاسرائيلي الى حياة تتضمن فترات طويلة من الهدوء . ويرد على القول ان « الحرب لم تحل مشاكل اسرائيل » بالقول ان الحرب لم تهدف الى حل هذه المشاكل ، وبأن الحرب حلت قضية واحدة هي قضية كيان اسرائيل .

وهنا ، ينشأ سؤال : **هل كان كيان اسرائيل مهددا فعلا ؟** وبصيغة اخرى : **هل كان الاسرائيليون معرضين لخطر الابادة ؟**

لا يزال الاسرائيليون مشغولين بتحليل هذا السؤال

واختيار الاجابة اللائقة عليه . ونحن نذكر ان اسرائيل استصرخت العالم كله بتظاهرها بأنها معرضة للابادة ، وقد بررت عدوانها الشهير بوجود مثل هذا الخطر . فماذا نرى الان ؟ ان كبار المسؤولين الاسرائيليين مختلفون على هذه المسألة الان حين يتناولونها كمؤرخين . ولكنهم يتفقون عليها حين يتناولونها لتبرير الاعتداءات السابقة واللاحقة . ولعل الجنرال عيزر وايزمن الذي كان يشغل منصب رئيس شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب ١٩٦٧ كان اول من أعلن ان اسرائيل لم تكن مهددة بخطر الابادة ، بقوله في مقابلة مع صحيفة « معريف » (٤/٤) : « لم يكن هناك خطر ابادة ! كان لا بد من مهاجمة المصريين ، ولم يكن مفر من ذلك . حتى لو كان المصريون هم البادئون بالهجوم لما هددنا بخطر ابادة . وكنا مهددين بخطر آخر هو التدهور الى وضع مماثل لما حصل في تشيكوسلوفاكيا ، وكنا رضخنا لتهديد سياسي وعسكري دائم » . وكان وايزمن قد سئل في ذلك الحديث : « هل قلت قبل الحرب لرئيس الحكومة اشكول اننا غير مهددين بخطر الابادة ؟ فأجاب : لم تكن حاجة لذلك ، لانه لم يجر اي حديث في اي اجتماع عن مثل هذا الخطر » .

واليوم ، يكشف وزير الخارجية أبا ايبن النقاب عما هو أكثر من ذلك . انه يقول ان المصريين لم ينووا شن هجوم على اسرائيل ، وان تحشدات الجيش المصري عشية حرب حزيران ما كانت تشير الى نية مصرية في مهاجمة اسرائيل . وقال في حديث نشرته صحيفة معريف (٦/٢) : « وقبل لقائي بالرئيس نيكسون رفض الامريكيون ادعاءنا . انهم لم يوافقوا على تقديراتنا بأن التحشدات المصرية تشير الى هجوم مصري مفاجىء على اسرائيل . انهم وافقوا على أن اغلاق مضائق تيران عمل عدواني وانه من الصعب توقع موافقة اسرائيل عليه » . وقال الامريكيون لابا ايبن « اذا نشبت الحرب فان اسرائيل ستنتصر في كل الظروف ، ولتكن الضربة الاولى من أي مصدر كان » . وكان الامريكيون واثقين من انه حتى لو كان سلاح الجو المصري هو البادىء بالهجوم ، فان اسرائيل ستدمره في وقت قصير . ويروي أبا ايبن انه فور وصوله الى واشنطن تلقى برقية من ليفي اشكول تطالبه بأن يحدث الامريكيين عن خطر هجوم مصري مفاجىء . ويقول أبا ايبن انه لم يوافق على صيغة استبدال أولوية القلق الاسرائيلي بهذا الشكل : الحشود المصرية ثم اغلاق المضائق . وكان يصر على ان يكون موضوع اغلاق المضائق هو الذي يحتل المرتبة الاولى في سلم الاولويات ، لان من حق اية دولة ان تحشد جيوشها في أي مكان من اراضيها . ومن هنا ، ينضم ايبن الى الرأي القائل ان اسرائيل لم تواجه خطر الابادة . مما يتناقض مع رأيه الذي أعلنه قبل قليل بأن الهدف من الحرب لم يكن حل مشاكل اسرائيل ، بل حل قضية كيان اسرائيل .

ولكن الجنرال يتسحاق رابين يعتقد أن الحرب كانت دفاعا عن كيان اسرائيل . ويقدم رأيا خطيرا يفسر الحساب الاسرائيلي : « انني متأكد من انه لو لم تنشب حرب الايام الستة ، فان القضية لا تكون فقط مكانة اسرائيل او هيبتها او قدرتها على الردع او حرية الملاحة في مضائق تيران — وانما هي مسألة كيان الدولة . **ان تسلسل التطورات كان سيؤدي خلال فترة قصيرة الى حرب عصابات شاقة.** وفي وقت لاحق سيتطور الامر الى عمليات عسكرية بعيدة المدى من جانب الجيش المصري وجيوش عربية أخرى » . (معريف ٦/٢) . ويتحدث رابين عن برقية اشكول الى ابا ايبن ويقول ان هدف البرقية لم يكن عسكريا . وكان الهدف منها « أن نوضح لانفسنا اننا مسؤولون عن مستقبلنا وأن علينا ان نكون اكثر حرية في اتخاذ قراراتنا » . الامر الجديد في تصريحات رابين هو انه لاول مرة يعلن مسؤول اسرائيلي مثل هذه المخاوف من امكانية تطور حرب عصابات في الصراع العربي — الاسرائيلي ، ويعطيه مثل هذا الدور الخطير في الاعتبارات الاسرائيلية لشن حرب حزيران من أجل درء احتمال حرب عصابات ضد اسرائيل .

« لم يكن الهدف من الحرب حل مشاكل اسرائيل . الهدف هو حل قضية كيان اسرائيل » — كما يقول أبا ايبن ، في رده على صعود مشاكل اسرائيل الاقتصادية والاجتماعية الى سطح الحياة الاسرائيلية . ويقترح ابا ايبن استبدال المناقشة حول مدى ما حلته الحرب من مشاكل بمناقشة اخرى حول مدى ما حققته السنوات الخمس التي تلت الحرب من مكاسب . ما هي هذه المكاسب ؟ في مقاله المنشور في صحيفة « هآرتس » يعددها بالشكل التالي : الصمود في خطوط وقف اطلاق النار دون ضغط دولي شديد . تقليص خطر

التسوية المفروضة ، توسيع الصلة والتعاون مع جماهير عربية عبر الجسور والحدود المفتوحة ، واستمرار تنمية اسرائيل وتطويرها » . ويرى أبا ايبن أن خيبة هذه السنوات تنحصر في مسألة واحدة : « غياب المفاوضات للسعي نحو تسوية محترمة وناجعة » . ويقسم وزير الخارجية الاسرائيلي السنوات الخمس الى مرحلتين خاصتين من حيث المكاسب السياسية الاسرائيلية : الاول — المرحلة الاولى من المعركة السياسية بعد حرب حزيران . منذ ذلك الشهر حتى الشهر الاول من عام ١٩٦٨ تبلورت السياسة الدولية ضد الانسحاب بدون سلام ، وتحدد الموقف الامريكي ضد التسوية المفروضة ، وتقرر تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم كدليل على تواصل دور الولايات المتحدة كعامل يضمن المحافظة على توازن القوى . المرحلة الثانية — الايجابية — استمرت من شهر آب ١٩٧٠ حتى اليوم . **فمنذ استجابتنا الى مبادرة السلام الامريكية ونحن نشهد توطيد وقف النار ، وابتعاد احتمال المواجهة بين الدولتين الكبرين على حساب سلام منطقتنا ، وتقوية طاقتنا العسكرية ، والخروج من ضائقة سياسية واعلامية »** . ملخص هذه المرحلة بالنسبة لاسرائيل : عامان من التوطد الامني وانفراج سياسي . ويعتقد ابا ايبن ان القضيتين اللتين ينبغي ان تحتلا المرتبة الاولى من الاهتمام الاسرائيلي الان هما : كيفية التقدم نحو السلام ، وكيفية ضمان اسرائيلية اسرائيل ؟ والمقصود بمصطلح « اسرائيلية اسرائيل » الذي يستخدمه ابا ايبن هو المحافظة على طابع الدولة اليهودية . وهذه المحافظة تمس مسألتين هامتين : مصير العرب في المناطق المحتلة ، والهجرة اليهودية الى اسرائيل . ولكن أبا ايبن يترك السؤال مفتوحا ...

وأبا ايبن الذي لا يحب ربط الحرب بمشاكل اسرائيل لكي يشغل الناس بالفرح لانهم ما زالوا أحياء على ما يبدو ، يجد نفسه مدفوعا الى احصاء المكاسب الداخلية التي حققتها اسرائيل او ما يسميه « النمو داخل الحصار » : اسرائيل تستوعب الان ٤٢ ألف مهاجر يهودي مقابل ١٢ ألفا عام ١٩٦٧ . انتاجها القومي الان ٢٣ مليار ليرة اسرائيلية بدلا من ١٢ مليارا في ذلك العام . قيمة صادراتها الان ١٦٥٠ مليون دولار مقابل ٥٥٤ مليون دولار عام ١٩٦٧ . السياح القادمون اليها سنويا ٦٥٦ ألف سائح مقابل ٢٩١ الفا في ذلك العام .

ماذا يعني ذلك ؟ « يجب اعتبار هذه الدوّلة دولة اخرى غير تلك الدولة التي خرجت منتصرة قبل خمس سنوات » كما يقول وزير خارجيتها .

ولكن الاقتصادي البروفيسور دان طبنكين يقول : « بالرغم من أننا اقتربنا وحققنا أهدافا معينة وضعناها أمام أعيننا ، مثل هدف الامن ، وهدف استيعاب الهجرة ، فلقد ابتعدنا رغما عنا عن هدف آخر اوليناه ، ذات مرة ، أهمية كبيرة هو : تحقيق الاستقلال الاقتصادي » .

ومن أهم الاحداث الاقتصادية الاسرائيلية في السنوات الخمس الاخيرة هو تخفيض قيمة الليرة الذي رافقه ارتفاع الاسعار والضرائب . وقال اقتصادي اسرائيلي في حديث اذاعي من راديو اسرائيل في ذكرى الخامس من حزيران : « ان اعباء الامن قد ازدادت ضعفين بشكل نسبي عما كانت عليه قبل حرب الايام الستة . فميزانية الامن مستمرة في الارتفاع ، وهي لا ترتفع لمرة واحدة بسبب الحرب ثم تعود الى ما كانت عليه ، ولكنها آخذة في التزايد قبل وبعد حرب الايام الستة وستستمر هكذا في المستقبل » . وقال احد المشتركين في الندوة الاذاعية : « ان المجتمع مليء بالفجوات ، فجوات في الاسكان ، في التعليم ، في نفقات الفرد ، وفي دخل العائلة . وما ان سكتت المدافع حتى تعالت صرخات المتظاهرين المطالبين بالاسكان والتعليم والدخل والمعونات الاجتماعية . وجاء الفهود السود ، وحدثت فضائح اخرى ، واتسعت الفجوة بين السلطة والشعب » .

وردا على سؤال حول طريق الخلاص من هذه الضائقة ، لم يقل احد من المتناقشين ان استمرار امتصاص وزارة الدفاع والنفقات العسكرية لكل الموارد يجعل حل المشكلة مستحيلا . وانما اعطى احدهم جوابا سحريا حين قال : « لا يوجد بالطبع شيء سحري . فبدون تجديد ايديولوجي اخلاقي سنستمر في السير على الطريق الذي لا يجب ان نسير عليه . ان الجانب الفكري العام والمفهوم اليهودي الصهيوني والحسم في القضية الاجتماعية هي مركبات ثلاثة تتعلق بها امكانية البعث الاجتماعي الفكري للمجتمع الاسرائيلي » .

●

وماذا عن ذكريات الحرب ، وبالتحديد عن الدور الامريكي في حرب حزيران ؟

كانوا يشربون الويسكي بالصودا ويبحثون التعاون الامريكي ــ الاسرائيلي في الحرب التي ستنشب بعد اسبوع : الرئيس الامريكي السابق جونسون ، وزير الحربية مكنمارا ، رؤساء أركان الحرب الامريكية ، وكبار المسؤولين في وزارة الخارجية . وضيفهم الاسرائيلي وزير الخارجية أبا ايبن .

وكان ابا ايبن ، قبل قليل ، قد أصدر تعليماته الى السفارة الاسرائيلية بابلاغ المسؤولين الامريكيين موافقته على رغبة الرئيس الامريكي بعدم نشر اي شيء عن مقابلته التاريخية القريبة مع جونسون . « هدفنا ليس النشر ، وانما هو ابلاغ الرئيس القرار الذي اتخذته اسرائيل وتذكير الولايات المتحدة بالتزاماتها تجاه اسرائيل » .

بعد خمس سنوات يروي أبا ايبن تفاصيل أطول مقابلة له مع رئيس امريكي ، في حديث لصحيفة معريف (٦/٢) . يسأله الصحفي : « **ألم تكن مدائح الامريكيين لقوة الجيش الاسرائيلي وقدرته على الانتصار الاكيد بمثابة « ضوء أخضر » تعني : « هاجموا ولا تنتظرونا » ؟**

أبا ايبن : كانت لهجتهم : لديكم وقت قرروا . ان الزمن لا يضغط عليكم . ان تفوقكم مؤكد . وبوسعكم ان تجروا تقييما سياسيا اذا رغبتم بذلك دونما خوف من خطر الانتظار . بوسعكم ان تنظموا أعمالكم بلا خوف . هكذا كانت اللهجة الامريكية . ولم أشعر بأن ادعاءنا « أوي .. سيهجمون علينا ! » كان سيضيف قوة لمهمتي التي كانت تستهدف المطالبة بتأييد سياسي من الولايات المتحدة استجابة لالتزاماتها . وكان لدي احساس واضح بأنه ليس من المفيد ان نقدم مطالب الطرف الضعيف .

ــ ماذا كان جوهر الامور التي جرى بحثها في لقائك بجونسون ؟

أبا ايبن : قلت له لقد نشأ وضع لا نستطيع التسليم به ، وان التدهور يتطلب منا ان نبلغ الولايات المتحدة بقرارنا . **ونحن لا نبحث فيما اذا كنا سنسلم بالوضع أم لا ، ولكن هل نكون وحدنا في عملنا ضد هذا الوضع ، أم سيؤيدنا أولئك الذين التزموا بمساندتنا ويحترمون التزاماتهم .** ولقد طلب مني جونسون تقريرا عن لقائي بديغول وويلسون . وعلق على أقوال ديغول بشأن ضرورة التنسيق بين الدول الاربع الكبرى بقوله انه يشك فيما اذا كانت هنالك اربع دول كبرى متساوية القوة ، وفيما اذا كان الاتحاد السوفييتي سيساهم في احباط نشاط مصري . وقال جونسون : « **اسرائيل هي ضحية عمل عدواني مصري** » . وعندما يقول رئيس الولايات المتحدة ان المتحرش للعدوان ، في نزاع ما ، هو الجانب المصري وان الضحية هي اسرائيل ، فان لذلك مدلولا بعيد المدى . ان كلمات رئيس الولايات المتحدة ذات وزن يختلف عن اقوال اي شخص آخر في العالم . ان كلماته موزونة ببخل كالذهب .

ــ ماذا كان رد جونسون على سؤالك عما اذا كانت اسرائيل ستضطر للعمل وحدها ام بمساندة أصدقائها ؟

قال ان الولايات المتحدة تحترم التزامها وانها تفكر بنشاط دولي . واضاف ان لدى اسرائيل الفرصة للظهور هذه المرة غير معزولة ، بل بصحبة حسنة ، وذلك سيؤثر في المدى الطويل على مكانتها . وأبلغني أن الولايات المتحدة تنسق مساعيها مع البريطانيين والكنديين والهولنديين والاستراليين لتشكيل قوة بحرية تعمل لتجديد حرية الملاحة في مضائق تيران . ولقد فهمت موقفه هكذا : **ليس لكم ما تخسرونه. اما أن نقرر العمل معا ــ وعندئذ لا تعملون وحدكم . واما لا نستطيع ــ وعندئذ على الاقل لا تكونون قد تضررتم من الانتظار القصير .** قلت اننا لا نستطيع الانتظار اسبوعين آخرين . ولم يكن يعتقد ان استقصاء النشاط الدولي سيستغرق مدة طويلة .

ــ كيف نظر الى الادعاء بأن مصر على وشك مهاجمة اسرائيل ؟

لم يقبل هذا الادعاء . قال جونسون : « استطيع ان أقول فقط ما يقوله مستشاري » . ومن المعروف ان المستشارين قالوا ان وضعنا صعب من ناحية اغلاق المضائق ، أما من ناحية القدرة المصرية على انزال ضربة ، فانهم لم يؤمنوا **بالرغبة** المصرية في مهاجمة اسرائيل ولا بالقدرة المصرية .

ويتابع أبا ايبن : سألت الرئيس عما ينبغي علي ان اقوله لاعضاء الحكومة الاسرائيلية . فأجاب جونسون : « تستطيع ان تقول لحكومتك ان رئيس الولايات المتحدة سيتخذ كل التدابير وكل الوسائل

لفتح مضائق تيران » . ورافقني جونسون الى المصعد . كان منفعلا – وسألني : ماذا تعتقد سيكون رد حكومتك على ما أبلغتك اياه ؟ **هل سيعطونني وقتا ؟** قلت انني لا استطيع الحكم . ويروي أبا ايبن ان اسرائيل أرسلت بعد ذلك مبعوثا الى الولايات المتحدة وكتب في برقيته الاولى: « ان الامريكيين توجهوا الى مسألة النشاط الدولي بجدية في البداية ، ولكن الان – كل ساعة تثبت أن لا جدوى من ذلك . وهناك امكانية متزايدة للحصول على مساندة سياسية أمريكية اذا قررنا العمل وحدنا » . فتوجه أبا ايبن الى القيادة العسكرية وأبلغها أنه لا يوجد الان جدول زمني يؤثر علينا . كل ما في الامر ان الاعتبارات أصبحت أمنية فقط .

[٢]

« قمة موسكو » .. بعيدة !

« يحق لاسرائيل ان تشعر بالرضا والارتياح » . هذا هو جوهر الصدى الاسرائيلي ، والمتحالف معه ، على نقطة الشرق الاوسط في مباحثات « قمة موسكو » بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية . وتنسب كافة الصحف الاسرائيلية الى الاوساط السياسية في القدس وواشنطن وباريس اجماعها على ان اسرائيل تملك كل الاسباب التي تجعلها راضية عن نتائج مؤتمر قمة موسكو فيما يتعلق بالشرق الاوسط . ففي واشنطن ، اعربت مصادر سياسية ، كما تقول المصادر الاسرائيلية ، عن رأيها في أن التاكيد على تسوية النزاع الاسرائيلي – العربي بالطرق السلمية يقلص خطر تجدد القتال في منطقة قناة السويس في المستقبل القريب ، « وان الرئيس نيكسون معني بالمحافظة على وقف اطلاق النار الى ما بعد انتخابات الرئاسة في نوفمبر » .

ولكن ، من أين يستمد الرضا الاسرائيلي أسبابه ؟ تقول الصحف الاسرائيلية الصادرة في الثلاثين من أيار الماضي : ان هذا الرضا ناشىء عن الافتراض بأن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي لم يتوصلا الى اي اتفاق بينهما حول حل ازمة الشرق الاوسط ، واكتفيا بتأييد قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومهمة يارينغ ، مع الاعلان عن استعدادهما لمساعدة يارينغ في مهمته . وتعتقد الاوساط السياسية الاسرائيلية ان نتائج مؤتمر القمة تؤكد صحة تقديراتها بأن الدولتين الكبيرتين لن تفرضا حلا على دول المنطقة . ومن المعروف ان مصطلح « الحل المفروض » كان يشكل كابوسا سياسيا للاوساط الاسرائيلية بعد معارك الايام الستة . « واتضح ان الرئيس الامريكي كان مخلصا للمبادىء التي اعلنها بشأن الشرق الاوسط قبل سفره الى موسكو » كما تقول « يديعوت احرونوت » .

وبكلمات اخرى ، يعود الارتياح الاسرائيلي الى استبعاد الحل المفروض اولا ، والى ان مؤتمر القمة في موسكو لم ينقل صراع الشرق الاوسط الى مرحلة جديدة ، ولم يساعد على اخراج الوضع من حالة الجمود والركود . اي – ان ابعاد العامل الدولي عن حلبة الصراع في المنطقة ، بشكل مباشر ، هو الذي دفع الدوائر الاسرائيلية الى الاحساس بالارتياح . ولكن صحيفة « معريب » تنقل عن بعض الاوساط السياسية الاسرائيلية رأيها بأن تمسك كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي بموقفه السابق من أزمة الشرق الاوسط وعدم توصلهما الى اتفاق لا يدل ، حتى الان ، على وجهة تطور الامور في المستقبل القريب لان الفقرة التي تعبر عن استعداد الدولتين لمساعدة يارينغ كانت تعني في الماضي ان واشنطن وموسكو توصلتا الى اتفاق تتضمنه مبادىء « مشروع روجرز » كفرضيات لغونار يارينغ. ومن هنا ، فان الرضا الاسرائيلي يكون صالحا بالمقارنة مع المخاوف التي انتشرت في اسرائيل عشية مؤتمر القمة ، اذ لم يتم الاتفاق في موسكو على شيء واضح تعارضه اسرائيل . ولكن ، يجب ان نراقب ، بيقظة الخطوات العملية القادمة ومغزى فقرة « الاستعداد لمساعدة يارينغ » .

ومن ناحية اخرى ، يعتقد المراقبون السياسيون في اسرائيل ، ان مؤتمر القمة خلق جوا اسهل للتخاطب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي « لمنع تجدد القتال في الشرق الاوسط » .

وكتبت صحيفة « معريب » : « ان فقرة الشرق الاوسط في بيان موسكو لا تغير اي شيء في وضع الجمود السياسي في المنطقة . على العكس ، فانها قد تزيد الجمود . ولكن الطرفين لم يكتفيا

بهذا القول ، فقد وعدا ببذل جهود لتحقيق حل سياسي . ومن هنا ، يمكن الاستنتاج بأنهما لن يكتفيا بكلمات التشجيع ليارينغ ، وانما سيبذلان جهودا منفصلة خارج دائرة الامم المتحدة لتذويب التجمد في المنطقة . اما اسرائيل ، فيجب ان تكون راضية من مجرد دفع مسألة الشرق الاوسط الى مرتبة دنيا في جدول أعمال القمة ، على الرغم من محاولات مصر اظهار المنطقة وكأنها على وشك الاندلاع . ويجب ان تكون اسرائيل راضية أيضا عن التصريحات الكلامية التي تبعد خطر الحل المفروض » .

وتختتم الصحيفة مقالها : « ان مؤتمر القمة الذي اتخذت فيه خطوة اولية نحو السير على طريق جديد في العلاقات بين الدولتين العظميين — لم تضع اي طريق جديد بشأن منطقة الشرق الاوسط. وهذا ايضا حسن » . وتفسر الصحيفة كلمة مساعي الدولتين بأنها قد تعني تجدد المساعي الامريكية لفتح القناة . وتشترك صحيفة « دافار » في هذا الرأي بقولها : « ان نتائج مؤتمر القمة تقوي الانطباع الذي تكون في القدس قبل ذلك ، طبقا لتقارير اولية من واشنطن ، بأنه سيتضح بعد مدة بأن مصر لا مناص لها من تجديد المباحثات حول التسوية الجزئية لفتح قناة السويس » .

وكانت صحيفة « هآرتس » قد وصفت جو القلق السياسي الذي ساد اسرائيل قبل ظهور نتائج مؤتمر القمة ، وقبل تناول المجتمع الاسرائيلي « للاقراص المهدئة » على حد تعبير أحد كبار كتاب « هآرتس » يوئيل ماركوس (في ٢٤/٥) الذي كتب : « لقد سيطر الهدوء على الجمهور الاسرائيلي بعدما تناول الاقراص المهدئة وكف عن ابداء رأيه في الابعاد الممكنة التي ستتركها على حياتنا ومستقبلنا نتائج مباحثات نيكسون وبريجنيف. ويبدو ان الحكومة قد قررت توزيع هذه الاقراص لا للتهدئة فقط ، وانما بدافع الافتراض بأن التظاهر بالخوف من شأنه ان يفسر بأنه دعوة لتخويفنا » . وامتدادا لهذا النهج على ما يبدو « فان الاوساط التي تغذت من مصادر حكومية حاولت كثيرا ان توضح بأن موضوع الشرق الاوسط لن يبحث في مؤتمر القمة . ولكن اتضح الان ان هذه الامال لم تنجح في تغيير جدول اعمال المؤتمر . ومع ذلك فان حكومة اسرائيل مرتاحة جدا باستنادها على تقدير الوضع الاساسي القائل انه في الظروف الراهنة لن تتمكن الدولتان الكبريان من التوصل الى اتفاق محدد من شأنه ان يؤدي الى حل مفروض — وهو الحل الذي يثير الغثيان في جسم كل وزير اسرائيلي » .

ويحذر الكاتب من الافراط في الارتياح الناشيء عن استحالة الحل المفروض في الظروف الراهنة ، بقوله : « ان مجرد عدم وقوع ما يبدو لنا انه الاسوأ ليس ضمانا لوقوع ما هو أقل سوءا نسبيا . لقد رأينا أناسا غير مرضى بالسرطان ولكنهم يموتون من التهاب الرئة » .

ويعتقد الكاتب في « هآرتس » بأن الطرفين السوفييتي والامريكي يجلسان على مائدة المفاوضات في حالة تعادل : كلاهما لا يريد ان يفقد هيبته السياسية او العسكرية . كلاهما لا يريد ان يفقد منجزاته ، وانما يريد ان يزيد نفوذه .

كلاهما لا يفرض على أصدقائه الصغار تسويات تتعارض مع ارادتهم . ليس لانهما غير قادرين على ذلك ، وانما لان مصلحتهما لا تستدعي ذلك في هذه اللحظة . وكلاهما لا يريد الوصول الى وضع المواجهة المباشرة . ومع ذلك فانهما يقظان لاحتمال عدم قدرتهما على الاشراف على كل المجريات العسكرية لاصدقائهما الصغار » . فهل يعني هذا التعادل انه لم يبق أمام نيكسون وبريجنيف الا الجلوس على ضفة نهر الفولغا وذرف الدموع على مصائبهما المشتركة ؟. يقول الكاتب : ان محاولة الزعيمين تعميق الاتفاق القائم بينهما على عدم الانجرار ، بأي حال من الاحوال ، الى المواجهة المباشرة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة ، لا تعني انهما سيكتفيان بمجرد الكلام انهما سيسعيان الى خلق الاوضاع المادية التي بوسعها أن تحول ، بقدر المستطاع ، دون خطر المواجهة التي يخشيانها . وهذا الامر يجب ان يتم ، بالاساس ، عن طريق تطويق المواقد الملتهبة في العالم . ولانه ثمة موقدان خطيران ، فمن المنطقي أن يدور جزء كبير من المباحثات حول هاتين المنطقتين — فيتنام والشرق الاوسط .

عن الشرق الاوسط : « انها منطقة حيوية جدا للسوفييت ، ليس لان التمسك بها هو حلم روسي تاريخي تحقق ، ولكن لانها تقع في قلب تجمع الدفاع الغربي . وستبذل موسكو كل شيء لكي لا تفقد ما حققته هنا . أحد أبعاد هذا القرار الحازم هو ان الاتحاد السوفييتي لن يفعل شيئا يتعارض مع

المصلحة المصرية » . ويخلص الكاتب من هذا التحليل الى استنتاج يتعارض مع حالة الرضا والارتياح المنتشرة في اسرائيل بشأن مؤتمر القمة في موسكو ، بقوله : « قد تنشأ علاقة مباشرة بين فيتنام واسرائيل . اي — انه مقابل التزام سوفييتي بالتأثير على فيتنام الشمالية للتوصل الى تسوية ، والتزام باستمرار الهدوء في الشرق الاوسط — فان الولايات المتحدة قد تكون مطالبة بالضغط على اسرائيل للانسحاب ، لكي لا تصاب المنجزات السوفييتية في مصر بأذى ، اذ ان استمرار الوضع في المنطقة يهز ، تدريجيا ، مركز الاتحاد السوفييتي في مصر » .

ولكن المعلق السياسي لصحيفة « يديعوت احرونوت » ارئيل غينائي يتوصل الى استنتاج مختلف مع استنتاج زميله في « هآرتس » . اذ ان قضية فيتنام « اكثر الحاحا ، في هذه اللحظة ، من قضية الشرق الاوسط بسبب اندلاع المعارك فيها . ومن الصعب على الكرملين ان يؤثر على الجنرال جياب ، كما أنه من الصعب على حكومة نيكسون أن تؤثر على الجنرال ديان » (٥/٢٦) ويلاحظ أنه « اثناء انعقاد مؤتمر القمة في موسكو أوضحت هانوي انها لن ترضى بأي حل يحافظ على الرئيس تيو في سايغون . وهو الرئيس الذي لا يرضى نيكسون بالتخلي عنه في أي حال من الاحوال . وفي هذا الوقت ايضا كرر الجنرال ديان تأكيده بأن اسرائيل يجب ان تستعد للبقاء عشر او خمس عشرة سنة اخرى في خطوط وقف اطلاق النار الحالية . الامر الذي يدل على قرار صارم بعدم التنازل لاي ضغط ممكن من الدول الكبرى » .

وفي وقت لاحق ، علق وزير الدفاع الاسرائيلي موشه ديان على نتائج مؤتمر القمة بقوله : « اذا كان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة قد اتفقا على عدم الانجرار او الاشتراك في هذه الحرب ، فاني أعتقد أن ذلك قرار حكيم من جانبهما ، وليس لدينا ما نأسف عليه . واذا قرر الجانبان ان يفرضا علينا حلا مفروضا ، فانني افترض وآمل الا يكونا قد توصلا الى مثل هذا الاتفاق . واذا قررا استخدام وسائل سياسية ومفاوضات بدلا من التوصل الى حالة تجدد القتال ، فان ذلك حسن أيضا ، حتى لو كانت قاعدة هذه المفاوضات هي قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي لا نحبه » .

وعلى الرغم من الاختلاف في التقدير بين الاسرائيليين ، الا انهم يجمعون على الاحساس بالارتياح في المرحلة الراهنة ، سواء كان هذا الارتياح صادرا عن اسباب تبرره ، أو صادرا عن غياب أسباب تلغيه .

[٣]

« الشيوعية » التائبة

● كلمة « ماكي » باللغة العبرية معناها : الحزب الشيوعي الاسرائيلي . ولكنها ترمز في الحياة السياسية الاسرائيلية الى جماعة سنيه — ميكونيس التي استطاعت الاحتفاظ بالاسم الشيوعي اطارا للمضمون الصهيوني منذ عام ١٩٦٥ عندما وقع الانشقاق الشهير في صفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي . ولم يكن ذلك الانشقاق هو المناسبة الرسمية الوحيدة للبرهنة على الفكر السياسي الصهيوني لاثنين كانا يقودان الحركة الشيوعية في اسرائيل طيلة سنوات عديدة. فقد كان التعبير عن صهيونية هذه الجماعة او الكتلة يتسم بالحياء عشية الانشقاق . ولكن ممارستها السياسية ومواقفها اللاحقة ، وخاصة عشية حرب الخامس من حزيران وبعدها أعطت التعبير السافر ليس عن انحرافها نحو الصهيونية ، وانما عن رسوخها في الصهيونية . وكان مؤتمرها الاخير (السابع عشر) الذي انعقد في تل ابيب في ٢٠ — ٢٢ نيسان قمة التعبير عن تنافسها مع سائر الاحزاب الصهيونية اليمينية من جهة .. وكشفا عن تخبطاتها وازماتها الداخلية من جهة ثانية .

لقد عقد المؤتمر في ظل غياب « النبي » الايديولوجي للجماعة ، موشه سنيه ، وفي ظل حضور افكاره ومبادئه ، مما دفع المراقبين الاسرائيليين الى التساؤل عن مستقبل هذه الجماعة ذات اللون الباهت في الحياة السياسية ، خاصة بعد انقطاع علاقاتها مع العالم الاشتراكي باستثناء رومانيا ، وبعد انقطاع علاقاتها مع الحركة الشيوعية العالمية ، الامر الذي يثير الشك في جدوى المعنى السياسي لاستمرارها في البقاء .

وشهد مؤتمر هذه الجماعة خلافات

بين انصار روح موشه سنيه — وهم الاكثرية — وبين انصار ذكريات شموئيل ميكونيس الشيوعية — وهم الاقلية — . وتتركز الخلافات ، في المجال السياسي ، حول بعض البنود الواردة في رؤوس اقلام المؤتمر التي اعدها سنيه قبل وفاته . وقد جرى التصويت حول الفقرة التالية الواردة في رؤوس الاقلام : « ان ما يوحد ماكي مع الشعب كله هو الوقوف في جبهة الدفاع القومي — الدفاع العسكري والسياسي والايديولوجي — عن أمن اسرائيل وعن حقوق اسرائيل » .

ولكن ميكونيس يقترح استبدال هذه الفقرة بالفقرة التالية : « ان ما يوحد ماكي مع الشعب كله هو الوقوف المشترك للدفاع عن أمن اسرائيل في وجه أي عدوان كان ، ومن اي جانب كان ، والوقوف المشترك للدفاع عن حق كيان اسرائيل في وجه من يتعرض لهذا الحق ، من اي جانب كان ، وبأية وسائل ، والاعتراف المشترك بأن حرب الايام الستة هي حرب دفاعية عادلة » . واسفرت نتيجة الاقتراع عن فوز « وصية » سنيه على « حذلقة » ميكونيس بأكثرية ١٢٥ صوتا ضد ٣٣ صوتا وامتناع أربعة .

وتقول الصحف الاسرائيلية (يديعوت احرونوت) ان ثمة ريبة وقعت بين ميكونيس وسنيه قبل ذلك، فقد اتضح لميكونيس ان سنيه قد استطاع ان يوطد مكانته في صفوف ماكي بشكل لا مثيل له ، فان الاكثرية في مؤسسات الحزب — المكتب السياسي، واللجنة المركزية ، ولجنة الرقابة المركزية قد اختارها سنيه من انصاره ، وهذه الاكثرية قررت ان يرأس سنيه قائمة الحزب لانتخابات الكنيست القادمة بدلا من ميكونيس .

وقد هاجم يائير تسبان (ربيب سنيه) زعماء الاقلية في الحزب بقوله ان الحزب لن يغفر لمن يحرض على سنيه « ويرفض الانحراف عن الخط السياسي للحزب » .

ما هو جوهر هذا الخط السياسي ؟

انه : « يقف ماكي في جبهة الدفاع القومي — الدفاع العسكري والسياسي والايديولوجي والادبي عن أمن اسرائيل وحقوقها » .

وتصدى للدفاع عن اعداء الصهيونية بقوله : « على الرغم من وجود خلافات معينة بين ماكي وبين احزاب صهيونية ، فليس هنالك أي قاسم مشترك بين ماكي وبين المحرضين السوفييت . اذا كانت الصهيونية هي النضال ضد اندماج الشعب اليهودي في المهجر ، واذا كانت الصهيونية هي النضال من اجل حق شعب اسرائيل في الحياة في دولة اسرائيل — فاننا جميعا صهيونيون » (هآرتس ٤/٢١) . وقال المتحدث نفسه : « لم تكن ثمة سابقة في التاريخ أن عاد المدافع الذي تحول الى منتصر الى الحدود السابقة . ان اسرائيل لن تعود الى الحدود السابقة ليحل السلام » .

وأقر المؤتمر وصية سنيه بشأن « ضرورة فتح ممر حر من ايلات الى شرم الشيخ » ، واعرب المحامي نيشل هرتسبرغ عن رأي الاكثرية باعتراضه على الانسحاب الاسرائيلي من المرتفعات السورية .

وقال الناطق الرسمي باسم ماكي — بيرل بلطي عن أسباب الانشقاق في الحزب الشيوعي الاسرائيلي عام ١٩٦٥ ، ان السبب يعود الى تغير موقف الاتحاد السوفييتي في نهاية الخمسينات ، عندما تحول الاتحاد السوفييتي من تأييد اسرائيل الى تأييد الدول العربية ، وقد حاول الشيوعيون العرب تحويل الحزب الشيوعي الاسرائيلي الى اداة لخدمة القومية العربية والاتحاد السوفييتي » .

وقال ممثل الاكثرية ورئيس اللجنة المركزية في ماكي: « في أية محاولة من جانب مصر ، وبتأييد من الاتحاد السوفييتي او بدونه ، لتغيير الوضع الراهن في المنطقة ، بالوسائل العسكرية ، فان ماكي سيهب للوقوف مع الشعب كله في حرب الدفاع ، كما فعل في حرب الايام الستة ، ان ماكي هو جزء من جبهة الدفاع القومية وسيبقى فيها طالما لم ينته هذا الفصل التاريخي من حرب الايام الستة بمعاهدة سلام » .

وهكذا ، يتحدد موقف ماكي بالمبايعة التامة للصهيونية ، واحتلال الاراضي العربية ، والهجوم الشديد على الاتحاد السوفييتي ، مما يجعله لا يختلف عن سائر الاحزاب الصهيونية اليمينية الاخرى ، ويخرجه من دائرة ما يسمى بقوى السلام والتقدم في اسرائيل .

ومما له دلالة في هذا السياق تلك التهنئة التي أرسلها الى المؤتمر رئيس الدولة زلمان شزار وقال فيها : « انني معكم بروحي حين تحييون ذكرى قائدكم وصديقي القديم المرحوم دكتور موشه سنيه » .

من هو موشه سنيه هذا ؟

من المعروف ان سنيـه بدأ حياته الصهيونية في بولندا حيث كان مساعدا لقائد المؤسسة اليهودية الصهيونية عشية الحرب العالمية الثانية . وقد كرس مواهبه وطاقتـه في خدمة عملية الهجرة اليهودية من بولندا الى فلسطين . وعندما هرب قادة الحركة الصهيونية من بولندا كان سنيه بينهم. وفي فلسطين اصبح سنيه القائد السياسي لمنظمة الهاغاناه .

ويستعـرض الصحفي الاسرائيلي المعـروف اوري افنيري سيرة حيـاة موشه سنيه في مقال نشره في « هعولام هـزه » (٨ ــ ٣) بعـد وفاة سنيه فيقول : ان الطريق ، آنئذ ، كانت مفتوحة الى المباي والى السلطة . ولكن سنيه ارتكب خطـأه الاول بانضمامه الى المبام الذي نشأ في تلك الايام بعد عملية توحيد « هشومـير هتسعير » وأحدوت هعبودا . لماذا انضم سنيه الى المبام ؟ لانه كان وقتها حزبا هاما يجمع كل قادة الهاغاناه والبلماح، مما يخلق احتمالا بأن هذا التجمع الكبير من القادة قد يرث المباي . انضم سنيه الى المبام ، ولكن البلماح حل نفسه ، فضاعت الفـرصة على سنيه لانه لم يعد بوسع المبام ، بعد ذهاب البلماح ، أن يرث الحزب الكبير .

أي ــ ان عيني سنيه كانتا دائما ترصـدان دورة الريح في اتجاه السلطة . وقدماه تنتقلان من يمين الى يسار طبقا لتقديراته الموصلة الى السلطة . ومن هنا ، قام سنيه في بداية الخمسينات باعادة النظر الشاملة في موازين القوىوتقدير الاوضاع . ويقول اوري افنيري في مقالـه المشار اليه : ان سنيه توصل الى استنتاج بانه قد تنشب الحـرب العالمية الثالثة ، وان الجيش السوفييتي سيستولي على المنطقة . فكان سنيه ينشر تعاليمه في خلايـا شبيبة المبام بأن « البلاد ستقع في أيدي الجيش السوفييتي ، ومن الضروري تشكيل كوادر لمواجهة هذا الوضع » . وفي هذا الوقت انفجـرت قضية الاطباء اليهود في الاتحاد السوفييتي ، فهب سنيه للدفاع عن ستالين . فاضطر المبام الى طرده من الحزب « قبل ان يكون سنيه مستعدا لذلـك » . فقام بتشكيل « كتلة اليسار » ، وانتقل بهـا الى صفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي . وقد أعـد نفسه للحصول على الثقة الشيوعية بكتابة كتابـه الشهير في نقد الصهيونية .

لم تنجح حسابات سنيه . الحرب العالمية الثالثة لم تنشب . والجيش السوفييتي لم يستول على المنطقة . وبقي الحزب الشيوعي الاسرائيلي حزبا صغيرا ، فكيف يصل سنيه الى السلطة ؟ ومـاذا تبقى له من مصلحة في الشيوعية ؟!.

بعد عشر سنوات ، اجـرى سنيه عملية اعـادة نظر شاملـة في موازين القـوى وفي الاوضاع . فاكتشف أن الحزب ما زال صغيرا ، واكتشف انه قد بلغ الستين ، وان عليه ان يسرع الخطى نحو السلطة ، لان الفرصة تضيق . والطريق الوحيد، الان ، هي طريق « المعراخ » . فأحدث انشقاقا خطيرا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، واستولى على الاسم القديم للحزب . ويقول اوري أفنيري ان الاسم الحقيقي لحزب سنيه كان يجب ان يكون « ماكتس » ومعناهـا : « الحـزب الشيوعي الصهيوني » . ويقول أفنيري : « ان سنيه الذي كتب أعنف نقد للصهيونيـة ، يدافـع عنها الان بحماس شديد . ان حماسته القومية في خطبه لا تقل عن حماسة رجال اليمين . وليس هنالك محام أكثر موهبة منه في الـدفاع عن مواقـف التكتـل القومي . لا بيغن ولا أبا ابين يستطيعان منافسته في هذا الدفاع . لقد رفض حدود الرابع من حزيران رفضا تاما . ودافع عن عدالة الصهيونية كحركـة تحرر للشعب اليهودي . وهاجم الاتحاد السوفييتي بعنف لم يجرؤ عليه أحد من رجال الحكومة . وقد انتخب للكنيست في الانتخابـات الاخيرة بفضـل المساعدة الفعالة من بعض الشخصيات اليمينية المتطرفة التي اعتبرت انتخابه واجبا قوميا . وقد تجاوز المبام ، وتجاوز الجناح اليميني في حـزب العمل في طريقه الى اليمين. فالى اين كان سيصل؟ كان يريد العودة الى المبام ليصل معه الى حـزب العمل ، ولا شك في أنه اوهم نفسه بأنه سيصبح منافسا جديا لرئاسة الحكومة . ومن الممكن أن نصف سنيه ، في نهاية الطريق ، بأنه اليميني ــ القومي ــ الديني » .

هذا هو موشه سنيه . وقد خلف وراءه انصـارا يتابعون رسالته . جددوا مبايعة افكاره في مؤتمرهم الاخير الذي يبدو انه سيكون اخيرا فعلا ...

حين تبدأ غربة العربي
تنتهي غربة اليهودي

● لم يكن اهتمام الاسرائيليين ببعض نواحي الادب العربي مفاجئا ، ولكنه يأخذ طابع الاعلان كلما ارتبط الامر بنبأ سياسي ، فتتحدد ميزة هذا الاهتمام بمزيد من الوضوح والاختصاص . وعلى سبيل المثال ، ما كان الاسرائيلي العادي يعرف شيئا عن أدب المقاومة العربي ، حتى اجتمع وزير الدفاع الاسرائيلي بشاعرة مقاومة فلسطينية، وفسر هذا اللقاء بأنه سعي منه ومحاولة لدراسة نفسية المقاتل الفلسطيني عن طريق الشعر الذي يهزه ويحركه . وكانت « محاولة » ديان بمثابة ضوء أخضر لخبراء الشؤون العربية واللغة العربية لترجمة ودراسة بعض الانتاج الادبي ، الفلسطيني والعربي ، فأخذ هذا الاهتمام طابع الضجة والتعميم . وبلغنا ، في الاسابيع الاخيرة ، أن وزيرا اسرائيليا آخر هو يغال ألون يدلي بدلوه في بئر الادب العربي ، فقد شكل لجنة خاصة لبحث الادب العربي في اسرائيل . ولعل مبادرة ألون هي أول مبادرة نحو طرح قضية الادب العربي الذي يكتبه ادباء الارض المحتلة منذ النكبة الاولى ، لان معظم الاهتمامات الاسرائيلية السابقة بالادب العربي كان يستثني الادب العربي المكتوب داخل اسرائيل ، لان تعميم قضية هذا الادب وجوهره على الرأي العام الاسرائيلي قد يطرح تساؤلات تمس الاعمدة الاساسية للدعاية الاسرائيلية الداخلية التي تتنافى مع قضية هذا الادب . ومن الواضح ان الوزير الاسرائيلي بتشكيله هذه اللجنة لن يبحث قضية الادب الحقيقي في الارض المحتلة الذي تعارف الناس على تسميته بأدب المقاومة ، ولكنه سيطرح ويعمم ادبا اخر في مواجهة الادب الذي عرفه العالم العربي واوساط واسعة من الرأي العام العالمي بعد ترجمة نماذج كثيرة منه الى اللغات العالمية . ان ألون يريد ان يصد تأثير أدب المقاومة وسمعته العربية والعالمية بالقول انه ليس الادب العربي «الاسرائيلي» الشائع ، بل ان ثمة أدبا آخر «ايجابيا» و«بناء» يتعايش بسلام مع نمط الحياة الاسرائيلية . اي ـ انه يسعى الى ضرب تيار « أدب المقاومة » بتيار « أدب الاستسلام » . وربما يمكن القول ، منذ الان ، ان الوزير الاسرائيلي الجنرال يغال الون الذي يحمل عقلية عسكرية لن يتمكن من خلق « أمر واقع » أدبي ، كما استطاع ان يخلق أمرا واقعا عسكريا . وقد ينصحه مستشار ذكي بالكف عن هذا الطموح الطائش ، لان الجيش الذي يستطيع احتلال ارض واقامة مستوطنات عليها لن يستطيع ان يقيم تيارا ادبيا يتلاءم معه حتى باستخدام العنف .

● ليس الوزراء الاسرائيليون ، وحدهم ، هم الذين يهتمون بالادب العربي ، فهنالك اساتذة جامعة وكتاب اسرائيليون يمارسون اهتمامات ادبية عربية . وقد اصدرت دار النشر التابعة لـ « هشومير هتسعير » مؤخرا مجموعة مختارات من القصص والقصائد العربية مترجمة الى اللغة العبرية ، تطرح عدة اسئلة حول نظرة الاسرائيلي الى هذه المختارات ، هل يتقبلها الاسرائيلي اولا ؟. وهل يقدر على التزام النظرة الادبية الى الادب العربي ؟ ماذا يعنيه في هذا الادب .. هل البحث عن نفسه ام عن نفوس الاخرين ؟. ثم ، ما هو الرأي الاسرائيلي المسبق عن الادب العربي ؟. سنفاجأ بعد قليل بمعرفة ان الاسرائيلي يشك بوجود ادب عربي .

هذه الاسئلة وغيرها نوقشت في ندوة خاصة دعا اليها الملحق الاسبوعي لصحيفة « عل همشمار » واشترك فيها عدد من الباحثين الاسرائيليين في الادب العربي ، واثنان من المثقفين العرب . (في أواخر نيسان الماضي) .

الجنرال الاحتياطي ، ماتي بيلد ، المهتم بالادب العربي يواجه الندوة بهذا السؤال : هل يوجد أدب عربي حديث ذو مستوى ادبي بارز ؟..

ان السؤال كبير ، خاصة اذا كانت مصادر الاجابة عليه محصورة في مجموعة مختارات واحدة لا نعرف ما تضمنته من النماذج الادبية العربية . فمن نافل القول ان الحكم على ادب شعوب من خلال نص أو مصدر واحد هو حكم بعيد عن التواضع النقدي وعن الاخلاق النقدية على الاقل .

وقد اقترب احد المثقفين العرب المشتركين في الندوة من الحقيقة حين قال : « ان الاسرائيليين يهتمون، بالدرجة الاولى ، بالادب الذي يعالج موضوع العلاقات بين العرب واليهود . ومن هنا ، نشأت

نظرة مشوهة الى هـذا الادب الذي يبدو أدبـا وثائقيا . ان هنالك ادبا عربيا حديثا ، غير وثائقي. ولكن يجب البحث عنه . من يبحث عنه يجده » . ولفت مثقف عربي اخر انظار المشتركين في الندوة الى أن العرب لا يكتبون عن النزاع الاسرائيلي — العربي فقط . فالادباء العرب الشبـان يواجهون قضايا بلادهم الداخليـة وينتجون ادبا حديثـا ذا مستوى رفيع .

وكان الكـاتب الاسرائيلي أهود بن عيزر واضحـا وصريحـا في تقمص شخصية القارىء الاسرائيلي في موقفه من الادب العربي ، لانه لا يعرف اللغة العربية . وتتلخص معرفتـه بالادب العربي بمـا قرأه من نماذج مترجمة الى العبرية ، مما يخوله حق التساؤل عن قيمة الادب العربي الفنية . انه يحمل معيارا للحكم او الانطباع مؤلفا من ثـلاث زوايا ، حددها كما يلي : « اولا — ما هي القيمة الجمالية للعمل الادبي . ثانيـا — ماذا يعني بالنسبة لي ، وثالثا — كيف يـراني العرب » . وأضاف : « أشك فيما اذا كنت قادرا ، كقارىء عبري ، على تناول عمل ادبي عربي من خـلال الترجمة والحكم عليـه بموضوعية » وخلص الى القول : « ان الصرخـة القوميـة في القصائـد العربية تزعجني كقارىء » .

● وطرح سؤال اخر : هل يوجد ادب عربي ، أم مجموعة اداب عربية ؟

يقول سـاسون سوميخ : ان هذا السؤال لا يتطرق الى ما تضمنته المجموعـة فقط . فالاختيار كـان صدفة . جمعت المحررة ما جمعته ثم رتبتـه وفقا للبلدان . ولكن عندما نبحث السؤال العام فـانه يتحول الى قضية خارج اطار الادب . هل يوجد أدب مصري وسوري وعراقي وفلسطيني ام أن ذلك كله أدب واحد . كله مكتوب بلغة واحدة وخاصة الشعر . ولكن النثر تعترضه قضية كبيرة ، وخاصة المسرح ، ففي كل بلد يكتبون بلغة عامية محلية . هل توجد روح اخرى وتوجه اخر ونظرة اخـرى مختلفة بين كل أدب وأدب من الاداب العربية ؟. طبعا يوجد . لماذا يميل العراقيون مثلا الى كتابة الشعر ويميـل المصريون الى النثر ؟ ان ذلك ، بحد ذاته ، يدل على اختلاف عقليات ، بالاضافة الى ذلك ، يختلف الواقع الذي يصدره هذا الادب عن الواقع الذي يصدره ادب اخر ، مما ينشيء أحيانا اشكالا ادبية مختلفة طبقا لاختلاف الواقع . هذه هي وجوه الاختلاف بين الاداب العربية ، فما هي الوجوه المشتركة ؟ التراث الادبي الواحد ، ولكن الواقع يؤكد نقاط الاختلاف بالذات » .

ورد مثقف عربي على هذا الرأي بقوله : ان الاجابة على السؤال حول « هل يوجد ادب عربي ام آداب عربية ؟ » هي : نعم ولا . فنحن لا نستطيع تجاهل حقيقة تاريخية هي ان العالم العربي كان مجزءا طيلة مئات السنـين . وفي السنوات العشرين او الثلاثين الاخيرة تعاظم الاحساس والميل الى تأكيد ما هو مشترك ، بفضل الميل الى الوحدة العربية والبعث القومي العربي الواحد . ولكن ، حتى لو تحققت الوحدة العربيـة من الناحية السياسيـة الكاملة ، سنشهد في المستقبل ايضا آدابا عربية.

● كيف تؤثر ترجمـة الادب العربي الى اللغـة العبرية على صورة العربي في نظر اليهودي ؟

يجيب أهود بن عيـزر على السؤال برواية قصة كتبت في الثلاثينات تنتهي بتصنيف الحالة التالية : اليهودي ، ما زال غريبا في فلسطين ، والعربي ، أصبح غريبا فيها . اي — ان اليهودي مـا زال يحمل احساس المنفى من اوروبا . والعربي بـدأ يحس بالمنفى داخل بلاده . قضيتهما ، اذن ، هي التمسك بالوطن من جديد .

ويخلـص الكاتب الى نتيجة واحـدة هي : « ان اليهود والعرب يشكلون بعضهم بعضا ، بشكل سلبي ، ويتحول كل طرف من الطرفين الى كابوس بالنسبة الى الاخر » . ويـوزع مسؤولية هـذه الحالة على الطرفين اليهودي والعربي بالتساوي. ويرى ماتي بيلد ان صورة العربي في نظر اليهودي صورة خيالية جدا . فيتسـاءل : هل من شأن قراءة الادب العربي ان تغير صورة الانسان العربي في نظر اليهودي ؟

ويعترف أهود بن عيزر بأن توجه الاديب اليهودي، عندما يكتب عن العرب ، كان يتميـز بالكراهية والغربة والخوف . ولكنه يعتقد بصراحة : « ان الجمهور العربي هـو المخطىء لانه لا يرى النعمة التي تحملها الصهيونية » !.

عند هذه الصخرة تصطـدم دائما كل محـاولات الحوار بين الكاتب العـربي الملتزم بحقه القومي وبين الكاتب الاسرائيلي الملتزم بعقيدته الصهيونية. ومهما حاول الطرفان مداراة هذه الصخرة بالبحث عن نقاط التقاء حول بعض المطالب الديمقراطية او

الانسانية ، فان منطق الاشياء يقود دائما الى مواجهة القضية الاكثر جوهرية : الصراع بين الحق العربي وبين ما يدعيه الاسرائيلي من حق .

وعندما يستخدم كاتب مثل أهود بن عيزر كل مواهبه الفكرية ويضغط على أحاسيسه الانسانية المرهفة ليستخرج نقطة اعتراف بحق العربي فان النتيجة تكون : « اليهودي ما زال يحمل المنفى ، والعربي قد اصبح يشعر بالمنفى . وقضيتهما المشتركة هي التمسك بالوطن المشترك » . هذا هو اقصى التنازل من جانب ليبرالي صهيوني . ولكن ، لماذا أصبح العربي يشعر بالاغتراب .. لماذا بدأ احساس العربي بالاغتراب والمنفى على ارضه ، بينما لا يزال اليهودي يحمل بقايا المنفى من هناك .. من اوروبا ؟ أو بصيغة اخرى « لا يزال اليهودي غريبا ، بينما قد اصبح العربي يشعر بالغربة » ان تسلسل هذه المعادلة واستمرارها الطبيعي يعني ان خاتمة احساس اليهودي بالغربة في فلسطين هي اكتمال احساس العربي بالغربة فيها . ولماذا ؟ ألان العربي « لا يعترف بالنعمة التي تحملها الصهيونية » ؟ كما يقول الكاتب . أم لان عنف الصهيونية المسلح هو الذي اجتث الجزء الاكبر من العرب الفلسطينيين ولم يكتف بدفعهم الى الاحساس بالغربة فقط . ولان الممارسة الصهيونية الاسرائيلية ضد العربي الباقي في فلسطين أوصلته، أحيانا ، الى الاحساس بالاغتراب ؟ ما هو مصدر هذا الاغتراب ؟ هل هو غياب الاعتراف العربي بالنعمة التي تحملها الصهيونية .. أم هو اضطهاد الصهيونية له ؟.

من هنا ، لا يكون السعي نحو التخلص من الغربة في الوطن — كما يطرحه الكاتب الاسرائيلي — هو القضية المشتركة بين العربي المتمسك بالدفاع عن انتمائه الوطني والقومي ، وبين الاسرائيلي المتمسك بالدفاع عن مكاسب عدوانه . انها ليست قضية مشتركة بقدر ما هي جبهة صراع . ومن هنا ايضا ، تثير « الصرخة القومية في الشعر العربي ازعاج الاسرائيلي » كما يقول الكاتب نفسه ، ليس بسبب ضعف المستوى الفني ، بل بسبب كون هذه الصرخة صرخة احتجاج ضد نتائج ممارسة الصهيونية . وعلى هذا الاساس ، يصعب على الاسرائيلي ان يتخذ موقف « الحياد الادبي » في قراءته الادب العربي ، ويكاد يستحيل عليه العثور على حاسة التعاطف مع هذا الادب بسبب جوهره المتناقض مع نفسية الاسرائيلي وسلوكه . ولهذا ،يصح القول ان الاسرائيلي عندما يقرأ نماذج من الادب العربي الذي يتعامل مع قضية الصراع فانه لا يقرأها بدافع الاستمتاع الفني بل بدافع الفضول . ويبقى القول ان من شأن تبادل قراءة الادب العربي والعبري ان يصلح من صورة الطرفين في نظري بعضهما الى بعض طموحا اخلاقيا هاربا من فهم الخلفيات . يصبح هذا الطموح واقعيا حين لا تكون المواجهة بين الطرفين في مثل هذا العنف ، او حين تكون العلاقات بينهما حيادية !. وذلك لا يتم بالطبع ما دامت حقوق الشعب العربي الفلسطيني عرضة للاغتصاب الصهيوني ، وما دامت قضية تحرر الشعوب العربية تشكل جوهرا حيويا في الادب العربي الحديث .

تحليل للموقف السياسي

كمال العدوان

في جلسة حوار بين عدد من قيادات المقاومة وعدد من الشخصيات الفلسطينية قالوا ما رأيكم لو تحركنا سياسيا ؟ ان بقاء الامور هكذا والملك يطحن شعبنا يشكل جريمة . لا بد لنا من ان نصنع شيئا ما لهذا الشعب . ولا يجوز مطلقا ان نكرر خطأ المسيرات القديمة التي ظلت تصر على كلمتها المشهورة « لا » دائما . واستمر الحوار في هذا الاطار . وقلت لصاحبي ونحن نفترق : هل فهمت شيئا ؟ قال طبعا ، بقي ان تفهموا انتم . انكم قد تجيدون الثورة . ولكنكم بالتأكيد لا بد ان تعطوا الفرصة لمن يجيدون العمل السياسي ، لقد اهملتموه كثيرا ويوشك كل شيء ان يضيع منكم ، ومنا معكم .

قلت اسمع ، ما قيل اليوم اما ان يكون خلطا لا معنى له ، فليس في الثورة من يعارض العمل السياسي لحساب هدف ، أو يكون وراء الكلمات كلمات أخرى ، ويكون لهذه الكلمات في ذهنكم مدلول سياسي يعني بوضوح اكثر ، الدولة . نحن لا نعارض العمل السياسي ، ولكن ما هو مفهوم العمل السياسي ؟ ما هي عناصره ؟ ما قدرة فعله ؟ نحن نفهم العمل السياسي محصلة فعل تستثمر في اطار التعامل لحساب الهدف ، ولا نستطيع ان نفهم العمل السياسي كهدف عناصره الذكاء والعبقرية والخطابة .

كثيرون الذين اصبحوا في اعقاب ايلول يخلطون ، وارتفعت اصواتهم حتى قال بعضهم لقد فشلت الثورة فليتركونا نتصرف . كثيرون الذين يمارسون الحلم والحوار الداخلي مع انفسهم ، ويظنون ان كل الامور معلقة بكلمة منهم يقولونها وينتهي كل شيء ، يخرج الاحتلال ، وتقوم الدولة ، ويعود الفلسطينيون . ونشأت بفعل هذا الحلم مدارس فلسطينية تنظّر له ، تعددت وتكاثرت واوشك أن يتبعثر بها الصف الفلسطيني . ويساعد على انتشار هذا الحلم سلسلة البعثات الامريكية التي تدفقت على المنطقة تدرس وتحلل وتبحث عن حل . وما زيارة فيشر الى المنطقة الا جزءا من الفعل الامريكي للخروج بالشعب الفلسطيني من اطار الثورة ، وبعدها ليس مهما الى أين . لقد جاء فيشر يقول : انتم ايها الفلسطينيون تحيرون ، في خياراتكم الحدية . لماذا تحشرون انفسكم بين خيارين فقط : الثورة الشاملة (Total Revolution) او الاستسلام الكامل (Total Surrender) بالتأكيد هناك خيارات اخرى كثيرة غير هذين الخيارين ، يمكنكم بينهما ان تجدوا بدائل متعددة ، لا تجعلكم تستسلمون ، ولا تجعلكم تنتحرون ، بالثورة ، وكان هذا الطرح يومها في اعقاب ايلول خطيرا . قلت للذين كانوا معي : فيشر يحاول ان يخرج بالعقل الفلسطيني من اطار الثورة الي اطار البدائل ويومها ستتعدد البدائل وسيكون لكل مجموعة فلسطينية طموح وتصور ورأي . ويومها يتفتت الموقف الفلسطيني ويتحقق للذين خلف فيشر طموحهم في الخروج بالانسان الفلسطيني من اطار الثورة . ومشاريع فيشر هي استمرار لمشاريع الدولة التي بدأت في مكتب القنصلية الاميركية في القدس .

كثير من الفلسطينيين في مرحلة الانحسار اعجبهم التفاؤل الذي طرحه امامهم فيشر .

وغاصوا في عالم الاحلام الذي تقودهم اليه هذه البدائل ، وكأن الامور تبقى معلقة فقط بكلمة منهم وليس مهما كم فعلهم . وزاد في الاندفاع الى عالم الخيال هذا حرص الكثير من المسؤولين الاسرائيليين على التأكيد لزوارهم الفلسطينيين عن تعاطفهم مع الاماني الفلسطينية والتظاهر امامهم بأن سلطات الاحتلال مستعدة للتفاهم معهم فقط عليهم ان يتفقوا ويوافقوا ويبقى السؤال : يتفقون على ماذا ؟ ويوافقون على ماذا ؟ وهل حقيقة سيذهب الاحتلال وينتهي بالتفاهم معه ؟

هذا الانسياق في العقل الفلسطيني الى عالم الحلم والتخدير **والانشغال بالحوار** الداخلي وما يفرزه من تعدد في المواقف الفلسطينية **وانسحاب من موقع الثورة هو الهدف** الآن . ان القوى المعادية تعي بوضوح كبير ان القضية الفلسطينية ستظل دائما هي محور القضية العربية ، وهي القضية الوحيدة المؤهلة لتحريك المنطقة ودفعها . والثورة الفلسطينية باعتبارها اداة الفعل الفلسطيني ستظل الطليعة القادرة على استقطاب كافة طلائع الرفض والتغيير في المنطقة العربية . وهي بحكم موقعها تمثل محور الاستقطاب ومركز الفعل في القرار العربي . وتعرف هذه القوى بوضوح ان أهمية الثورة الفلسطينية لا تنبع من حجم عملياتها ولكن من قدرتها على الفعل في القرار العربي ، الذي يوجه مسيرة الفعل العربي . وقدرة الثورة على الفعل تنبع من ارادة الفعل عند الثورة . وارادة الفعل اليوم أساسها ارادة القتال . ويدرك كل الذين يقفون في الصف المعادي ان تصفية الوجود الفلسطيني لن يحسم وجود الثورة أو قدرتها على الفعل ما استمرت ارادة القتال عند الانسان الفلسطيني . واستمرار ارادة القتال الفلسطينية يعني بالتأكيد تغييرا في القرار العربي لحساب الفعل ، أو في مواقع القرار العربي الذي شل هذا الفعل . وفي اطار هذا المفهوم تحركت القوى المعادية لتصفية الثورة الفلسطينية لتصفية قدرتها على الفعل . **لتصفية** ارادة **القتال** . وكانت الخطة التي اعتمدوها تقوم على : تصغير الدور الفلسطيني في المعركة : توسيع اطار القرار العربي ليتضاءل فيه الدور الفلسطيني ، انتزاع حق القرار من الفلسطينيين ، جر الاهتمام الفلسطيني بعيدا عن الارض الفلسطينية واشغاله بقضايا اوسع من اطاره الفلسطيني ، تمييع التركيز الفلسطيني على القضية الواحدة وتمييع ارادة الفعل وتنمية المدارس الفلسطينية بالاحلام والحوار الداخلي ، تمييع ارادة الرفض وتحييرها بحيث تتردد في القرار ، تصفية قوة الرفض ، الاستسلام ، استكمال ترتيبات التسوية والاستسلام ، تكريس شرعية الاستسلام ، استيعاب ادوات الرفض عناصر وقيادات ، استيعاب الوطنية الفلسطينية ، استيعاب الجماهير الفلسطينية .

ولقد مارسوا كثيرا في هذا الاتجاه . وما ايلول الا حلقة من حلقات التآمر على هذا الطريق . ولكن ايلول لم يحسم . وتطورت الامور بعدها بشكل بدا واضحا فيه ان تصفية الوجود المادي للثورة لن ينهي الوجود الفلسطيني ، ومن هنا بدأت خطة عملهم الجديدة والتي مهدت لها رحلات فيشر بما خلقته من اجواء . وتتابع بعدها مشروع الملك على نفس الطريق . ويجيء اليوم في اطار نفس العقلية مشروع شمعون بيرتز وشلومو هيلل . بعد كل ازمة يخرجون لنا بمشروع . في اعقاب ايلول واندفاع الشعب الفلسطيني من خلال احساسه بالظلم باجماع غير عادي الى الثورة جاء فيشر وهدفه ان يقول لماذا الثورة وامامكم احتمالات كثيرة .

بعد اعدام وصفي التل وعلى ابواب المؤتمر الشعبي الفلسطيني ، وقد بدأ يتبلور الموقف الفلسطيني الموحد الذي اتضحت امامه هوية النظام العميل ، جاء مشروع الملك ليستوعب الوطنية الفلسطينية ، ليقول : لماذا تجهدون انفسكم ، تريدون وجودا فلسطينيا ، أنا اعطيكم فما لكم والثورة ؟ وخطورة مشروع الملك انه محاولة خداع كبيرة تريد ان تقنع الناس انه يمكن تصفية الاحتلال بالتفاهم مع الاحتلال . واليوم بعد

معركتي مطار اللد وتنامي الاحساس الوطني الفلسطيني في وجه الانحياز الدولي يجيء مشروع شلومو هيلل وشمعون بيرنز لدولة في الضفة الغربية . الجميع هدفهم أن يحولوا دون اندفاع الاجماع الفلسطيني الى الثورة . الجميع يريدون ان يخرجوا العقل الفلسطيني من اطار الثورة وبعدها ليس مهما ماذا يصنع . ان مجرد دخول العقل الفلسطيني اطار البدائل يكون قد دخل عالم المتاهة التي تتعدد فيها المدارس الفكرية الفلسطينية ويضيع الاجماع وينقسم الموقف ، وتتلاشى قدرة الفعل ، وقد تنتهي ارادة القتال . عندها تصبح البدائل هي اقصى الطموح ويتحول العمل السياسي الى هدف بدلا من ان يكون العمل السياسي هو استثمار للفعل في اطار التعامل لحساب الهدف .

تماما كما ضاعت أو كما ضيعوا ارادة الفعل الفلسطيني في اعقاب ١٩٤٨ عندما تعددت المشاريع والقرارات الدولية التي تعلق بها العقل الفلسطيني يومها ، واحتار بينها ، وضاعت ارادة الفعل عنده ، في انتظار ان يفعل له الاخرون . وعاش الفلسطينيون يومها في انتظار الراديو ليسمعوا شيئا عن مصيرهم بعد ان انتهى فعلهم . تماما كما صنعوا يومها ، وسعوا دائرة القرار ، وانسحبوا ، وذهبوا الى رودس ، وصفت جيوشهم الوجود الثوري الفلسطيني ، واستوعبت القيادات الفلسطينية ، وتكرس الاستسلام في مؤتمر اريحا .

نفس القصة يريدون ان يعيدوا تكرارها من جديد تماما كما صنعوها في الماضي ، الفارق الوحيد الان ان الشعب الفلسطيني لا يزال من خلال تجربته يتمسك بارادة القتال ، والصراع اليوم قائم عليها . كثيرون هم الذين ينظرون بأمل للتسوية ، ولضرورة خروج الشعب الفلسطيني بشيء من هذه التسوية ، ليس هدفهم الحرص على الشعب الفلسطيني ، ولكن الهدف هو الخروج به من عقل الثورة الى عقل التسوية . وعقل التسوية عاجز عن الفعل يظل في انتظار ان يفعل الاخرون له ويومها ينتهي الوجود الفلسطيني بشكل حقيقي فمعادلة الوجود الفلسطيني هي باختصار : **الوجود الفلسطيني يعني قدرة الفعل الفلسطيني** ، وقدرة الفعل الفلسطيني هي ارادة القتال، ارادة الرفض والتغيير عند الانسان الفلسطيني . في أية لحظة يفرط الانسان الفلسطيني بارادة القتال ينتهي الوجود الفلسطيني بشكل حقيقي .

ان الطموح الهاشمي لتكرار قصة الاستسلام في رودس من جديد وما يحتاجه هذا الطموح من تغييب للطرف الفلسطيني ، والطموح الاسرائيلي لترتيب الوضع الراهن للاستمرار في الارض المحتلة ، يقوم في اساسه على فكرة غياب الطرف الفلسطيني الذي يملك حق الرفض لهذا الطموح . وبهذا تلتقي خطة العمل الاردنية وخطة العمل الاسرائيلية على محاولة خلق بعض الحقائق وطرح عدد من البدائل التي يفترض فيها ان تفتت ارادة الرفض الفلسطينية ، ارادة الفعل وتمييعها ، ويصير تطويقها واحتواؤها وتلاشيها .

وان الرد الفلسطيني على هذا التخطيط المشترك للطرفين الاردني والاسرائيلي والذين يقفون من خلفهما يكون بارادة فعل فلسطينية تتحرك بسرعة لاحداث تغيير في حقائق المنطقة ، وقرارات الفعل فيها ، والقضية اليوم هي سباق بين ارادة الثورة الفلسطينية وما تعكسه من قدرة فعل ستقود المنطقة الى التمرد والتغيير ، وبين ارادة الاستسلام الاردنية والتكريس الاسرائيلية وما تعكسه من قدرة فعل سيقود المنطقة الى الانهيار والخضوع .

من أجل الوصول الى الهدف يقدم كل طرف تحليله لظروف المنطقة وواقعها هم يقولون ان القدرة على التغيير تكاد تكون مستحيلة ، من هذه النظرية تنطلق تحليلاتهم . ونحن نقول أن القدرة على التغيير لا تزال كبيرة جدا بشرط أن تتحرك ارادة الفعل وتتمرد .

هناك مدخلان دائما لاي عمل . المدخل الاول : يقوم على اساس ماذا أريد وعلي خلق جميع الظروف لتحقيق ارادتي . والمدخل الثاني ماذا يمكن أو استطيع ضمن الظروف القائمة وعلي استغلال قدرتي في حدود الممكن والفرق بين المنطقين هو الفرق بين عقلية الثورة وعقلية التسوية بين الفاعل والمفعول من أجله .

في بداية اي تحليل لا بد من حصر عناصر هذا التحليل واطرافه ، وفي تحليلنا للموقف السياسي القائم الآن في المنطقة لا بد من تحديد اطراف الفعل فيه والمقدمات التي تقود الى النتائج وتصنعها . أطراف الفعل في الصراع القائم الآن هي : الطرف الفلسطيني ، الطرف العربي ، الطرف الاسرائيلي ، والطرفان الدوليان الاميركي والسوفييتي . هؤلاء هم الاطراف المؤهلون للفعل في صراع المنطقة وتقرير مصير الوضع السياسي فيها وان اختلفت قدرات الفعل عند كل طرف أو اختلفت اشكال الفعل أو النشاط فيه .

في اعقاب حزيران ١٩٦٧ وبعد انهيار القوة العربية ، والضياع الذي عاشه الوطن العربي والذي كانت اسرائيل تراهن عليه لتكريس الاستسلام العربي ، تحركت الطلائع الفلسطينية من جديد لتقاتل وتنتشل بقتالها الانسان العربي والنفسية العربية من حالة الضياع هذه . وخاضت سلسلة معارك كان طموحها الاخير العودة لتحريك ارادة القتال على الارض العربية .

ولقد نجحت الثورة الفلسطينية كطليعة لتحريك ارادة القتال في تحريك المنطقة العربية ، وتصاعد ارادة التحدي والرفض فيها بمشاركة الجبهة المصرية وتصاعد عملياتها ، ولقد ارتفعت حرارة المد القتالي العربي في النصف الاول لعام ١٩٧٠ على الجبهات المصرية والسورية والفلسطينية . وحتى الجبهة الاردنية (الجيش الاردني) شاركت يومها لاول مرة في قصف طبريا . ولقد بدا واضحا فعل هذا التصاعد القتالي العربي في واقع الاحتلال الاسرائيلي ، وفي تحريك الرأي العام الدولي ضد الاحتلال .

وجاء مشروع روجرز لوقف القتال كمحاولة لتأمين اجواء للتسوية . الا أن روجرز كان يدرك بوضوح أن أي وقف للقتال هو مدخل للخروج بالعقل العربي من اطار ارادة القتال. وبدخول العقل العربي اطار التسوية يضع روجرز الموقفين العربي والفلسطيني في حالة تعارض ويكون قد فصل بين العمل الفلسطيني والفعل العربي ودفع الامور بينهما الى حد الصدام . وبنتائج الصدام يكون المشروع الامريكي قد حقق تفريغ العمل السياسي العربي من عناصر الفعل فيه ومن ضمانات عودة الفعل العربي الى اجواء القتال تحت أي ظروف قادمة .

وهكذا تحول الدور الفلسطيني من طليعة لتحريك ارادة القتال ، الى حماية ارادة القتال من التصفية . وبقيام التعارض الفلسطيني العربي تورط الطرف العربي في مؤامرة تطويع ارادة الرفض الفلسطينية واضعاف قدرتها على الرفض التي كانت دائما تشكل ضمانة الفعل العربي .

وجاءت حرب ايلول في اطار النظرية التي خطط لها روجرز لتطويع ارادة الرفض الفلسطينية ، واندفعت لتصفيتها . ولما لم تنجح محاولة التصفية هذه في تطويع قدرة الفعل الفلسطيني ، كان لا بد من البحث عن أسلوب اخر لتفتيت هذه القدرة وبعثرتها واخراجها من مواقعها ، مواقع الثورة والرفض ، وتمييعها بسلسلة البدائل . وجاءت في هذا الاطار رحلات فيشر والاتصالات الامريكية والاسرائيلية مع بعض الشخصيات الفلسطينية . ويستطيع أي مراقب أن يلاحظ بوضوح توقيت هذه المشاريع التي كانت تأتي دائما في ظروف الاستقطاب الفلسطيني كلما توفر له الوضوح والتركيز .

وفي المجال العربي لم تعد عناصر الفعل في العمل السياسي العربي كما كانت قبل ايلول

ومشروع روجرز، وقاد هذا التدني في قدرة الفعل العربي الى سلسلة مشاريع التسويات الجزئية والتي التقت جميعا على التعبير عن الاستعداد العربي للاعتراف رسميا بالوجود الاسرائيلي على ارض فلسطين لاول مرة . واصبحت مشاريع التسويات الجزئية والعروض العربية في هذا المجال هي البدائل التي يتميع بها الموقف العربي وتتفتت قدرته ويتضاعف عجزه، حتى اصبحت هذه التسويات هي قمة الطموح العربي الذي لا يملك ارادة الفعل وينتظر من الاخرين ان يفعلوا له .

في فترة العجز العربي هذه، تحرك الفعل الاسرائيلي ليخلق سلسلة حقائق في الارض المحتلة يعزز من وجوده فيها، وقدرته على البقاء عليها واستيعابها . وكانت اهداف الفعل الاسرائيلي تتركز في اتجاهين : **الاول** : خلق ظروف تمكن من استيعاب الارض الفلسطينية المحتلة وتكرس واقع الاحتلال واستمراره فيها بشكل يفتح لها ابواب المنطقة العربية من غير ان يكون الاحتلال مشكلة اسرائيلية . **والثاني** : استعمال واقع الارض المحتلة والحقائق الجديدة فيها وسيلة ابتزاز يساوم بها المواطن العربي على تقديم مزيد من التنازلات لحساب الاحتلال وتحقيق شروط افضل فيما لو فكر يوما في تسوية الصراع لتكون الشروط يومها اسرائيلية .

ومن أجل هذا، وفي هذا الاتجاه قامت سلطات الاحتلال بسلسلة اجراءات :

ـ بناء شبكة مستعمرات الحزام العازل حول الضفة الغربية وقطاع غزة بهدف تطويق قدرة الفعل العربي في الارض المحتلة .

ـ اقامة شبكة مستوطنات فيما بين القرى والمدن العربية لتكون نقاط مراقبة ومراكز حراسة وأمن في وسط التجمعات الفلسطينية تستطيع في المدن ان تشل تحركها أو تربكه وتشكل حقائق تفرض نفسها ضمن أي شروط أو تطلعات اسرائيلية للمستقبل .

ـ تسهيل سفر الطلبة الجامعيين بأعدادهم الكبيرة واستيعاب الاعداد الكبيرة من العمال العرب لتفريغ الارض المحتلة من احتمالات الثورة التي يمثلها هذا الشباب المرشح للثورة والتجاوب معها .

ـ اعطاء افضلية تعامل لجماهير الارض المحتلة كمواطنين وعمال وسياح وتجار بهدف تمييع ارادة الرفض في أعمالهم، واقامة المقارنات مع اساليب التعامل العربي، وما يقود اليه هذا من توسيع لدائرة التعامل .

ـ فتح الجسور مع الاردن والعالم العربي للتعامل الاقتصادي والسياحي بهدف تطويع النفسية العربية على قبول الامر الواقع والتعامل معه .

ـ خلق طبقة من القيادات والزعامات التي تقبل التعامل معها، وفتح المجال لممارسات شكلية تلهي طموح الافراد بقضايا غير قضية الاحتلال وتحاول اعطاءهم ملامح خاصة تنمو بشكل يميزها ويعزل بينها وبين باقي التجمعات الفلسطينية من اجل شق وحدة الموقف الفلسطيني .

ولقد نجحت السياسة الاسرائيلية من خلال سياسة الجسور المفتوحة مع الارض المحتلة في خلق حالة من الصلح الواقعي الذي فتح بابا للتعامل الاقتصادي والسياحي لم يعد معه ممكنا ممارسة أي قيد أو ردع لتعامل جماهير الارض المحتلة مع سلطات الاحتلال . وبالعكس فقد ساعد هذا على توفير افضلية معاملة لجماهير الارض المحتلة على جانبي خط وقف اطلاق النار وخلق طبقة منتفعة بهذه الاوضاع ولا يعنيها التغيير فيها . ونمت مع هذا حالة الطفل المدلل في المنطقة حيث اصبح كثيرون من شباب الارض المحتلة يكتفون بالفخر انهم يتميزون بتواجدهم هناك يسافرون ويعملون ويعيشون بهذا الفخر وليس يعنيهم بعدها من يأتي ليناضل عنهم وكأنما نجحت الممارسات الاسرائيلية والغباء

والتورط العربي الرسمي المتهافت على أي شكل من العلاقات مع جماهير الارض المحتلة في خلق حالة تميع في ارادة الرفض وحالة لامبالاة وتحييد لقطاع واسع من طبقات انتفعت بهذه الاوضاع وفتحت ابوابها لها وتعايشت معها واتسعت دائرة تعاملها مع سلطات الاحتلال بما أوشك ان يخنق أصوات الثورة فيها .

كان هذا الطابع العام للضفة الغربية من نهر الاردن في وقت ظلت فيه غزة في موقف الرفض والتحدي لرغبة الاحتلال من خلق ظروف استيعاب مماثلة ، حتى استطاع اخيرا في ظل الصمت العربي والحصار الاردني وغياب الرؤية الواضحة لمستقبل الفعل العربي والاحساس بالانعزال والاستفراد والوحدة امتصاص التوتر الذي كان وظل الطابع العام لمدن وقرى القطاع . وباشر اليوم في فتح الطريق بتسهيلات كبيرة امام مواطني غزة الى جميع الارض المحتلة من اجل ان يخرج بهم من حالة « التمترس » التي عاشوا وناضلوا بها الى حالة استرخاء وتميع في النفسية تخفف من شراسة الرغبة في التحدي والرفض. تماما كما صنعت جسور الاردن مع مواطني الضفة الغربية تريد أن تصنع سلطات الاحتلال بفتح جسور غزة مع باقي الارض الفلسطينية المحتلة .

كان هذا هو الطابع العام للفعل الاسرائيلي في الارض المحتلة وقد تم التركيز فيه في غياب الفعل العربي ومن وراء الفعل الفلسطيني الذي انشغل بحالة التعارض التي صنعها مشروع روجرز في الموقفين العربي والفلسطيني ومعارك التصفية التي خاضها في الاردن دفاعا عن وجوده وحقه في الثورة والتحرير .. والامة العربية في مستواها الرسمي بين مشارك ومبارك أو متفرج .

وهكذا أصبح الفعل الاسرائيلي هو الفعل الوحيد في الصراع القائم الان واصبحت قوات الاحتلال الاسرائيلية هي الفاعل الوحيد في الوضع السياسي القائم القادر عن ان يصنع حقائق ، ويملي شروطا ، ويضع مواصفات، ويرسم خرائط ، من غير ان يكون هناك من يستطيع أن يمارس قيدا على حريته في الفعل أو التصرف .

احتمالات الموقف : كثيرون الذين يناقشون الامور بتبسيط كبير ويؤكدون ان هناك تسوية ويتصرفون على اساسها والخطورة فيما اذا كان هؤلاء في مواقع القرار الفلسطيني تكون قاتلة فهم : ١. يخطئون في التحليل والحساب ، ٢. يكونون بهذا قد الغوا دور الثورة في التغيير وتحريك الفعل وبالتالي مبرر وجودها ، ٣. يكونون قد كرسوا ونهائيا وضع الفعل الفلسطيني في اطار العجز وتفريغ الثورة من طموح الفعل وارادة التغيير ويكونون بهذا قد تورطوا بأنفسهم وبدون جهد معاد في تصفية الوجود الثوري الفلسطيني الذي يقوم في اساسه على ارادة القتال والفعل والتغيير عند الانسان الفلسطيني . وينساقون بعدها في سلسلة العمل المناور والعلاقات السطحية التي تبحث عن فاعل يفعل لهم وعنهم وينتهي طموحهم كما انتهى كل الطموح الفلسطيني الذي تعلق بفاعل غريب على طول المسيرات الماضية .

في بداية أي تحليل لا بد من الاتفاق على التسميات ومعاني الكلمات حتى يصبح مشتركا. التسوية مثلا هي « محصلة علاقات وقوى وحقائق فعل بين طرفين او اكثر تخلق الاحساس بالحاجة للاتفاق على شيء ما بشروط ومواصفات اما مشتركة او على الاقل مقبولة لدى جميع الاطراف » . وأي تحليل واع للامور ، لعناصر الفعل وأطرافه في المنطقة قادر على ان يرى ان الفاعل القائم الان وحيد،وليس هناك ما يلح عليه أو يشعره بالحاجة الى اتفاق او تسوية وهو قادر على الاستمرار في هذا الوضع وان اي بديل لهذا الواقع لا بد أن يكون ضمن طموحه الخاص وبشروطه الخاصة.وبمعنى اكثر تحديدا ليس هناك تسوية ضمن معادلة القوى القائمة الان.والى حين التغيير في عناصر المعادلة هذه يظل مشروع الحل الاسرائيلي بالشروط الاسرائيلية هو الاكثر احتمالا في غياب اي قدرة

رصد اذاعة اسرائيل

نشرة استماع يومية للاذاعة العبرية

يصدر قسم الدراسات الاسرائيلية في مركز الابحاث اعتبارا من اوائل تموز ٧٢ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

ستتضمن نشرة الاستماع تسجيلا لنشرات الاخبار والتعليقات والاحاديث والندوات واقوال الصحف . وستبوب هذه المواد على اساس الموضوعات (ويشار في نهاية كل مادة الى الساعة التي بثت فيها) ، أي أن النشرة ستقسم الى عدة ابواب (مثلا : الوضع العسكري ، الوضع الاقتصادي ، الوضع الاجتماعي ، المناطق المحتلة ، السياسة الخارجية ، العمل الفدائي ، الهجرة ، السياسة الداخلية الخ ...) ، تسهيلا لمهمة القارىء أو الباحث . وستطبع النشرة على الاوفست لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

وسيقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فسترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، أو بأية وسائل اسرع .

الاشتراك السنوي خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة أو ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى .

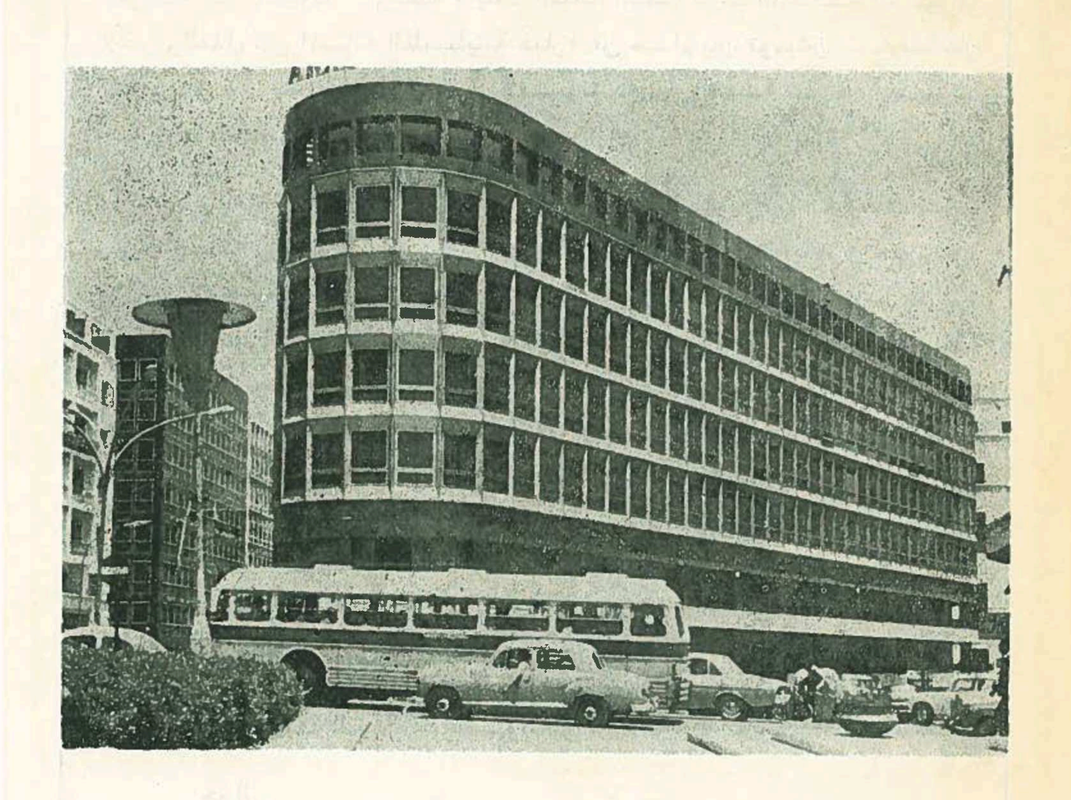
ترسل قيمة الاشتراكات على العنوان التالي :

مركز الابحاث ــ نشرة الاستماع

ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

سوليكو
الشركة اللبنانية للبناء والمقاولات ش.م.ل

* *



* *

مطبعة الغريب
بيروت

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): LL. 30 in Lebanon and the Arab World, LL. 50 ($ 16) in Asia, Africa and Europe; LL. 80 ($ 26) in the Americas and Australia; *Annual Subscription* (Surface mail): LL. 40 ($ 13) in countries outside the Arab World. *Address*: P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.